بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

تقدّم ذكر الملك الظاهر برقوق وأصله وخبر قدومه من بلاد الجاركس إلى الديار المصريّة وما وقع له بها إلى أن ملكها وتسلطن ، كلّ ذلك فى ترجمته الأولى من هذا الكتاب[1] . وذكرنا أيضا ما وقع له من يوم خلَع نفسَه وسُجِن بالكَرَك[2] إلى أن خرج من الحبس وقاتل منطاشا وآنتصر عليه وعاد إلى الديار المصرية بعد أن أُعيد إلى السلطنة بمنزلة شَقْحَب[3] ، وأشهد على الملك المنصور بخَلْع نفسه ، ثم

تنبيه : يلاحظ أن المؤلف قد يأتى بكثير من العبارات التى تخالف قواعد اللغة العربية فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب ، فآثرنا إبقاءها على ما هى عليه مسايرة للمؤلف فى تعبيره ، وذلك ليتعرّف القارئ بعض أساليب مؤرخى القرون الوسطى . وسنرمز للأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بأمريكا بحرف «م» وللأصل الفتوغرافى بحرف : «ف» .

(١) انظر ترجمته الأولى ص ٢٢١ من الجزء الحادى عشر من هذه الطبعة .

(٢) الكرك (بفتح أوّله وثانيه وكاف أخرى) : كلمة أعجمية لقلعة حصينة جدا فى أطراف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم والبيت المقدس ، وهى على سنّ جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض . راجع معجم البلدان لياقوت الحموى (ج ٤ ص ٢١٢) .

(٣) شقحب : قرية فى الشمال الغربى من غباغب ويقال لها تل شقحب ، ذكرها (دوسود) فى الكلام عن وادى العجم من ضواحى دمشق (انظر كتاب التخطيط التاريخى لسوريا القديمة والمتوسطة لرينيه دوسود طبع باريس سنة ١٩٢٧ ص ٣٢٢) .

سار حتى نزل بالصالحيـة [(١)] ، كلّ ذلك فى ترجمـة السلطان الملك المنصـور حاجى مفصّلا ، فمن أراد شيئا من ذلك فلينظره فى محلّه ، ومن يومئـذ نذكر رحيـله من منزلة الصالحية إلى نحو الديار المصرية فنقول :

ولـمّـا نزل الملك الظاهر برقوق على منزلة الصالحيّـة فى يوم عاشر صفر سـنة آثنتين وتسعين وسبعمائة أقام بها نهاره ، وأعيانُ الدولة تأتيه فَوْجا بعد فوج ، مثل أكابر الأمراء الذين كانوا بالحبوس وأعيان العلماء ومباشرى الدولة وغيرهم .

ثمّ رَحَل من الغـد بعساكره وصحبته الخليفة والملك المنصور حاجى والقضاة وسار بهـم يُريد الديار المصرية إلى أن نزل بالرَّيْدانيّة [(٢)] خارج القاهرة فى بكرة يوم الثلاثاء رابع عشر صـفر ، فخرج الأعيان من العلماء والأمراء والفقراء إلى لقـائه

(١) هى اليوم إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقيـة ، اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أوّل الرمل بين مصر والشام فى سنة ٦٤٤ هـ (راجع الصالحية فى ذكر : « بلدة » الورادة بالجزء الأوّل من الخطط المقريزية وجدول أسماء البلاد المصرية) .

(٢) يستفاد مما ذكره المقريزىّ فى خططه عند الكلام على الريدانية (ص ١٣٩ ج ٢) أن الريدانية آسم يطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقلى ، أحد خدّام العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ، كان يحمل المظلة على رأس الخليفة وآختص بالخليفة الحاكم بأمر الله إلى أن قتله الحاكم فى سنة ٣٩٣ هـ .

وأقول : إنه لمـا كان بستان الريدانية يقع فى حدود الصحراء الواقعة فى شمال القاهرة ، وكان العمار ينتهى إليه ، فقد أطلق اسم الريدانية على البستان وعلى ما يجاوره من الأراضى الرملية الفضاء التى كانت تمتدّ فى ذلك الوقت ما بين المكان الذى فيه اليوم ميـدان الأمير فاروق بباب الحسينية وبين الصحراء التى فيها الآن مدينة مصر الجديدة ، يؤيد ذلك جميع الوقائع والحوادث التى وقعت فى الريدانية فى عهد المماليك والتى وقعت بينهـم وبين الترك . وذكرها آبن إياس فى تاريخ مصر فى عدة مواضـع ، وكلها تدل على أن الريدانية كانت فى الجهة السابق ذكرها ، ويدخل فى حدود الريدانية الآن الوايلى الصغرى والعباسية وثكنات الجيش الواقعة على جانبى شارع الخليفة المأمون ومنشية البكرى ومصر الجديدة .

ولا يزال يوجد من بقايا بستان ريدان الأراضى الزراعيـة الواقعة الآن على جانبى شارع بين الجناين وشارع أحمد بك سعيد بأراضى ناحية الوايلى الصغرى خارج باب الحسينية بالقاهرة .

فخرجت الأشراف مع السيد الشريف علىّ نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بأعلامها وأذكارها، ومشايخ الخوانق بصوفيّتها، وخرجت العساكر المصريّة بلبوسها الحربيّة، لأن العسكر المصرىّ كان من يوم خروج بُطا وأصحابه من السجن وملكوا الديار المصريّة؛ عليهم آلة الحرب، وخرجت اليهود بالتوراة والنصارى بالإنجيل، ومعهم الشموع المشعولة. وخرج من الناس ما لا يُحصيه إلا الله تعالى وعندهم من الفرح والسرور ما لا يُوصف، وهم يصيحون بالدعاء له حتّى لقوه وخاطبوه.

فشرع الملك الظاهر يُكلّم الناس ويُدْنيهم ويرجع رُءوسَ النُّوَب عن منعهم من السلام عليه. وكلّما دعا له شخص منهم رَحَّب به. هذا وقد فُرشت له الشُّقَق الحرير خارج التُّرب إلى باب السلسلة(١)، فلمّا وصل الملك الظاهر إلى الشقق المفروشة له، تنحّى بفرسه عنها وقدم الملك المنصور حاجّى، حتى مشى بفرسه عليها، ومشى الملك الظاهر برقوق بجانبه خارجا عن الشقق، فصار الموكب كأنه للملك المنصور لا للظاهر، فوقع هذا من الناس مَوْقِعا عظيما، ورفعوا أصواتهم له بالدعاء والابتهال لتواضعه في حال غَلَبته وقَهْره له وكون المنصور معه كالأسير، وصارت القُبّةُ والطيرُ على رأس الملك المنصور أيضا، والخليفة أمامهما وقضاةُ القضاة بين يدى الخليفة، وتناهبت العامّةُ الشُّقق الحرير بعد دَوْس فرس السلطان عليها، من غير أن يمنعهم أحد، وكذلك لمّا نُثر عليه الذهب والفضّة تناهبته العامّة. وكانت عادة ذلك كلّه للجمداريّة، فقصد الظاهرُ بذلك زيادةَ التحبّب للعامّة، كونَهم أظهروا المحبّة له في غَيْبته، وقاموا مع المماليك، وصاروا مع مماليكه، وصار الملكُ الظاهر يُعظِّم الملك المنصور في مشيه

(١) هذا الباب لا يزال موجودا، ويعرف قديما بباب الإسطبل وباب الانكشارية، وأما اليوم فيعرف بباب العزب، نسبة إلى طائفة من العسكر تسمى عزبان، ووظيفتهم المحافظة على القلاع.

وخطابه ، ويُعامله كما يعـامِل الأمير سلطانه ، إلى أن أدخله دارَه بالقلعة ؛ ثم عاد الملك الظاهر إلى حيث نزل من القلعة ، وتفرّغ عند ذلك لشأنه ، وآستدعى الخليفةَ وقضاةَ القضاة والشيخ سِراج الدين عُمَر البُلْقينيّ والأمراءَ وأعيانَ الدولة ، بجدّد عَقْد السلطنة له وتجديدَ التفويض الخليفتى ، فَشَهِد بذلك القضـاةُ على الخليفة ثانيـا وأُفيضت التشاريفُ الخليفتيّة على السلطان بسلطنته ، ثم أفيضت التشاريفُ السلطانية على الخليفة ، ورَكب السلطان الملكُ الظاهر من الإسطبل(١) السلطانىّ من باب السلسلة بأُبّهة السلطنة وشِعار الملك ، وطَلَع إلى القلعة ونزل إلى القصر ، وجلس على تخت الملك ، ودُقت البشائرُ وعُملت التهانى والأفراح بالقلعـة وفى دور الأمراء وأهل الدولة ، وكان هذا اليوم من الأيام التى لم يقع مثلُها إلا نادرًا .

ثم قام السلطان ودخل إلى حرمه و إخوته ، فَفُرِشت له أيضـا الشُّقَقُ الحرير والشقق المذهَّبة تحت رجليه ، ونُثِر عليـه الذهب والفضة ولاقتْهُ التهانى من خارج باب السِّـتارة(٢) ، ثم أصبح السلطان فى يوم الأربعـاء ، فأمر أن يُكْتَب إلى ثغـر الإسكندرية(٣) بالإفراج عن الأمراء المسجونين بها ، و إحضارِهم إلى الديار المصريّة .

---

(١) هذا الإسطبل مكانه اليوم مجموعة المبانى التى بها مخازن ورش الجيش المصرى بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذى كان يسمى قديما باب الإسطبل ، فى المسافة الممتدة بين جامع أحمد أغا قيوجى إلى نهاية الورش من جهاتها الغربية والقبلية والشرقية ، هــذا مع العلم بأن المكان الحالى للاصطبل المذكور ليس فى منسوب أرض قلعة الجبل ، بل هو فى مستوى أوطأ مما عليه القلعة ويحيط به السور الأسفل الغربى المشرف على ميدان صلاح الدين بالقاهرة .

(٢) لمـا تكلم المقريزى على باب النحاس الذى سبق التعليق عليه فى الحاشـية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة قال : إن باب النحاس كان من داخل باب الستارة ، والظاهر أن باب الستارة كان من أبواب القصور المخصصة لسكنى الملك وحرمه ، وقد زال هذا الباب بزوال تلك القصور وحل مكانه السراى الكبرى التى أنشأها محمد على باشا الكبير فى سنة ١٢٤٣ هـ لسكناه هو وحرمه .

(٣) لمـا كانت الإسكندرية من المدن المصرية القديمة التى لها شأن عظيم فى التاريخ أفرد لها المرحوم على باشا مبارك جزءا من خططه وهو الجزء السابع و يقع هــذا الجزء فى ٩٥ صفحة من القطع الكبير .

ثم خَلَع السلطان على فخر الدين بن مكانِس صاحب ديوان الجيش باستقراره في وظيفته نَظَر الجيش عوضا عن القاضي جمال الدين محمود القَيْصَرىّ العجمىّ بحكم توجُّهه مع منطاش إلى دِمشق ، وخَلَع على الوزير موفّق الدين أبي الفرج وآستقرّ به في الوزارة ، ونظر الخاصّ ، وعلى ناصر الدين محمد بن آقبغا آص شادّ الدواوين بآستمراره . وأنعم على الأمير بُطا الطُّولُوتَمُرِىّ الظاهرىّ بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وعُيّن للدوادارية الكبرى وأخلع على الأمير قرقماش الطشتمرىّ أستادارا .

ثم في سابع عشر صفر قَدِم الأمراء من الإسكندرية إلى بر الجيزة ، فباتوا به وعدّوْا في ثامن عشره وطلعوا إلى القلعة وهم سبعة عشر أميرا ، أعظمهم الأتابك يَلْبُغا الناصرىّ ، الذى كان خرج على الملك الظاهر ، وقبَض عليه وحبَسه بالكَرَك ثم الأمير أَلْطُنْبُغَا الجُوبانىّ نائب الشام الذى كان قبض على الملك الظاهر بَرْقُوق من بيت أبي يَزِيد ، وطلَع به إلى القلعة نهاراً ، ثم الأمير الكبير قَرَا دِمرداش الأحمدىّ الذى كان الظاهر جعله أتابَك العساكر بديار مصر ، وأنعم عليه بثلاثين ألف دينار فتركه وتوجَّه إلى يلبغا الناصرى المقدّم ذكرُه ، والأمير ألطنبغا المعلّم أمير سلاح وهؤلاء الأربعة من أعيان اليلبُغاوية خُشْداشِيّة الملك الظاهر برقوق ، ثم الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس الذى كان سببًا لكسرة عسكر الملك الظاهر بدِمَشق بهروبه إلى الناصرىّ ، والأمير قَرْدَم الحسنىّ اليلبُغاوىّ رأس نَوْبة النُّوب والأمير سُودون باق أحدُ أمراء الألوف اليلبغاوية والأمير سودون طُرُنْطاى أحدُ الألوف أيضا والأمير آقبغا الماردينىّ الأستادار أحدُ الألوف ، وكُشْلِى اليلْبُغاوىّ[1] و بَجاس النَّورُوزى

(١) هذه رواية (ف) ولعلها الرواية الصحيحة . وأما رواية (م) : « القلمطاوى » .

كلاهما أيضا مقدّم ألف ومأمور القَلَمْطاوى نائب حماة والكَرَك وألطنبغا الأشرفىّ أحد الألوف أيضا ويلبغا المَنْجَكىّ ويُونُس العثمانىّ ، فوقف الجميع بين يدى الملك الظاهر برقوق وقبّلوا الأرض له ،وهم فى غاية مايكون من الخَجَل والحياء منه ، بما تقدّم منهــم فى حقّه ، فرحّب بهــم الملك الظاهر وطَيَّب خواطرهم ولم يذكر لهم مافعلوه به ولا عَتَبهم عن شىء مما وقع منهم فى حقّه ، بل أكرمهم غايةَ الإكرام بكلّ ما يُمكِن القُدرة إليــه ، ثم أمرهم بالنزول إلى بيوتهم ، فنزل الجميع وهم فى غاية السـرور .

ثم فى يوم الآثنين العشرين من صفر جلس السلطان بالإيوان[1] من القلعة المعروفة بدار العدل ، وأخلع على الأمير سُودون الفخرىّ الشيخونىّ بنيـابة السلطنة بالديار المصرية على عادته أوّلا ، وعلى الأمير إينـال اليوسفىّ اليَلْبُغاوى بآستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية، وعلى الأمير الكبير يلبغا الناصرى صاحب الوقعة بآستقراره أمير سلاح ، وعلى الأمير أَلْطُنْبغا الجوبانىّ بآستقراره رأس نَوْبة الأمراء وأطابكا وعلى الأمير كَمُشْبُغا الأشرفىّ الخاصكىّ بآستقراره أمير مجلس وعلى الأمير بُطا الطُّولُوتَمُرىّ الظاهرىّ بآستقراره دوادارا كبيرا، وهو الذى كان خرج من حبس القلعة وملَك باب السلسلة فى فتنــة الملك الظاهر وعلى الأمير طُوغان العُمرىّ باستقراره أمير

(١) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه فى الكلام على الإيوان بقلعة الجبل (ص ٦ ج ٢) أن الإيوان المعروف بدار العدل أنشأه الملك المنصور قلاوون ثم جدّده آبنــه الملك الأشرف خليل ، فعرف بالقاعة الأشرفية ، وآستمرّ جلوس نائب دار العدل به إلى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أعاد بناءه فى سـنة ٧٣٠ هـ فزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام عمدا عظيمة ، ونصب فى صــدره سرير الملك وعمل أمام الإيوان رحبة فسيحة ، بخاء من أعظم المبانى . وكان الملوك يجلسون فيه لنظر المظالم ، ولذلك سمى دار العدل ؛ وبالبحث تبين لى أن هذا الإيوان مكانه اليوم جامع محمد على باشا الكبير بقلعة القاهرة . وأما الرحبة التى كانت أمامه فكانها الحوش الواقع تجاه الوجهة البحرية الشرقية للجامع المذكور .

جاندار ، وعلى سودون النظامىّ بآستقراره نائب قلعة الجبل[1]، ونزل الجميع بالخلع وتحتهم الخيول بالسروج الذهب والكنابيش الزَّرْكَش إلى دورهم ، بعد أن خرجت الناس للفرجة عليهم، فكان يوما من الأيام المشهودة .

ثم فى يوم حادى عشرين صفر أخلع السلطان على الأمير بَكْلَمُش العلائىّ بآستقراره أمير آخور كبيرا، وسكَن بالإصطبل السلطانىّ .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشرين صفر قُرِئَ عهدُ السلطان الملك الظاهر برقوق بدار العدل، وخلَع السلطان على الخليفة المتوكّل على الله وأخلع على القاضى علاء الدين علىّ بن عيسى المُقَيِّرىّ الكَرَكى كاتب سِرّ الكرك فى كتابة سرّ مصر، لِمَا تقدم له من الأيادى على الظاهر فى القيام معه بالكرك، عوضا عن القاضى بدر الدين محمد ابن فضل الله بحكم توجّهه أيضا مع منطاش إلى دِمَشْق .

ثم أخلع السلطان على بجاس النُّوروزىّ بآستقراره فى نيابة صَفَد .

وفى سادس عشرينه قَبَض السلطان على حسين بن الكُورانىّ وأَمَر به فعُذِّب بأنواع العذاب .

وفيه قَدِم البريدُ على السلطان من صفد بفرار الأمير طُغَاى تَمُر القبلاوىّ من دمشق إلى حلب فى مائتين وواحد من المنطاشية .

وفى سابع عشرين صفر آستقرّ الأمير محمود بن على الأستادار كان بآستقراره مشيرَ الدولة .

(١) قلعة الجبل : لا تزال موجودة إلى اليوم بأسوارها العالية على قطعة مرتفعة منفصلة عن جبل المقطم شرق القاهرة ، تشرف على ميدان صلاح الدين ، بل على القاهرة كلها ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٧٢ هـ .

وفى يوم الأربعـاء تاسع عشرينه جلس السلطان الملك الظاهر بالميـدان[1] من تحت القلعة للنظر فى أحوال الرعية والحكم بين الناس على العادة ، وآستمرّ على ذلك فى كلّ يوم أحد وأربعاء .

وفى ثامن عشر شهر ربيـع الأوّل أخلع السلطان على الشيخ محمـد الرِّكراكىّ المـالكىّ بآستقراره فى قضاء المـالكية بالديار المصرية عوضا عن تاج الدين بهرام الدِّميرىّ . والرِّكراكىّ هذا هو الذى كان آمتنع من الكتابة على الفُتيَا فى أمر الملك الظاهر برقوق لمـا كَتَب عليها البُلْقينىّ وغيرُه من القضاة والعلماء، وضَرَبه منطاش بسبب عدم كتابته . وحبسه إلى أن أطلقه بطا فيمن أطلق من سجن منطاش ،فعَرف له الظاهر ذلك وولّاه قضاءَ المـالكية .

وفيه آستقرّ سـعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين مُرْسِى المعروف بآبن كاتب السعدىّ بآستقراره فى نظر الخاصّ عوضا عن الصاحب موفّق الدِّين ، وآنفرد موفّق الدين بالوَزَر .

وفى خامس عشرين شهر ربيـع الأوّل آستقرّ الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانىّ رأسَ نَوْبة الأمراء فى نيابة الشام عوضا عن جَنْتَمُر أخى طاز بحُكم آنضمامه مع منطاش . وآستقرّ الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ فى نيابة طرابلس ورسم لهما الملك الظاهر فى محاربة الأمير منطاش .

وفى يوم السبت أوّل شهر ربيع الآخر آستقرّ الأمير مأمور القلمطاوىّ فى نيابة حماة وآستقرّ أُرْغُون العثمانىّ فى نيابة الإسكندرية ، وآلابغا العثمانىّ حاجب حجّاب دمشق ، وأَسَنْدَمر السيفى حاجب حجّاب طرابُلُس

(١) هذا الميدان الذى ذكره المقريزى فى خططه باسم الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) فقال : « إن هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون ـــ ثم جدّده الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ٦١١ هـ ثم آهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب اهتماما زائدا ، وأنشأ حوله الأشجار فجاء من أحسن الميادين » .

وفيه أيضا أنعم السلطان على كل من أَلْطُنْبُغا الأشرفى وسُودون باق وبَجْمان المحمّدى بإمرة مائة بِدَمَشق ورسم لهم أن يخرجوا نوّاب البلاد الشامية .

وفى سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور آستقرّ سعد الدين(١) نصرالله بن البَقَرى فى الوزارة عوضا عن موفّق الدين أبى الفرج ، وآستقرّ الصاحب علم الدين سِنّ إِبْرَة فى نظر الدولة .

وفى رابع عشرينه قَبَض السلطان على الأمير سَرْبُغا الظاهرى وعلى الأمير أَيْدَكار العُمَرى وعلى بَكْتَمُر الدوادار وعلى طشبغا الحسنى وقرابُغا وأَرْغُون الزَّيْنِى .
وفيه أيضا خَلَع السلطان على الأمير جُلَبان الكمشبُغاوى الظاهرى المعروف بقَراسُقل باستقراره رأس نوبة النُّوب بعد وفاة الأمير حُسين قجا . كلّ ذلك والأخبار ترد على السلطان بأن المنطاشيّة تدخُل فى الطاعة شيئا بعد شىء وأن منطاشا فى إدبار .

وفيه أخلع السلطان على الأمير يلبغا الناصرى وآستقرّ به مقدَّم العساكر المتوجّهة لقتال منطاش ، وندبه للتوجّه صحبة النوّاب ، وقال له : هو غريمك ، اعرف كيف تقاتله . وجعل إليه مَرْجعَ العسكر جميعه .

وفيه أيضا خَلَع على نوّاب الشام خِلَع السَّفر . وأنعم السلطان على جماعة كبيرة من مماليكه وغيرهم بإمريات بالبلاد الشامية ، ورسم أيضا لجماعة من أمراء مصر بالسفر صحبة الأمير يلبغا الناصرى لقتال منطاش .

وفى عاشر جُمادَى الأولى بَرَزَت أطلابُ(٢) النُّوّاب والأمراء إلى الرَّيْدانية خارج القاهرة ، هذا بعد دخول الأمير قُطْلُوبُغا الصَّفَوى فى طاعة السلطان وحضوره إلى الديار المصرية بمن معه ، كما سيأتى ذكره .

---

(١) فى ف : « سعد الله » .
(٢) الأطلاب : هم الحرس الخاص لأمراء المماليك يحملون سلاحا كالأجناد .

وكان من خبر قُطلوبُغا الصَّــفَوِىّ أن منطاشا جهّزه على تجريدة من دِمَشْــق لمحاصرة مدينة صَفَد(١)، فلما قارب قُطلوبُغا صَفَد،دَخَل هو و جميع مَن معه فى طاعة السلطان .

ثم قَدِم قطلوبغا المذكور بمَنْ معه فى ثالث عشر جُمادَى المذكورة، وكان لقدومه يومٌ مشهود . وعند دخوله إلى القاهرة قَـدِم البريدُ فى إثره بأن منطاشا لمـّا بلغه مخامرةُ الصفوىّ بمَن معـه، قبض على الأمير جَنْتَمر أخى طاز نائب الشام وهـو أعظم أصحابه وعلى ولده وعلى أسـتاداره ألطنبغا وعلى الأمير أحمد بن خوجى وعلى الأمير أحمد بن قجق وعلى كشبغا المنجكىّ نائب بعلبك(٢) وعلى القاضى شهاب الدين أحمد بن عمر القرشىّ الشافعىّ قاضى دمشق وعلى عدّة من الأمراء والأعيان ؛ هذا ومجىء المنطاشية يتداولُ إلى مصر شيئا بعد شىء .

وفى تاسع عشرينــه ٱستقرّ الأمير محمود بن علىّ الأسـتادار أستادارًا على عادته عوضا عن الأمير قرقماس الطشتمرىّ بعد وفاته .

هذا والقتال عمّال بالبلاد الشاميــة فى كلّ قليـل بين عسكر منطاش وعساكر السلطان .

ثم قَدِم البريد بأن منطاشا أخذ بعلبك بعد ما حاصرها محمد بن بيْدَمر نحو أربعة أشهر وأنه وَسَّط ٱبنَ ٱلحنش وأربعة نفر معه .

---

(١) صفد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان .

(٢) بعلبك : مدينة قديمة ، فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام ، لا نظير لها فى الدنيا بينها و بين دمشق ثلاثة أيام ، وقيل آثنا عشر فرسخا من جهة الساحل (عن معجم البلدان لياقوت الحموى) .

وفى سابع عشر جُمادى الآخرة قدم البريد بأن منطاشا لمّا بلغه قدوم العساكر لقتاله برَز من دِمشق وأقام بقبة يلبغا[1] أياما ، ثم رَحل نصف ليلة الأحد ثالث عشر جُمادى الآخرة بخواصّه ، وهم نحو سمّائة فارس ومعه نحو سبعين حملا ما بين ذهب وفضة ، وتوجّه نحو قارَا[2] والنَّبك[3] ، بعد أن قتل جماعة من المماليك الظاهرية وقتل الأمير ناصر الدين محمد بن المهمندار نائب ماة كان وأنّ الأمير الكبير أيتمش خرج من سجنه بقلعة دمشق ، وأفرج عمن كان محبوسا بها ، وملك القلعة وأرسل إلى النوّاب يُعلمهم بذلك . فلمّا سمع النوّاب ذلك ساروا إلى دمشق وملكوها من غير قتال ، فسُرّ السلطان بذلك سرورا عظيما ودُقت البشائر ونودى بالقاهرة ومصر بالزينــــة .

وفى سابع عشر جُمادَى الآخرة المذكور ، قَـدِم البريد من دِمشق بثلاثة عشر سيفا من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بدمشق .

ثم فى حادى عشرينه قدم البريد أيضا بثمانية سيوف أيضا من المنطاشية ، ثم قدم البريد بسبعة سيوف أخر ، منهم سيف الأمير ألطنبغا الحلبيّ وسيف دمرداش اليوسفيّ .

وفى ثالث عشرينه قدم البريد بأن الأمير نُعَيْر بن حَيّار قبض على الأمير منطاش فدُقّت البشائر لذلك ، ثم تبيّن كذب الخبر .

وفى سابع عشرينه حضر الأمراء المقبوض عليهم من المنطاشية بدمشق .

---

(١) ورد فى الجزء العاشر من النجوم طبع الدارص ١٥١ س ١٧ : « وكان الأمير يلبغا اليحياوى لما عاد إلى دمشق بغير قتال عمر قبة سماها قبة النصر التى تعرف الآن بقبة يلبغا » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) النبك (بالفتح) : بلدة بوادى الدخانر بين حمص ودمشق . راجع تاج العروس ، الجزء السابع .

وفى يوم الخميس ثانى شهر رجب قَـدِم القاضى عمـاد الدين أحمد بن عيسى المُقَيِّرِىّ قاضى الكرك إلى القاهرة، بعد أن خرج الأعيان إلى لقائه وطلع إلى القلعة فلمّا وقع بصرُ السلطان عليه قام له، ومشى لتلقّيه خطوات، وعانقه وأجلسه بجانبه وحادثه سـاعة، ثم قام ونزل إلى داره؛ كلُّ ذلك لِمـا كان له على السلطان أيام حبسه بالكرك من الخدم.

وفى ثانى عشر شهر رجب حضر من دمشق القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر والقاضى جمـال الدين محمود العجمىّ ناظر الجيش ونزلا فى بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسـلطان لتوغّر خاطر السلطان عليهمـا لكونهما توجّها إلى دمشق صحبة منطاش.

وفى ثالث عشره أخلع السلطان على القاضى عمـاد الدين الكركىّ المقدّم ذكره باستقراره قاضى قضاة الديار المصرية عوضا عن القاضى بدر الدين محمـد بن أبى البقاء، فصار عماد الدين هذا قاضى قضاة مصر وأخوه علاء الدين المقدّم ذكُره كاتب سرّ مصر.

ثم قَدِم الخبر على السلطان من حلب بأن الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب لمـا انهزم وتوجّه إلى حلب جهّز إليه منطاش من دمشق بعد عود الملك الظاهر إلى مصر عسكرا عليه الأمير تمـان تَمُر الأشرفى، فوصل تمان تَمُر المذكور إلى حلب واجتمع به أهل بَانقوسا[1]، وقاتلوا كمشبغا المذكور وحصروه بقلعة حلب نحو أربعة أشهر ونصف، وأحرقوا الباب والجسر، ونقبوا القلعة من ثلاثة مواضع، فنقب كمشبغا على أحد النُّقوب من أعلاه، ورمى على مَنْ به من فوق بالمكاحل واختطفهم

(١) بانقوسا: قرية من قرى حلب، سميت باسم جبل بانقوسا وهو فى ظاهر حلب من جهة الشمال انظر (ياقوت ج ١ ص ٤٨٢ وج ٢ ص ٣١١ طبع أوروبا).

بكلاليب الحديد، وصار يقاتلهم من النقب فوق السبعين يوما وهو فى ضوء الشموع بحيث إنه لا ينظر شمسا ولا قمرا ولا يَعرِف الليل من النهار، وقاسى شدائد ومحنا، ودام ذلك عليه إلى أن بلغ تمان تمر المذكور فِرار منطاش من دمشق فضعف أمره. فثار عليه أهل بانقوسا ونهبوه، فحضر حاجب حُجّاب حلب إلى الأمير كمشبغا وأعلمه بذلك، فعمّر كمشبغا الجسر فى يوم واحد، ونزل وقاتل أهل بانقوسا يومين، وقد أقاموا عليهم رجلا يُعرف بأحمد[1] بن الحرامى؟ فلما كان اليوم الثالث وقت العصر انكسر أحمد بن الحرامى المذكور وقبض كمشبغا عليه وعلى أخيه وعلى نحو الثمانمائة من الأتراك والأمراء والبانقوسية، فوسّطهم كمشبغا بأجمعهم وضرب بانقوسا حتى صارت دكّا، ونَهب جميعَ ما فيها. ثمّ إن الكتاب يتضمّن أيضا أن كمشبغا بالغ فى تحصين قلعة حلب وعمارتها وأعدّ بها مؤونة عشر سنين، وأنه جمع من أهل حلب مبلغ ألف درهم، وعمّر سور مدينة حلب وكان منذ خرّبه هولاكو خرابا، فجاء فى غاية الحسن، وعمل له بابين وفرّغه فى نحو الشهرين ونصف، وكان أكثر أهل حلب يعمل فيه وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن المُهمِندار والأمير طُغُجى[2] نائب دُورِكى[3] كان لهما قيام تام مع الأمير كمشبغا فى هذه الوقعة. انتهى.

قلت: يقال: إنه قُتل فى واقعة كمشبغا مع الحلبيين بحلب نحو العشرين ألفا من الفريقين. ثم أُشيع بالقاهرة أن الأمير بطا الطولوتمرى الدوادار يريد إثارة فتنة، فتحترز الأمراء واعتدوا للحرب إلى أن كان يوم الاثنين عشرينه جلس السلطان بدار العدل[4] على العادة، ثم توجّه إلى القصر ومعه الأمراء فتقدّم الأمير

(١) فى هامش م: «بابن». (٢) فى هامش م «طبجى». (٣) دوركى: بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء والكاف بعدها ياء النسبة، من بلاد الروم وهو من مضافات حلب عن معجم البلدان لياقوت (ج ٥ ص ٢٠). (٤) دار العدل: هى الإيوان الذى أنشاه الملك المنصور قلاوون وأعاد بناءه ابنه الملك الناصر محمد، وكان الملوك يجلسون فيه لنظر المظالم؛ ولذلك سمى بدار العدل. راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

بُطا إلى السلطان وقال للسلطان : قد سمعتَ ما قيل عنى وهأنا . وحلّ سيفه وعمل فى عنقه منديلا ، فسأل السلطانُ الأمراءَ عما ذكره الأمير بطا وأظهر أنه لم يسمع شيئا من ذلك ، فذكر الأمراء أن الأمير كمشبغا رأس نوبة تنافس مع الأمير بَكْلَمُش العلائى أمير آخور .

ثم وقع بين الأمير بطا ومحمود الأستادار مخاشنة فى اللفظ ، فأشاع الناس ما أشاعوه بجمعهم السلطان وأصلح بينهم .

ثم حلّفهم على طاعته وحلّف المماليك أيضا ، وطيّب خواطر الجميع بلين كلامه ودهائه ؛ وفى النفس من ذلك شىء .

ثم أحضر السلطان مملوكا اُتُّهِم أنه هو الذى أشاع الفتنة ، فضُرِب ضربا مبرّحا وسُمّر على جمل وشُهِّر ، ثم سُجن بخزانة شمائل[1] ، فلم يُعرف له خبرٌ بعد ذلك ، وهو من المماليك الظاهرية .

ثم قبض السلطان على الأمير يلبغا أحد أمراء العشرات ، وسُمّر ونودى عليه : هذا جزاء من يرمى الفتن بين الأمراء . وسكنت الفتنة بعد أن كادت أن تثور . وبينما السلطان فى ذلك وصل إليه الخبر من الشام بأن منطاشا ونُعَيْر بن حَيّار جمعوا جمعا كبيرا من المماليك الأشرفية والتركمان والعربان وقصدوا النوّاب ، والأمير يلبغا الناصرى مقدّم العساكر ، فلمّا بلغ الناصرى ذلك خرج بالعساكر هو والأمير ألطنبغا الجوبانى نائب

(١) خزانة شمائل ، كانت من سجون القاهرة ، ذكرها المقريزى فى خططه (جـ ٢ ص ١٨٨) . فقال : كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور ، عرفت بالأمير علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرا يحبس فيها من وجب عليه القتل ومن يريد السلطان هلاكه ، وقد هدمها الملك المؤيد شيخ المحمودى فى سنة ٨١٨ هـ وأدخلها فى جملة ما هدمه من الدور التى أدخلها فى المدرسة .

الشام وغيره من دمشق ونزل بسَلَمْيَة(١)، وخلفوا الأمير الكبير أَيْتَمُش البجاسى بدمشق لحفظها ، فثار على أيتمش المذكور بدمشق بعد خروج العسكر منها جماعة من المماليك البَيْدَمُرِيّة والطازيّة والجنتمريّة فى طوائف من العامّة يريدون أخذَ مدينة دمشق من أيتمش ، فأرسل أيتمش بطاقة من قلعة دمشق إلى سلمية، يُعلِم الأمراء والنوّاب بذلك ، فلمّا سمِع الناصرىّ الخبر ركب ليلا فى طائفة من عسكره وقدِم دمشق ومعه الأمير آلابغا العثمانىّ حاجب حجّاب دمشق ،وقاتل المذكورين قتالا شديدا، قُتِل بينهما خلائق كثيرة من العامّة والأتراك ، حتى آنتصر الناصرىّ وقبضَ على جماعة منهم ووسّطهم تحت قلعة دمشق ، وقبض أيضا على جماعة كثيرة فقطع أيديهم وهم : نحو سبعمائة رجل ، قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ — سامحه الله — وحبس جماعة أُخَر . ثم عاد الناصرى إلى سلمية بعد أن مهّد أمر الشام وآجتمع مع أصحابه النوّاب ، فذكروا له أنّ منطاشا فرّق أصحابه ثلاث فرق، فأشار عليهم الناصرىّ بأنه أيضا يُفرّق أصحابه وعساكره، فتفرّقوا هم أيضا ثلاث فرق : الناصرىّ فرقة ، والجوبانىّ فرقة ،وقرا دمرداش نائب طرابلس فرقة .

فأما الناصرىّ ، فإنه تولّى قتال نُعير بن حيّار، فحاربه وكسره أقبح كسرة، وقتل جمعا كبيرا من عُرْبانه؛ على أن نعيرا كان من أصحاب الناصرىّ قبل ذلك ، وممن خرج على منطاش غضبا للناصرىّ ، وركب الناصرىّ قفا نُعير إلى منازله .

وأما الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ نائب طرابلس فآنتُدب لقتال منطاش، فإنه كان بينهما عداوة قديمة، فتواقعا وتقاتلا قتالا شديدا ، بَرَز فيه كلٌّ من منطاش وقرا دمرداش لصاحبه،وضرب كلٌّ منهما الآخر بسيفه ، فجاءت ضربةُ منطاش

(١) سلمية (بفتح أوّله وسكون الميم) : بليدة بناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين بسير الإبل ، وأهل الشام ينطقونها (سلمية بكسر الميم وتشديد الياء) .

فى يد قرا دمرداش، فقلعت عدّة أصابع من أصابعه، وجاءت ضربةُ[(١)] قرا دمرداش فى كَتِف منطاش خلّته، هـذا والجوبانىّ فى القلب واقف بعساكره، نخامرت جماعة من الأشرفية من خجداشية منطاش وجاءت إليه، وصارت من عسكره، وكان حضر إلى الجوبانىّ قبـل ذلك جماعة أُخَر من المماليك الأشرفية، فأحسن إليهم ألطنبغا الجوبانىّ وقرّبهم وجعلهم من خواصّ عسكره، فآتفقوا مع بعض مماليك الجوبانىّ على قتل الجوبانىّ، فلما كان وقت الوقعة، وقد آلتحم القتال بين الناصرىّ ونُعَير و بين قرا دمرداش ومنطاش وثبوا عليه من خلفه وقتلوه بالسيوف، ثم قبضوا على الأمير مأمور القلمطاوىّ نائب حماة ووسّطوه، ثم قتلوا الأمير آقبغا الجوهرىّ والثلاثة من عظماء المماليك اليلبغاوية خجداشية الملك الظاهر برقوق وأكابر أمرائه، ثم قتلوا عدّة أمراء أُخَر من اليلبغاوية وكانت هـذه الوقعة من أعظم الملاحم، قُتِل فيها من الفريقين عالَم لا يُحصى كثرةً وآنتهبت العربان والتركمان والعشير[(٢)] ما كان مع العسكرين، وقدم البريد بذلك على السلطان، فشقّ عليه قتل الأمراء إلى الغاية، وأخبر البريد أيضا أنّ منطاش لمّا آنكسر من قرا دمرداش وهو مجروح أُشـيع موته، فأقام الأشرفية عوضه عليهم خجداشهم الأمير ألطنبغا الأشرفىّ، فلما حضر منطاش من الغد غَضِب من ذلك وأراد قتل ألطنبغا الأشرفىّ فلم تمكّنه الأشرفية من ذلك .

وأما يلبغا الناصرىّ فإنه لما رجع من محاربة نُعير ووجد الأمير ألطنبغا الجوبانى قد قُتِل، جمع العساكر وعاد إلى دمشق وأقام به يومين حتى أصلح أمره، ثم خرج من دمشق بجميـع العساكر وأغار على آل علىّ، فوسّط منهم جماعة كبيرة نحو مائتى نفس ونهب بيوتهم وكثيرا من جمالهم، وعاد إلى دمشق وكتب للسلطان أيضا بذلك،

(١) رواية ف : (وكانت) .

(٢) العشير : هو المعاشر ، والمراد هنا الجند المرتزقة .

فكتب السلطان للناصرىّ الجوابَ بالشكر والثناء والتأسف على الأمير ألطنبغا الجوبانىّ وغيره وأرسل إليه الأمير أبا يزيد بن مراد بالتقليد والتشريف بنيابة الشام عوضا عن أَلْطنبغا الجُوبانىّ ومبلغ عشرين ألف دينار برسم النفقة فى العساكر .

قلت : وأبو يزيد هـذا هو الذى كان آختفى عنده الملك الظاهر برقوق لمّا خلع نفسه عند حضور الناصرىّ ومنطاش إلى الديار المصرية .

ثم فى يوم الخميس أوّل ذى الحجة من سـنة آثنتين وتسـعين المذكورة ، رسَم السلطان للأمير قرادِمُرداش الأحمدىّ نائب طرابُلس بآستقراره فى نيـابة حلب عوضا عن الأمير كَمُشْبُغا الحموىّ بحكم عزله وقدومه إلى القاهرة وجهّز إليه التقليد والتشريفَ على يد الأمير تَنْبَك المعروف بتَنَم الحسنىّ الظاهرىّ .

ثم فى خامس ذى الحجّة آستقرّ السلطان بالأمير إينال من خَجَا أتابَك حلب بآستقـراره فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قرادِمُرداش المنتقِل لنيابة حلب ، وآستقرّ الأمير آقبغا الجمالىّ الظاهرىّ أتابك حلب عوضا عن إينال المذكور وآستقر الأميرُ محمد بن سَلّار حاجب حُجّاب حلب وكتب لسُولِى بن دُلْغادِر بنيابة أَبُلُسْتين(١) .

ثم فى يوم عيد النحر خرج الأمير بِيليك المحمدىّ لإحضار الأمير كمشبغا الحموىّ اليلبُغاوىّ نائب حلب ، ثم أرسل السلطان الملك الظاهر الأمير تَمُربُغا المنجَكى بمال كبير يُنفِقه فى العساكر الشاميّة ويجهّزهم إلى عَيْنتاب(٢) لقتال منطاش .

ثم فى سادس محرّم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ورد الخبر من دِمَشق بأن الأمير يلبغا الناصرىّ تنافس هـو والأمير الكبير أَيْتَمُش البَجاسىّ فأضمر الناصرىّ الخروج

---

(١) أبلستين : بالفتح ثم الضم ولام مضمومة أيضا والسين المهملة ساكنة وتاء فوقها نقطتان مفتوحة وياء ساكنة ونون : هى مدينـة مشهورة ببلاد الروم وسلطانها من ولد قلج أرسلان السلجوقىّ ، قريبة من أبسس مدينة أصحاب أهل الكهف (راجع ياقوت أوّل ص ٩٠٣) .

(٢) هى بلدة كبيرة بها قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية .

عن الطاعة ولَبِس السلاح وألبس حاشيَتَه ونادَى بدمشق مَنْ كان من جهة منطاش فليحضُر ، فصار إليــه نحو ألف ومائتى فارس من المنطاشــيّة ، فقبَض على الجميع وسجنهم ، ثم قلع السلاح وكتب بذلك إلى السلطان يعرِّفه ، فأجابه السلطان بالشكر والثنــاء .

ثم فى ثانى صــفر رَسَمَ السلطان بهدم سلالم مدرســة[1] السلطان حسن فهُدِمت وفُتِح بابُها من شباك بالُرمَيْلة تجاه باب السلسلة .

ثم قَدِم الأمير كَمَشْبُغا الحموىّ نائب حلب إلى القاهرة فى سابع صفر ، بعد أن خرج الأمير سُودون النائب مع أعيان الأمراء والحجّاب إلى لقائه وطلع إلى القلعة وقَبّل الأرض ، فقام له السلطان وآعتنقه وأجلسه فى الميمنة فوق الأمير الكبير إينال اليوسـفىّ ونزل إلى دار أُعِدّت له ، وبعث له السلطان ثلاثة أرؤس من الخيــل بقُماش ذهب وحضر مـع كَمَشْبُغا أيضا الأميرُ حسام الدين حسن الكُجُكُنِىّ نائب الكرك وكان قــد آنهزم مع كمشبغا نائب حلب من يوم وقعة شَقْحَب ، فرحّب السلطان به أيضا وأكرمه وأرسل إليــه فرسا بقماش ذهب وقدِم معهما أيضا عِدّة أمراء أُخَر .

ثم قــدِم البريد فى أثناء ذلك بأن العساكر الشامية وصلت إلى مدينة عَيْنتاب فَفَرّ منطاش إلى جهة مَرْعش[2] وفرّ من عنده جماعةُ كبيرة ودخلوا تحت طاعة السلطان .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) مرعش : مدينة فى الثغور بين الشام و بلاد الروم ، كان فى وسطها حصن عليــه سور يعرف بالمروانىّ ، بناه مروان الحمار . ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة ، و بها ربض يعرف بالهارونية ، وقد ذكرها شاعر الحماســة فقال :

فلو شهدت أم القديد طعاننا * بمرعش خيــل الأرمنىّ أرنّت

عشية أرمى جمعهم بلبانه * ونفسى وقــد وطنتها فاطمأنت

ثم أحضر السلطان الأمير حُسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة من السجن وضربه بالمقارع وأحضر أيضا آقبُغا الماردينى نائب الوجه القبلى وضربه على أكتافه وأمر والى القاهرة بتخليص حقوق الناس منه واستقر عوضه فى كشف الوجه القبلى الأمير يلبغا الأحمدى المجنون أحد المماليك الظاهرية .

ثم فى تاسع عشرينه أحضر السلطان القاضي شهاب الدين أحمد بن الجَبّال الحنبلى قاضى طرابُلُس فضُرِب بين يديه عِدّة عِصِىّ بسبب قيامه مع منطاش .

ثم أنعم السلطان على الأمير حسام الدين الكُجْكُني نائب الكرك كان بإقطاع أرْغُون العثمانى البَجْمَقدار نائب الإسكندرية والإقطاع تقدمة ألف بالقاهرة .

ثم خرج البريدُ من مصر بإحضار الأمير أيْتَمُش البَجاسى من دِمَشق وكان بها من يوم قَبَض عليه الناصرى فى واقعة الناصرى ومنطاش مع الملك الظّاهر برقوق وحُبِس بقلعة دِمشق إلى أن أُطْلِق بعد خروج منطاش من دمشق واستمر بدمشق لمصالح الملك الظاهر حتى طُلِب فى هذا التاريخ وخرج بطَلَبه الأمير قُنُق باى الأحمدى رأس نَوْبة ، فقَدِم فى يوم الاثنين رابع جُمادَى الأولى على البريد ، فتلقاه الأمير سُودون النائب والحُجّاب وقَدِم مع أيتمش المذكور عِدّةُ أمراء، منهم : آلابغا العثمانى حاجب حُجّاب دمشق والأمير أيْتَمُش المذكور والأمير جَنْتَمُر أخو طاز نائب دمشق كان وأمير ملك ابن أخت جنتمر ودِمِرداش اليوسفى وأَلْطُنْبُغا الحلبى وكثير من المماليك السلطانية وجماعة أُخَر والجميع فى الحديد على ما يأتى ذكرهم ، ماخلا المماليك الظاهريّة وطَلَع الأميرُ أيتمش إلى السلطان وقبّل الأرض فأكرمه السلطان وأجلسه فى المَيْسَرة تحت الأمير سودون النائب وكانت منزلتُه فى الميمنة ، فإنّه كان أتابك العساكر بالديار المصرية قبل توجُّهه إلى قتال الناصرى ، لكنه لمّا حضر الآن كان بطّالا وكان الأتابك يومئذ الأميرَ إينال

اليوسُفى" اليَلبُغاوى"، على أنه يجلس تحت الأمير الكبير كمشبغا الحمـوى" نائب حلب كان، فلو جَلَس الأمير أيتمش الآن فى الميمنة لجلس ثالثا، فإنّه لا يمكنه الجلوس، فوقف إينال كونه مُتَوَلِّيًا أتابك العساكر وأيْتَمُش الآن منفصل، فرسَم له السلطان أن يجلس فى الميسرة ولم يَجْسُر أن يأمره بالجـلوس فَوْقَه لِكِبَرِ سنّه وقِدْمَتـه، فجلس تحته .

قلتُ: وهذا شأن الدنيا، الرفعُ والخفض، ثم أحضر السلطان الأمراء القادمين صُحبة الأمير الكبير أيتَمش وعدَّتهـم ستة وثلاثون أميرا ومعهم أيضا قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى" الشافعى" قاضى قضاة دِمشق والقاضى فتح الدين محمد بن محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن الشهيد كاتب سِرّ دِمَشق وآبن شُكْر ناظر جيش دمشق والجميع فى القُيود، فوبّخ السلطان أَلْطُنْبُغا الحلبى" وجَنْتَمُر نائب الشام وآبن القرشى" وأطال الحديثَ معهم وكانوا قابلوه فى محاربته لدمشق بأشياء قبيحة إلى الغاية وأفحشوا فى أمره إفحاشًا زائدا، بحيث إنّ القاضى شهاب الدين القُرَشى" المذكور كان يقف على سُور دمشق ويُنادِى : إن قتـال بَرْقُوق أوجبُ من صلاة الجمعـة وكان يجمع عوامّ دمشق ويُحرِّضهم على قتـاله ويرمى الملك الظاهرَ بعظائمَ فى دينه ويختلق عليه ماليس هو فيه .

ثم أمَرَ بهم الملك الظاهر فَسُجِنوا وأَسْلَمَ آبنَ شُكر لشـادّ الدواوين، فعصَره وألزمه بحَمْل ستة آلاف[1] دينـار ثم أفرجَ عنه . ولمـا نزل الأمير أَيْتَمُش إلى داره بعث إليه السلطان بأشياء كثيرة من الخيـل والجمال والقماش والممـاليك، ثم قبض السلطان على أَسَنْدمر وإسماعيل التُّرْكمانى" وكُزُل القـرَمى" وآقْبُغا البجاسى" وسَرْبُغا وسلّمهم إلى والى القاهرة .

(١) فى (ف) : (سبعة آلاف) .

ثم قبض السلطان أيضا على أحد عشر أميرا وهم : قُطلُوبغا الطُّشْتَمُرىّ الحاجب وطُقطاى الطّشتمرىّ الطواشي الرومىّ وآلابُغا الطشتمرىّ وقَرابُغا السيفىّ وآقبغا السيفىّ وبَيْبُغا السيفىّ وطَيْبُغا السيفىّ ومحمد بن بَيْدَمُر أتابك دِمَشق وخير بك الخُوَارَزْمىّ ومَنْجَك الزَّيْنىّ وأرغون شاه السيفىّ وحبسهم ورسم بتسمير أسندمر الشَّرفىّ رأس نَوْبة وآقبغا الظَّريف البجاسِىّ وإسماعيل التُّركمانىّ وكُزُل القرمىّ وسَرْبُغا ، فسُمِّروا وشُهِّروا بالقاهرة . ثم وُسِّطوا بالكوم(١) وهذا شيء لم يفعله مَلِك قبله بأمير ، ففعل ذلك لِمَا كان في نفسه منهم .

ثم أحضر السلطان الأمير أَلْطُنبغا الحلبىّ وأَلْطُنبغا أُستادار جَنْتَمر إلى مجلس قاضى القضاة شمس الدين الرَّكْرَاكىّ(٢) المالكىّ وآدّعى عليهما بما يقتضى القتل فسجنهما القاضى بخزانة شمائل(٣) مُقيَّدين .

ثم قَبَض السلطان على الأمير سَنْجق الحسنىّ نائب طرابُلُس كان ، ثم شكا رجل القاضى شهاب الدين القرشىّ إلى السلطان فأحضره السلطان من السِّجن وآدّعى عليه غريمه بمال له في قِبله وبدعاوَى شنيعة ، فأمر به السلطانُ فضُرب بالمقارع وسُلِّم إلى والى القاهرة ليخلِّص منه مالَ المدَّعِى عليه ، فضرَبه الوالى وأهانه وعَصَره مرارًا ثم سجنه بخزانة شمائل .

ثم وقف شخص وآدّعى أن أميرَ مَلَك آبن أخت جَنْتَمُر أَخَذ له ستمائة ألف درهم وأغرَى به منطاش ، حتّى ضربه بالمقارع ، فأحضره السلطان حتّى سَمِع

(١) كوم (بفتح أوّله ويروى بالضم) . وأصله الرمل المشرف ، وهو آسم لمواضع بمصر تضاف إلى أربابها أو إلى شيء عرفت به (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٣٢٩) .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته ٧٩٢ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤ من هذا الجزء .

الدَّعْوَى . ثم أَمَر به فضُرِب بالمقارع ضربًا مُبَرِّحا وسلّمه إلى والى القاهرة، فمات بعد ثلاثة أيام تحت العقوبة .

ثم قَبَض السلطان على ممـاليك الأمير بَرَكة الجُوبانىّ والممـاليك الذين خدموا عند منطاش وتَتَبَّعوا من الأماكن ، ثم ضَرَب والى القاهرة القاضىَ شِهاب الدين أحمد القُرَشى نحو مائتى شِيب(١) .

ثم قَدِم البريد من الشام بأن منطاشا فى أوّل شهر رجب قَدِم دمشق وكان من خبر منطاش أنّ الناصرىّ لمّـا كان بدمشق ورد عليه الخـبرُ بمجىء منطاش إليــه فخرج من وقتــه بعساكره يريد لقـاءه على حِين غفلة ومَرّ من طريق الزَّبَدَانِىّ(٢) ، فبادر أحمد بن شُكْر بجماعة البَيْدَمُرِية ودخل دِمشق من باب كَيْسان(٣) ونهب إسطبل الناصرىّ و إسطبلات أمراء دمشق وخرج يوم الأحد تاسع عشرين جُمادى الآخرة من دمشق ليلحق منطاش ، فدخل منطاش من صبيحة اليوم وهو يوم الاثنين أوّل رجب إلى دمشق من طريق آخر ونزل بالقصر الأبلق(٤) ونزل جماعته حوله ، فعـاد ابن شكر فى إثره إلى دمشق وأحضر إليه الخيولَ التى أخذها وهى نحـو ثمانمائة فرس

(١) الشيب بكسر الشين (السوط) .

(٢) كورة مشهورة معروفة بين دمشق و بعلبك (ياقوت ج ٢ ص ٩١٣) .

(٣) باب كيسان هو أحد أبواب سور دمشق فى الزاوية الشرقية الجنوبية منه ، ينسب إلى كيسان مولى معاوية وقيل مولى غيره ، والنصارى يسمونه باب بولس و يقولون : إنه دلى نفسه من نافذته هربا من الاضطهاد وهو على بعد خطوات من مدافن المسيحيين قريبا من مرقد بلال الحبشى مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم المدفون فى مقبرة باب الصغير . انظر دليل سوريا وفلسطين لبدكر ص ٣١١ وتاريخ ابن عساكر طبع دمشق (ج ١ ص ٢٦٢) وخطط الشام لكردعلى (ج ٦ ص ١٥٧) وفلسطين الإسلامية لاسترانج (ص ٢٣١) . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣ والحاشية رقم ١ ص ٣٢ من هذا الجزء .

وكان منطاش لمّا خرج من عند نُعَير يريد دمشق ، سار إلى مَرْعَش[1] على العُمق[2] حتى قَدِم على حماة فطرق نائبها بغتة فانهزم نائب حماة إلى نحو طرابلس من غير قتال ، فدخل منطاش حماة ولم تحدث بها مظلمة .

ثم توجّه منها إلى حِمص ففرّ منها أيضا نائبها إلى دمشق ومعه نائب بعلبك وآجتمعا بالناصرىّ وعرّفاه الخبر، فخرج الناصرىّ على الفور — كما قدمنا ذكره — من طريق وجاء منطاش من طريق آخر. انتهى .

ثم إن منطاشا لما أقام بالقصر[3] الأبلق ندب أحمد بن شكر المذكور ليدخل إلى مدينة دمشق ويأخذ من أسواقها المال، فبينما هو فى ذلك إذ قدم الناصرى بعساكره فآقتتلا قتالا عظيما دام بينهم أياما إلى أواخر الشهر ، وقُتِل كثير من الفريقين والأكثر ممن كان مع منطاش وفرّ عن منطاش معظم التركمان الذين قَدِموا معه شيئا بعد شيء ، وصار منطاش محصورا بالقصر الأبلق والقتال عمّال بينهم فى كل يوم ، حتى وجد منطاش له فرصة ، ففرّ إلى جهة التركمان وتبعه عساكر دمشق فلم يُدركه أحد، فعظُم هذا الخبرُ على الملك الظاهر برقوق إلى الغاية وآتّهم الناسُ الناصرىّ بالتراخى فى قتال منطاش .

ثم إن الملك الظاهر خلع على الأمير قطلوبغا الصفوىّ بآستقراره حاجب الحُجّاب بديار مصر وعلى الأمير بتخاص بآستقراره حاجب ميسرة وعلى الأمير قَدَيْد

(١) مرعش : مدينة فى الثغور بين الشام و بلاد الروم ، لها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى ، بناه مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) العمق : كورة بنواحى حلب بالشام . (٣) بناه الظاهر بيبرس فى مرجة دمشق فى الميدان القبلى سنة ٦٦٨ ﻫ وعلى أنقاضه بنيت التكية السليمانية سنة ٩٧٤ ﻫ الباقية اليوم وكان على واجهة القصر الأبلق و بنى من أسفله إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب و إحكام عجيب ، ولهذا سمى بالقصر الأبلق . وقد وصفه بهاء الدين الموصلى بعبارة بليغة منها : يبهر الناظر حسن معناه ولا يقدر على وصف محاسنه من يراه .

باستقراره حاجبا ثالثا بإمرة طبلخاناه وعلى الأمير على باشاه بآستقراره حاجبا رابعا وخلع على الأمير يلبغا الأشقر الأمير آخور بآستقراره فى نيابة غزة عوضا عن آقبغا الصغير بحكم طلبه إلى القاهرة وعلى ناصر الدين محمد بن شهرى فى نيابة مَلَطْيَة (١) ثم خلع السلطان على الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى الخازندار، بآستقراره حاجب حجاب دمشق عوضا عن آلابغا العثمانى وآستقر آلابغا العثمانى المذكور فى نيابة حماة .

قلت : وكلُّ مَنْ نذكره من هـذا الوقت وننعتـه بالظاهرى فهـو منسوب إلى الملك الظاهر برقـوق ولا حاجة للتعريف بعـد ذلك . ثم أنعم السـلطان على كلٍّ من قاسم آبن الأمـير الكبير كمشبغا الحموى ولاجين الناصرى وسُـودون العثمانى النظـامى وأَرْغُون شـاه الآقبُغاوى وسـودون من باشـاه الطغاى تَمُرى وشُكر باى العثمانى الظاهرى وجُقُق (٢) القرمشى الظاهرى بإمرة طبلخاناه وعلى كل من قطلوبغا الطَّقتمشى وعبد الله أمير زاده آبن مَلِكِ الكُرْج (٣) وكُزُل الناصرى

---

(١) مدينة شمالى حلب بميلة إلى الشرق ، على نحو سبع مراحل منها ، وهى مدينة من بلاد الثغور ، وقد عدّها آبن حوقل من جملة بلاد الشام . وقال أبو الفـداء إسماعيل فى تقويم البلدان : إنها فى بلاد الروم ، وعدها بعضهم من الثغور الجزرية . وكانت ملطية قديمة نخربها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وجعل فيها سورا محكما ، وهى بلدة ذات فواكه وأشجار وأنهار . فتحها محمد الناصر يوم الأحد الحادى والعشرين من المحرم سنة ٧١٥ هـ . منها أبو الفرج الملطى عمدة المؤرخين المحققين المتوفى سنة ٦٨٥ هـ الملقب بابن العبرى (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣١ وتقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل وفهرس معجم الخريطة التاريخية الاسلامية للرحوم محمد أمين واصف بك وتاريخ سلاطين المماليك .

(٢) رواية السلوك للقريزى : (جـ ٣ ص ٦٦٥) : « جقمار القرشى » .

(٣) الكرج (بالضم ثم السكون وآخره جيم) : جيل من الناس نصارى ، كانوا يسكنون فى جبال القبق وبلد السرير ، فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ، ولهم ولاية تنسب إليهم . (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٢٥١) .

وعلان[1] اليَحْياوى الظاهرى وكَمُشْبُغا الإسماعيلى الظاهرى وقلمطاى العثمانى الظاهرى بإمرة عشرة .

ثم فى تاسع شهر رجب ضُرِب القاضى شهاب الدين القُرشى قاضى قضاة دِمشق بخزانة شمائل[2]، حتى مات تحت العقوبة من ليلته وأُخرِج على وقف الطَّرْحَى.

ثم فى خامس عشر رجب آجتمع القضاة والأمير بَخْاص الحاجب بالمدرسة[3] الصالحية بين القصرين وأُحضِر الأمير الطنبغا دوادار جَنْتَمر وأُوقِف تحت الشُّباك عند خَيْمَة الغلمان على الطريق وآدُّعِى عليه بما آقتضى إراقة دمه وشُهِد عليه وضُرِبت رقبتُه ، ثم فُعِل بالأمير أَلْطُنبُغَا الحلبى مثله وحُمِلت رءوسُهما على رُمْحين ونُودِى عليهما بشوارع القاهرة .

ثم رسم السلطان فى أوّل شعبان بخروج تجريدة من الأمراء إلى الشام لتكون معاونة للناصرى على قتال منطاش ، فأَخَذ من عُيِّن للسفر فى التجهيز ، ثم أُشِيع سفرُ السلطان بنفسه وأخذ أربابُ الدولة فى إصلاح أمر السفر .

ثم فى خامس شعبان قَتَل السلطانُ الأميرَ حُسام الدين حسن بن باكِيش نائب غَزَّة كان ، وسببُه أنّه لمّا عُوقِب وآستمرّ محبوسا بخزانة شمائل جمع ولدُه كثيرا من العَشِير ونهب الرملة[4] وقتل كثيرا من الناس ، فلما بلغ السلطان ذلك أَمَر بقتله فقُتِل

(١) رواية السلوك للمقريزى (ج ٣ ص ٦٦٥) : (ألان اليحياوى) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤ من هذا الجزء .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٤) الرملة : مدينة إسلامية ، بناها سليمان بن عبد الملك فى خلافة أبيه عبد الملك ، وسميت الرملة لغلبة الرمل عليها ، وكانت قصبة فلسطين ، بينها و بين القدس مسيرة يومين و بينها و بين نابلس ثلاثة أيام . (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٩٩) .

ثم ضرب السلطان الأمير حُسام الدين حُســين بن علىّ الكُورانىّ فى سجنه بخـزانة شمائل بالمقارع ضربا مُبَرِّحا .

ثم فى عاشر شـعبان علَّق السلطانُ جاليشَ(١) السفر إلى بلاد الشام فتحقَّق كلُّ أحد عند ذلك بسفر السلطان وأصبح من الغـد وهو يوم حادى عشر شعبان تَسَلَّمَ الأمير علاء الدين علىّ بن الطَّبلاوِىّ والى القاهرة الأمير صَرَاى تَمُر دوادار منطاش الذى كان والى الغَيْبة بديار مصر وكان سَكَن بباب(٢) السلسلة والأمير تُكَا الأشرفىّ ودِمِرْداش القَشْتَمُرىّ ودمرداش اليوسفى وعَلِيًّا الجَرَكْتَمُرِىّ ، فقُتِلوا جميعا إلاَّ عليًّا الجركتمرىّ فإنّه عُصِر وعُوقب ، ثم قُتِل بعـد ذلك مع الأمير قطـلوبغا النظامىّ نائب صفد .

ثم فى ثانى عشره عَرَض(٣) السلطان المحابيس من المنطاشية فأفرد [منهم] جماعة كبيرة للقتل فقُتِلوا فى ليلة الأحد ثالث عشره ، منهـم الأمير جَنْتَمُر أخو طاز نائب الشام والأمير ألطنبغا الجربُغاوىّ والطواشى طُقُطَاى الطَّشْتَمُرِىّ الرومىّ والقاضى فتح الدين محمد بن الشهيد كاتب سِر دمشق ، ضُرِبت أعناقُهم بالصحراء .

ثم خَلَع السـلطان فى يوم خامس عشر شعبان على القاضى جمـال الدين محمود القَيْصَرِىّ العجمىّ وأُعِيد إلى قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية وصُرِف قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل ونزل فى موكب جليل وكُتِب له فى توقيعه الجَناب العالى ،

---

(١) الجاليش (هو الشاليش) : اسم لعلم من الأعلام التى كانت تحملها جيوش المماليك فى الحروب . وكان من الحرير الأبيض المطرّز ، تعلق فى أعلاه خصلة من الشعر . والجاليش : كلمة تركية معناها مقدمة القلب ، وسمى بذلك لأن ترتيب جاليش السلطان فى المواقع التى يحضرها يكون عادة فى قلب الجيش .

(٢) باب السلسلة هـو أحد أبواب قلعة الجبل الذى يعرف اليوم بباب العزب بميدان محمد على بالقاهرة . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) تكملة عن السلوك : ص ٦٦٨ ج ٣ .

كما كُتِب للقاضى عماد الدين أحمد الكَرَكى وكان سبب كتابة ذلك لعماد الدين أيادىَ سلفت له على الملك الظاهر برقوق فى أيام حبسه فى الكرك وأيضا آعتنى به أخوه القاضى علاء الدين على الكركى كاتب السر الشريف وهو أول من كُتِب له : الجناب العالى من المتعمِّمين وما كان يُكْتَب ذلك إلا للوزير بديار مصر فقط وكان يكتب للقضاة بالمجلس العالى .

ثم فى ثامن عشر شعبان المذكور قَبَض السلطان على عدّة من الأمراء فسُجِنوا بالقلعة ، فكان ذلك آخر العهد بهم

وفيـه عَيَّن السلطان لنيابة الغَيْبة الأميرَ كمشبغا الحموى اليلبُغاوى ورسم للأمير سُودون الفخرى الشيخونى النائب أن يتحوَّل إلى قلعـة الجبل ، فتحوّل إليها هو والأمير بَجَاس النَّوْرُوزى ورَسَمَ السلطان بأن يقيم بالقلعة أيضا ستمـائة مملوك وأميرهم تَغْـرِى بَرْدى اليَشْبُغاوى الظاهرى رأس نوبة ، أعنى : (الوالد) والأمير الطواشى صواب السعدى شَنْكل مقدَّم المماليك السلطانية وتعيّن للإقامة بالقاهرة من الأمراء الأمير قُطلوبغـا الصَّفَوى حاجب الحجّاب والأمير بَتْخاص السُّودُونى الحاجب الثـانى والأمير قُدَيْد القَلْمطاوى الحاجب الثالث وأحد أمراء الطبلخاناه والأمير طُغاى تَمُر باشاه الحاجب وقرابغا الحاجب فى عدة من الأمراء العشرات .

ورسم للشيخ سراج الدين عُمر البُلْقِينى وقاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء وهو غيرُ قاضٍ والقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله [العمرى] (١) المعزول عن كتابة السر وقضاة العسكر ومفـتى دار العدل بالسفر صحبـة السلطان من جمـلة القضاة الأربعة فتجهّزوا لذلك .

---

(١) تكملة عن السلوك : (جـ ٣ ص ٦٦٩) .

ونزل السلطان بعــد صلاة الظهر فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شعبان المذكور من قلعــة الجبل وتوجّه حتى نزل بالرّيدانية(١) خارج القاهرة وأقام به ، ثم طَلَب من الغد سائر المسجونين بخزانة شمائل إلى الريدانية ، فحضروا وعُرِضوا على السلطان، فأفرد منهم سبعة وثلاثين رجلا ، فأمر بثلاثة منهم فَغُرِّقوا فى النيل : وهم محمد بن الحُسام أُسـتادار أَرْغون أُسْكى وأحمــد بن النقوعىّ ومقبل الصَّفوِى وسُمّر منهــم سبعة وهم : شيخ الكَرِيمى وأَسَنْدَمُر نائب قلعــة الجبل وثلاثة من أمراء الشام وآثنان من التُّرْكمان(٢) ، ثمّ وَسِّطوا ، ثمّ قتل مَنْ بَقِىَ منهم فى السجن .

ثمّ فى رابع عشر سنه آستقر ناصر الدين محمد بن كلبك(٣) شاد الدواوين، وأنعم على الأمير أبى بكر بن سُنْقر الجمالى بإمرة طبلخاناه ورسم له بإمرة الحاج .

ثم رحل السلطان الملك الظاهر بعساكره من الريدانية فى سادس عشرين شعبان ســنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبعــد سَفر السلطان من الرَّيْدَانيّة قَتَل والى القاهرة آثنى عشر أميرا من الأمراء المسجونين بالقاهرة فى ليــلة الثلاثاء، وهم : أَرْغون شاه السَّيْفى وآلابغا الطشتمرىّ وآقبغا السيفى وبُزْلار الخليلىّ وآخرون .

---

(١) أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٧٢ هـ . ولما تولى الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب سلطنة مصر أتم بناء القلعة فى سنه ٦٠٤ هـ أنشأ بها الدور السلطانية ودور دواوين الحكومة إلى زمن الأسرة المحمدية العلوية . وقد أنشأ محمــد على باشا الكبير والى مصر فى هــذه القلعة أبنية كثيرة فى مقدمتها جامعه الضخم وأبنية أخرى .

(٢) التركمان (بضم التاء) : هم جيل من الترك، سموا به لأنه آمن منهــم مائتا ألف فى شهر واحد فقالوا «ترك إيمان» ثم خففت فقيل تركمان .

(٣) رواية السلوك : (جـ ٣ ص ٦٧٠) «رجب بن كلفت» .

ثمّ في ليلة الأربعاء سلخه قُتِل الأمير صنجق الحسني[1] نائب حماة، ثمّ طرابلس وقرابُغا السيفيّ ومنصور حاجب غَزّة وأظنّ هؤلاء هم تمـام السبعة والثلاثين نفرا الذين عَرَضهم السلطان بالريدانية . والله أعلم .

ثمّ آستقلّ السلطان بالمسير إلى نحو البـلاد الشامية حتى دخل دمَشق في يوم الخميس ثاني عشرين شهر رمضان وقد زُيِّنت له دمشق وخرج الأمير يلبغا الناصريّ نائب الشام إلى لقائه بمنزلة اللجُّون[2] ، فكان لدخوله إلى دمشق يوم مشهود وحَمَـل الناصريّ على رأسه القُبَّة والطير وعند دخول السلطان إلى دمشق نادى فيها بالأمان لأهـل دمشق ، فإنهم كانوا قامـوا مع منطاش قياما عظيما وأفحشوا في أمر الملك الظاهر وقتاله .

ثم في يوم ثالث عشرين شهر رمضان صَلّى السلطان صلاةَ الجمعة بجامع دمشق[3] وعنـدما فَرَغ السلطان من الصـلاة نادَى الجاويش في الناس بالأمان، والمـاضى

(١) رواية السلوك : (ج ٣ ص ٦٧١)« الحسينى» .

(٢) اللجون : قرية فلسطينية واقعـة فى قضاء جينين ، يبلغ عدد سكانها ٤٠٠ نفس . قال ياقوت فى معجمه : بين اللجـون وطبرية عشرون ميلا و إلى الرملة أربعون ميـلا ، وفى اللجون الصخرة المدورة فى وسط المدينة وعليها قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم عليه السلام وتحت الصخرة عين غزيرة المـاء، وذكروا أن إبراهيم دخل المدينة فى وقت مسيره إلى مصر ومعه غنم له ، وكانت المدينة قليلة المـاء ، فسألوا إبراهيم أن يرتحل عنهم لقلة المـاء فيقال إنه ضرب بعصاه هذه الصخرة فخرج منها ماء كثير، فاتسع على أهل المدينة ، فيقال : إن بساتينهم وقراهم تسق من هـذا المـاء، والصخرة قائمـة إلى اليوم (أى يوم وفاة ياقوت سنة ٦٢٦ هـ) (انظر معجم ياقوت ج ٤ ص ٣٥١ وجغرافية فلسطين لحسين روحى) .

(٣) جامع دمشق : هو أحسن مصلى للسلمين ، ومن أعجب شىء فيه تأليف الرخام المجزع كل شامة إلى أختها ، وقد غلب حب البناء على بنى أمية بسبب بناء جامع دمشق على أحسن مثال ، فبنوا مسا كنهم على منوال بناء جامع دمشق . وكان كل من زاره بعـد الفراغ منه يعجبه تأليف رخامه فإن فيـه عقودا ما يرى مثلها فى أى بناء بنى فى عصر بنى أميـة . حتى قال المأمون : الذى أعجبنى فيـه أنه بنى على غير مثال شوهد .

وروى البرازلى أنه كان ابتداء عمارة جامع دمشق فى أواخر سـنة ٨٦ هـ ، وكمل بنـاؤه فى مدة عشر سـنين ، وكان الفراغ منـه سنة ٩٦ هـ، والذى قام ببنـائه الوليد بن عبد الملك . (راجع خطط الشام لكرد على ص ٢٦٦ وص ٢٧٥ ج ٥) .

لأُبعاد ، ونحن من اليوم تعارفنا ، فضجّ الناس بالدعاء للسلطان وخرجوا من بيوتهم إلى معايشهم وحوانيتهم وأَمِنوا بعد أن كانوا فى وَجَل وخَوْف وهم مترقّبون مايحلّ بهم منـه ، لِمَا وَقَع منهم فى حقّه فى السنة المـاضية لمـّا حضر منطاش ومبالغتهم فى سَبّه ولَعْنه وآستمرارهم على قتاله .

وأمّا الأمير كَمُشْبُغا نائب الغَيْبة فإنه عَمِل النيابةَ على أعظم حُرْمة ، حتى إنّه نادَى فى تاسع عشرين شهر رمضان بمَنْع النساء فى يوم العيـد إلى التُّرَب ، ومَنْ خرجتْ وُسِّطت هى والمُكارِى وألّا يركبَ أحد فى مَرْكب للتفرّج وأشـياء كثيرة من هـذا النَّموذَج ، فلم يجسُر أحد على مخالفته .

ثم نادَى ألّا تلبسَ آمرأةٌ قميصا واسعَ الأكمام ولا يزيد تفصيل القَميص على أكثر من أربعة عشر ذراعا ، وكان النساء بالَغْنَ فى سَعة القُمصان حتى كان يُفَصَّل القميصُ الواحد من آثنين وسبعين ذراعا من القُماش ، فمشى ذلك وفصَّـلوا قمصانا سَمّوْها كمشبُغاويّة . ورأيتُ أنا القُمصان الكمشبُغاويّة المذكورة ، وكان أكمامها مثل أكمام قُمصان العُربان .

وأمّا السلطان الملك الظاهر برقوق فإنّه أقام بدِمَشق إلى ثانى شوّال وخَرج منه يُريد مدينة حلب ، فسار بعساكره حتى وصلها فى ثانى عشرين شوّال ، بعد أن أقام بمدينة حِمْص وحَماة أيّاما كثيرة وأعاد السلطانُ القاضيَ بدر الدين محمد بن فضل الله إلى كتابة السِّرّ لضعْف القاضى علاء الدين الكَرَكىّ وعندما دخل السلطان إلى حلب ورد عليه الخبرُ أن سالمـًا الدُّوكَارِىّ[1] قَبَض على الأمير مِنْطاش وأنّ صاحب ماردين

(١) قال ابن حوقل فى المسالك ص ١٥٢ على ماردين : إنها حصن منيع مبنىّ على قلة جبل شاهق ، فيـه من العدّة والأسلحة مالا يمكن حصره . وقال ياقوت : إنهـا قلعة مشهورة على قنة جبـل بالجزيرة (الفراتية) مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين ، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة ودورها كالدرج كل =

قبض أيضا على جماعة من المنطاشية ، فسُرَّ السلطان بذلك و بعث بالأمير قرا الأحمدىّ نائب حلب فى عساكر حلب لإحضار منطاش من عند سالم الدُّوكارِىّ ، فسار قرا دمرداش حتى وصل إلى سالم الدوكارىّ وأقام عنـده أر بعة أيام يطالبه بتسليم منطاش وهو يُماطِله ، فحَنِق منه قرا دمرداش وركب بمَن معه من العسا كر ونهب بيوته وقَتَـل عدّة من أصحابه وفرّ سـالم بمنطاش إلى سِنْجار (١) ، وآمتنع بهـا وفى عَقِب ذلك وصـل الأميرُ يلبغا الناصرىّ نائب الشام إلى بيوت سالم الدُّوكَارِىّ قَرا دِمِرْداش ما وقع منه فى حقّ سالم وأغلظ له فى القول وَهمّ أن يضربه بالسيف ، فَدَخل بعضُ الأمراء بينهما حتى سَكّن مابه وكادت الفتنةُ أن تقوم بينهما و يعودَ الأمرُ على ما كان عليه أَوّلاً .

وأما الأمير الكبير إينال اليوسفىّ فإنّه وجّه السلطان إلى صاحب مَارِدين ، فسار إلى رأس عين (٢) وتسلّم منه الجماعةَ المقبوض عليهم من المنطاشية وعادبهم إلى السلطان وكبيرُهم الأمـير قَشْتَمُر الأشرفىّ و بكتاب صاحب ماردين وهو يعتذر فيــه و يَعِد بتحصيل غَرِيم السلطان ، فكَتَب له الجوابَ بالشكر والثناء .

= دار فوق الأخرى ، وكل درب منها يشرف على ماتحته من الدروب ، ليس دون سطوحهم مانع ، والماء عندهم قليل ، وأكثر شربهم من صهاريج معدّة فى بيوتهم ، وذكرها ابن بطوطة فى رحلته إليها سنة ٧٢٨ ﻫ فقال : هى مدينة عظيمة فى سفح جبل من أحسن مدن الإسلام ، وأسواقها بديعة ، وتصنع بها الأثواب المنسوبة إليها . وذكرها المرحوم على بهجت بك فى قاموس الأمكنة والبقاع فقال : لا تزال مدينة ماردين فى جهة الشرق من الرها . وقد حدّد موقعها أطلس فيلبس الجغرافى فى ديار بكر (تركيا) وقال : إن عدد سكانها يزيد على ٢٦ ألف نسمة .

(١) هى مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة الفراتية . بينها وبين الموصل ثلاثة أيام (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) رأس عين : مدينـة بالجزيرة الفراتية ومدينـة بفلسطين ، ينسب إليهما القاضى برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن فخر الدين خليل بن إبراهيم الرسعنىّ الشافعىّ قاضى حلب المتوفى سنة ٧٤٢ ﻫ .

وأما السلطان لمّا بلغه ما جَرَى بين يلبغا الناصرى نائب الشام و بين قرا دمرداش الأحمدى نائب حلَب وعودهما من غير طائل، غلَب على ظنه صحةُ ما نُقِل عن يلبغا الناصرى قبل تاريخه أنّ قصده مطاولة الأمر بين الملك الظاهر و بين منطاش وأن منطاش لم يحضُر إلى دِمَشق فيما مضى إلّا بمكاتبته له بقدومه وأنه طاوله فى القتال، (أعنى : لمّا كان نَزَل منطاش بالقصر الأبلق[1] بميدان دِمشق) ولو شاء الناصرى لكان أخذه فى أقلّ من ذلك وأنّ رُسل الناصرى كانت تَرِد على منطاش فى كلّ ليلة بما يأمره به وأنّ سالما الدُوكَارِى لم يدخل بمنطاش إلى سِنْجار إلّا بمكاتبته وقوى عند الملك الظاهر برقوق وتحرّكت عنده تلك الكمائنُ القديمةُ من خروجه عليه وخلعه من المُلك وحبسه بالكَرَك وكلّ ما هو فيه إلى الآن من الشرور والفتن، فالناصرى هو السبب فيها وسَكَت حتى قَـدِم الناصرى إلى حلب ، فقَبَض عليه وعلى الأمير شهاب الدين أحمـد بن المِهْمِنْدار نائب حماة وعلى الأمير كُشْلِى أمير آخور الناصرى

---

(١) بناه الظاهر فى مرجة دمشق فى الميدان القبلى سنة ٦٦٨ هـ وعلى أنقاضه بنيت التكية السليمانية سنة ٩٧٤ هـ الباقية إلى اليوم كأجل أثر للعثمانيين فى دمشق . وكانت على واجهة القصر الأبلق مائة أسد صوّرها بأسود فى أبيض وعلى الشمالية أثنتا عشرة منزلة صوّرها بأبيض فى أسود . وقد بنى من أسفله إلى أعلاه بالحجر الأسـود والأصفر بتأليف غريب و إحكام عجيب ، ولذلك سمى بالقصر الأبلق . وعلى شماله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبل بمصر . قال ابن فضل الله العمرى فى وصفه : وأمام هذا القصر دركاه (عرصة) يدخل منها إلى دهليز القصر وهو دهليز فسيح يشتمل على قاعات ملكية مفروشة بالرخام الملون البـديع الحسن المؤزر بالرخام ، المفصـل بالصدف والفص المذهب إلى سجف السقف . وبالدار الكبرى به إيوانان متقابلان تطل شبابيك شرقيهما على الميدان الأخضر وغربيهما على شاطئ واد أخضر يجرى فيه نهر، وله رفارف عالية تناغى السحب تشرف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والغوطة . رآه ابن طولون المتوفى سـنة ٩٥٣ هـ وقرأ عليه أن تاريخ بنائه كان سنة ٦٦٨ هـ وقال إن أعلى أسكفته ضربا من رخام أبيض وسطه مكتوب : عمـل إبراهيم بن غنائم (المهندس المصرى الشهير) وقد وصف بهاء الدين الموصـلى القصر بعبارة بليغة منها : يبهر الناظر حسن معناه ، ولا يقدر على وصف محاسـنه من يراه (انظر خطط الشام لكردى على ج ٤ ص ١٢٢ ج ٥ ص (٢٨٥ — ٢٨٦) .

والشيخ حسن رأس نوبته وسجن الجميع بقلعة حلب ، ثم قتلهم من ليلته بقلعة حلب .

وكان الناصرىّ من أجلّ الأمراء ومن أكابر مماليك الأتابك يلبغا العمرىّ ، وقد تقدّم من أمره فى ترجمة الملك الظاهر برقوق الأولى وفى ترجمة الملك المنصور حاجىّ وما وقع له مع منطاش وغيره ما يغنى عن التعريف به هنا ثانيا .

قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينىّ الحنفىّ فى تاريخه[1] فى حق يلبغا الناصرىّ المذكور : وكان من ابتداء إنشائه من أيام الملك الناصر حسن إلى آخر عمره على فتنة وسوء رأى وتدبير وشؤم ؛ حتى قيل : إنه ما كان مع قوم فى أمر من الأمور إلّا وقد حصل لهم العكس وشوهد ذلك منه ، كان مع أستاذه يلبغا الخاصكىّ العمرىّ فانكسر، ثم استندمر الناصرىّ فغلب وانقهر، ثم مع الأشرف شعبان بن حسين فقتل، ثم مع الأمير بركة فخذل، انتهى كلام العينىّ .

قلت : نصرته على الملك الظاهر برقوق وأخذه مملكة الديار المصرية وحبسه للملك الظاهر برقوق بالكرك بكلّ ما قاله العينىّ ، وقد فات العينىّ أيضا كسرة الناصرىّ من منطاش بباب السلسلة وحبس منطاش له ؛ لأنّ قضيته مع منطاش كانت أعظم شاهد للعينىّ فيما رماه به من الشؤم . انتهى .

ثم عزل الملك الظاهر الأمير قرادمرداش عن نيابة حلب، وأنعم عليه بتقدمة ألف بالديار المصرية، عوضا عن الأمير بطا الطولوتمرىّ الظاهرىّ الدوادار الكبير بحكم انتقال بطا إلى نيابة الشام عوضا عن الأمير الكبير يلبغا الناصرىّ المقدّم

---

(١) هو عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، ويعرف بتاريخ العينىّ وهو تاريخ جليل القدر ، ذكر فى خطبته أنه جمعه فى حداثة سنه وعنفوان شبابه ، ابتدأ فيه من مبدأ الدنيا إلى سنة ٨٠٥ هجرية .

ذكره، وخلع السلطان على بُطا المذكور، وعلى جُلْبان الكَمَشْبُغاوى الظاهرى رأس نَوْبة النُّوب المعروف بقرا سُقُل بآستقراره فى نيابة حلب عوضا عن قرا دمرداش الأحمدى فى يوم واحد، وهما أوّل مَن ترقّى من مماليك الملك الظاهر إلى الرُّتَب وولى الأعمال الجليلة .

ثم خَلَعَ الملك الظاهر على الأمير فخر الدين إياس الجرْجاوى بآستقراره فى نيابة طرابُلُس، وأخلع على الأمير دِمرداش المحمدى الظاهرى بنيابة حماة، وخلع على الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن بآستقراره دوادارًا كبيرا عوضا عن بُطا المنتقل إلى نيابة الشام، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، لِمَا لأبى يزيد المذكور على السلطان من الأيادى عندما آختفى عنده فى محْنة الناصرى ومنطاش .

ثم أنعم السلطان على الأمير تَنْبَك اليَحْياوى الظاهرى بإقطاع جُلْبان قَرا سُقُل المنتقل إلى نيابة حلب .

ثم خَرج السلطانُ من حلب فى يوم الأثنين أول ذى الحجّة عائدا إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشرين ذى الحجّة(١)، وقَتَل بها يومَ دخوله الأمير آلابغا العثمانى الدوادار الكبير كان، والأمير سُودون باق أحد مقدّمى الألوف أيضا، وسَمَّر ثلاثة عشر أميرا منهم الأميرُ أحمد بن بَيْدَمُر أتابك دِمَشق، وأحمد بن أمير على المارديني أحدُ مقدّمى الألوف بدمشق، ويلبغا العلائى، وقُنُق باى السَّيفى، نائب مَلَطْية، وكَشْبغا السيفى نائب بعلبكّ، وغريبُ الخاصّكى أحدُ أمراء الطبلخاناه بمصر، وقرا بُغا العُمَرى وجماعةُ أُخَر ووُسِّطوا الجميع، وأقام السلطان بدمشق، وأهلُها على تَخَوُّف عظيم منه إلى أن خَرَجَ منها فى العشر الأخير من ذى الحجّة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة عائدا إلى الديار المصرية، فسار بعساكره حتى دخل مدينة غَزّة فى يوم الجمعة ثالث محرّم

(١) فى ف : (فدخلها فى ثالث عشر ذى الحجة) .

سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، فعند ذلك نُودِى بالقاهرة بالزِّينة لقدومه ، فزُيِّنت أعظمَ زينة إلى يوم ثالث عشر المحرّم، فقَدِم البريدُ من السلطان إلى مصر بالخروج إلى ملاقاته إلى بُلْبَيْس(١) ، فخَرَج الأمير كمشبغا الحموىّ نائب الغَيْبة ، ومعه الأمير سُودون الشيخونىّ النائب ، وبقيةُ الأمراء ، وساروا حتى وافَوْا السلطانَ بمدينة بلبيس ، فقبّلوا الأرض بين يديه وعادوا فى ركابه حتى نزل السلطان بالعِكْرِشة(٢) ، وأقام بها إلى ليلة الجمعة ، ثم رَحَل فى صبيحة الجمعة سابع عشر المحرّم ، فخرج من القاهرة سائرُ الطوائف إلى لقائه ومشَوْا فى خدمته ، وقد اصطفّت الناسُ لرؤيته إلى أن طلع إلى القلعة يوم الجمعة المذكور فى مَوْكب جليل إلى الغاية ، وكان لطلوعه يومٌ مشهود .

ولمّا طلع إلى القلعة جَلَس بالقصر وخلَع على الأمراء وأرباب الوظائف .

ثم قام ودخل إلى الدور السلطانية ، فاستقبله المغانى والتهانى وفُرِشَت الشُّقَق الحرير تحت أقدامه ، ونُثِر على رأسه الذهبُ والفِضّة ، هذا ! وقد تخلّق غالبُ أهل القلعة بالزَّعْفَران .

فلم يَمْض بعد ذلك إلا أيامٌ يسيرةٌ ، وقَدِم البريدُ من دمشق فى يوم خامس عشرينه بسيف الأمير بطا الطُّولُوتَمُرىّ الظاهرىّ نائب الشام ، وبُطا هذا ! هو الذى خرج من سجن القلعة ومَلَك باب السلسلة فى غَيْبة الملك الظاهر برقوق حسب ما ذكرناه فى وقته من هذا الكتاب ، واتُّهِم الملكُ الظاهر فى موته ، فخلع السلطان

(١) بلبيس : هى من المدن المصرية القديمة ، واقعة على الشاطىء الغربى لترعة الإسماعيلية من حدود الصحراء الشرقية ، وكانت قاعدة الحوف الشرقى ، ثم كورة الشرقية من أول الفتح العربى إلى سنة ١٢٥٤ هـ — ١٨٣٨ م حيث نقلت قاعدة مديرية الشرقية إلى بندر الزقازيق وبقيت بلبيس قاعدة لمركز بلبيس .

(٢) راجع الكلام عليها فى الأستدرا كات الواردة فى ص ٤٠١ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

فى يوم سـابع عشرينه على الأمير سُودون طُرُنْطاى بنيابة دِمَشق، عوضا عن بُطا المذكور .

ثمّ فى يوم الآثنين ثانى عشر صـفر قَبَض السلطان على الأمير قـرا دمرداش الأحمدىّ اليلبُغاوىّ المعزول قبل تاريخه عن نيابة حلب وعلى الأمير أَلْطُنْبُغا، المعلم نائب الإسكندرية وهو أيضا يلبُغاوىّ، وسُجِنا بالبُرْج من القلعة. وقرا دمرداش هذا! هو الذى كان الملك الظاهر خَلَع عليه بآستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية، وأنعم عليـه بثلاثين ألف دينـار، فأخذها قرا دمرداش وخامر عليه وتوجّه إلى الناصرىّ ومنطاش فأسرّ له السلطانُ ذلك إلى يوم قُبِض عليـه[(1)]، فذكرها للأمراء وقد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا فى ترجمة الملك الظاهر الأولى .

ثمّ فى خامس عشرين صفر أيضا مَسَكَ السلطان الأمير قَرْدَم الحسنىّ اليلبُغاوىّ رأس نَوْبة النوب كان وأُخرج بعد أيام على إمرة عشرة بغـزّة، ثم خلع السلطان على الأمير قَلَمْطاى العثمانىّ الظّاهرىّ بآستقراره أمير جاندار بعـد موت قطلوبغا التَشْتَمُرِى وخَلَع على ناصر الدين محمد ابن الأمير محمود الأُستادار بنيابة الإسكندرية عوضا عن أَلْطُنْبُغا المعلّم المقبوض عليه .

ثمّ قَدِم البريدُ من دِمَشق بأنّ خمسة من المماليك أَتَوْا إلى نائب قلعـة دمشق مشاةً، وشَهُروا سيوفَهم وهجموا القلعة وملكوها وأغلقوا بابَها وأخرجوا مَنْ بها من المنطاشيّة والنـاصريّة وهم نحوُ مائة رجل وقتلوا نائب القلعة ومَنْ معه وأنّ حاجب حُجّاب دِمَشق رَكِب بعسكر دِمشق وقاتلهم ثلاثة أيام حتى أخذ القلعة منهم وقَبَض على الجميع إلا خمسة، فإنهم فرّوا فوسَّط الحاجبُ الجميع .

(١) رواية « ف » : (إلى أن قبض عليه) .

ثمّ فى ثالث عشرين شهر ربيع الآخر رَسَمَ السلطان بقتل الأمير أَيْدَكار العُمَرِىّ حاجب الحجاب كان والأمير قَرَا كُسك والأمير أُرسلان اللَّفّاف والأمير أرغون شاه .

ثمّ فى أوّل جُمادَى الأُولى أُحضِرت إلى القاهرة من الإسكندريّة عِدّةُ رءوس من الأمراء المسجونين بها وغيرهم .

وفى تاسع عشر شهر جُمادَى الأولى المذكور خَلَع السلطان على الأمير كَمَشْبُغا الحَمَوِىّ باستقراره أتابَك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأمير إينال اليوسفىّ اليَلْبُغَاوِىّ ، على أن كَمَشْبُغَا كان يجلس فوق إينال المذكور .

ثمّ خَلَع السلطان على الأمير أَيْتَمِش البجاسِىّ بآستقراره رأسَ نَوْبة الأمراء وأطابكا وأنعم عليه بزيادة على إقطاعه حتى صار إقطاعُه يُضَاهى إقطاعَ الأمير الكبير ، لأن أَيْتَمُش المذكور كان وَلِى الأتابكيّة بديار مصر فى سَلْطَنة الملك الظاهر الأولى إلى أن مَسَكه الناصرىّ وحَبسه بقلعة دمشق وقد تقدّم ذلك .

وفى يوم الآثنين أوّل شهر رمضان خَلَع السلطان على الأمير كَمَشْبُغَا الأشرفىّ الخاصكىّ أمير مجلس بآستقراره فى نيابة دمشق بعد موت سُودون طُرُنْطَاى .

قلت : هذا رابع نائب وَلِى دمشق فى أقلّ من سنة : الأوّل الناصرى، والثانى بُطَا ، والثالث سُودون طُرُنْطَاى ، والرابع كَمَشْبُغَا هذا ، فلعمرى ! هل هذه آجال متقاربة لديهم ، أم كؤوس منايا تدور عليهم .

ثم قَدِم البَرِيدُ على السلطان بقتال عسكر حلب لمنطاش وفِرَار منطاش وآنهزامه أمامهم حتى عدّى الفُرات .

ثم أنعم السلطان فى اليوم المذكور على الوالد بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية وأنعم بطبلخاناه الوالد على الأمير قلمطاى العثمانىّ الظاهرىّ ، وكان

الإقطاع المُنْعَم به على الوالد عوضًا عن كمشبغا الخاصّكى المنتقل إلى نيابة الشام وأنعم السلطان بإقطاع قلمطاى على الأمير شادى نجا الظاهرى والإقطاع إمرة عشرة .

ثمّ أمسك السلطان شيخ الشيوخ المعروف بالشيخ أَصْلَم بن نِظَام الدين الأصبهانى صاحب الزاوية[1] على الجبل تجاه باب الوزير وسلّمه لشادّ الدواوين على حَمْل مائتى ألف درهم، وسببه أنّ السلطان لما آختلّ أمره فى حركة الناصرى ومنطاش وهمّ بالهرب طلب أَصْلَم المذكور، وأعطاه خمسة آلاف دينار، وواعده أنه ينزِلُ إليه ويَخْتفِى عنده ، فلم يَفِ له أصلم بذلك، وأخذ الذهب وَغَيَّب ، فآختفى السلطان فى بيت أبى يزيد من غير ميعاد واعده .

وفى سابع عشرين شوّال آستقرّ الأمير بُكْلُمُش العلائى الأمير آخور أميرَ سلاح، وآستقر الأمير تَنْبَك اليَحْيَاوِى الظاهرى أميرَ آخور كبيرًا عِوَضه .

وفى ثانى عشر ذى القعدة قُتِل الأميرُ قرا دِمِرْداش الأحمدى اليَلْبُغاوى نائب حلب كان، والأمير تُنَغَاى تَمُر نائب سِيس فى عدة أمراء أخر .

وفى ثالث محرّم سنة خمس وتسعين وسبعمائة قَدِم البريدُ على السلطان من الشام بموت الأمير كَمُشْبُغا الخاصّكى الأشرفى نائب دِمَشق ، فاستقرّ السلطان بالأمير تَنْبَك الحسنى الظاهرى المعروف بتَـنَم أتابَك دِمشق فى نيابتها عوضا عن كمشبغا المذكور .

قلت : الآن طاب خاطرُ السلطان الملك الظاهر برقوق بنيابة تَنَم المذكور فإنّ الشام صار الآن بيد مملوكه، كما نيابة حلب وحماة مع جُلْبان ودِمِرْداش ولمّا

---

(١) أطلنا البحث عن معرفة موقع هذه الزاوية فى المصادر التى تحت يدنا فلم نعثر لها على شرح يقوّ بنا إلى معرفة موقعها .

آستقرّ تَنَم فى نيابة دِمَشق ، رَسم السلطان بنقل الأمير إياس الجرجاوى نائب طرابُلُس إلى أتابكيّة دِمَشق ، عوضا عن تَنَم المذكور ، ونَقْل الأمير دمرداش المحمدى الظاهرى من نيابة حماة إلى نيابة طرابُلُس عِوَضه ، وآستقر الأمير آقبغا الصغير فى نيابة حماة عوضا عن دِمْرداش المذكور .

وفى أثناء ذلك قَدِم البريدُ على السلطان . يُخْبِر بأنّ منطاشا ونُعَيرًا أمير العرب وآبنَ بَزْدَغان التُّركمانى وآبنَ إينـال التركمانى صـاروا فى عسكر كَثِيف وحضروا به إلى سَلَمْيَة(١) فلقيهم محمد بن قارا أمير العرب على شَيْزَر(٢) بتراكمين الطاعة ، فقاتلهم وقُتِل ابن بَزْدغان وابنُ إينال ، وجُرِحَ منطاش وسَقَطَ عن فرسه ، فلم يُعرَف لأنه كان حَلَقَ شارِبه ورَمَى شعره حتى أدركه آبن نُعَير وأردفه خلفه وآنهزم به ، بعد أن قُتِل من الفريقين عالَمٌ كبير ، وحُملت رأس ابن بزدغان وآبن إينال إلى دمشق ، فعلّقتا على قلعتها ، ففرح السلطان بذلك ، وكتب لمحمد بن قارا بالشكر والثناء وأرسل إليه خِلعة هائلة .

---

(١) سلمية (بفتح أوله وثانيـه وسكون الميم) : بليدة بناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين بسير الإبل ، وأهل الشام ينطقونها «سلمية» (بكسر الميم وتشديد الياء) .

(٢) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام ، وتقع قرب المعرّة ، بينها و بين حماة يوم . ولقلعة شيزر شهرة كبرى فى التاريخ ، فقد كانت مقرّ إمارة بنى منقذ الكنانيين منذ سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) حتى سنة (٥٥٢ هـ) (١١٥٧ م) وبها ولد أسامة بن منقذ الشاعر صاحب كتاب الأعتبار فى ٢٧ من شهر جمادى الثانية (سنة ٤٨٨ هـ) (٤ يولية سنة ١٠٩٥ م) أى قبل الحروب الصليبية ببضع سنين وكتابه الأعتبار المذكور ثبت لمذكرات طلية ضافية عن تلك الحروب . وقد وصف فيها ابن منقذ تجاربه وأعماله وملاحظاته عن عادات الفرنج وأزيائهم زمن الحروب الصليبية وهى فريدة فى بابها . وقد آنتهى ملك المناقذة لقلعة شيزر سنة ٥٥٢ هـ بوفاة آخر أمرائها تاج الدولة ناصر الدين محمـد ، وفى نفس العام آستولت الإسماعيليـه على شيزر ، ثم أخذها منهم السلطان نور الدين محمـود بن زنكى سـنة ٥٦٤ هـ (انظـر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٣٥٣) وكتاب الروضتين لأبى شامة (ص ٩٥ و ١٤٩ — ١٥٠) والكامل لابن الأثير (ج ١١ ص ٢٢٠) .

ثمّ بعـد أيام يسيرة ورد الخبر بأن نُعيرا والأمير منطاشا كبسا حمـاة فى عسكر كبير، فقاتلهم الأمير آقبغا الصغير نائب حمـاة فيما بين حماة وطرابلس وكسرهمـا، فلمّا بلغ الأمير جُلبان الكمشبغاوى قراسـقل نائب حلب ذلك ركب بعسكره وسار إلى أبيات نُعير ونهبها[1] وأخذ ما قدر عليه من المـال والخيل والجمال والأغنام والنساء والأطفال، وأضرم النيران فيما بَقِى عندهم .

ثمّ أكمن كمينا . فلما سمع نعير بمـا وقع عليه رجع إلى نحو بيوته بجماعته، فخرج الكمين عليه وقَتَل من عربانه جماعة كبيرة وأسرَ مثلها، وقتـل فى هذه الوقعـة من عسكر[2] حلب نحو المـائة فارس، وعدّة من الأمراء، فأعجب السلطان[3] ما فعله نائب حلب، وكتب إليه بالشكر والثناء، وأرسل إليـه خلعة عظيمة وفرسا بسرج ذهب وكُنبوش زركش .

ثم أخرج السلطان الأمير ألطنبغا المعلّم أمير سلاح كان، من السجن وأرسله إلى ثغر دمياط[4] بطالا، وأفرج السلطان أيضا عن الأمير قطلوبغا السيفى حاجب الحجاب كان فى أيام منطاش وأرسله إلى الثغر المذكور .

ثم فى رابع عشر جمادى الآخرة من سنة خمس وتسعين وسبعمائة قَدِم البريد بموت الأمير يلبغـا الإِشْقَتَمُرى نائب غزة[5]، وفى تاسـع عشرين جُمـادى المذكورة خَلَع

(١) فى الأصل : « ونهبه » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٢) فى ف : (جماعة حلب) .

(٣) فى ف (فأعجب الناس ما فعله جلبان نائب حلب) .

(٤) دمياط : هى من ثغور مصر القديمة واقعـة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل المسمى باسمها بينها وبين مصبه فى البحر الأبيض المتوسط ١٥ كيلو مترا . وهى اليوم إحدى محافظات مصر .

(٥) غزة : مدينة قديمة فى جنوب فلسطين تبعد عن ساحل البحر الأبيض المتوسط ٣ كيلو مترات وبهـا مساجد كثيرة، من آثارها الجامع العمرى وضريح هاشم بن عبد مناف . وفيها ولد الإمام الشافعى رضى الله عنه، وكانت فيما مضى أهم محطة للقوافل بين مصر والشام (انظر جغرافية فلسطين لحسين روحى ص ١٠٥ وقاموس الأمكنة والبقاع لعلى باشا بهجت وقاموس ليبنكوت الانجليزى الجغرافى) .

السلطان على الأمير قلمطاى العثمانى الظاهرى باستقراره دوادارا كبيرا بعد موت الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن، وخلع السلطان على الأمير ألطنبغا العثمانى الظاهرى بآستقراره فى نيابة غزة عوضا عن يلبغا الأقشتمرى .

قلت : أدركت أنا ألطنبغا العثمانى الظاهرى هذا فى نيابته على دِمَشق فى دولة الملك المؤيَّد شيخ . انتهى .

وأنعم السلطان بإقطاع ألطنبغا العثمانى على الأمير تمراز الناصرى الظاهرى رأس نوبة، والإقطاع : إمرة طبلخاناه، وأنعم السلطان بإمرة تمراز المذكور على الأمير شرف الدين موسى بن قُمارى أمير شكار، والإقطاع إمرة عشرة .

وفى يوم الآثنين ثالث شهر رمضان من سنة خمس وتسعين المذكورة قَدِم البريد من حلب بالقبض على الأمير منطاش، وكان من خبره، أن الأمير جُلبان نائب حلب لم يزل فى مدّة ولايته على حلب يبذل جهده فى أمر منطاش، حتى وافقه الأمير نُعَير على ذلك بعد أمور صدرت بينهما، وكان منطاش فى طول هذه المدّة مقيما عند نعير، فبعث جلبان شادّ شراب خاناته السيفى كمشبغا فى خمسة عشر مملوكا إلى نعير، بعد أن آلتزم الأمير جلبان لنعير بإعادة إمرة العرب عليه، فسار كمشبغا المذكور حتى قارب أبيات نعير، فنزل فى موضع، وبعث يأمر نعيرا بالقبض على منطاش ويُعلمه بحضوره، فندب نعير أحد عبيده إليه يستدعيه، فأحس منطاش بالشر وفطن بالقصد فهمّ بالفِرار، فركب فرسه وأراد التوجه إلى حال سبيله، فقبض العبد على عنان فرسه فهم منطاش بضربه، فأدركه عبدٌ آخر وأنزلاه عن فرسه وأخذا سيفه، فتكاثروا عليه، فلما تحقّق منطاش أنه أُخذ ومُسك أخذ سكينا كانت معه وضرب نفسه بها أربع ضربات أُغْشِى عليه، وحُمِل وأُتِى به إلى عند كمشبغا المذكور ومعه فرسه وأربعة جمال، فتسلمه كمشبغا وسار به

إلى حلب ، فدخلها فى أربعمائة فارس من عرب نعير، فكان لدخـوله حلب يوم عظيم مشهود وحُمِل منطاش إلى قلعة حلب وسجن بها .

ثمّ كتب إلى السلطان بمسكه ، فلما بلغ السلطان ذلك سُرّ سرورا عظيما وأنعم على كمشبغا المذكور بخمسة آلاف درهم وخلع عليه فوقانيا (١) بطرز ذهب مُزركش ورسم السلطان إلى سائر الأمراء أن يوافوه بالخلع ودُقّت البشائر لهـذا الخبر بالديار المصرية وزُيّنت القاهرة من الغد زينة عظيمة .

ثمّ خلع السلطان على الأمير طولو من علىّ باشاه الظاهرىّ أحد أمراء العشرات وندبه للتـوجّه إلى حلب على البريد لإحضار رأس منطاش، بعـد أن يعذّبه بأنواع العـذاب ليُقرّ على أمواله ، فسار طولو فى خامسه إلى حلب وأحضر منطاشا وعَصَره وأجرى عليه أنواعَ العذاب ليُقِرَّ بالمـال، فلم يعترف بشىء، فذبحه بعد عذاب شديد، قيل : إنه عُذِّب بأنواع العذاب والكسّارات والنار فى أطرافه، حتى لم يبق فيه عضو إلا وتكسّر وهو مصمم على أنه لا يملك شيئا ، ثم قطع رأسه وحُملت على رمح وطيف بهـا بمدينـة حلب ، ثمّ أخذها طـولو وعاد يريد الديار المصرية ، فصار كلما دخل إلى مدينـة طاف بها على رمح وعَمِل بها كذلك فى سائر مدن الشام ، حتى وصلت إلى الديار المصرية صحبـة طولو المذكور فى يوم الجمعة حادى عشرين رمضان (٢) ، فعلّقت على باب قلعة الجبل ، ثمّ طيف بها القاهرة على رُمْح ، ثمّ علقت على باب زَويلة أياما ، ثم سُلمت إلى زوجتـه أم ولده ، فدفنتها فى سادس عشرينه .

ثمّ ندب السلطان يلبغا السالمىّ الظاهرىّ إلى نُعير بالخلع .

(١) فى (ف) : (قوقانى) . وفوقانى : لباس كالجبة يلبسه القضاة والأمراء .

(٢) فى نسخة ف : (شعبان) .

ثمّ فى سادس عشرينه قدم رسل الملك الظاهر مجد الدين عيسى صاحب ماردين على السلطان تُخبر بأن تيمورلنك أخذ مدينة تِبْريز[1] وأرسل يستدعيه إلى عنده فاعتذر لمشاورة سلطان مصر، فلم يقبل منه تيمور ذلك وقال له : ليس لصاحب[2] مصر بملكك حكم وأرسل إليه خلعة[3] وسكة[4] ينقش بها الذهب والدنانير وقدم مع القاصد أيضا رسول صاحب بسطام[5]، يذكر بأن تيمور قتل شاه منصور متملّك شِيراز وبعث برأسه إلى بغداد و بعث بالخِلع والسكة إلى السلطان أحمد بن أُوَيْس صاحب العراق، فلبس السلطان أحمد الخلعة وطاف بها فى شوارع بغداد وضرب بآسمه السكة، وكان ذلك خديعة من تيمور، حتى ملك منه بغداد فى يوم السبت حادى عشرين شوّال من سنة خمس وتسعين المذكورة .

وكان سبب أخذ تَيْمور بغداد أن آبن أُوَيْس المذكور كان أسرف فى قتل أمرائه وبالغ فى ظلم رعيته وآنهمك فى الفجور والفساد .

قلت فائدة : حكى بعض الحكماء أن الرجل إذا كان فيه خصلة من سبع خصال تمنعه السيادة على قومه ونظم السبعةَ بعضُهم فقال : [الخفيف]

منع النـاس أن يسـود عليهـم * سـبعةٌ قاله ذوو التبيانِ
أحمــقُ كاذبٌ صـغيرٌ فقـير * ظالم النفس مُمْسك الكَفّ زانِ

---

(١) رواية ف : (و بعث إليه يستدعيه إلى عنده) .

(٢) رواية ف : « ليس لصاحب مصر عليك حكم » .

(٣) رواية (ف) : « خلعته » .

(٤) السكة حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم .

(٥) البسطامى : نسبة إلى بسطام، قرية من قرى قومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين (عن معجم البلدان لياقوت) .

ولمـا وقع من السلطان أحمد ذلك كاتب أهل بغداد تيمور بعـد آستيلائه على مدينة تبريز[١] يحثونه على المسير إلى بغـداد ، فتوجّه إليها بعساكرها حتى بلغ الدّربند[٢] وهو من بغداد مسيرة يومين ، فبعث إليـه أحمد بن أُويس بالشيخ نور الدين الخُراسانيّ فأكرمه تيمور وقال له : أنا أترك بغداد لأجلك ورحل يريد السلطانية ، فبعث نور الدين كتبة بالبشارة إلى بغداد .

ثم قدم فى إثرها فاطمأن أهلها وكان تيمور قد سـار يريد بغداد من طـريق أخرى ، فلم يشـعر أحمد بن أويس وقـد آطمأن إلاوتيمور نزل غربى بغداد قبل أن يصل الشيخ نور الدين فدهش عند ذلك آبن أويس وأمر بقطع الجسر ورحل من بغداد بأمواله وأولاده وقت السحر من ليلته وهى ليلة السبت المذكورة وترك بغداد فدخلها تيمورلنك وأرسل آبنـه فى إثر ابن أُويس فأدركه بالحِلّة[٣] ونهب ماله وسبى حريمه وأسر وقتـل كثيرا من أصحابه ، فنجا السلطان أحمد بن أويس بنفسه فى طائفة وهم عُراة ، فقصد حلب وتلاحق به مَن بقى من أصحابه .

ثم بعد ذلك قَدِم البريد على السلطان الملك الظاهر برقوق بأنّ آبن أويس المذكور نزل بالرحبة[٤] فى نحو ثلاثمائة فارس وقدم كتّاب آبن أويس وكتّابُ نُعـير ،

(١) تبريز : أشهر بلدة بأذربيجان ، ولهـا غوطة رائعة . وكان بها كرسى بيت هولاكو من التتار ، وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسـوار محكمة ، وهى اليوم (القرن التاسع الهجرى) : أم إيران جميعا لتوجه المقاصد من كل جهة إليها ، وبهـا محط رحال التجار والسفار ، وبهـا دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحبين لسلطانها لقربها من أرجان محل مشتاهم (راجع صبح الأعشى رابع ص ٣٥٧ ومعجم البلدان وتقـويم البلدان) . (٢) باب الدربند : (باب الأبواب) : اسم لبليدة على ساحل بحـر الخزر بين البحر والجبل ، وهى شمالى باب الحديد (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل) .

(٣) الحلة يراد بها حلة بنى مزيد ، وهى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، كانت تسمى الجامعين (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٣٢٢) .

(٤) يريد الرحبة الجديدة وهى على نحو فرسخ من الفرات .

فأجيب أحسن جواب وكتب بإكرامه والقيام بما يليق به ، فلما وصل كتاب السلطان إلى نُعير توجه إليه، وعندما عاين ابن أُوَيْس نزل عن فرسه وقبّل الأرض بين يديه وسار به إلى بيوته وأضافه .

ثم سيّره إلى حلب فقدمها ومعه أحمد بن شكر ونحو الألفى فارس فأنزله الأمير جُلبان قرا سُقل نائب حلب بالميدان وقام له بما يليق به وكتب مع البريد إلى السلطان بذلك وعلى يد القادم أيضا كتاب السلطان أحمد بن أويس يستأذن فى القدوم إلى مصر ، فجمع السلطان الأمراء للمشورة فى أمر ابن أويس ، فاتفقوا على إحضاره وأن يخرج إلى مجيئه الأمير عز الدين أزدمر ومعه نحو ثلاثمائة ألف درهم فضة وألف دينار برسم النفقة على ابن أويس فى طريقه إلى مصر وتوجه أَزْدَمر المذكور فى سادس عشرينه وسار أزدمر إلى حلب وأحضر السلطان أحمد ابن أويس المذكور إلى نحو الديار المصرية ، فلما قَرُب ابن أويس من ديار مصر أخرج السلطان عدّة من الأمراء إلى لقائه .

فلمّا كان يوم الثلاثاء سابع عشرين[(1)] شهر ربيع الأول من سنة ست وتسعين وسبعمائة ، نزل السلطان الملك الظاهر من قلعة الجبل بأمرائه وعساكره إلى لقاء أحمد بن أويس وجلس بمسطبة مطعم الطير[(2)] من الرّيدانية خارج القاهرة إلى أن

(١) رواية ف « سابع عشر شهر ربيع الأول » .

(٢) المقصود بالمطعم هنا هو مطعم الطيور المخصصة للصيد ، وكان السلاطين ينزلون إليه ، وتطلق البازدارية طيورا أعدّوها لذلك ثم يطلقون وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها ، وكان هذا نوعا من أنواع التسلية والرياضة السلطانية . ويستفاد مما ورد فى كتاب حوادث الدهور لابن تغرى بردى (ص ٢٨٠) ومما ورد فى تاريخ مصر لابن إياس (ص ١٧٦ ج ٢) : أن هذا المطعم كان واقعا فى الشمال الشرقى لخانقاه السلطان برقوق المعروفة بتربة برقوق فى المنطقة التى بها اليوم جبانة العباسية التى يسميها العامة جبانة الغفير بالقاهرة وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٧١ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا تكميليا .

قرب السلطان أحمد بن أويس ووقع بصره على المسطبة التى جلس عليها السلطان، فنزل عن فرســه ومشى عدّة خطوات ، فتوجه إليه الأمير بَخاص حاجب الحجّاب بالديار المصرية ومن بعده الأمراء للسلام على ابن أويس، فتقدّم بخاص المذكور وسلم عليه ووقف بإزائه وصار كلما تقدّم إليــه أمير ليُسلِّم عليه يعرّفه بخاص بآسمه ووظيفته وهم يقبِّلون يده واحدا بعد واحد ، حتى أقبــل الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس فقــال له : الأمير بخاص هــذا أمير مجلس وآبن أستاذ السلطان ، فعانقه آبن أويس ولم يدعه يُقبِّل يده .

ثمّ جاء بعــده الأمير بكلمش العلائى أمير ســلاح فعانقه أيضا، ثمّ من بعده الأمير أيتمش البجاسى رأس نوبة الأمراء وأطابك فعانقه، ثمّ من بعده الأمير سُودون الفخرى الشيخونى نائب السلطنة فعانقه، ثمّ الأمير الكبير كمشبغا الحموى أتابك العساكر فعانقه وآنقضى ســلام(١) الأمراء ، فقام عند ذلك السلطان ونزل من على المسطبة ومشى نحو العشرين خطوة ، فلمّــا رأى آبن أويس مَشْىَ السلطان له هرول حتى آلتقيا ، فأوما أحمــد بن أويس ليقبِّــل يد السلطان فمنعه السلطان من ذلك وعانقه .

ثمّ بكَيا ساعة ثم مشَيا إلى نحو المسطبة والسلطان يطيِّب خاطره ويَعده بكل جميل وبالعود إلى ملكه ويده فى يده حتى طلعا على المسطبة وجلسا معا على البساط من غير أن يقعد السلطان على مرتبته وتحادثا طويلا ، ثمّ طلب السلطان له خلعة فقُدّم قَبا حرير بنفسجى بفرو وقاقم بطرز زركش هائلة ، فألبسه الخلعة المذكورة وقدّم له فرسا من خاصّ مراكيب السلطان بسرج ذهب وكُنْبوش زركش وسلسلة ذهب ، فركبه آبن أويس من حيث يركب السلطان، ثمّ ركب السلطان بعده وسارا

(١) رواية ف : « وآنقضى السلام من الأمراء» .

يتحادثان والأمراء والعساكر سائرة على منازلهم ميمنة وميسرة، حتى قَرُبا من القلعة، هذا والناس قد خرجت إلى قريب الرِّيدانية[١] وآمتلأت الصحراء منهم للفرجة على موكب[٢] السلطان، حتى أدهش كثرتهم السلطان أحمد بن أويس، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة، ولما وصلا إلى قريب القلعة[٣] وأخذت العساكر تترجّل عن خيولهم على العادة، صار آبن أويس مواكبا للسلطان حتى بلغا تحت الطبلخاناه من قلعة الجبل، فأومأ إليه السلطان بالتوجه إلى المنزل الذى أُعِدّ له على بِرْكة الفيل[٤]، وقد جُدّدت عمارته وزخرفت بالفرش والآلات والأوانى، فسلّم آبن أويس على السلطان، وسار إليه وجميع الأمراء فى خدمته، وطلع السلطان إلى القلعة .

فلما دخل آبن أويس إلى المنزل المذكور ومعه الأمراء، مدّ الأميرُ جمال الدين محمود الأستادار بين يديه سماطا جليلا إلى الغاية فى الحسن والكثرة، فأكل السلطان أحمد وأكل الأمراء معه، ثم آنصرفوا إلى منازلهم، وفى اليوم[٥] جهّز السلطان إليه مائتى ألف درهم فضة، ومائتى قطعة قماش سكندرىّ، وثلاثة أفراس بقماش ذهب وعشرين مملوكا وعشرين جارية، فلما كان الليل قَدِم حريم آبن أويس ونقله .

ثمّ فى يوم الخميس عمل السلطان الخدمة بدار العدل[٦] المعروفة بالإيوان[٧]، وطلع القان أحمد بن أُويس المذكور، وعَبَر من باب الجسر الذى يقال له باب السر[٨] وجلس

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا ممتعا .

(٢) رواية ف «على موكب عظيم» .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٦٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٥) رواية «ف» : «فلما كان اليوم» .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٧) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٨) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

تُجاه الإيوان حتى خرج إليـه رأس نوبة ومضى به إلى القصر، فأخذه السلطان، وخرج به إلى الإيوان، وأقعـده رأس الميمنة فوق الأمير كمشبغا الحموى أتابك العساكر، فلما قام القضاة ومُدّ السماط، قام الأمراء على العادة، فقام آبن أويس أيضا معهم ووقف، فأشار إليه السلطان بالجلوس فجلس، حتى فرغ الموكب، ولما آنقضت خدمة الإيوان دخل مع السلطان إلى القصر وحضر خدمة القصر أيضا، ثم خرج الأمراء بين يديه، حتى ركب وقدّامه جاويشـه ونقيب جيشه، فسار الأمراء فى خدمته إلى منزله.

ثمّ علّق السلطان جاليش السـفر إلى البـلاد الشامية على الطبلخاناه، فشرع الأمراء والمماليك وغيرهما فى تجهيز أحوالهم إلى السفر صحبة السلطان.

ثمّ فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور، ركب السلطان من القلعة ومعه السلطان أحمد بن أويس إلى مدينـة مصر (١) وعدّى النيل إلى برّ الجيزة، ونزل بالخيام ليتصـيّد، فأقام هناك ثلاثة أيام وعاد، وقد أذهل آبن أويس ما رأى من تجمّل المملكة وعظمتها من ندماء السلطان ومغانيـه وترتيبه فى مجلس موكبه وأنسـه ثم فى سـلخه قَدِم البريد من حلب بتوجّه الأمـير ألطنبغا الأشرفى نائب الرُّها (٢) كان، وهو يوم ذلك أتابك حلب (٣)، والأمير دُقمـاق المحمدى نائب مَلَطْية (٤) بعسكريهما

(١) يريد بها مصر القديمة.

(٢) الرها (بالقصر والمدّ): مدينـة بالجزيرة بين الموصل والشام سميت باسم الذى استحدثها وهو الرهاء بن البلندى بن مالك.

(٣) حلب بالتحريك مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء، وهى قصبة جند قنسرين (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٣٠٤).

(٤) ملطية: مدينـة شمالى حلب بميلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منهـا، وهى مدينة من بلاد الثغور، وقد عدها آبن حوقل من جملة بلاد الشام. وقال أبو الفداء إسماعيل فى تقويم البلدان: (إنها فى بلاد الروم، وعدها بعضهم من الثغور الجزرية. وكانت ملطية قديمة خربها الروم فبناها أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وجعل عليها سورا محكما، وهى بلدة ذات فواكه وأشجار وأنهار، فتحها =

وموافقتهما لطلائع تيمورلنك وهزيمتهما له ، بعد أن قتلا من اللَّنكيّة خلقا كثيرا ، وأسرا أيضا جماعة كبيرة ، وعاد إلى حلب بمائة رأس من التَّمُريّة .

وفي يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر ابتدأ السلطان بنفقة المماليك ، لكل مملوك مبلغ أَلْفَيْ درهم وعدّتهم خمسة آلاف مملوك ، فبلغت النفقة في المماليك خاصة عشرة آلاف درهم فضة ، سوى نفقة الأمراء وسوى ما حُمِل في الخزائن وسوى ما تكلفه لِلقَان أحمد بن أُوَيْس فيما مضى ، وفيما يأتي ذكره .

وبينما السلطان في ذلك قَدِم عليه كتاب تيمور يتضمن الإرداع والتخويف ، ونصُّه :

قل اللهم مالك الملك ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . إعلموا أَنَّا جندالله مخلوقون من سخطه ، ومسلَّطون على من حلّ عليه غضبه ، لا نَرِقّ لشاك ، ولا نرحم عَبْرة باك ، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا ، فالويل ثم الويلُ لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا ! قد خربنا البلاد ، وأيتمنا الأولاد ، وأظهرنا في الأرض الفساد ، وذلّت لنا أَعزَّتُها ، وملكنا بالشوكة أزمّتها ، فإن خُيِّل ذلك على السامع وأشكل ، وقال : إن فيه عليه مشكلا ، فقل : ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعِزَّة أهلها أذلّة﴾ ، وذلك لكثرة عَدَدنا ، وشدّة بأسنا ، فخيولُنا سوابق ، ورماحُنا خَوارِق ، وأَسِنَّتُها بوارق ، وسيوفُنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وجيوشُنا كعَدَد الرمال ، ونحن أبطال وأقيال ، ومُلْكنا لا يُرام ، وجارُنا لا يُضام ، وعزُّنا أبدا لسؤدُد مُنقام ، فمن سالمَنَا سَلِم ، ومن

= محمد الناصر يوم الأحد الحادي والعشرين من المحرم سنة ٧١٥ هـ . منها أبو الفرج الملطى عمدة المؤرخين المحققين المتوفى سنة ٦٨٥ هـ الملقب بابن العبرى (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣١ وتقويم البلدان وفهرس معجم الخريطة التاريخية للمالك الاسلامية للرحوم محمد أمين واصف بك وتاريخ سلاطين المماليك) .

حاربنا ندم، ومن تكلّم فينا بما لا يعلم جُهِّل . وأنتم فإن أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا، فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم وعلى بغيكم تماديتم، فلا تلوموا إلا أنفسكم، فالحصون منّا مع تشييدها لا تمنع، والمدائن بشدّتها لقتالنا لا تردّ ولا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُستجاب فينا فلا يُسْمع، فكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام، وظلمتم[1] جميع الأنام، وأخذتم أموال الأيتام، وقبلتم الرشوة من الحكّام، وأعددتم لكم النار وبئس المصير: ﴿إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ فبما فعلتم ذلك أوردتم أنفسكم موارد المهالك، وقد قتلتم العلماء، وعصيتم رب الأرض والسماء، وأرقتم دم الأشراف، وهذا والله هو البغى والإسراف، فأنتم بذلك فى النار خالدون، وفى غد ينادَى عليكم: ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾، فأبشروا بالمذلّة والهوان، يا أهل البغى والعدوان، وقد غلب عندكم أننا كفرة، وثبت عندنا والله أنكم الكفرَة الفجرَة، وقد سلطنا عليكم الإله، له أمور مقدّرة، وأحكام مُحرّرة، فعزيزكم عندنا ذليل، وكثيركم لدينا قليل، لأننا ملكنا الأرض شرقا وغربا، وأخذنا منكم كلّ سفينة غصبا، وقد أوضحنا لكم الخطاب، فأسرعوا بردّ الجواب، قبل أن ينكشف الغطاء، وتُضرِم الحربُ نارها، وتضع أوزارها، وتصير كلّ عين عليكم باكية، وينادى منادى الفراق: هل ترى لهم من باقية، ويُسمِعكم صارخ الفناء بعد أن يهزّكم هزا، ﴿هل تُحِسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾، وقد أنصفناكم إذ راسلناكم، فلا تقتلوا المرسَلين، كما فعلتم بالأولين، فتُخالفوا كعادتكم سنن الماضين، وتعصوا رب العالمين، ﴿فما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾، وقد أوضحنا لكم الكلام، فأرسلوا بردّ الجواب والسلام

(١) فى الأصلين : « وطغيتم »، وما أثبتناه يتزن به السياق .

فكتبَ جوابه بعد البسملة الشريفة : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعزّ من تشاء وتذل من تشاء﴾ ، وحصل الوقوف على ألفاظكم الكفريّة ، ونزغاتكم الشيطانية ، وكتابكم يخبرنا عن الحضرة الخانيّة ، وسيرة الكفرة الملائكية ، وأنكم مخلوقون من سخط الله ومسلطون على من حلّ عليه غضب الله ، وأنكم لا ترِقُّون لشاك ، ولا ترحمون عَبْرة باك ، وقد نزع الله الرحمةَ من قلوبكم ، فذاك أكبر عُيوبكم ، وهذه من صفات الشياطين ، لا من شِيَم السلاطين ، وتكفيكم هذه الشهادة الكافية ، و بما وصفتُم به أنفسَكم ناهية ، ﴿قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ماعبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين﴾ ففى كل كتاب لُعنتم ، وعلى لسان كل مُرْسَل نُعِتم ، و بكل قبيح وُصفتم ، وعندنا خبرُكم من حين خرجتُم ، أنكم كفرة ، ألا لعنة الله على الكافرين ، من تمسّك بالأصول فلا يُبالى بالفروع ، نحن المؤمنون حقًّا ، لا يدخل علينا عيب ، ولا يضرنا رَيْب ، القرآن علينا نزل ، وهو سبحانه رحيم لم يزل ، فتحققنا نزوله ، وعلِمنا ببركته تأويلَه ، فالنار لكم خُلِقت ، و بجلودكم أُضرِمت ، ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ ، ومن أعجب العجب تهديدُ الرتوت[(١)] بالتوت والسباع بالضباع والكماة بالكُراع ، نحن خيولنا برقيّة ، وسهامنا عربية ، وسيوفنا يمانية ، ولبوسنا مصرية ، وأكُفّنا شديدة المضارب ، وصفتنا مذكورة فى المشارق والمغارب ، إنْ قتلناكم فنعم البِضاعة ، و إن قُتل منا أحدٌ فبينه و بين الجنة ساعة ، ﴿ولا تحسبن الذين قُتِلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأنّ الله لا يضيع أجر

(١) الرتوت ؛ جمع رت . وهم : علية القوم وسادتهم .

المؤمنين ﴾ . وأمّا قولكم : قلوبنا كالجبال، وعددُنا كالرمال ، فالقصّاب لا يُبـالي بكثرة الغنم، وكثيرُ الحَطَب يُغنيه الضَّرم ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئـة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ الفـأر الفارّ من الزوايا ، وطول البلايا ، وآعلموا أنّ هجوم المنيّة، عندنا غايةُ الأمنية ، إن عِشنا عشنا سـعداء، وإن قُتلنا قُتلنا شهداء ألا إن حزب الله هم الغالبون أَبعدَ أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، تطلبون منا طاعة، لا سمعَ لكم ولا طاعة ، وطلبتم أن نُوضّح لكم أمرَنا ،قبل أن ينكشف الغطاء ، ففى نظمه تركيك، وفى سِلْكه تلبيك ، لو كُشف الغطاء لبان القصد بعد بيان، أكفرتُم بعد إيمان ، أم آتخذتم إلٰهًا(١) ثان ، وطلبتم من معلوم رأيكم، أن نتبـع دينكم، ﴿ لقد جِئتم شيئا إدًّا تكاد السـموات يتفطّرن منـه وتنشق الأرض وتَخِرّ الجبال هـدّا ﴾ قل : لكاتبك الذى وضع رسالتَه، ووصف مقالتَه، وصلَ كتابُك كضربِ رَبَاب، أو كطنين ذُباب، ﴿ كلّا سنكتبُ ما يقول ونَمـدُّ له من العذاب مدًّا، ونَرِثه ما يقول ﴾ إن شاء الله تعالى لقد لَبكْتم(٢)، فى الذى أرسلتُم، والسلام . انتهى .

فَعُرِض هذا الجوابُ على السلطان ثمّ خُتِم وأُرسِل إليه .

ثم فى سادس شهر ربيع الآخر المذكور عَرَض السلطان أجناد الحلقة الذين عُيِّنوا للسفر وعَيَّن منهم أربعمائة فارس للسفر صحبةَ السلطان وترك الباقى بالديار المصرية .

ثمّ فى سابعه خرجت مُدَوَّرة(٣) السـلطان من القاهرة ونُصِبت بالريدانيـة خارج القاهرة .

ثمّ فى يوم الأربعاء تاسعه عَقَد السلطان عقدَه على الخاتون تَنْدِى بنت حسين آبن أُويس وكانت قَدِمت مع عمها السلطان أحمد بن أُويس، ومبلغ الصداق ثلاثة

---

(١) فى م : (آلهتان) . (٢) لبكتم أى خلطتم فى الأمر .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢ من هذا الجزء .

آلاف دينـار وكان صرفُ الدينار إذ ذاك سـتة وعشرين درهما ونصفَ درهم ، وبَنَى عليها ليلة الخميس عاشره وهو يوم سفره إلى الشام .

وأصبح من الغـد فى يوم الخميس المذكور نزل السلطان من قلعـة الجبل إلى الإسطبْل[(١)] السلطانى ، ثمّ خرج من بابِ[(٢)] السلسلة إلى الرميلة[(٣)] وقد وقف القان أحمد ابن أُوَيس وجميعُ الأمراء وسائر العسكر مُلبسين آلةَ الحرب ومعهم أطلابُهم ، فسار السلطان وعليـه قَرْقَل[(٤)] بلا أكمام وعلى رأسـه كَلْفتة[(٥)] وتحته فرس بمرقّية من صوف سميك إلى باب القرافة والعساكر قد ملأت الرُّميلة فرتَّب هو بنفسه أطلابَ الأمراء ومرّ فى صفوفها ذهابا وإيابا غير مرّة ، حتى رتّبها أحسن ترتيب وصاحبُها ينظر وأخذ يُخالف فى تعبئة الأطلاب ، كلُّ تعبئة بخلاف الذى يتقدّمها ، حفِظتُ أنا غالبَها عن الأسـتاذ الأتابك آقبغا التمرازى عن أستاذه تمراز الناصرى النائب ولولا الإطالة والخروج عن المقصود لرسمتها هنا بالنقط . انتهى .

فلمّـا فَرَغ السلطان الملك الظاهر برقوق من تعبئة أطلاب أمرائه أخذ فى ترتيب طُلْب نفسه وجعله أمام أطلاب الأمراء كالجاليش لكثرة من كان به

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣ من هذا الجزء .

(٣) الرميلة من الميادين الواسـعة تحت قلعة الجبل بالقاهرة وتعرف الآن بالمنشية وبها ميدان صلاح الدين الأيوبى . راجع الحاشـية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) القرقل (قرقر) : نوع من الدروع التى كانت تستعمل فى الحروب .

(٥) الكلفتة : هى الكلوتة ولونها أصفر ، لباس من لباس الرأس ، وهى من رسم الدولة التركية ، يلبسها السلطان والأمراء وسائر العسكر ، ولها كلاليب بغير عمامة فوقها ، وتكون شعورهم مضفورة مدلاة وتوضع فى كيس حرير إما أحمر أو أصفر (عن دوزى ص ٣٨٧) .

وعبّاه قلبـا وجناحَ يمين وجناحَ شمال ورديفا وكمينا وأمر الكوسات والطبـول فدُقّت حربيّا .

ثمّ ترك جميعَ الأطلاب ومضَى فى خواصّه إلى قبة[1] الإمام الشافعىّ [رضى الله عنه] وزاره وتصدّق على الفقراء بمـال كثير خارج عن الحدّ، ثم سـار إلى المشهد[2] النفيسىّ وزاره وتصدّق به أيضا، وفى طول طريقه بجمـلة مستكثرة، ثمّ عاد إلى الرّميلة وأشار إلى طُلب السلطان فسار إلى نحو الرِّيدانيّة فى أعظم قوّة وأبهج زىّ وأفخـر هيئة وأحسن ملبس، جُرّ فيـه من خواصّ الخيل مائتا جنيب مُلْبسة آلة الحرب التى عظُمت من الآلات المذهبة والمفضّضة والمزُركشَة على آختلاف أنواعها وصفاتها التى تُحَيِّر العقول عند رؤيتها .

ثمّ أشار لأطلاب الأمراء فسـارت أيضا بأعظم هيئـة وقد تفاخر الأمراء أيضـا فى أطلابهـم وخرج كل طُلْب أحسن من الآخر حتى حاذوا القلعـة

(١) هذه القبة، أنشأها الملك الكامل محمد آبن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ٦٠٨ هـ . وذكر آبن إياس فى كتاب بدائع الزهور ص ١٩٨ ج ٢ أن الأشرف قايتباى أمر بتجديد عمارة قبـة الإمام الشافعى ولا تزال هذه القبة الجميلة المرتفعة قائمة إلى اليوم تعلو قبر الإمام الشافعى . ويوجد فوق القبة من الخارج فى مكان الهلال مركب صغير من النحاس تسـع من الحب قدر نصف إردب ، يوضـع فى هذا المركب لإطعام الطيور .

(٢) المشهد النفيسى — يستفاد مما ذكره المقريزى فى الجزء الثانى من خططه ص ٤٤٠ عن ذكر المشهد النفيسى والجامع بالمشهد النفيسى أن السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعا توفيت فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ ودفنت فى منزلها وهو الموضع الذى به قبرها الآن فى الخط الذى كان يعرف قديما بخط درب السباع . ولا يزال مشهد السيدة نفيسة داخل جامعها المعروف باسمها الشريف محفوظا بعناية الله إلى اليوم بشارع الأشرف بقسم الخليفة بالقاهرة . وأوّل من بنى على قبرها هو عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر فى سنة ٢١٠ هـ وأوّل من أنشأ المسجد المجاور لمشهدها هو الملك الناصر محمد بن قلاوون فى ٧١٤ هـ والبناء الحالى للجامع والمشهد جدّده ديوان عموم الأوقاف فى سنة ١٣١٤ هـ .

فوقفوا يمينا ويسارا حتى سار السلطان فى موكبه فى غاية العظمة والأُبَّهة وإلى جانبه القان أحمد بن أُوَيْس على فرس بقماش ذهب وبجانب آبن أويس الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ ثم الأمراء ميمنة وميسرة، كلٌّ واحد فى رتبته حتى آنقضى ممرّ السلطان وأمامه العساكر وخلفه، ثمّ سارت أطلاب الأمراء تريد الريدانية شيئا بعد شيء وسار السلطان حتى نزل بمخيّمه بالريدانيّة وأقام بها أياما .

ثمّ فى رابع عشره خلع على القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء باستقراره قاضى قضاة الشافعية بديار مصر، بعد عزل القاضى صدر الدين المُناوىّ ودخل من الرَّيْدانية إلى القاهرة ومعه تَغْرِى بَرْدِى من يَشبغا رأس نوبة النُّوَب (أعنى الوالد) والأمير قلمطاى من عثمان الدوادار الكبير وآقبغا اللكّاش رأس نوبة ثان وجماعة أخر .

ثم قدم على السلطان بالريدانية ولدُ الأمير نُعَير ومعه محضر أنّ أباه أخذ مدينة بغداد وخَطَب بها للسلطان الملك الظاهر برقوق، فخلع السلطان عليه ووعده بكل خير .

ثمّ كتب السلطان بإحضار الأمير أَلْطُنبغا المعلّم من ثغر دِمياط (١) .

ثمّ خلع السلطان على الأمير سُودون النائب لِيُقيم بالقاهرة فى مدّة غَيْبة السلطان، وعلى الأمير بجّاس لِيُقيم بالقلعة، وعلى الأمير محمود الأستادار، وعلى ولده وخلع على التاجر برهان الدين المحلّىّ، وعلى التاجر شهاب الدين أحمد بن مسلم، وعلى التاجر نور الدين على الخَرُّوبىّ لكون السلطان آقترض منهم مبلغ ألف ألف درهم .

ثمّ فى ثالث عشرينه رحَلَ السلطان بعساكره وأمرائه من الريدانية، بعد أن أقام بها نحو ثلاثة عشر يوما، وفرّق من الجمال فى المماليك نحو أربعة آلاف جمل،

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٠ من هذا الجزء .

ومن الخيل ألفى فرس وخمسمائة فرس ، وحمل معه أشياء كثيرة ممـا يحتاج السلطان إليه ، منها خمسة قناطير من العاج والآبنوس برسم الشِّطْرَنج الذى يلعب به السلطان ، وسببه أنه كان إذا لعب بشِطْرنج وفرغ من لعبه أخذه صاحب النَّوْبة وجدّد غيره ، وأشياء كثيرة أخر من هذه المقولة .

ثمّ فى ثامن عشرينه أرسـل السلطان يطلب بدر الدين محمود الكلستانىّ ، فأخذ محمود المذكور من خانقاة شَيْخون (١) فإنه كان من بعض صوفيتها وسـار وهو خائف وَجِل ، لأنه كان من ألزام ألطنبغا الجُوبانىّ إلى أن وصل إلى السلطان. وخبره أنّ السلطان كان ورد عليه كتاب من بعض الملوك بالعجمىّ ، فلم يعرف القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر يقرؤه ، فطلب السلطان من يقرؤه ، فنوه بعضُ من حضر من الأمراء بذكر الكلستانىّ هذا ، فَطُلِب لذلك وحضر وقرأه فأعجب السلطانَ قراءتُه ، فأمره بالسفر معه . فسافر صحبة السلطان وصار ينزل مع الأمير قلمطاى الدوادار كأنّه من بعض حواشيه فإنه كان فى غاية من الفقر إلى أن وصل إلى دمشق كما سنذكره .

وأما السلطان فإنه دخل دمشق فى عشرين جُمادَى الأولى وقام به إلى أن أخرج عسكرا إلى البلاد الحلبية فى سـابع عشر شهر رجب ، وعليهم الأميرُ الكبير كمشبغا الحموىّ والأمير بَكْلَمش أمير سـلاح والأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس و بيبرس ابن أخت السلطان الملك الظاهر برقوق ، ونائب صفد (٢) ونائب غزّة ، كل ذلك والسلطان مقيم بدمشق فى انتظار قدوم تَيْمورلَنْك .

ثم أمر السلطان للقان غياث الدين أحمد بن أُوَيس بالتوجه إلى محـل مملكته ببغـداد ، فخرج من دمشـق فى يوم الاثنين أوّل شعبان من سنة ست وتسعين

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .
(٢) صفد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام من جبال لبنان .

المذكورة ، بعد ما قام له السلطان بجميع ما يَحْتاج إليه ، وعند وَداعه خلَع عليه الملك الظاهر خلعة أطلسين مُثَمَّرا وقلَّده بسيف مُسَقَّط بذهب ، وكَتَب له تقليدا بسلطنة بغداد ، وناولَه إيّاه ، فأرادَ أحمد بن أُوَيْس أن يُقَبِّل الأرض فلم يُمَكّنه السلطان من ذلك ، إجلالا له وتعظيما فى حقه ، وقام له وعانقه وودعه ، ثم آفترقا ، وكان ما أَنعم به السلطان الملكُ الظاهر على القان غِياث الدين أحمد بن أُوَيس عند سفره خاصّةً من النقد خمسمائة ألف درهم ، سوى الخيل والجمال والسلاح والمماليك والقُماش السكندرىّ وغير ذلك ، وآستمرّ آبن أُوَيس بمخيّمه خارج دمشق إلى يوم ثالث عشر شعبان ، فسافر إلى جهة بغداد بعد أن أظهر الملك الظاهر من علوّ همته ومكارمه وإنعامه لآبن أويس المذكور ما أدهشه .

قلت : هكذا تكون الشِّيَم الملوكية ، وإظهار الناموس ، وبَذْل الأموال فى إقامة الحُرمة ، مع أن الملك الظاهر لم يخرج من الديار المصرية ، حتّى تحمّل جملةً كبيرة من الديون ، فإنه من يوم حُبِس بالكرك[1] ومَلَك الناصرىّ ومنطاش ديارَ مصر فرّقا جميع ما كان فى الخزائن السلطانية ، وحضر الملك الظاهر من الكَرَك فلم يجد فى الخزائن ما قلّ ولا كَثُر وصار مهما حصّله أنفقه فى التجاريد والكُلَف ، فلله دَرُّه من مَلِك ! على أنه كان غيرَ مشكور فى قومه .

حدّثنى غيرُ واحد من حواشى الأسياد أولاد السلاطين ، قالوا : كُنّا نقول من يوم تسلطن هذا المملوك : هذا الكَعْب الشؤم نشَّفت القلعةَ من الرِّزق وخَربت الدنيا هذا ، وكان الذى يُصرف يوم ذلك على نزول السلطان إلى سَرْحة سِرْياقوس[2] بكُلْفة

(١) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدا فى أطراف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٣١٢) .

(٢) سرياقوس من القرى القديمة فى مصر ، وهى الآن من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية واقعة على الشاطىء الشرقى لترعة الاسماعلية فى شمال القاهرة وعلى بعد ١٨ كيلو مترا منها

ملوك زماننا هذا ! من أوّل السنة إلى آخرها ، فلعَمْرِى ! هل الأرزاق قلّت أم الهمة آضمحلّت ! وما الشيء إلا كما كان وزيادة ، غيرَ أنّ قِلّة العِرفان تمنع السيادة . انتهى .

وفى يوم ثانى شعبان خلع السلطان على الشيخ بدر الدين محمود الكلستانى المقدّم ذكرُه بآستقراره فى كتابة سِرّ مصر ، بعد موت القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله ، وكانت تولية الكلستانى هـذه الوظيفةَ كتابة السرّ من غريب الآتفاق ، كونه كان فقيرا مُمْلِقا خائفا من السلطان ، وعنـد طلب السلطان له من خانقاه شَيْخون (١) لقراءة الكتّاب الوارد عليه من العَجَم لم يخرُج من الخانقاه حتى أوصى .

ثم إنّه بعـد قراءة الكتّاب سافر صُحبة السلطان إلى دِمَشق وآشتغل السلطان بمـا هو فيه عنـه ، فضاق عيشُه إلى الغـاية وبَقِى فى أعوز حال وبات ليلته يتفكّر فى عمل أبيات يمدَح بهـا قاضى دِمَشق ، لعلّه يُنعم عليـه بشيء يَرُدّ به رَمَقه . فنَظَم قصيدة هائلة وكان بارعا فى فنون عديدة ، وأصبح من الغـد ليتوجه بالقصيدة إلى القاضى ، فجاءه قاصدُ السلطان بولاية كتابة سرّ مصر فجاءته السعادةُ فجأة .

وكان من أمر السلطان أنه لمّـا مات كاتب السرّ طَلَب مَن يُوليـه كتابة السرّ فذُكِر له جماعةٌ وبذلوا له مالا ، له صورةٌ ، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك وأراد مَنْ يكون كفئًا لهـذه الوظيفة التى يكون متولّيها صاحبَ لسان وقلَم فلم يجد غيرَ الكلستانى المذكور ، وكان أهلا لها ، فطلبه وولّاه كتابة السرّ ، فباشرها على أجمل وجه . انتهى .

ثمّ قَـدِم على السلطان رُسُل طقتَمُش خان صاحب كُرسى بلاد القَفْجاق (٢) بأنه يكون عونا مع السلطان على تَيْمُورْلَنك ، فأجابه السلطان لذلك .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٣١ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لهـا شرحا وافيا .

(٢) القبجاق (القفجاق) : جنس من الترك يسكنون صحارى تسمى صحارى الدشت ، أو صحارى القبجاق ، أهل حل وترحال ، على عادة البدو (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٦) .

ثم قَدمت رسل خَوَنْدكارَ يلْدرم با يزيد بن عثمان متملّك بلاد الروم بأنّه جهز لنُصرة السلطان مائتى ألف درهم، وأنّه ينتظر مايرد عليه من جواب السلطان ليعتمدَه.

ثم قَدِم رسول القاضى برهان الدين أحمد صاحب سِيواس(١) بأنّه فى طاعة السلطان ويترقّب ورودَ المراسيم السلطانية الشريفة عليه بالمسير إلى جهة يعيّنه السلطان إليها، عند قدوم تَيْمور، فكُتِب جوابُ الجميع بالشكر والثناء وبما آختاره السلطان.

ثم فى أوّل ذى القعدة خرج السلطان من دِمَشق يريد البلاد الحلبية وسار حتى دخلها فى العشر الأوسط من ذى القعدة.

وبعد دخوله حلب بأيام قليلة، عَزَل نائبَها الأمير جُلْبان من كَمَشْبُغا الظاهرىّ المعروف بقراسقل، وخلع على الوالد بآستقراره عوضه فى نيابة حلب، وأنعم على الأمير جُلْبان المذكور بإقطاع الوالد وإمرته، وهى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، ولم يستقرّ به فى وظيفته، وكانت وظيفة الوالد قبل نيابة حلب رأسَ نَوْبة النُّوب.

ثم أمسك السلطان الأمير دِمِرْداش المحمدىّ نائب طرابُلس وحبسه وخلع على الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرىّ نائب صفد بآستقراره عوضه فى نيابة طرابلس، وخلع على الأمير آقبغا الجمالى الظاهرى أتابك حلب بآستقراره فى نيابة صفد(٢)، عوضا عن أرغون شاه الإبراهيمى، وخلع على الأمير دُقماق المحمّدىّ الظاهرىّ بآستقراره فى نيابة مَلَطْيَة، وعلى الأمير كور مُقْبل بآستقراره فى نيابة طَرَسُوس(٣).

(١) سيواس (بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت): إقليم بالروم، وهى بلدة كبيرة مشهورة بينها وبين قيسارية ستون ميلا (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل).

(٢) راجع الحاشية رقم ١ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا.

(٣) طرسوس (بفتح أوّله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة): مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم عن معجم البلدان (ج ٣ ص ٥٢٦).

ثم قبض السلطان على عدّة أمراء من أمراء حلب : منهـم الأمير أَلْطُنبغا الأشرفى ، والأمير تمرباى الأشرفى ، وقطلوشاه المـارِدِينى ، وحُبِس الجميع بقلعة حلب وآنفضّ الموكب ، والوالد واقفٌ لم يتوجه ، فقال له السلطان : لم لاتتوجه ! فقال : يا مولانا السلطان ! أَستحى أنزل من النـاس يُمسَك أخى دِمِرداش نائب طرابُلُس(١) وأتولّى أنا نيابة حلب ! وما يقبل السلطان شفاعتى فيه ، فقال له السلطان : قَبِلت شفاعتك فيه ، غير أنه يمكُث فى السجن أيّاما ، ثم أُفرِج عنه لأجلك ، لئلا يقال : يُمْسك السـلطان نائبَ طرابلس ويُطْلقه من يومه ! فيصـير ذلك وهْنًا فى المملكة ، فقال : — الوالد رحمه الله — : السلطان يتصرّف فى ممـاليكه كيف يشاء ، ما علينا من قول القائل ! ثم قَبّل الأرضَ ويدَ السـلطان ، فتبسّم السلطان ، وأمر بإطلاق دِمِرداش وحضوره ، لحضر من وقته ، نخلع عليه بأتابكية حلب عوضا عن آقبغا الجمالى المستقرّ فى نيابة صـفد ، ثم قال له السلطان : خذ أخاك وآنزل ، فكانت

(١) طرابلس : سماها المؤرخون اليونان تريپوليس أى المدن الثلاث ، لأنها كانت مؤلفة من ثلاث مستعمرات ، أسسها أهالى صور وصيدا وأرواد وكانت زاهرة فى عهد الرومان ، وقد دخلها العرب دون أن يلقوا مقاومة سنة ١٧ هـ وآستولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ بعـد حصار طويل ؛ شيدوا فى خلاله على رابية بالقرب من المدينـة قصرا حصينا لا يزال إلى اليوم ، و يعرف باسم قلعة صنجيل وسقطت بعـد ١٨٥ سنة فى أيدى قلاوون سلطان مصر سنة ٦٨٨ هـ فدمّرها وشيد على أنقاضها مدينة جديدة وقد خربت أبنيتها مرارا فى العصور الوسطى على أثر زلازل قوية .

والمدينة الحالية واقعة بالقرب من القصر الحصين على نهر أبى علىّ على مسافة كيلو مترين من البحر وعلى بعد ٦٧ كيلو مترا من بيروت شمالا بانحراف إلى الشرق ، وعلى بعد ثلاث كيلو مترات من طرابلس إلى الشمال الغربى ، يوجد الميناء ، الذى هو بلدة قائمة بنفسها وفيه خمسة آلاف نفس وهو متصل بالمدينة بخط ترام . وفى السهل بين المدينة والميناء كثير من أشجار البرتقال والليمون . وعدد سكان المدينة بخلاف الميناء ٢٧ ألف نفس ، وهى تعد مدينة ذات حركة تجارية كبيرة (انظر لبنان بعد الحرب لأديب باشا ص ٩٧ ، وانظر حوادث هذه السنوات فى النجوم الزاهرة طبع دار الكتب) .

هـذه الواقعة أول عظمة نالت الوالدَ من أسـتاذه الملك الظاهر برقوق . انتهى هذا الخبر .

والأخبار ترِد على السلطان شيئا بعـد شىء من بلاد الشمال بعَوْد تَيْمورلنك إلى بلاده والسلطان لا يصدّق ذلك . ويَتَقحّم(١) على لقاء تيمورلنك ، فلم يجسُر تيمـور على القدوم إلى البلاد الشامية مخافةً من الملك الظاهر برقوق ، وتوجّه إلى بلاده ، فلما تحقّق السلطان عودَه تأسّف على عدم لقائه ، وخرج من حلب بعساكره فى سابع محرّم سنة سبع وتسعين وسبعمائة يريد دِمَشق ، فوصلها ولم يُقِم بها إلا أياما قليلة لطول إقامته بها فى ذَهابه ، وخرج منها بعساكره فى سابع عشر المحرّم المذكور ، يريد الديار المصرية ، بعد أن خلَع على الأمير بَخْشاص السودونى حاجب حجّاب الديار المصرية بآستقراره فى نيـابة الكرك ، عوضا عن الأمير شهاب الدين أحمد آبن الشيخ علىّ ، ونَقل الشهابىّ المذكور إلى حجوبية دمشق الكبرى ، عوضًا عن الأمير تَمربُغا المَنْجَكى بحكم قدوم تمربغا المنجكىّ إلى مصر صحبة السـلطان ، وسار السلطان إلى أن وصل مدينة قَطْيا(٢) ، فأمسك مملوكه الأمير جُلبان الكَمَشْبُغاوىّ قراسقل المعزول عن نيابة حلب وبعثه من قَطْيا فى البحر إلى ثغر دِمْياط ، وسار السلطان من قَطْيا حتى وصل إلى ديار مصر فى ثامن عشر صـفر ، وطلع إلى القلعة من يومه ، بعـد أن آحْتَفل

(١) يتقحم : يريد لقاءه فى أقرب وقت .

(٢) قطيا (قطية) وهى : قرية من نواحى الجفـار فى الطريق بين مصر والشام فى وسـط الرمل قرب الفرما ، وبها جامع ومارستان (مستشفى) وبها والى طبلخاناه مقـيم لأخذ العشر من التجار ، وبها قاض وناظر وشهود ومباشرون ، ولا يمكن لأحد من الجواز من مصر إلى الشام وبالعكس إلا بجواز مرور ، فهى مزم الدرب ، لا يمكن الدخول إلى مصر إلا منها ، وكان بها مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر . وأقول : قد اندثرت هـذه القرية ولم يبق إلا أطلالهـا فى الطريق بين القنطرة والعريش فى الجنوب الشرقى من محطة الرمانة (الرومانى قديمـا) وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها .

النـاس لطلوعه، وزُيِّنت القاهرة أياما ، غير أن الغلاء كان حصل قبل قدوم السلطان ، فتزايد بعد حضوره لكثرة العساكر .

ومن يومئذ صفا الوقت للملك الظاهر ، وصارت مماليكُه نوابَ البلاد الشامية من أبواب الروم إلى مصر، وأخذ السلطان يُكثر من الركوب والتوجّه إلى الصيد ، وعَمِل له الأمير تَمُربُغا المَنْجَكى شرابًا من زبيب ، يسمى التمربُغاوى ، وأقبل السلطان على الشرب منه مع الأمراء ، ولم يكن يُعرف منه السُّكْرُ قبل ذلك .

ثم أنعم السلطان على الأمير فارس من قُطْلوجا الظاهرى الأعرج بإمرة مائة وتقدمة ألف وولّاه حجوبية الحجاب عوضا عن يَتْخاص السودونى المستقر فى نيابة الكرك . وأنعم على الأمير نَوْرُوز الحافِظى الظاهرى بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، عوضا عن الوالد ، وهو الإقطاع الذى كان أنعم به السلطان على جُلْبان نائب حلب .

ثم أنعم السلطان على الأمير أرْغون شاه البَيْدَمُرى بإمرة مائة وتقدمة ألف ، وأنعم السلطان أيضا على كل من تَمُربُغا المَنْجكى ، وصلاح الدين محمد بن محمد تَنْكِز وصَرغتمش المحمدى الظاهرى بإمرة طبلخاناه ، وأنعم أيضا على كل من مُقْبِل الرومى ، وآقباى من حُسَين شاه الظاهرى ، وآق بلاط الأحمدى ، ومَنْكَلى بغا الناصرى بإمرة عشرة .

ثم بعد أشهر خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى الظاهرى باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن الوالد بحكم انتقاله إلى نيابة حلب ، وكانت شاغرة من تلك الأيام .

ثم قَبَض السلطان على الأمير محمود بن على الأستادار المعروف بابن أصفر عَيْنَه فى صفر سنة ثمان وتسعين[1] ، وعلى ولده وعلى كاتبه ، سعد الدين إبراهيم بن غُراب

(١) رواية «ف» : « فى صفر سنة سبع وتسعين »

وخلع السلطان على قطلو بك العلائى أستادار الأمير أيتمش باستقراره فى الأستادارية، عوضا عن محمود المذكور. وأنعم السلطان عليه بإمرة عشرين، وآستمر محمود على إمرته وهو مريض محتَفِظ به ، وخلع السلطان أيضا على سعد الدين إبراهيم بن غُراب كاتب محمود بآستقراره ناظر ديوان المفرد وهذا أول ظهور آبن غراب فى الدولة الظاهرية، وآستمال السلطان آبنَ غراب ، فأخذ يدُلُّ على ذخائر أُستاذه محمود ، ومحمود فى المصادرة إلى أن أظهر شيئا كثيرا من المال :

ثم أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بإمرة طبلخاناه وهم : طولو من على باشاه الظاهرى، و يلبغا الناصرى- الظاهرى-، وشاذى نجا الظاهرى العثمانى، وقَنْبار العلائى، وأنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرة وهم: طَيْبُغا الحلبى الظاهرى، وسُودون من على- باشاه الظاهرى المعروف بسُودُون طاز، ويعقوب شاه الخازندار الظاهرى ويَشبك الشعبانى الخازندار وتمان تمر الإِشقَتَمُرى- رأس نَوْبة الجَمَدَارِيّة .

ثم خلع السلطان على الأمير فارس الحَاجب بآستقراره فى نظر الشيخونية[(١)] وخلع على الأمير تمربغا المنجكى- حاجبا ثانيا بتقدمة ألف .

وفى هذه الأيام عَظُم الغلاء وفَقَد الخبزُ من الدكاكين .

وفى آخر ذى القعدة آستقر سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود فى وظيفة نظر الخاصّ بعد القبض على سعد الدين بن أبى الفرج بن تاج الدين موسى .

---

(١) هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خانقاه شيخو حيث قال (فى ص ٤٢١ ج ٢) من خططه : إن هذه الخانقاه فى خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخون ، أنشأها الأمير زين الدين شيخون العمرى فى سنة ٧٥٦ ﻫ ، كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون ، رتب فيها دروسا لفقهاء المذاهب الأربعة ودرسا للحديث ودرسا لإقراء القرآن بالروايات .

ثم رَسَم السلطان بإحضار الأمير محمود فَحُمِل إلى بين يدى السلطان ، وهو فى ألم عظيم من العَصْر والضرب والعقوبة ، فانتصب إليه كاتبه سـعد الدين إبراهيم بن غُراب فى محاققته والفُحْش له فى الكلام ، حتى آمتـلأ السلطان غَضَبا على محمود وأمر بعقوبته حتى يموت من عِظَم ما أغراه سعد الدين المذكور به .

ثم ورد الخـبرُ بقدوم الأمير تَنَم الحَسَنِىّ نائب الشام ، وكان خرج بطُلْبه الأمير سُودون طاز ، وقَدِم من الغد فى يوم الآثنين ثالث صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، بعد أن خرج السلطان إلى لقائه بالرَّيْدَانية[1] ، وجلس له على مطعم الطير[2] ، و بعث الأمراء والقضاة إليه فسلّموا عليـه ، ثم أَتَوْا به ، فقَبّل الأرض ، فخلع عليه خلعة بآستمراره على نيابة دِمَشق .

ثم قَدّم من الغد تقدمته ، وكانت تقدمة جليلة ، وهى عشرة كواهِى[3] وعشرة مماليك صِغار فى غاية الحسن ، وعشرة آلاف دينار ، وثلاثمائة ألف درهم فضة ، ومصحف عليه قراءات وسَيْف مُسَقّط ذهب مرصّع ، وعِصابته مُنسبكة من ذهب مرصَّع ، بجوهر نفيس وبدلة فرس من ذهب ، فيها أربعمائة مثقال ذهب ، وكان أجرةُ صائغها ثلاثة آلاف درهم فِضّـة ، ومائة وخمسين بقجة فيهـا أنواع الفرو ، ومائة وخمسين

---

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لهـا شرحا وافيا .

(٢) مطعم الطير يقع فى المنطقة التى بها اليوم جبانة العباسية المعروفة بقرافة الغفير ، وكان مطعم الطير واقعا بالريدانية فى المنطقة التى تتوسطها اليوم قبة الملك العادل طومانباى القائمة إلى اليوم بين ثكنات الجيش شرقى سراى الزعفران التى بشارع الخليفة المأمون وعلى بعد ٤٠٠ مترا منها ، يؤيد ذلك ما ورد فى حوادث يوم ١٧ ربيع الأول سنة ٧٩٦ هـ الآتى ذكرها فى هذا الكتاب وما ورد فى (ص ١٧٦ ج ٢ وص ١٥٥ وص ٢٢٨ ج ٣ من كتاب تاريخ مصر لآبن إياس) .

(٣) كواهى : أى صقور برسم الصيد قدمها الأمير تنم الحسنى للسلطان الظاهر برقوق عند قدومه من السفر . (انظر قاموس دوزى ص ٤٩٦) .

فرسا، وخمسين جملا، وخمسة وعشرين جملا من نصافى ونحوه، وثلاثين جملا فاكهة وحلوى . فخلع السلطان على أرباب(١) الوظائف .

ثم نزل السلطان بعد أيام إلى برّ الجيزة(٢)، ومعه الأمير تنم وغيره، وتصيّد ببرّ الجيزة . ثم عاد . وعمل السلطان الموكب بدار العدل فى يوم سابع عشر صفر من سنة تسع وتسعين المذكورة، وخلع على الأمير تنم خلعة الآستمرار ثانيا، وجرّت له من الإسطبل ثمانى جنائب بكنابيش وسروج ذهب، فتقدّم تنم، وشفع فى الأمير جلبان الكمشبغاوى المعزول عن نيابة حلب، فقبل السلطان شفاعته، وخرج البريد بطلبه من ثغر دمياط(٣)، فقدم بعد أيام، وقبّل الأرض بين يدى السلطان، فأنعم عليه السلطان بإقطاع الأمير إياس الجرجاوى(٤) وخلع عليه بأتابكية دمشق عوضا عن

(١) رواية : «ف» : « فأخلع السلطان على أصحاب وظائفه » .

(٢) الجيزة : معناها الناحية والجانب، وجمعها جيز، والجيز جانب الوادى، وقد يقال فيه : الجيزة، أنشأها العرب فى سنة ٢١ هـ (= ٦٤٢) على الشاطئ الغربى للنيل وسموها الجيزة، لأنها فى المكان الذى اجتازوا فيه نهر النيل، بين الفسطاط وبين جانب الوادى الغربى الممتد من الجيزة إلى الجبل . وكانت مدينة الجيزة فى عهد العرب قاعدة لكورة الجيزة، وفى عهد المماليك قاعدة للأعمال الجيزية وفى عهد العثمانيين قاعدة لولاية الجيزة التى سميت مديرية الجيزة فى سنة ١٢٤٩ هـ — سنة ١٨٣٣ م . ولم تزل هذه المدينة قاعدة لها إلى اليوم .

(٣) هى من ثغور مصر القديمة، واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل المسمى باسمها بينها وبين مصبه فى البحر الأبيض المتوسط ١٥ كيلومترا وهى اليوم إحدى محافظات مصر .

(٤) وجدنا لوحة منفردة فى نسخة «ف» تأخذ رقم ص ٢٥٥ وهو رقم اللوحة التى قبلها، مكتوب فى وسطها العبارة الآتية : «الحمد لله قال شيخ الإسلام ابن حجر فى حوادث سنة سبع وتسعين وسبعمائة : وفى تاسع شهر ربيع الأول عقد مجلس حضر فيه شيخ الإسلام البلقينى والقضاة والفقهاء عند السلطان وأحضر رجل عجمى، تفقه على مذهب أبى حنيفة يقال له : مصطفى القرمانى وأنه كتب شيئا فى الفقه قال فيه : ولا يبول أحد إلى الشمس والقمر، لأنهما عبدا من دون الله تعالى . ونسب سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما نزهه الله من عبادتهما، فأراد قاضى المالكية ابن التنسى الحكم بقتله، فاعتنى به جماعة من الأمراء وسألوا السلطان أن يفوض أمره إلى قاضى الحنفية جمال الدين محمود العجمى، فأجابهم السلطان، فكشف الحنفى رأسه وأرسله إلى الحبس، ثم أحضره بعد ثلاثة أيام، فضربه وحبسه ثانيا ثم أفرج عنه بعد أن حكم بإسلامه» . انتهى .

إياس المذكور بحكم القَبْض عليه وحضوره إلى الديار المصرية، وبعث إليه ثمانية أفراس بقماش ذهب (أعنى عن جُلبان).

ثم أمر السلطان أن يُسلِّم الأميرُ إياس الجرْجاوى إلى آبن الطبلاوى ليخلِّص منه الأموال، فأخذه آبنُ الطبلاوىّ فآلتزم بحمل خمسمائة ألف درهم وبعث مملوكَه لإحضار ماله وهو مريض. فمات إياس بعد يومين، وآختلف الناس فى موته، فنهم من قال: إنه كان معه خاتَمٌ فيه سُمٌّ فشَرِبه فمات منه قَهْرًا مما فعله معه الملك الظاهر، ومنهم من قال: إنه مات من مرضه. والله أعلم بحاله.

ثم فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول أمسك السلطان الوزير سعد الدين نصر الله بن البَقَرىّ وولده تاج الدين وسائر حواشيه، وخلع على بدر الدين محمد بن محمد بن الطُّوخىّ[1] وآستقر عوضه فى الوزارة وآستقر فى نظر الدولة سعد الدين ابن الهَيْصَم.

ثم خلع السلطان على شرف الدين محمد بن الدَّمامِينى بآستقراره فى وظيفة نظر الجيش بديار مصر بعد موت القاضى جمال الدين محمود القيصرى العجمىّ، نُقل إليها من حِسْبة القاهرة.

ثم من الغد فى يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الأول المذكور آستقر القاضى شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابُلُسى قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن جمال الدين محمود القَيْصَرى المقدّم ذكره.

ثم فى خامس عشرينه قَدِمت هدية مُمَهِّد الدين إسماعيل آبن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رَسُول ملك اليمن صحبة التاجر

(١) رواية «ف» «محمد بن محمد الطوخى».

برهان الدين إبراهيم المحلّى[(1)] والطواشى افتخار الدين فاخر، وهى عشرة خُدّام طواشية وبعض عَبيد حُبوش وست جوار وسيف بحِلْية ذهب مرصَّع بعقيق وحياصة بعواميد عقيق مكلَّلة بلؤلؤ كِبار ووَجْه فرس عَقيق ومرآة هندية محلّاة بفضّة قد رُصعت بعقيق و براشم[(2)] برسم الخيول عشرة ورماح عِدّة مائتين وشِطْرَنج عقيق أبيض وأحمر وأربع مراوح مصفَّحة بذهب ومِسْك ألف مِثقال وسبعون أوقية زباد[(3)] ومائة مضرَّب غالية ومائتان وستة عشر رطلا من العود وثلاثمائة وأربعون رطلا من اللّبان وثلاثمائة وأربعة وستون رطلا من الصَّندل[(4)] وأربعة بَرَانى من الشّند[(5)] وسبعمائة رطل من الحرير الخام ومن البهار والاقطاع والصينى وغير ذلك من تحف اليمن فشىء كثير .

ثم فى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى نُقل الأمير جمال الدين محمود الأستادار إلى خزانة شمائل[(6)] وهو مريض .

وفى سادس عشر جمادى الآخرة أنعم على الأمير يَنْسق الشَّيْخى بإمرة طبلخاناه .

ثم خلع السلطان على الأمير صَرْغتمش القَزْوينى باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير قُدَيد عنها ونَفْيه إلى القُدس[(7)] بطّالا ، وأنعم السلطان على الأمير شيخ

(1) رواية (ف) : « المحلى » . (2) جمع ، برشوم وهو برقع يستعمل للخيل .
(3) الزباد : حيوان ثدبى من ذوات الأسنان الحادة كالأسد والنمر والقط ، يوجد تحت ذيله جيب تؤخذ منه مادّة ذات رائحة قوية ، تستخرج منها رائحة ذكية . (عن دوزى) . (4) الصندل : نوع من الخشب له رائحة تشبه رائحة النعناع . (عن دوزى) . (5) الشند : نوع من الرياحين يجلب من الحجاز يوضع فى محار (عن دوزى) . (6) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .
(7) هى أورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت فى أيدى الصليبيين فى ١٥ يولية سنة ١٠٩٩ وأسسوا فيها مملكة استمرت حتى خلصها منهم صلاح الدين الأيوبى ، بعد معركة فاصلة فى ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ م . وكان ذلك سبب الحروب الصليبية الثالثة ينسب اليها أبو عبد الله المقدسى الجغرافى المشهور صاحب كتاب : « أحسن التقاسيم » المتوفى سنة ٣٧٥ هـ . سكانها ٨٥ ألف نسمة وتقع على خط عرض ٤٧/٣١ شمالا وخط طول ١٤/٣٥ شرقا (راجع فهرس الخريطة التاريخية لأمين واصف بك وأطلس فيليب » .

المحمودى الساقى الظاهرى (أعنى عن الملك المؤيّد) بإمرة طبلخاناه، عوضا عن صَرْغتمش القَزْوِينى المتولى نيابة الإسكندرية وأنعم بإقطاع شيخ المحمودى وهو إمرة عشرة على الأمير طُغُنْجى نائب البِيرَة (١)، وأنعم السلطان أيضا على يَشبك العثمانى الظاهرى بإقطاع الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن تَنْكِز.

ثم فى سادس عشرينه آستقرّ الأمير يلبغا الأحمدى الظاهرى المعروف بالمجنون أستادار السلطان، عوضا عن قُطلوبَك العَلائى وآستقرّ قُطلوبك على إمرة عشرين (٢).

ثم فى يوم الآثنين ثامن محـرم سنة ثمـانمـائة توجّه السلطان إلى سَرْحة سِرْياقوس (٣) بعساكره وحَرِيمه على العـادة فى كل سـنة، فأقام به أياما على ما يأتى ذكرُه.

وفى ثانى عشر المحرم المذكور خرج الأمير بَكْتَمُر جِلَّق الظاهرى على البريد إلى حلب لإحضار الوالد — رحمه الله وعفا عنـه — بعد عزله عن نيابة حلب وكَتَبَ بآنتقال الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى نائب طَرَابُلُس إلى نيـابة حلب عوضا عن الوالد، وخرج الأمير يشبك العثمانى بتقليد أرغون شاه المذكور، ورَسَم بآنتقال الأمير آقبغـا الجمالى الظاهرى من نيابة صَفَد إلى نيـابة طَرَابُلُس عوضا عن أَرْغون شاه المذكور، وتوجّه بتقليده الأمير أَزْدَمُر أخو إينال ومعـه أيضا خِلْعـة للأمير تَنَم الحسنى بآستمراره فى نيـابة الشام، ورسَمَ بآنتقال الأمـير شهاب الدين أحمد آبن الشيخ على حاجب حُجّاب دمشق إلى نيـابة صفد عوضـا

(١) البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة مرتفعة على حافة الفرات فى البرّ الشرقى الشمالى، ولها واد يعرف بوادى الزيتون، به أشجار وأعين (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل).

(٢) رواية «ف» «عشرة».

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

عن آقُبغا الجمالى المذكور، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير يلبغا الناصرى الظاهرى رأس نوبة .

ثم قَدِم فى هذه الأيام جماعةٌ من سوابق الحاجّ وأخبروا أنه هَلَك بالسبع وعَرات[1] من شِدّة الحر نحو ستمائة إنسان .

ثم عاد السلطان من سَرْحة سِرْياقُوس فى خامس عشرينه ولم يخرج إليها بعد ذلك ، ولا أحدٌ من السلاطين وبَطَلَت عوائدُها وخُرِّبت تلك القصورُ ، وكانت من أجمل عوائد الملوك وأحسنها ، وكان النزول إلى سِرْياقوس يُضاهى نزولَ السلطان إلى الميدان[2] فالمَيادين أبطلها الملك الظاهر وسِرْياقوس أبطله الملك الناصر ، ثم صار كل ملك يأتى بعد ذلك يُبْطِل نوعا من تراتيب مصر ، حتى

(١) كذا وردت هذه العبارة بالأصلين . والذى فى الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ٢٧ ما نصه : وسار قبل الظهر بأربعين درجة إلى أن قطع بقية الوعرات كلا ، وعددها سبع كبار ويليها سبع أخر دونها ، وتسمى هذه المرحلة بالسبع وعرات وبالمحاطب أيضا لكثرة الشجر بها ، والذى يلوح لنا أنه يريد بالوعرات الطرق الوعرة التى يصعب على المار اجتيازها .

(٢) ميدان الناصر محمد بن قلاوون الذى استجده ، وهذا الميدان ذكره المقريزى فى خططه (ص ٢٠٠ ج ٢) باسم الميدان الناصرى فقال : إن هذا الميدان من جملة أرض الخشاب فيا بين مدينة مصر والقاهرة ، ففى سنة ٧١٤ هـ جعل الناصر محمد بن قلاوون الميدان الظاهرى بستانا وأنشأ بدلا عنه الميدان بأراضى بستان الخشاب على النيل ، وقد أعد فى سنة ٧١٨ هـ للركوب إليه والسباق فيه ، وقد عرف هذا الميدان بالميدان الناصرى أو الميدان الكبير أو الميدان السلطانى . ومما ذكره المقريزى فى خططه يتبين أن هذا الميدان كان واقعا فى المنطقة التى تحد اليوم من الغرب بشارع القصر العالى على النيل ومن الجنوب شارع والدة باشا بأرض القصر العالى ، ومن الشرق شارع قصر العينى ، ومن الشمال شارع رستم باشا وما فى امتداده إلى النيل ، وكان هذا الميدان معدا للسباق لغاية أيام دولة المماليك ، ثم أهمل فى العصر العثمانى وأنشئت على أرضه بساتين . ومن يطلع على خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية سنة ١٨٠٠ م يرى أن الميدان الجديد يقع على الجانب الشرقى من شارع قصر العينى .

ذهب الآن جميعُ شِعار الملوك السالفة وصار الفَرْق بين سلطنة مصر ونيابة الأَبُلُسْتَين(١) آسم السلطنة ولُبْس الكَلَفْتاة فى المواكب لاغير .

قلت : والفرق بين براعة الآستهلال وبين براعة المقطع واضحٌ .

ثم فى يوم الآثنين تاسع عشرين المحـرّم من سـنة ثمـانمـائة المذكورة قبض السلطان فى وقت الخدمة بالقصر على الأمير الكبير كَمَشْبُغا الحمـوىّ أتابك العساكر بالديار المصرية وعلى الأمـير بَكْلَمُش العـلائىّ أمير سـلاح ، وقُيِّدا وحُبِسا بقلعة الجبل ، يأتى ذكر السبب على قبضهما فى الوفيات ، وفى هـذه الترجمة — إن شاء الله تعالى — .

ثم نزل فى الحال الأمير قَلمطاى الدوادار ، والأمير نَوْرُوز الحافظىّ رأس نوبة النُّـوَب ، والأمير فارس حاجب الحجّاب إلى الأمير شـيخ الصَّـفَوى أمير مجلس ومعهم خِلْعة له بنيابة غزّة ، فلبسها شيخ المذكور وخرج من وقته ونزل بخَانَقاه(٢) سِرْياقوس .

(١) أبلستين : مدينـة مشهورة ببلاد الروم وسلطانها ولد قليج أرسلان السلجوقى قريبة من أبسس مدينة أهل الكهف (ياقوت أول ص ٩٣) .

(٢) الخانقاه : كلمة فارسية معناها الدار التى يختلى فيها رجال الصوفية لعبادة الله تعـالى . وخانقاه سرياقوس ذكرها المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ٤٢٢) فقال : إن هـذه الخانقاه خارج القاهرة من شماليها على نحو بريد منها بأوّل تيه بنى إسرائيل بسباسم (فضاء) سرياقوس ، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون على بعد فرسخ (فى الشمال الشرق) من بلدة سرياقوس ، بدأ فى عمارتها فى شهر ذى الحجة سنة ٧٢٣هـ وجعـل فيها مائة خلوة لمـائة صوفى ، وبنى بجانبها مسجدا تقام فيـه الجمعة وحماما ومطبخا تحت هـذه العمارة ، وآحتفل بافتتاحها يوم ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٢٥هـ بحضور الملك الناصر ، ورتب لهـا الأوقاف الكافية ، وقد أقبل الناس على البناء والسكنى بجوار هـذه الخانقاه ، وبنوا الدور والحوانيت والخانات والحمامات ، حتى صارت بلدة كبيرة باسم خانقاه سرياقوس نسبة إلى هذه الخانقاه . =

ثم فى ليلة الثلاثاء سلخه توجّه الأمير سُودون الطيّار الظاهرى بالأتابك كَمَشْبُغَا وَبكْلَمُش فى الحديد إلى سجن الإسكندرية فسُجنا بها ، وفى الغـد آستعفى الأميرُ شيخ الصّفوىّ من نيابة غَزّة وسأل الإقامة بالقدس[(1)] فرُسِم له بذلك .

وفى يوم الخميس ثانى صفر آستقر الأمير أَيْتَمُش البجاسِىّ أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن كمشبغا الحموى وأنعم السلطان على أيتمش المذكور وعلى قلمطاى الدوادار ، وعلى الأمير تَنْبك اليحياوى الأمير آخور بِعـدّة بلاد من إقطاع كمشبغا المذكور زيادةً على ما بأيديهم وأنعم ببقيّة إقطاع كَمَشْبُغَا على الأمير سُودون المعروف بسيِّدى سُودون آبن أخت الملك الظاهر وجعله من جُمـلة أمراء الألوف بالديار المصرية وأنعم بإقطاع سـيِّدى سُودون المذكور على ولد السلطان الأمير عبد العزيز آبن الملك الظاهر برقوق .

= وأقول : إن المؤلف ذكر أن هذه الخانقاه أنشئت سـنة ٧٤٠ هـ . والصواب أن تاريخ إنشائها والاحتفال بافتتاحها هو ما ذكره المقريزى . ويستفاد ممـا ورد فى كتاب وقف الملك الأشرف برسباى المحرر فى سنة ٧٤١ هـ أن الجامع الذى أنشأه الملك المذكور بناحية خانقاه سرياقوس يحدّه من البحرى الغربى الخانقاه الناصرية ، وهى خانقاه سرياقوس .

وبالبحث والمعاينـة تبين لى أن الخانقاه المذكورة (أى دار الصوفية) قد اندرست ، وكانت واقعة فى الفضاء المجاور الآن لجامع الملك الأشرف من الجهة الغربية أى جنوبى سكن ناحية الخانكة التى كانت تعرف قديمـا باسم خانقاه سرياقوس ، وهى اليوم إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر وعلى بعد عشرين كيلومترا فى الشمال الشرقى من مدينة القاهرة .

(١) هى أورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت فى أيدى الصليبيين فى ١٥ يولية سنة ١٠٩٩ وأسسوا فيها مملكة آستمرت حتى خلصها منهـم صلاح الدين الأيوبى ، بعـد معركة فاصلة فى ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ ، وكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثالثة ، ينسب إليها أبو عبد الله المقدّسى الجغرافى المشهور صاحب كتاب «أحسن التقاسيم» المتوفى سنة ٣٧٥ هـ سكانها ٨٥ ألف نسمة تقع على خط عرض ٤٧/٣١ شمالا وخط طول ١٤/٣٥ شرقا (راجع الخريطة التاريخية لأمين بك واصف وأطلس فيليب) .

ثم أنعم السلطان بإقطاع بَكْلَمُش العلائى على الأمير نَوْرُوز الحافظى رأس نَوْبة النُّوب .

وأنعم بإقطاع نَوْرُوز المذكور على الأمير أرغون شاه البَيْدَمُرى الظاهرى وأنعم بإقطاع أرغون شاه على الأمير يلبغا المجنون الأستادار والجميع تقَادم ألوف لكنّ التفاوت بينهم فى زيادة المُغَلّ والخراج .

ثم عيّن السلطان الأمير شيخ الصفوى أمير مجلس للوالد قبل قدومه إلى القاهرة من نيابة حلب .

ثم فى رابعه آستقر الأمير باى نَجَا الشَّرَفى الأمير آخور المعروف بطَيْفُور فى نيابة غزة .

ثم فى تاسع صفر آستقر الأمير بيبرْس آبن أخت السلطان أمير مجلس عوضا عن شيخ الصفوى المقدّم ذكره .

ثم فى سابع عشرين[(١)] صفر أنعم السلطان على الأمير بهادُر فُطَيْس بإمرة طبلخاناه، عوضا عن طَيْفُور بحكم آنتقاله إلى نيابة غزّة، وآستقر عوضه أيضا فى الأمير آخورية الثانية وأنعم بإقطاع بهادُر فُطَيْس المذكور، وهو إمرة عشرة على يلبغا السالِمىّ الظاهرى .

وفى ليلة الجمعة ثانى شهر ربيع الأول عَمِل السلطان المَوْلد[(٢)] النبوى على العادة فى كلّ سنة .

---

(١) رواية «ف» : (فى سابع عشر) .

(٢) ورد فى هامش النسخة الفتوغرافية ما يلى : فرّق فيه إنعاما مقداره أربعة آلاف دينار .

قلت : نذكُرُ صِفَة ما كان يُعمَل بالمولد قديمـا ليَقتدى به من أراد تجـديدَه فلمّا كان يومُ الخميس المذكور ، جلس السلطان بخيّمه بالحوش السلطانى (١) ، وحضر القضاةُ والأمراء ومشايخ العِـلم والفقراء ، فجلس الشيخ سراج الدين عمر البُلْقينى عن يمين السلطان ، وتحته الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زُقّاعة ، وجلس على يسار السلطان الشيخ المعتَقَد أبو عبـد الله المغـربى ، ثم جلس القضاة يمينا وشمـالا على مراتبهم ، ثم حضر الأمراء فجلسوا على بُعد من السلطان ، والعساكرُ ميمنةً وميسرة فقرأت الفقهاء ، فلمّا فَرغ القُرّاءُ وكانوا عِدّة جُوَق كثيرة ، قام الوعاظ واحدا بعد واحد ، وهو يدفع لكل منهم صُرّة فيها أربعمائة درهم فضة ، ومن كلّ أميرشُقّة حرير خاصّ وعِدّتُهم عشرون واحدا .

وأنعم أيضا على القُرّاء لكل جُوقة بخمسمائة درهم فضة وكانوا أكثرَ من الوُعّاظ ، ثم مُدَّ سِماطٌ جليل يكون مقدارُه قدرَ عشرة أسمطة من الأسمطة الهـائلة ، فيه من الأطعمة الفاخرة ما يُستحَى من ذكره كثرةً ، بحيث إن بعض الفقراء أخذ صحنا فيه من خاصّ الأطعمة الفاخرة فوُزِن الصحنُ المذكور فزاد على ربع قنطار .

ولـمّا انتهى السِّماط (٢) مُدّت أسمطةُ الحلوَى من صدر المخيَّم إلى آخره

(١) ورد فى الجزء العاشر من هـذه الطبعة (ص ٣١٥) : « كان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون متجملا فى ملبسه ومركبه ومماليكه وبركه ، اصطنع مرة خيمة عظيمة فلما نجزت ضربت له فى الحوش السلطانى من قلعـة الجبل ، فلم ير مثلها فى الكبر والحسن ، وفيها يقول شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة التلمسانى المغربى — رحمه الله تعالى — :

حوت خيمة السلطان كل عجيبة * فأمسيت منها باهتـا أتعجب
لسانى بالتقصـير فيهـا مقصر * وإن كان فى أطنابها بات يطنب

(٢) السماط للطعام : ما يمد عليه ، والعامة تضمه والجمع أسمطة وسماطات .

وعنـد فراغ ذلك مضى القضاة والأعيان وبَقِى السلطان فى خواصّه وعنـده فقراءُ الزوايا والصوفية ، فعند ذلك أُقيم السَّماع من بَعْد ثُلُث الليل إلى قريب الفجر وهـو جالس عندهم ويدُه تُملأ من الذهب ، وتُفَرِّغ لمن له رِزْق فيـه والخازندار يأتيه بكِيس بعد كِيس ، حتى قيل : إنّه فرّق فى الفقراء ومشايخ الزوايا والصوفية فى تلك الليلة أكثرَ من أربعة آلاف دينار .

هذا ، والسِّماط من الحَلْوَى والفاكهة يتداولُ مدّة بين يديه ، فتأكله المماليك والفقراء وتكرّر ذلك أكثرَ من عشرين مَرّة .

ثم أصبح السلطان ففرّق فى مشايخ الزوايا القمح من الأهراء[1] لكل واحد بحسب حاله وقَـدْر فقرائه ، كلُّ ذلك خارج عمّـا كان لهم من الرواتب عليه فى كلّ سـنة حسب ما يأتى ذكرُ ذلك فى آخر ترجمة الملك الظاهر بعد وفاته .

ثم فى خامس عشر شهر ربيـع الأوّل المذكور قَدِم الوالدُ إلى القاهرة معزولًا عن نيابة حلب .

فنزل السلطان الملك الظاهرُ إلى لقـائه ، قال الشـيخ تَقِيُّ الدين المَقْرِيزِىّ — رحمه الله — : «وفى خامس عشر شهر ربيـع الأوّل قَدِم الأمير تَغْرِى بَرْدِى اليَشْبُغاوى من حلب بتجمُّل زائد عظيم إلى الغـاية ، فخرج السلطان وتلقّاه بالمطعم[2] من الريدانية[3] خارج القاهرة ، وسار معه من غير خلعة ، فلمّـا قارب القلعة أمره

(١) الأهراء : مخازن الحبوب

(٢) المقصود من المطعم هنا هو مطعم الطيور المخصصة للصيد ، وكان السلاطين ينزلون إليـه وتطلق البازدارية طيورا أعدّوها لذلك ، ثم يطلقون وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها وكان نوعا من أنواع التسلية والرياضة السلطانية :

(٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لهـا شرحا وافيا .

بالتوجّه إلى حيث أنزله وبَعَث إليه بخمسة أفراس بقماش ذهب وخمس بُقَج فيها قماش مفصّل له مُفَرّى؟ انتهى كلام المقريزى .

قلت : وقوله : وعاد معه بغير خِلْعة[1] هى العادة ، فإنّه منفصل عن نيابة حلب ولم يُعطَ إلى الآن وظيفة حتى يلبس خِلْعتها .

وفى سابع عشره قَدّم الوالد تقدمته إلى السلطان ، وكانت نيِّفا[2] وعشرين مملوكا وخمسة طواشية بِيض من أجمل الناس ، من جملتهم : خَشْقَدم اليَشْبَكى مقدّم المماليك السلطانية فى دولة الملك الأشرف بَرْسباى ، أنعم به الملك الظاهر على فارس الحاجب ، ثم ملكه يَشْبَك الشعبانى بعده وأعتقه ، وثلاثين ألف دينار مصرية ، ومائة وخمسة وعشرين فرسا ، وعدّة جمال بَخاتى[3] تزيد على الثمانين ، وأحمالا من البُقَج ، فيها من أنواع الفرو والشقق الحرير وأثواب الصوف والمُخَمّل زيادة على مائة بُقْجة ، فابتهج السلطان بذلك وقَبِله ، وخلَع على أصحاب وظائف الوالد ، ونزلوا فى غاية الجبر .

حَكَى لى بعضُ أعيان الظاهرية ، قال : لما رأى الملك الظاهر تقدمة والدك تعجّب غاية العجب من حسن سيرته وقلّة ظلمه بحلب ، ومع هذا كيف قام بهذه التقدمة الهائلة مع كثرة مماليكه وخَدَمه .

وكان سبب عزل الوالد — رحمه الله — عن نيابة حلب ، شَكْوَى الأمير تَنَم الحَسَنى نائب الشام منه للملك الظاهر ، ورماه بالعصيان والخروج عن الطاعة ،

(١) نص هذه العبارة فى صفحة ٧٤ س ١٦ : « وسار معه من غير خلعة » .

(٢) فى الأصلين : « وكان نيفا وعشرين مملوكا ... الخ » .

(٣) مفرده بخت بالضم وجمعه بخاتى وهى جمال طوال الأعناق .

وخبر ذلك : أن الوالد وتَنَم لمّـا توجّها فى السنة المـاضية إلى سيواس [١] وغيرها بأمر الملك الظاهر وتلاقى الوالد مع تنم بظاهر حلب وعادا جميعا إلى حلب وكلٌّ منهما سنجقه [٢] منتصب على رأسه ، فعظُم ذلك على تنم ، كون العادة إذا حضر نائب الشام يصير هو رأسَ العساكر ويُنْزِل نائب حلب سنجقه ، فلمّا سارا وكلٌّ منهما سنجقُه على رأسه ، تكلّم سلحدارية تَنَم مع سلحدارية الوالد فى نزول السَّنجق ، فلم يفعل حاملُ الســنجق ، فخرجا من القول إلى الفعل ، وتقاتلَ الفريقان بالدبابيس بسبب ذلك ، وكادت الفتنة تَقع بينهما ، والوالدُ يتجاهل عمّا هم فيه ، حتى ٱلتفتَ تنم ونَهَى ممـاليكَه عن القتال ، وسار كلٌّ واحد وسنجقُه على رأســه ، حتى نزلَا بمخيَّمهما [٣] ، فٱستشهد تَنَم أمراءَ دِمَشق بمـا وقع من الوالد وممـاليكه ، وكتب للسلطان بذلك فلم يشكّ السلطان فى عصيانه ، وكتب بعزله وطَلَبه إلى القاهرة .

وأما الوالدُ لمّـا نزل بمخيَّمــه كلّمه بعضُ أعيان ممـاليكه فيما وقع ، فقال الوالد : أنا خرجتُ من مصر جنديًّا حتى أُنْزِلَ سنجق ، أشار بذلك أنه ولى نيـابة حلب وهو رأس نوبة النوب ، وأن تَنَم ولى أتابكيّة دِمَشق ، وهو أمير عشرة بمصر قبــل ولايته نيابةَ دمشق ، ثم نُقِــل من أتابكية دِمشق إلى نيابتها ، يعنى بذلك أن تنم لم تَسْبِق له رياســة بمصر قبــل ولايته نيـابةَ دمشق ، فلمـّا بلغ تنم ذلك قامت قيامتُه . انتهى .

---

(١) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة و بها قلعة صغيرة ، وهى ذات أعين ، والشجر بها قليــل ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار نصف فرسخ ، و يقول المسافرون : إن مسافة الطريق بين سيواس وقيسارية ستون ميلا ، فيها أربعة وعشرون خانا للسبيل ، وفيها ما يحتاج إليه المسافرون المنقطعون ، لاسيما فى أيام الثلوج ، وفى شرقيها مدينة أرزن الروم (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل ص ٢٨٥) .

(٢) السنجق : اللواء (بالمد) وهو الذى يعقد للملوك والأمراء ، فارسيته سنجوق (عن الألفاظ الفارسية المعــرّبة لأدى شير الكلدانى) .

(٣) المخيم : الخيمة التى يستظل بهـا المسافر وتكون على ثلاثة أعواد أو أربعة أعواد (عن شرح القاموس) .

ثم أنعم السلطان على سُودون بن زادة بإمرة عشرة ، بعد موت الأمير طُوغان الشـاطر .

ثم نزل السلطان وعاد الأمير قلمطاى الدَّوادار ، فَفَرش قلمطاى تحت حوافر فرسه الشُّقَق الحرير ، مشى عليها السلطان من باب داره حتى نزل بالقصر ، فمشى من باب القصر على الشقق النخ(١) المذهب حتى جلس ، فقدَّم إليه طبقا فيـه عشرة آلاف دينار وخمسا وعشرين بقجة قمـاش ، وتسعة وعشرين فرسا ومملوكا تركيًّا بديعَ الحُسن ، فقبل الملك الظاهر ذلك كله ، ورجع إلى القلعة ، وفى حال رجوعه قَدِم عليـه الخبر بأن تيمورلنك سار من سَمَرْقَنْد(٢) إلى بلاد الهند وأنه ملك مدينة دِلِّى(٣) .

ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر جمـادى الأولى خلع السلطان على قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد المَلَطى باستقراره قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية ، بعد موت شمس الدين محمد الطرابلسى ، بعد ما شَغَر قضاء الحنفية بمصر مائة يوم وأحد عشر يوما ، حتى طلب جمـال الدين المذكور لهـا من حلب وقدم على البريد .

(١) النخ : بساط طوله أكثر من عرضه . راجع الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ص ١٥٠ .

(٢) سمرقند : بفتح أوله وثانيـه و يقال لهـا بالعربية سمران ، بلد معروف مشهور قيل : إنه من أبنية ذى القرنين بمـا وراء النهر وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبى وادى الصغد مرتفعة عليه . راجع معجم البلدان لياقوت (ص ١٣٣ ج ٣) .

(٣) دلى : بدال مهملة ولام مشـددة مكسورتين ثم مثناة تحتية . وحكى بعض المسافرين قال : دلى مدينة كبيرة وسورها من آجر وهو أكبر من سـور حماة . وهى فى مسـتو من الأرض وتربتها مختلطة بالحجر والرمل و يمر على فرسخ منها نهر كبير دون الفرات ، قال : وغالب أهلها مسلمون وسلطانها مسلم والسوقة كفرة ولهـا بساتين قليلة وليس بهـا عنب ، قال : وتمطر فى الصيف وهى بعيدة عن البحر ، و بينها و بين نهلوارة نحـو شهر . قال : و بجامعها مئـذنة لم يعمل فى الدنيـا مثلها ، وهى من حجر أحمر ودرجها نحو ثلاثمـائة وستين درجة وليست مربعة ، بل كثيرة الأضلاع عظيمة الارتفاع واسـعة من تحتها وارتفاعها يقارب منارة إسكندرية (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل) (ص ٣٥٨) .

قلت : هكذا تكون ولاية القضاء .

ثم أنعم السلطان على الأمير علىّ باى بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضا عن الأمير تنبك الأمير آخور بعد موته .

ثم بعد أيام أنعم على الأمير يشبك العثمانى بإمرة مائة وتقدمة ألف بعد موت الأمير قَلَمْطاى العثمانى الدوادار ، وأنعم على الأمير أَسَنْبُغا العـلائى الدوادار الثـانى بطبلخاناه الأمير بكتمر الركنى ، وكان بكتمر المـذكور أخذ طبلخاناه الأمير علىّ باى المنتقل إلى تقدمة تَنْبك الأمير آخور .

ثمّ أنعم السلطان على آقباى الطُّرُنطائى بإمرة طبلخاناه، وعلى تَنْكِز بغا الحَطَطى بإمرة عشرين .

وفى يوم تاسع عشرين جمادى الأولى خلع السلطان على جماعة من الأمراء بعدة وظائف ، فخلع على الوالد بآستقراره أمير سلاح عوضا عن بَكْلَمَش العلائى ، بعدما شغَرت أشهرا وعلى الأمير آقبغا الطولُوتَمُرى الظاهرى المعروف باللّكّاش بآستقراره أمير مجلس عوضا عن بيـبرس ابن أخت السـلطان ، وعلى نَوْرُوز الحافظى رأس نوبة النوب بآستقراره أمير آخورا كبيرا ، بعد موت الأمير تَنْبك وعلى الأمير بيبرس آبن أخت السلطان بآستقراره دوادارا كبيرا ، عوضا عن الأمير قلمطاى ، بعد موته وعلى الأمـير علىّ باى الخازندار بآسـتقراره رأس نوبة النـوب عوضا عن نوروز الحافظى وعلى يشبك الشعبانى بآستقراره خازندارا عوضا عن علىّ باى المذكور .

ثمّ فى ليـلة الجمعة ثامن شـعبان أمسك السلطان الأمـير علاء الدين علىّ بن الطبلاوى وأمسك أخاه ناصر الدين محمـدا والى القاهرة و جماعة من ألزامه وأوقع الحوطة على دورهم وتسلمه الأمير يلبغا الأحمـدى المجنون الأستادار ليخلّص منـه

الأموال ، فأخذه يلبغا وتوجه به إلى دار آبن الطبلاوى وأخذ منها مالا وقماشا بنحو مائة وستين ألف دينار .

ثم أخذ منها أيضا بعد أيام ألفا ومائة قفة فلوسا وصرفها ستمائة ألف درهم ، ومن الدراهم الفضة خمسة وثمانين ألف درهم فضة ، وآستمر علاء الدين فى المصادرة وخلع السلطان على الأمير الكبير أيتمش البجاسي بآستقراره فى نظر البيمارستان[1] المنصورى عوضا عن آبن الطبلاوى المذكور ومن يومئذ آستمر نظر البيمارستان مع كل من يلى الأتابكية بمصر .

ثم بعد أيام طلب آبن الطبلاوى الحضور بين يدى السلطان ، فأذن له السلطان فى ذلك ، فحضر فى الحديد ، بعد أن عوقب أياما كثيرة ، وطلب من السلطان أن يدنيه منه ، فآستدناه ، حتى بقى من السلطان على قدر ثلاثة أذرع ، فقال له : تكلم ، قال : أريد أن أسار السلطان فى أذنه ، فلم يمكنه من ذلك ، فألح عليه آبن الطبلاوى فى مسارة السلطان فى أذنه ، حتى آستراب منه وأمر بإبعاده وآستخلاص المال منه ، فأخذه يلبغا وأخرجه من مجلس السلطان إلى باب النحاس[2] من القلعة ، فجلس آبن الطبلاوى هناك ليستريح فضرب نفسه بسكين كانت معه ليقتل نفسه وجرح فى موضعين من بدنه ، فمسكوه ومنعوه من قتل نفسه وأخذوا السكين منه

(١) تكلم المقريزى فى خططه (ص ٢٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٦٠ من الجزء الثانى) على البيمارستان المنصورى فقال : أنشأه الملك المنصور قلاوون ، وكان بدء العمل فيه والشروع فى عمارته فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وآنتهت فى شوال من تلك السنة .

(٢) ذكر هذا الباب المقريزى فى خططه (ص ٢١٢ ج ٢) فقال : إن هذا الباب داخل الستارة وهو أجل أبواب الدور السلطانية ، عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وزاد فى دهليزه . والظاهر أن هذا الباب كان من أبواب السراى المخصصة لسكنى الملك وحرمه وقد زال بزوال السراى التى كان مركبا على أحد دهاليزها بقلعة الجبل .

وبلغ السلطانَ ذلك ، فلم يشكّ أنه أراد الدنو من السلطان حتى يقتلَه بتلك السكين التي كانت معه .

فلمّـا فاته السلطان ضرب نفسه ، فعند ذلك أمر السلطان بتشديد عقوبته فعاقبـه يلبغا المجنون ، فدلّ على خَبيئة فيهـا ثلاثون[1] ألف دينار ، ثم أخرى فيهـا تسعون ألف دينار، ثم أخرى فيها عشرون ألف دينار ودام فى العقوبة ، ثم نقله يَلْبُغا المجنون إلى خِزانة شمائل[2] .

ثمّ فى خامس عشر شـوال خَتَنَ السلطان الملك الظاهر ولديه . الأميرَ فرجًا والأمـير عبد العزيز وختَن معهما عِدّة من أولاد الأمراء المقتولين، منهـم : ابن الأمير منطاش وغيره وأنعم عليهم بقُماش وذهب وعمل السلطان مُهِمّا عظيما بالقلعة للنساء فقط ولم يَعْمَل للرجال ، مخافةً على الأمراء من الكُلَف .

وفى يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة عَمِل السلطان مُهِمًّا عظيما بالميدان[3] تحت القلعة ، سببُه : أنه لَعب بالكُرَة مع الأمراء على العـادة ، فغلب السلطانُ الأمـيرَ

---

(١) رواية «ف» : « فيها ثلاثة آلاف دينار » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤ من هذا الجزء . (٣) هـذا الميدان هو الذى ذكره المقريزى فى خططه باسم الميـدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) فقال : إن هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون ، ثم جدّده الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى سـنة ٦١١ هـ، ثم اهتمّ به الملك الصالح نجم الدين أيوب اهتماما زائدا وأنشأ حوله الأشجار ، فجاء من أحسن الميادين .

وفى سنة ٦٥١ هـ هدمه الملك المعز أيبك التركمانى ، فزالت آثاره، وفى سنة ٧١٢ هـ ، عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وغرس فيه النخيل والأشجار وأدار عليه سورا من الحجر، فجاء ميدانا فسيح المدى ، يمتد تحت سور القلعة من باب الإصطبل إلى قرب باب القرافة ويستفاد مما ذكره ابن إياس فى كتاب بدائع الزهور (ص ٥٦ ج ٤) أن السلطان الأشرف قانصوه الغورى عمر هذا الميدان عمارة لم يسبق لهـا مثيل فى سنة ٩٠٩ هـ فردم أرضـه بالطين وعلى أسواره وجعل له بابا كبيرا مطلا على الرملة (الرميلة) وعليـه قصر فاخر، وأنشأ بالميدان بستانا نقل إليه جميع أشجار أنواع الفاكهة ، وأنشأ به مقعدا وبيتا ، وأنشأ =

الكبيرَ أيتمش البجاسِى ، فلزم أيْتَمش عمــل مُهمّ بمـائتى ألف درهم فضــة ، كونه غُلِب ، فقام عنــه السلطان بذلك وألزم السلطانَ الوزيرَ بدر الدين محمد بن الطوخى والأميرَ يلبغا الأستادار ونُصِبت الخِيَمُ بالميدان وعُمِل المهم ، وكان فيه من اللحم عشرون ألف رطل ومائتا زوج إوز وألفُ طائر من الدَّجَاج وعشرون فرسا وثلاثون قنطارا من السكر وثلاثون قنطارا من الزبيب عُمِلت أقْسِما (١) وستون إردبا دقيقا لعمل البوزا وعُمِلت المسكرات فى دِنان من الفَخّار .

ونزل السلطان سَحَر يوم السبت المذكور ، وفى عزمه أن يُقيم نهارَه مع الأمراء والممـاليك ، يُعاقِر الشرابَ . فأشار عليه بعضُ ثقاته بترك ذلك وخَوَّفه العاقبة ، فمدَّ السِّماط وعاد إلى القصر ، قبل طلوع الشمس ، وأنعم على كلّ من الأمراء المقدَّمين بفرس بقُماش ذهب ، وأَذِن السلطان للعامَّة فى انتهاب ما بَقِى من الأكل والشراب ، قال المقريزى : « فكان يوما فى غاية القُبْح والشَّناعة أُبِيحت فيه المسكراتُ وتجاهرَ الناس فيه بالفواحش ، بمـا لم يُعْهد مثلُه . وفَطِن أهلُ المَعرفة بزوال الأمر ، فكان كذلك ، ومن يومئذ انتُهِكت الحُرمات بديار مصر وقلَّ الاحتشام » . انتهى كلامُ المقريزى .

= فى الجهة الغربية منه قصرا حافلا وقنطرة و بحيرة وغير ذلك من المبانى الفاخرة . وذكره المقريزى فى كتاب السلوك باسم الميدان الأسود ، ومن هذا يتبين أن ميدان القلعة والميدان الاسود أوقره ميدان (الميدان الأسود) مكانه اليوم ميدان صلاح الدين ، و يقال له : المنشية تحت القلعة بالقاهرة .

(١) أقسما (بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر السين وميم بعدها ألف) : نقيع الزبيب معروف بهذا الاسم وأظنه معرب أبسما عربه المولدون ، قال الشهاب المنصورى مور يا عنه :

أيا سيدا قــد أشهد الله أنه * أناب فلم يحس الشراب المحرما
هـلم فإنى لا إخالك مقسما * و إن كنت لم تشرب مداما فأقسما

راجع شفاء الغليل تأليف شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الخفاجى (ص ١٩) .

*
* *

ذكر وقعة علىّ باى مع السلطان الملك الظاهر برقوق

لمّـا كان يوم السبت تاسع عشر ذى القعدة من سنة ثمـانمـائة أوفى النيـلُ وقَدِم أيضا البريد بقتل سُولِى بن دُلْغَادِر أمير التُّركمان (١)، فركب السلطان بعد صلاة الظهر يُريد المقياس (٢) ليُخَلِّقه و يفتح خليج السَّدّ (٣) على العادة، ومعه جميعُ الأمراء إلّا الأميرَ عليًّا باى الخازندار، فإنه كان ٱنقطع بداره أياما وتَمارضَ وفى باطن أمره أنه قصد الفَتْك بالسلطان، فإنّه عَلِم أنه إذا نزل لفتح الخليج يدخلُ إليـه و يعودُه كما جرَت به عادتُه مع الأمراء فـدبَّر علىٌّ باى على السلطان وأخلى إسطبلَه من الخيـل وداره من حريمه، وأعَدَّ قوما ٱختارهم من ممـاليكه، فتهيئوا لذلك فرآهم شخصٌ كان يسكُن بأعلى الكبش (٤) من الممـاليك اليلبُغاويّة يسمى سُودون الأعور، فركب إلى

(١) التركمان، (بالضم) : جيـل من الترك، سموا به لأنه آمن منهـم مائتا ألفه فى شهر واحد، فقالوا : ترك إيمان، ثم خففت فقيل تركمان (عن القاموس) .

(٢) المقياس، هو عمود رخام أبيض مثمن فى موضع ينحصر فيه المـاء عند ٱنسيابه إليه، وهذا العامود مفصل على ٱثنين وعشرين ذراعا، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية، تعرف بالأصابع ما عدا الاثنتى عشرة ذراعا الأولى، فإنها مفصلة على ثمـان وعشرين إصبعا لكل ذراع (راجع المقريزى ج ١ ص ٥٩) .

(٣) خليج السد، لعل المؤلف يقصد : «وفتح سدّ الخليج» . وعلى كل حال فالخليج المعتاد سدّه وفتحه سنويا هو خليج القاهرة المعروف بالخليج المصرى، ومكانه اليوم شارع الخليج المصرى، وأما السد الذى كان يقام سنويا فى هذا الخليج و يفتح وقت فيضان النيل فكان قريبا من فم هـذا الخليج. ومكانه يقع اليوم فى نهاية شارع الخليج المصرى من الجهة القبلية فى نقطة واقعة جنوبى البقعة المعروفة بعشش الساقية .

(٤) الكبش، ذكره المقريزى فى (ص ١٣٣ ج ٢) من خططه فقال : إن هذه المناظر أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى، وهى عبارة عن قصور كانت تشرف من أعلى جبـل يشكر على بركة قارون و بركة الفيـل وعلى البساتين التى فى بر الخليج الغربى من المقس إلى فم الخليج، والتى فى بره الشرقى من باب زو يلة إلى صليبة جامع ابن طولون =

الملك الظاهر فى أثناء طريقه بعد تخليق المقياس وفتح خليج السد وأسر إليه أنه شاهد من سكنه مماليكَ علىّ باى وقد لبسُوا آلة الحرب ووقفوا عند بوائك الخيل من إسطبله وستروا البَوائك بالأنخاخ[1] ليخفى أمرهم ، فقال له : السلطان أُكتُم ما معك ، فلم يُبْدِ السلطانُ ذلك إلا لأكابر أمرائه .

ثم أمر السلطان الأميرَ أرسطاى رأس نوبة أن يتوجّه إلى دار علىّ باى ويُعلمه أن السلطان يدخل إليه لعيادته ، فتوجّه أرسطاى عادةً وأعلم عليًّا باى بذلك ، فلمّا بلغ عليًّا باى أن السلطان يعـودُه اطمأن وظنّ أن حيلته تمّت ووقف أرسطاى على باب علىّ باى ينتظر قدومَ السلطان ، وعنـدما بعث السلطان أرسطاى إلى علىّ باى أمر الجاويشية بالسكوت فسكتوا عن الصِّياح أمامَ السلطان .

ثم أبعدَ السلطان المصائبَ السلطانية عنه وأيضا السَّنْجَق الذى يُحمل على رأس السلطان وتقـدّم عنهم حتى صار بينه وبين المصائب مدًى بعيدا من خلفه وسار السلطان كآحاد الأمراء وسار حتى وافى الكَبْش ، وهو تُجاه دار علىّ باى والناس قـد اجتمعوا للفُرجة على موكب السلطان ، فصاحت امرأةُ من أعلى الكَبْش[2] على السلطان لا تدخل ، فإنّهـم قد لَبِسـوا لقتالك ، فحـرّك السلطانُ فرسَـه وأسرع

== كما كانت تشرف على النيل وجزيرة الروضة وقلعة الروضة ، فكانت من أجل متنزهات مصر ، وقد تأنق الملك الصالح فى بنائها وسماها الكبش ، فعرفت بذلك إلى اليوم ، وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملكية إلى أن هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ٧٦٨ هـ ، فحكر الناس الكبش وبنوا فيه مساكن .

وأقول : مكانها اليوم المنطقة التى تعرف بقلعة الكبش فى الجهة الغربية من جامع ابن طولون والتى تشرف من بحريها على شارع مراسينا ومن غربيها على خط البغالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة .

(١) الأنخاخ ، جمع "نخ" ، وهو بساط طوله أكثر من عرضه ، معرب "نخ" ، راجع كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير الكلدانى ص ١٥٠ .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٢ من هذا الجزء .

فى المشى ومعـه الأمراء ومن ورائه المماليك الخاصّكيّة يريد القلعة[(١)]، وكان باب علىّ باى مردودَ الدّرفتين، وضَبَّته مطرقَة ليمنعَ الناس من الدخول إليه، حتى يأتى السلطان، فلمّا مرّ السلطان ولم يعـلم به مَنْ ندبَه علىّ باى لرؤية[(٢)] السلطان وإعلامه به، حتى جاوزهم السلطان بما دبَّره السلطان من المَكيدة بتأخير العصائب السلطانية والسَّنْجَق والجاويشيّة وتقدُّمه عنهم .

ثم بلغ عليًّا باى أن السلطان فاته، فركب وبادر أحدُ أصحابه يُريد فتح الضَّبّة فأغلقها، وإلى أن يحضر مفتاح الضَّبّة ويفتحونها، فاتهم السلطان وصار بينه وبينهم سَـدٌّ عظيمٌ من الجَمَداريّة والغِلمان وغيرهم، فخرج علىّ باى ومَن معـه من أصحابه لابسين السلاح، وعِدَّتُهم نحو الأربعين فارسا يريدون السلطان، وقد ساق السلطان ومعه الأمراء، حتى دخل باب السلسلة[(٣)] وآمتنع به[(٤)]، فوقف على باى من معه تجاه باب السلسلة، فنزل إليه فى الحال طائفةٌ من المماليك السلطانية لقتاله، فقاتلهم، وثبت لهم ساعة حتى جُرح من الفريقين جماعةٌ وقُتِـل من المماليك السلطانية بَيْسَق المُصارِع .

ثم آنهزم علىّ باى وتفرق عنه أصحابه، وقد آرتجت مصر والقاهرة، وركب يلبغا المجنون الأُستادار ومعه مماليك لابسين يريد القلعة، وأرجف الناس بقتل السلطان وآشتدّ خوف الرعيّة وتشعّب الذُّعر .

---

(١) القلعة : يريد بها قلعة الجبل .

(٢) رواية (ف) : « لرؤيته السلطان » .

(٣) باب السلسلة، هـو أحد أبواب قلعة الجبل الذى يعرف اليـوم بباب العزب بميدان محمد على بالقاهرة .

(٤) رواية (ف) : « بها » .

ثم لَبِست المماليك السلطانية السلاح ، وأتى السلطانَ مَن كان غائبا عنه من الأمراء والخاصكيّة وتحلّقوه .

فعندما طلَع يلبغا الأحمدىّ المجنون الأُستادار إلى السلطان وثب عليه الخاصكيّة ، واتّهموه بموافقة علىّ باى لكونه جاء هو ومماليكُه فى أسرع وقت بآلة الحرب ، فأخذه اللُّكم من الخاصكيّة منْ كل جهة ، ونزعوا ما عليه من السلاح ، وألقَوْهُ إلى الأرض ليذبحوه ، لولا أن السلطان منعهم من ذلك ، فلمّا كفُّوا عن ذبحه سجنوه (١) بالزَّرَدْخاناه السلطانية مقيّدا .

ثم قبض على نُكباى شادّ شرا بخاناه علىّ باى ، وقُطِّع قِطعا بالسيوف ، فإنّه أصلُ هذه الفتنة .

وسبب ركوب علىّ باى على السلطان وخبرُه أن نُكْباى هذا كان تعرّض لجارية من جوارى الأمير آقباى الطُّرُنطائى ، وصار بينهما مشاكلة ، فبلغ ذلك آقباى ، فمسك نُكْباى المذكور وضربه ضربا مبرِّحا ثم أطلقه ، فحنِق علىّ باى من ذلك ، وشكا آقباى للسلطان ، فلم يلتفت السلطان إليه ، وأعرض عنه ، وكان فى زعمه أن السلطان يغضَب على أقباى بسبب مملوكه ، فغضب علىّ باى من ذلك ، ودبّر هذه الحيلة الباردة ، فكان فى تدبيره تدميرُه .

وبات السلطان تلك الليلة بالإسطبل السلطانى ، ونهبت العامّة بيتَ علىّ باى حتى إنهم لم يُبقوا به شيئا .

وأما علىّ باى فإنه لما رأى أمرَه تلاشى ذهب واختفى فى مستوقد حَمّام فقُبِض عليه وحُمِل إلى السلطان ، فقيّده وسجنه بقاعة الفضّة (٢) من القلعة .

(١) رواية « ف » (سجن)

(٢) قاعة الفضة ، هى إحدى قاعات القصر الكبير بقلعة الجبل بالقاهرة

فلما أصبح النهار وهو نهار الأحد والعشرين من ذى القعدة نَزَع العسكر السلاح وتفرّقوا، وطلع السلطان إلى القلعة من الإسطبل وأخذ علىّ باى وعَصره، فلم يُقِر على أحد، وأحضر يلبغا المجنون لحلف علىّ باى أنه لم يُوافقه ولا عَلِم بشىء من خبره، وحَلَف يلبغا أنه لم يعلم بما وقع، وأنه كان مع الوزير بمصر.

فلمّا أُشيع بركوب علىّ باى لَحِق بداره، ولَبِس السلاح ليقاتل عليًّا باى، فأفرج عنه السلطان وخلع عليه باستمراره على الأستادارية ونزل إلى داره، فلم يجد بها شيئا، وجميع ما كان فيها نهبته العامّة حتى سُلِبت جواريه وفرّت امرأته خوند بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين، وأخذوا حتى رُخام بيته وأبوابه، وتشعّثت داره وصارت خرابا، والدار هى التى على بركة[1] الناصرى بيت سونجبغا الناصرى الآن.

---

(١) بركة الناصرى : ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٦٥ ج ٢) فقال : إن هذه البركة من جملة جنان الزهرى، وسبب حفرها أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أراد بناء الزربية بجانب الجامع الطيبرسى على النيل احتاج فى بنائها إلى طين، فأمر بنقله من مكان هذه البركة إلى مكان الزربية فى سنة ٧٢١ هـ، وبعد نقل الطين من البركة أجرى إليها الماء من جولر الميدان السلطانى الكائن بأرض بستان الخشاب، فامتلأت بالماء، وصارت مساحتها سبعة أفدنة، فحكر الناس حولها و بنوا الدور العظيمة .

ولما تكلم المقريزى على جامع آق سنقر (ص ٣٠٩ ج ٢) قال : إنه بسويقة السباعين على البركة الناصرية، ولما تكلم على جامع الإسماعيلى (ص ٣٢٧ ج ٢) قال : إنه على البركة الناصرية، وبالبحث عن موقع البركة الناصرية، تبين لى أنها هى البركة المبينة على خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية سنة ١٨٠٠ م باسم بركة ستى نصرة أو بركة السقايين، ومكانها المنطقة التى يخترقها الآن شارع نصرة، ويحدها من الشرق شارع عماد الدين، ومن الغرب شارع مصطفى باشا كامل (الشيخ عبد الله سابقا)، ومن الجنوب شارع الاسماعيلى بالقاهرة .

ولما تكلم على باشا مبارك صاحب الخطط التوفيقية على البركة الناصرية (ص ٩٧ ج ٣) قال : إن مكانها البركة المبينة على خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية باسم « بركة أبو الشامات » . « بركة المشهد » أو « بركة قاسم بك »، ومن حقوقها ديوان المالية الذى كان بيتا لاسماعيل باشا المفتش والمبانى المقابلة له .

ثم قَدِم البريد على السلطان من حلب بأن أولاد آبن بَزْدَغان من التُّركمان والأمير عثمان بن طُرْعلِي[1] المدعو قَرَايلك[2] تقاتلوا مع القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس[3]، فقُتِل برهان الدين فى المعركة وقام من بعده آبنُه .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشرين ذى القعدة جلس السلطان بدار العدل[4] وعصَرَ علياً باى المذكور فلم يُقِر على أحد .

وبينما السلطان فى ذلك إذا بهجّة عظيمة قامت فى الناس ، فلَبِس العسكر ووقفوا تحت القلعة[5] ، وقد غُلقت أبواب القلعة ، وأشيع أن يلبغا المجنون ، والأمير آقبغا الطُّولُوتَمرِىُّ المعروف باللَّكَّاش أمير مجلس خامرا على السلطان ، ولم يكن الأمر كذلك وبلغ اللكاش ذلك ، فركب من وقته فطلع إلى القلعة .

= ومن يطلع على الخريطة المذكورة يميل إلى ترجيح رأى صاحب الخطط التوفيقية لقرب مكان «بركة أبو الشامات» من موقع الزريبة التى نقل الطين إليها ، لولا أن المقريزى فى وصفه للبركة الناصرية قال : إنها بأرض جنان الزهرى وعليها من الجهة البحرية جامع آق سنقر وسويقة السباعين ، وعليها من الجهة القبلية جامع الاسماعيلى ، وهذه الأماكن لا تزال كلها موجودة ومحتفظة بأسمائها القديمة حول بركة ستى نصرة السابق تحديدها ، وأن هذه البركة واقعة بأرض جنان الزهرى ، وهى أرض موجودة من قديم الزمن غربى الخليج المصرى أى قبل فتح العرب لمصر ، وكان النيل يمر بجوارها من الجهة الغربية حيث يمر اليوم شارع نوبار باشا (الدواوين سابقا) ، وأما «بركة أبو الشامات» فإنها نع بأرض طرح البحر الذى ظهر فى مجرى النيل القديم سنة ٣٣٠هـ غربى شارع نوبار باشا باسم أرض الل ، . ويوجد الآن فى مكان بركة الشامات سرايات : وزارات المالية والمعارف والدفاع الوطنى ، وبعض ما يجاورها من المساكن ، وهذه تقع كما هو مشاهد فى موضعها الحالى غربى شارع نوبار باشا وخارجة عن حدود البركة الناصرية المذكورة .

(١) فى هامش «م» «طرغلى» . (٢) فى هامش : «م» : «قراتلك» .

(٣) سيواس : راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٦ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٤) دار العدل ، مكانها اليوم فى المنطقة الواقعة على يسار الداخل من باب الغرب من قلعة الجبل متجها إلى الشرق نحو الباب الجديد المشغول بمخازن مهمات وملابس الجيش المصرى ويحدها من الغرب سكة المحجر ومن الشمال شارع الدفترخانة .

(٥) راجع الحاشية رقم (١) ص ٧ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

وأمّا يَلْبُغا المجنون فإنه كان فى بيت الأمير فرج ، فوركب فرج المذكور لِيُعْلِم السلطان بأنه كان فى داره بالقاهرة حتى يبرأ ممّا رُمِى به ، وطلع فى الحال جميعُ الأمراء ، فأمر السلطان بقلع السلاح ونزول كلّ أحد إلى داره ، وسَكَن الأمر ونُودِى بالأمان والاطمئنان .

ثم فى ليلة الثلاثاء عُذِّب على باى أيضا بين يدى السلطان عذابا شديدا ، كُسِرت فيه رجلاه وركبتاه وخُسِف صدره ، فلم يُقِرّ على أحد ، ثم أُخِذ إلى خارج وخُنِق ، فتنكّرت الأمراء وكَثُر خوفهُم من السلطان ، خشيةَ أن يكون علىّ باى ذكر أحدًا منهم من حرارة العقوبة ، ومن يومئذ فَسدَ أمرُ السلطان مع مماليكه الجراكسة ، ودخل السلطان إلى زوجته خَوَنْد الكُبْرى أرد(١) وكانت تركية الجنس ، وكانت تحذره عن اقتناء المماليك الجراكسة وتقول له : اِجعل عسكَرك أبلقَ من أربعة أجناس : تَتَر وجارَكس ورُوم وتُرْكمان ، تستريح أنت وذريتّك ، فقال لها : الذى كنت أشرْت به علىّ هو الصواب ، ولكن هـذا كان مقـدّرا ونرجو الله تعالى إصلاحَ الأمر من اليوم .

ثمّ فى يوم الثلاثاء أمرَ السلطان الأميرَ يَلْبُغا المجنون أن يُنْفق على المماليك السلطانية ، فأعطى الأعيانَ منهم خمسمائة درهم ، فلم يُرْضهم ذلك وكَثُرت الإشاعات الردية والإرجاف بوقوع فتنة وباتوا ليلةَ الخميس على تَخَوُّف ، ولم تُفْتح الأسواقُ فى يوم الخميس ، فنُودِى بالأمان والبَيْع والشراء ، ولا يتحدّث أحد فيما لا يَعْنيه .

ثمّ أنعم السلطان على الأمير أرسْطاى بتقدمة علىّ باى ، ووظيفتُه رأسُ نَوْبة النُّوب ، وأنعم على الأمير تمان تَمُر الناصرى بإقطاع أرسطاى ، والإقطاع : إمرة طبلخاناه .

(١) فى هامش : « م » : « أزد » .

ثم فى سادس عشرينه نزل الأمير فارس حاجبُ الحجاب ، والأمير تَمُرْبُغَا المَنْجَكى أحد أمراء الألوف ، وحاجب ثانى ، وقَبَضا على الأمير يلبغا الأحمدى الظاهرى المعروف بالمجنون الأستادار من داره ، و بعثاه فى النِّيل إلى ثغر دمياط (١) واستقرّ عوضَه أستادارا الأمير ناصر الدين محمد بن سنْقُر بإمرة خمسين فارسا وأنعم السلطان على الأمير بَكْتَمُر جِلّق الظاهرى رأس نَوْبة بتقدمة ألف عوضا عن يَلْبُغَا المجنون .

وفى يوم السبت ثالث ذى الحجة خَلَع السلطان على أميرين بٱستقرارهما رءوس نُوَب صغارا وهما : طُولُو بن على باشا الظاهرى وسودون الظريف الظاهرى .

وفى يوم الأحد رابع ذى الحجة سمَّر السلطان أربعة نفر من مماليك على باى ثم وُسِّطوا .

ثم رَسَم السلطان بإحضار الأمير بكلمش العلائى أمير سلاح كان من سجنه بالإسكندرية (٢) وتوجّه إلى القدس (٣) بطّالا على ما كان للأمير شيخ الصّفوى من المرتّب .

ثم استهلّ القرن التاسع : أعنى — سنة إحدى وثمانمائة — والخليفة المتوكّل على الله أبو عبد الله محمد العباسى والسلطان الملك الظاهر أبو سعيد بَرْقوق

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٠ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) القدس الشريف ، هى أورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت فى أيدى الصليبيين فى ١٥ يوليه سنة ١٠٩٩ م وأسسوا فيها مملكة ٱستمرت حتى خلصها منهم صلاح الدين الأيوبى بعد معركة فاصلة فى ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ ، وكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثالثة . ينسب إليها أبو عبيد الله المقدسى الجغرافى المشهور صاحب كتاب « أحسن التقاسيم » المتوفى سنة ٣٧٥ هـ . سكانها ٨٥ ألف نسمة ، تقع على خط عرض ٣١/٧/٤ شمالا وخط طول ٣٥/٤/١٤ شرقا (راجع فهرس الخريطة التاريخية لأمين واصف بك وأطلس فليب) .

ابن أنص الجاركسى اليلبغاوى - والقاضى الشافعى - تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى والقاضى الحنفى جمال الدين يوسف الملطى - والقاضى المالكى ناصر الدين أحمد التنسى[(١)] والحنبلى - برهان الدين إبراهيم بن نصر الله ، والأمير الكبير أيتمش البجاسى - ، وأمير سلاح تغرى بردى بن يشبغا الظاهرى (أعنى عن الوالد) وأمير مجلس آقبغا اللكاش الظاهرى ، والأمير آخور نوروز الحافظى الظاهرى ، وحاجب الحجاب فارس الظاهرى والدوادار بيبرس آبن أخت الملك الظاهر برقوق ورأس نوبة النوب أرسطاى .
ونواب البلاد صاحب مكة[(٢)] المشرفة الشريف حسن بن عجلان الحسنى - المكى وأمير المدينة النبوية[(٣)] — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — الشريف ثابت بن نعير الحسينى - ،

(١) التنسى : نسبة إلى تنس (بفتحتين مع التخفيف) ، وهى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط مما يلى مراكش على بعد ١٠٣ ميل غربى مدينة الجزائر . وعدد سكانها يقرب من خمسة آلاف نسمة . وأولاد التنسى فى الإسكندرية من بيت علم ورياسة ، تولى منهم قضاء القضاة المالكية على عهد ابن خلدون أحمد بن محمد جمال الدين بن عطاء الله الشهير بابن التنسى ، ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفى سنة ٨١٢ هـ ويلوح لنا أن ابن التنسى الذى معنا أبوه جمال الدين هـذا . انظر شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف ص ٢٢٤ ، وانظر ذخيرة الأعلام للغمرى ص ١٩٠ وقاموس لبنكوت الجغرافى ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لبابا التنبكى ص ٧٤ ، ٢٨٥ .

(٢) مكة بيت الله الحـرام ، ويقال : فيها بكة بالباء ، كما يقال : ما هـذا بضربة لازب ولازم (ملخصا عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٦١٦) .

(٣) المدينـة النبوية : هى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولها سور والمسجد فى وسطها وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شرقى المسجد ، وهو بيت مرتفع ليس بينه و بين سقف المسجد إلا فرجة ، وهو مسدود لا باب له ، وفيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبر أبى بكر وقبر عمر رضى الله عنهما ، والمنبر الذى كان يخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غشى بمنبر آخر والروضة أمام المنبر بينه و بين القبر ومصلى النبى عليه السلام الذى كان يصلى فيه الأعياد فى غربى المدينة داخل الباب و بقيع الغرقد خارج المدينة من شرقيها . وقباء خارج المدينة على نحو ميلين إلى ما يلى القبلة وهى شبيهة بالقرية . وأحد : جبل فى شمالى المدينة وهو أقرب الجبال إليها مقـدار فرسخين و بقربها مزارع فيها نخيل وضياع لأهل المدينة ووادى العقيق فيما بينها و بين الفرع ، والفرع من المدينة على أربعة أيام فى جنوبيها و بها مسجد جامع ، غير أن أكثر هذه الضياع خراب ، وكذلك حوالى المدينة ضياع كثيرة أكثرها خراب وأعذب مياه تلك الناحية آبار العقيق ، عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٤٥٨ .

ونائب الشام الأمير تنبك الحسنى المعروف بتـنم الظاهرى، ونائب حلب أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى، ونائب طرابلس يونس الظاهرى المعروف بيونس بلطا، ونائب حماة آقبغا الجمالى، ونائب صفد شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على ونائب غزة بيخجا[1] المعروف بطيفور الظاهرى، ونائب الإسكندرية صرغتمش القزوينى و جميع من ذكرنا من النواب بالبلاد الشامية وأصحاب الوظائف بالديار المصريه هم مماليك الظاهر برقوق ومشترواته، ما خلا نائب صفد وهو أيضا نشؤه، والأتابك أيتمش وقد آشتراه بعد سلطنته، حسبما تقدم ذكره أنه آشتراه من أولاد معتق أستاذه .

ثم فى يوم سابع عشر المحرم المذكور سمّر السلطان سبعة نفر من المماليك يقال لأحدهم : آقبغا الفيل الظاهرى وآخر من إخوة على باى ظاهرى أيضا والباقى من مماليك على باى وشهّروا بالقاهرة، ثم وسّطوا .

وفيه أيضا تنكّر السلطان على سودون الجمزاوى الخاصّكى الظاهرى وضربه ضربا مبرّحا وسجنه بخزانة شمائل[2] مدّة، ثم أخرجه منفيّاً إلى بلاد الشام لأمر آقتضى ذلك .

وفى هذا الشهر توعّك السلطان وحدث له إسهالٌ مُفْرط لزم منه الفراش مدّة تزيد على عشرين يوما .

ورسم السلطان بتفرقة مال على الفقراء، ففرّق فيهم، فاجتمع تحت القلعة[3] منهم عالم كثير وآزدحموا لأخذ الذهب، فمات فى الزّحام منهم سبعة وخمسون شخصا، ما بين رجل وآمرأة وصغير، قاله المقريزى .

(١) ورد فى « م » : « يلخجا و باى نجا » و بعد بحث طويل لم نتعرف وجه الصواب فيها فرجحنا رواية الأصل الفوتوغرافى .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) القلعة، سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٧ من هذا الجزء .

وفى يوم ثانى عشره رَسَم السلطان بجَمْـع أهل الإسطبل (١) السلطانى من الأمـير آخـورية والسلاخورية ونحوهم ، فآجتمعوا ونزل السلطان من القصر إلى مَقْعده بالإصطبل السلطانى ، وهو متوعِّك البَدَن لمرضهم ، وعرَضهم حتى انقضى العَرْض ، فأمسك جَرباش الظاهرى أحد الأمير آخورية (٢) الأجناد وقال له بعد ذلك على ماذا تريد قتلى وأنا أستاذك ! فلم ينزعج جرباش المذكور وقال : بعد أن أشار بيده الى حياصته : أكون أنا لابس حياصـة وهؤلاء أمراء ، وأشار لمن حول السلطان من الأمراء من مماليكه ، وهم الجميع أقلّ منى و بغْدِى شريتهم ، فأشار السلطان بأخذه ، فأُخِذ وسُجِن ، فكان ذلك آخر العهد به .

ثم عرض السلطان الخيل وفرّق خيلَ السِّباق على الأمراء ، كما كانت العادة يوم ذلك .

ثم عرض الجمـال البخاتى ، كلُّ ذلك تشاغل ، والمقصودُ القبضُ على الأمـير نَوْرُوز الحافظى الظاهرى الأمير آخور الكبير ، ثم أظهر السلطان أنه تَعِب واتّكأ على الأمير نَوْرُوز ومشى من الإسطبل متكئا عليه ، حتى وصل إلى الباب الذى يُطْلَع منـه إلى القصر ، فأدار السلطانُ يدَه على عُنُـق نوروز المذكور ، فبادر الخاصّكية إليـه باللَّكم حتى سقط إلى الأرض ، ثم قبضوا عليـه وحملوه مُقَيَّدا إلى السجن ، ودخل السلطان من الباب وطلع إلى القلعة ، وكان للأمير نوروز ذنوبُ كثيرة : منها الممالأة لعلىّ باى ، ومعه أيضا الأمير آقبغا اللّكّاش ، ثم تخاذل نوروز فى فتح باب السلسلة للسلطان يوم وقعة علىّ باى .

---

(١) الإسطبل السلطانى ، سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ٤ من هذا الجزء .

(٢) فى هامش « م » . « أحد الأمراء ... الخ » .

ثمّ بعـد ذلك بَلغ السلطان أن نوروز المذكور قَصَد الركوب عليـه ، فمنعته أصحابه ، وأشاروا عليه أن يصبر حتى ينتظر ما يصير من أمر السلطان فى مرضه ، فإن مات فقد حصل له القصد من غير تعب ولا شُـنْعة ، و إن تعافَى من مرضه فليفعل عند ذلك ماشاء .

وكان ممن حضر هـذه المَشُورة مملوك من خاصّكية الملك الظاهر ، فلم يُعْجِب نوروز ذلك ، وقرّر مع أصحابه من الخاصّكية الذين وافقوه أنه إذا كان ليلةَ نَوْبَتهم فى خدمة القصر ودخلوا مع السلطان فى القصر الصغير[1] المعروف بالخرجة المطلّ على الإسطبل السلطانى يثبون عليه بمن اتفق معهم ويقتلون السلطان على فراشـه ، ثم يكسرون الثُّرَيّة المعلقة بقناديلها المُوقَدة يكون ذلك إشارةً بينهم وبين نوروز ، بعـد قتل السلطـان ، فيركب نورو ز عند ذلك و يملك القلعة من غير قتال ، فأخذ الخاصّكية يستميلون جماعة أُخر من الخاصكية ليكثُر جمعُهم ، وكان من جملةَ مَن استمالوه قانى باى الصغير الخاصكىّ وأظنه الذى ولِىَ نيابةَ الشام فى دولة الملك المؤيّد شيخ ، والله أعلم . فأجابهما قانى باى بالسمع والطاعة وحلَف لهم على الموافاة ، ثم فارقهم ودخل إلى السلطان من فوره وقعد لتكبيسه ، فحكى له القصة بتمامها وكمالها ، فاحترز الملك الظاهر على نفسه ودبّر على نوروز حتى قبض عليه .

ثم بعـد مدة فى يوم السبت رابع صفر خلع السلطان على الأمير آقبغا اللّكّاش الظاهرىّ بنيابة الكرك[2] وأُخرج من ساعته وأذن له بالإقامة بخانقاه[3] سِرْياقوس حتى يُجهّز أمره ، ووكّل به الأمير تنبك الكركى الخاصّكى وهو مُسفّره .

(١) هو القصر الغربى ، وكان موضعه حيث البيمارستان المنصورى ، ومستشفى قلاوون للرمد يشغل جزءا منه الآن ، بناه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله (راجع المقريزى ج ١ ص ٤٥٧) .

(٢) الكرك ، راجع الحاشية ، رقم ٢ ص ٣ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) الخانقاه ، كلمة فارسية معناها الدار التى يختلى فيها رجال الصوفية لعبادة الله تعالى . وخانقاه =

ثم فى ليـلة الأحد أنزل الأمـير نوروز الحافظى من القلعة مقيّدا إلى سجن الإسكندرية ومسفّره الأمير أردبغا الظاهرى أحد أمراء العشرات .

ثم قبض السلطان على قوزى الخاصّكى أحد من كان آتفق مع نوروز وسُلّمَ إلى والى القاهرة .

ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير نوروز الحافظى على تمراز الناصرى ، وصار من جملة مقدّمى الألوف بالديار المصرية ، وأنعم على سُودون المـارديني بإقطاع آقبغا اللّكّاش ، وهو تقدمة ألف أيضا ، وخلع على الأمير أرغون شاه البيدمرى الظاهرى باستقراره أمير مجلس ، عوضا عن آقبغا اللكاش المذكور ، وخلع على سودون المعروف بسيّدى سُـودون قريب الملك الظاهر برقوق باستقراره أمير آخور عوضا عن نوروز الحافظى .

= سر ياقوس ذكرها المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ٤٢٢) فقال : إن هذه الخانقاه خارج القاهرة من شماليها على نحو بريد منها بأول تيـه بنى إسرائيل بسماسم (فضاء) سرياقوس . أنشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون على بعـد فرسخ (فى الشمال الشرقى) من بلدة سرياقوس . بدأ فى عمارتها فى شهر ذى الحجة سنة ٧٢٣ هـ وجعل فيهـا مائة خلوة لمـائة صوفى وبنى بجانبها مسجدا تقام به الجمعة وحماما ومطبخا تحت هـذه العمارة ، واحتفل بافتتاحها يوم ٧ جمـادى الآخرة سنة ٧٢٥ هـ بحضور الملك الناصر ورتب لهـا الأوقاف الكافية ، وقد أقبل النـاس على البناء والسكنى بجوار هـذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات والحمامات حتى صارت بلدة كبيرة باسم خانقاه سرياقوس نسبة إلى هـذه الخانقاه . وأقول : إن المؤلف ذكر أن هذه الخانقاه أنشئت سنة ٧٤٠ هـ والصواب أن تاريخ إنشائها والاحتفال بافتتاحها هما كما ذكره المقريزى . ويستفاد ممـا ورد فى كتاب وقف الملك الأشرف برسباى المحرر فى سنة ٨٤١ هـ أن الجامع الذى أنشأه الملك المذكور بناحية خانقاه سرياقوس يحده من البحرى الغربى الخانقاه الناصرية وهى خانقاه سرياقوس .

وبالبحث والمعاينـة تبين لى أن الخانقاه المذكورة (أى دار الصوفية) قد اندثرت ، وكانت واقعـة فى الفضاء المجاور الآن لجامع الملك الأشرف من الجهة الغربية أى جنوبى سكن ناحية الخانكة التى كانت تعرف قديمـا باسم خانقاه سرياقوس وهى اليوم إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر وعلى بعد عشرين كيلومترا فى الشمال الشرقى من مدينة القاهرة .

وفي ثالث عشرين صفر أيضا أملَى بعضُ المماليك السلطانية إليه بالأطباق على بعض فقهاء الأطباق أسماء جماعة من الأمراء والمماليك ، أنهم اتفقوا على إقامة فتنة والقيام على السلطان وكتبها ودخل بها المملوك على السلطان ، فلما قُرئت الورقة على السلطان، آستدعى المذكورين وأخبرهم بما قيل عنهم ، لحلفوا أن هذا شيء لم يسمعوه إلا الآن، وحلُّوا أوساطهم ورمَوْا سيوفهم، وقالوا يوسِّطنا السلطان أو يخبرنا بمن قال هذا عنا ، فأحضر السلطان المملوك وسلّمه إليهم وضربوه نحو الألف عصا ، حتى أقرّ أنه آختلق هذا الكلام عليهم حنقا من واحد منهم ، وسمّى شخصا كان خاصمه(١) قبل ذلك .

ثم أحضر السلطان الفقيه الذى كتب الورقة وضربه بالمقارع وسُمِر، ثم شُفع فيه من القتل وحبس بخزانة شمائل .

ولما وصل الأمير آقبغا اللكاش إلى غزة(٢) متوجّها إلى محل كفالته بمدينة الكرك ، قُبض عليه بها وأُحيط على سائر ما كان معه ، وحُمل إلى قلعة الصُّبيبة(٣) فسُجن بها .

ثم ورد الخبر على السلطان فى صفر المذكور أن السكّة ضُربت بآسمه بمدينة ماردين(٤)، وخُطِب له بها وحملت له الدنانير والدراهم وعليها آسم السلطان .

ثم فى شهر ربيع الأول فى رابعه ، ورد الخبر على السلطان بموت الأمير أرغون الإبراهيمى الظاهرى نائب حلب ، فرسَم السلطان أن ينقل الأمير آقبغا الجمالى

(١) رواية « ف » خانقة .
(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٠ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .
(٣) الصبيبة : اسم لقلعة بانياس ، وهى من الحصون المنيعة .
(٤) ماردين ، راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا

الظاهرى المعروف بالأطروش من نيـابة طرابلس إلى نيـابة حلب، وحَمَل إليه التقليدَ والتشريفَ إينـال باى بن قجماس ، ورسم أيضا بآستقرار يونس بلطا نائب حماة[١] فى نيابة طرابلس عوضا عن آقبغا المذكور، وتوجّه بتقليده وتشريفه الأمير يلبغا الناصرى الظاهرى ، ورسم أن يستقر دمرداش المحمدى أتابك حلب فى نيابة حمـاة ، وتوجه بتقليـده الأمير شيخ المحمودى[٢] الساقى رأس نوبة وهـو الذى تسلطن

ثم خلع السلطان على الأمير سـودون الظاهرى المعروف بالظريف فى نيـابة الكرك .

وفى خامس عشر ربيع الأول أنعم السلطان على الوالد بجميع سَرْحة البُحيرة[٣] وداخلها مدينة الإسكندرية .

(١) حماة بالفتح مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق ، يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضر كبير جدا فيـه أسواق كثيرة ، وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصى ، عليه عدة نواعير تستق المـاء من العاصى فتسق بساتينها وتصب إلى بركة جامعها و يقال لهـذا الحاضر السوق الأسفل لأنه منحط عن المدينة ويسمون المسوّر السوق الأعلى . وفى طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة حفر خندقها نحو مائة ذراع وأكثر للملك المنصور محمـد بن تق الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب . وهى مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس فى شعره فقال :

تقطع أســباب اللبانة والهوى * عشــية رحنا من حماة وشيزرا
بســير يضج العـود منــه يمنــه * أخو الجهد لا يلوى على من تعذرا

راجع معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٣٣٠ و ٣٣١) .

(٢) رواية «ف» «المحمدى» .

(٣) البحيرة، هى من الأقسام الإدارية التى آستجدت فى عهد العرب باسم كورة البحيرة . وفى أيام الدولة الفاطمية أضيف إليها كور أخرى مجاورة لهـا فصارت إقليما كبيرا باسم البحيرة . وفى سنة ١٣١٥م أطلق عليها أعمال البحيرة . وفى سنة ١٥٢٧ م ولاية البحيرة . وفى سـنة ١٨٣٣ م مديرية البحيرة ، وقاعدتها مدينة دمنهور .

ثم فى سلخ ربيع الأول المذكور أمسكَ السلطانُ الأميرَ عزّ الدين أَزْدمُر أخا إينال اليوسفى وأَمسَك معــه ناصر الدين محمد بن إينال اليوسُفِىّ ونُفيا إلى الشام .

ثم فى يوم الأربعاء أوّل شهر ربيع الآخر خَلَع السلطان على الأمير سَرَاى تمُرشاَّق الناصرى أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبة بديار مصر بآستقراره أتابك العساكر بحلب عوضا عن دِمِرداش المحمّدى المنتقل إلى نيابة حماة .

ثم فى عشرينه أَنعم السلطانُ على الأمير على بن إينال اليوسفى بخُبْز أخيه محمد ، وأمــير علىّ هــذا هو أســتاذ الملك الظــاهر جَقْمَق الآتى ذكرُه ، وبه عُرف بالعَــــلائىّ .

وفيــه أَنعم السلطانُ على كلّ من سُــودون من زَادة الظاهرى ، وتَغْرِى بَرْدِى الجُلُبانى ، ومَنْكَلى بُغا الناصرى ، وبَكْتَمر الظاهرى ، وأحمد بن عمر الحَسَنى بإمرة طبلخاناة بالديار المصرية .

وأَنعم أيضــا على كلٍّ من بشباى الظــاهرى ، وتمربغا من باشاه ، وشاهين من إسلام الأفرم الظاهرىّ ، وجُوبان العثمانى الظاهرى ، وجكم من عوض الظاهرى بإمرة عَشَرة .

ثم فى خامس عشرينه طلَع إلى السلطان رجلٌ عجمىٌّ ، وهو جالس للحُكم بين الناس وهيئته كهيئة الصوفية ، وجلس بجانب السلطان ، ومدَّ يدَه إلى لحيْته ليقبض عليها وسبَّه سبًّا قبيحا ، فبادر إليه رءوس النُّوَب وأقاموه ، ومرُّوا به ، وهو مستمرٌّ فى السبّ ، فأمر به السلطان ، فَسُلِّم لوالى القاهرة ، فأخذه الوالى ونزل به وعاقبه حتى مات تحت العُقوبة .

ثم فى يوم الخميس سلخه خَلَع السلطان على تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج آبن نُقولا الأرمنىّ الأسلمىّ والى قَطْيا(١) بآستقراره وزيرًا عوضا عن الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى .

وفى رابع جُمـادَى الأولى رَسَم السلطانُ بإحضار الأمير يلبغا الأحمدى المجنون من ثغر دِمْياط .

ثم فى يوم الآثنين حادى عشر جُمادَى الأولى المذكور رسم السلطانُ باستدعاء رئيس الأطبّاء فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نَفِيس الداودِىّ التّبريزى(٢) وخلَع عليه بآستقراره فى كتابة السّر، بعد موت القاضى بدر الدين محمود الكَلستانى، وكان نَفيس جدّ فتح الله هذا يهوديًّا من أولاد نبىّ الله داود عليه السلام .

وفى رابع عشرينه خَلَع السلطان على الأمير فرج الحلبى أُستدار الذخيرة والأملاك بآستقراره فى نيابة الإسكندرية .

ثمّ فى يوم الآثنين ثامن شهر رجب رَسَم السلطان بآنتقال الأمـير جقْمَق الصَّفَوِى حاجب حُجّاب حلب إلى نيابة مَلَطْية(٣) بعد عَزْل دُقماق المحمّدىّ الظاهرىّ وجهّز تقليده على يد مُقْبِل الخازندار الظاهرى .

(١) قطيا ، يستفاد مما ورد فى معجم البلدان لياقوت والآنتصار لآبن دقاق ، وكتاب الحقيقة والمجاز للنابلسى أن قطيا وتكتب أيضا قطية هى قرية من نواحى الجفار فى الطريق بين مصر والشام فى وسط الرمل قرب الفرما ، وبها جامع ومارستان (مستشفى) وبها والى طبلخاناه مقيم لأخذ العشر من التجار، وبها قاض وناظر وشهود ومباشرون ، ولا يمكن لأحد الجواز من مصر إلى الشام وبالعكس إلا بجواز مرور فهى حزم الدرب ، لا يمكن الدخول إلى مصر إلا منها ؛ وكان بها مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر .

وأقول : قد اندثرت هذه القرية ، ولم يبق إلا أطلالها فى الطريق بين القنطرة والعريش فى الجنوب الشرقى من محطة الرمانة (الرومانى) قديما وعلى بعد عشرة كيلومترات منها .

(٢) رواية « ف » : « الدواداری » .

(٣) ملطية راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

ثمّ فى حادى عشرين شهر رجب المذكور خلَع السلطان على الشيخ تقى الدين المقريزى المؤرّخ باستقراره فى الحِسْبة بالقاهرة ، عوضا عن شمس الدين البجاسىّ .

ثم فى خامس عشرينه أعيد قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المُناوِى إلى قضاء الشافعيّة بالديار المصرية ، بعد عزل قاضى القضاة تقى الدين عبدالرحمن الزَّبيْرِىّ .

وفى هذه الأيام أُعِيد أيضا يَلْبُغا المجنون إلى وظيفة الأُستدارية ، بعد عزل ناصر الدين محمد بن سُنْقُر. وآستقر آبن سنقر أستادار الذخيرة والأملاك عوضا عن فرج المنتقل إلى نيابة الإسكندريّة .

ثم كتب السلطان للأمير تَنَم الحَسَنِىّ نائب الشام بالقبض على الأمير شهاب الدين أحمد آبن الشيخ على نائب صفد وعلى الأمير جُلْبان الكَمَشْبُغاوى الظاهرى المعروف بقراسُقْل أتابَك دمَشق ، فورد مرسومُ السلطان على تَنَم وهو بالغَوْر فآستدعَى نائب صفد المذكور وقبض عليه ، ثم قَبَض على الأمير جُلْبان المذكور و بعث بهما إلى قلعة دمشق فسُجِنا بها

ورَسَم السلطانُ بنقل الأمير أَلْطُنْبُغا العثمانى الظاهرى من حُجُوبيّة دِمَشق إلى نيابة صَفَد ، ونَقَل الأمير بِجَجا الشرفى المعروف بطيفور نائب غزة منها إلى حجوبية دِمشق ، ونقل ألطنبغا الظاهرىّ نائب الكَرَك كان إلى نيابة غزة .

ثم فى تاسع شعبان خلع السلطانُ على كمال الدين عمر بن العَدِيم بآستقراره قاضى قضاة حلب بِسفَارة الوالد .

ثم فى رابع عشرين شهر رمضان كتبَ السلطانُ بالإفراج عن الأمير شهاب الدين أحمد آبن الشيخ علىّ من محبسه بقلعة دِمَشق وآستقرارِه أتابَك العساكر بها، عوضا عن الأمير جُلبان قراسُقل .

ثم فى سابع عشرينه أُخرِج الأمير علاء الدين علىّ بن الطبلاوى من خزانة شمائل وسُلّم للأمير يَلبُغا المجنون الأستادار .

ثم قدِم الخبر على السلطان بموت الأمير الكبير كَمَشْبُغا الحموىّ بسجن الإسكندرية، فابتهج السلطان بموته، ورأى أنه قد تمّ له أمرُه، فإنه آخر من بقِىَ من اليُلبُغاويّة الأمراء .

(١) قلعة دمشق، تسمى الأسد الرابض، بناها تاج الدولة تتش سنة ٤٧١ هـ وجعل بها دار إمارة وسكنها، ثم زاد الملوك بعده فيها وسكنها كثير منهم . وكانت دار الإمارة قبله تسمى القصر، بناها العباسيون بعد أن دكوا الخضراء وقصور الأمويين، فخرب القصر فى بعض فتن الفاطميين .

وفى سنة ٦٩١ هـ كمل بناء الطارمة وما عندها من الدور والقبة الزرقاء فى قلعة دمشق، فجاءت فى غاية الحسن والكمال والارتفاع، وأنشئت فيها قاعة أسمها قاعة الذهب وفرغ من جميع ذلك فى سبعة أشهر، طولها من الشرق إلى الغرب ٣٣٠ خطوة وعرضها من الشمال إلى الجنوب ١٧٠ خطوة، وقد خربت فى أدوار كثيرة ثم أعيد بناؤها .

وقد وصف ابن حجة الحموى قلعة دمشق عندما حوصرت فى الوقعة المشهورة فقال :

« ونظرت بعد ذلك إلى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها، حتى قلنا : (أزفت الآزفة)، وقد ستروا بروجها من الطارق وهم يتلون : (ليس لها من دون الله كاشفة)، واستجليت عروس الطارمة عند زفتها، وقد تجهزت للحرب ولم ترض بغير الأرواح مهرا » ... الخ . وقد أطال ابن حجة فى وصف تلك القلعة فاكتفينا بما ذكرناه . راجع تتمة الكلام عليها فى خطط الشام لمحمد كرد على (ج ٥ ص ٢٩٢ وما بعدها) .

وأصبح من الغد فى يوم الجمعة وهو أوّل شوّال ، صَلّى صلاة العيد بالميدان على العادة ، ثم صَلّى الجمعة بجامع القلعة (١) فتفاءل الناس بزوال السلطان ، كونه خطب بمصر فى يوم واحد مرّتين .

قلت : وهذه القاعدةُ غيرُ صحيحة ، فإنّ ذلك وقع للملك الظاهر جَقْمَق فى أوّل سِنين سلطنتِه ، ثم وَقع ذلك فى سلطنة الملك الأشرف إينال .

ثم فى سادس شوّال أُخرِج ابن الطبلاوىّ علاء الدين منفياً إلى الكَرَك ومعه نقيب واحد .

وفى يوم الثلاثاء خامس شوّال من سنة إحدى وثمانمائة ، فيه كان ابتداء مرض السلطان الملك الظاهر برقوق وسببه أنّه ركب لِلَعب الكُرَة بالمَيْدان ،

---

(١) جامع القلعة ، هو الجامع الناصرى ، هذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع القلعة (ص ٣٢٥ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بقلعة الجبل ، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٨ هـ وكان فى مكانه جامع قديم والمطبخ السلطانى ومخازن الأدوات والمفروشات فهدم الجميع وأدخلها فى هذا الجامع ، والظاهر أن عمارة الجامع لم ترق فى نظر الملك الناصر ، فقد ذكر المقريزى فى موضع آخر من خططه عند الكلام على هذا الجامع (ص ٢١٢ ج ٢) أن الملك الناصر أخربه فى سنة ٧٣٥ هـ وبناه هذا البناء ، يضاف إلى ذلك ما ورد فى كتاب تاريخ سلاطين المماليك لابراهيم بن مغلطاى وهو أنه فى أول رمضان سنة ٧٣٦ هـ صلى فى جامع القلعة عند فراغه وتكملته وتجديده .

وأقول : إن الملك الناصر قد احتفظ بتاريخ تأسيس الجامع ، وهو سنة ٧١٨ هـ كما هو منقوش على بابه البحرى ، وأن هذا الجامع لا يزال موجودا ومشرفا على الحوش الذى فيه جامع محمد على باشا بالقلعة ، إلا أنه معطل من الصلاة بسبب عدم الصرف عليه وإهماله مدة طويلة حتى تخرب معظمه . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاح وترميم هذا الجامع فأعادت بناء القبة الكبيرة التى بالايوان الشرقى وأصلحت منارته وسقفه ، وهى توالى عملية الإصلاح حتى تتم عمارته لإقامة الشعائر الدينية بفضل الله .

فلمـا فرغ منـه قدم عليه عسلُ نحل وَرَدَ من نَخْتَا(١)، فأكل منـه ومن لحم بَلَشُون(٢) مشوىّ .

ثم دخل إلى مجلس أُنسِه وشرب مع ندمائه، فآستحال ذلك خِلْطًا رديئا لزم منه(٣) الفراش من ليلته .

ثم أصبح وعليـه حمّى شديدة الحرارة، ثم تنوّع مرضه، وأخذ فى الزيادة من اليوم الثالث وليلة الرابع، وهو البُحْرانُ(٤) الأوّل، فأنذر عن السابع إنذارا رديئا لشدّة الحُمى وضَعف القوّة، حتى أيس منه، وأُرجِف بموته فى يوم السبت تاسعه، وآستمر أمره فى الزيادة إلى يوم الأربعـاء ثالث عشره، فقوى الإرجاف بموته، وغلِّقت الأسواق، فركب الوالى ونادى بالأمان .

فلما أصبح يوم الخميس آستدعى السلطان الخليفة المتوكل على الله وقضاةَ القضاة وسائر الأمراء وجميع أرباب الدولة، فحضر الجميع فى مجلس السـلطان، فحدّثهم السلطان فى العهد لأولاده، وآبتدأ(٥) الخليفة بالحلف للأمير فرج آبن السلطان، وأنه هو السلطان بعد وفاة أبيه .

ثم حلف القضاةُ والأمراءُ وجميعُ أرباب الدولة، وتولى تحليفهم كاتب السرّ فتح الله؛ فلما تمّ الحلف للأمير فرج، حلَفُوا أن يكون القائمَ بعد فرج أخوه عبد العزيز، وبعد عبد العزيز أخوهما إبراهيم .

(١) نختا، بفتح الكاف وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فوق ثم ألف : بلدة فى أقصى الشمال من الشام، (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل ص ٢٦٢) .

(٢) بلشون، بفتح أوّله وسكون ثانيه وشين مضمومة : كلمة قبطية مدلولها طائر (عن دوزى) .

(٣) رواية (ف) : «فيه» .

(٤) البحران : كلمة مولدة، ومعناها شدّة حر شهر تموز (يوافق شهر يوليو) عن شفاء الغليل لشهاب الدين أحمد الخفاجى .

(٥) رواية (ف) : «فابتدأ» .

ثم كُتِبتْ وصيّةُ السلطان، فأوصَى لزوجاته وسراريه وخُدّامه بمائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار، وأن يُعمَّر له تربة (١) بالصحراء خارج باب النصر (٢) تجـاه تربة (٣)

---

(١) هـذه التربة يقال لهـا : تربة الظاهر برقوق أو المدرسـة الناصرية بالصحراء أو الخانقاه البرقوقية، هى أكبر تربة وجدت فى جبانات القاهرة فهى تشمل مسجدا فسيح الأرجاء، مستكملا جميع معدات الصـلاة والتدريس، وعلى خانقاه ذات خلاوى عدّة للصوفيـة، وعلى سبيلين يعلوهما مكتبان فى الوجهة الغربية التى يعلوهما أيضا منارتان، وفى الجهة الشرقية قبتان تحت القبه البحرية، منها قبر الملك الظاهر برقوق المتوفى سـنة ٨٠١ هـ وقبور أولاده ما عدا ابنه الملك الناصر فرج الذى أنشأ هـذه التربة العظيمة، فانه قتل فى الشام فى سـنة ٨١٥ هـ ودفن بمقبرة باب الفراديس بدمشق . ويستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على المقابر خارج باب النصر (ص ٤٦٣ ج ٢)، ومن الكتابات المنقوشة فى بعض مواضع من هذه التربة أن الذى أنشأها هو الملك الناصر فرج بن برقوق، فبـدأ فى عمارتها سـنة ٨٠١ هـ وفرغ منها فى سـنة ٨١٣ هـ، ولذلك يقال لهـا المدرسة الناصرية نسبة إلى الملك الناصر المذكور . وهذه التربة واقعة بحرى جبانة المماليك، بينها وبين جبانة العباسية الجديدة المعروفة بجبانة الغفير بالقاهرة . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بترميم و إصلاح هذه العمارة الفخمة حتى أعادتها إلى حالتها الأولى .

(٢) باب النصر، هو أحد أبواب مدينـة القاهرة القديمة، و إلحاقا لمـا ذكرته عن هذا الباب فى ص ٣٨ من الجـزء الرابع من هذه الطبعة أذكر أن باب النصر الحالى أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المنتصر الفاطمى فى سـنة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م وهو من أقدم وأجمل الأبنية الحربية الباقيـة فى مصر . وجهته تتكوّن من بدنتين مربعتين نقش عليهما فى الحجـر أشكال تمثل بعض آلات الحرب من سيوف وتروس، ويتوسط البدنتين باب شاهق ويعلو الوجهة إفريز يحيط بالبدنتين به كتابة تضمنت اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء .

(٣) تربة الأمير يونس، هذه التربة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خانقاه يونس (ص ٤٢٦ ج ٢) فقال : إن هـذه الخانقاه من جملة ميـدان القبق بالقرب من قبـة النصر خارج باب النصر، أدركت موضعها و به عواميد تعرف بعواميد السباق، وهى أوّل مكان بنى هنـاك . أنشأه الأمير يونس النوروزى الدوادار . وأقول : إن الأمير يونس قتل فى الشام ولم يدفن فى هذه التربة التى بمعاينتها تبين لى أنها لا تزال قائمة فى الجهة الشمالية من تربة السلطان برقوق التى تعرف بالمدرسة الناصرية بصحراء جبانة المماليك والباقى منها قبة، وهى التى كان دفن تحتها الأمـير آنص العثمانى، ولمـا أتم ولده السلطان برقوق بناء مدرسته التى بين القصرين نقل جثة والده إلى هذه المدرسة التى سيأتى التعليق عليها فى الكلام على ولاية السـلطان برقوق سنة ٧٨٦ هـ

الأمـير يونس الدوادار بثمانين ألف دينـار ، ويُشترى بمـا فَضلَ عن[1] عمارة التربة المذكورة عَقارُ ليوقَف عليها ، وأن يُدفن السلطان الملكُ الظاهر برقوق بها فى لحد تحت أرجل الفقراء : وهم الشيخ علاء الدين السيرامىّ الحنفىّ ، والشيخ أمين الدين الحـلواتى الحنفىّ ، والمعتقد عبـد الله الجبرتىّ ، والمعتقد طلحة ، والشيخ المعتقد أبو بكر البجائىّ ، والمجذوب أحمد الزهورىّ ، وقرّر أن يكون الأمير الكبير أيتمش هو القائم بعده بتدبير ٱبنه فرج ، وأن يكون[2] وصيًّا على تركته ومعه تَغرى بردى بن[3] بشبغا أمير السلاح ، أعنى عن الوالد ، والأمير بيبرس الدوادار ٱبن أخت السلطان بعدهما ، ثم الأمير قطلوبغـا الكركىّ أحد أمراء العشرات ، ثم الأمير يلبغـا السالمىّ أحد أمراء العشرات أيضا ، ثم سعد الدين إبراهيم بن غراب ، وجعل الخليفة ناظرا على الجميع .

ثم ٱنفضّ المجلس ونظر الأمراء بأسرهم فى خدمة الأمير الكبير أيْتَمَش البَجاسىّ إلى منزله ، فوعدَ الناسَ أنه يُبْطِل المظالم وأخذَ البراطيل على المناصب والولايات .

وأكثر السلطان فى مرضه من الصدقات ، فبلغ ما تصدّق به فى هذا المرض أربعة عشرة ألف دينار وتسعمائة دينار و[4]تسعة وتسعين دينارا ، وأخذ فى النزع من بعد الظهر إلى أن مات السلطان الملك الظاهر برقوق من ليلته بعد نصف الليل . وهى ليـلةُ الجمعة خامس عشر شوّال ، وقد تجاوز ستّين سـنةً من العمر ، بعد أن حكم على الديار المصرية والممالك الشامية أميرا كبيرا مدبرا وسلطانا إحدى وعشرين سنة وسبعة وخمسين يوما ، منها تحكّمه بديار مصر ، بعد مسك الأمير الكبير طشتمر العلائىّ الدوادار أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، وكان يسمّى إذ ذاك بالأمير

---

(١) رواية (ف) : « من » .
(٢) رواية (ف) : « وجعله وصيا على تركته » .
(٣) رواية (ف) : « من يشبغا » .
(٤) رواية (ف) : « ومئة وتسعين » .

الكبير نظام الملك ، ومنذ تسلطن سلطنته الأولى فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة إلى أن خُلع وآختفى فى واقعة الناصرى ومنطاش فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، ست سنين وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما ، وتسلطن عوضه الملك المنصور حاجّىّ آبن الملك الأشرف شعبان بن حسين ، ودام مخلوعا محبوسا ، ثم خارجا بالبلاد الشامية ثمانية أشهر وستة عشر يوما ، وأُعيد إلى السلطنة ثانيا ، فمن يوم أعيد إلى سلطنته ثانية إلى أن مات فى ليلة الجمعة المذكورة تسع سنين وثمانية أشهر ، وتسلطن من بعده آبنه الملك الناصر فرج وجلس على تَخْت المُلْك حسبما يأتى ذكُره فى سلطنته .

ثم أخذ الأمراءُ فى تجهيز السلطان الظاهر برقوق ــ رحمه الله ــ وغُسّل وكُفّن ، وصَلَّى عليه بالقلعة قاضى القضاة صدر الدين المُناوى ، وحَمل نعشه سائرُ الأمراء على أعناقهم إلى تُربته ، فدُفن بها ــ حيث أوصَى ــ على قارعة الطريق ، ولم يكن بذلك المكان يوم ذاك حائط ، ودُفن قبل صلاة الجمعة ، ونزل أمامَ نعشِه سائرُ الأمراء وأربابُ الدولة مشاةً يصيحون و يَصْرُخون بالبكاء والعويل ، وقد آمتلأتْ طرق الصحراء بالجوارى والنساء السَّبِيات(١) الحاسرات منشَّرات الشعور من حرم مماليكه وحواشيه ، فكان يوما فيه عبرةٌ لمن آعتبر ، ولم يُعهد قبله أحدٌ من ملوك مصر دُفن نهارا غيرُه ، وضُربت الخيامُ على قبره ، وقرئ القرآنُ أياما . ومُدّت لهم الأسمطةُ العامة الهائلة ، وترددتْ أكابرُ الدول فى كل ليلة إلى قبره عدّة أيام وكثُر أسفُ الناس عليه .

(١) جمع سبيّة ، وهى المرأة المنهوبة المأسورة .

قلتُ : وهو أوّل من ولِيَ السلطنة من الجراكسة بالديار المصرية بعـد الملك المظفّر بيبرس الجاشَنكير، على خلاف فى بيبرس ، وهو القائم بدولة الجراكسة ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلِّه فى أوّل ترجمته .

وخلّف من الأولاد ثلاثة ذكور : الملك الناصر فرجا ، وأمه أمّ ولد روميـة تُسمَّى : « شِـيرِين » وهى بنت عمّ الوالد ، وقيـل : أخته ، وماتت فى سلطنة آبنها الملك الناصر فرج . وعبد العزيز، وأمّه أمُّ ولد أيضا تركيّة الجنس ، تُسمَّى قنق باى ، ماتت فى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، و إبراهيم ، وأمّه خَوَنْد بركة ، ماتت فى أواخر دولة الملك الأشرف برسباى .

وخلّف أيضا ثلاث بنات : خوند سارة وأمّها أمّ ولد ، تزوّجها الأمير نوروز الحافظىّ، ثم مقبل الرومىّ ، وماتت فى سنة ست عشر وثمانمائة بطريق دِمشق ، وخَوَنْد بيرَم وأمُّها خوند هاجر بنت مَنْكَلِى بُغـا الشمسىّ ، تزوجها إينال باى بن قجماس ، وماتت بالطاعون فى سـنة تسع عشرة وثمانمائة وخوند زينب ، وأمّهـا أمّ ولد، تزوجها الملك المؤيّد شيخ، ثم من بعده الأتابك جَقق، وماتت فى حدود سنة ثلاثين وثمانمائة .

وخلّف فى الخـزانة وغيرها من الذّهب العَين ألفَ ألفَ دينار وأربعمائةَ ألف دينار، ومن الغلال والقُنُود(١) والأعسال والسكّر والثياب وأنواع الفَرْو ما قيمته أيضا ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار .

وخلّف من الخيل نحو سـتّة آلاف فَرس ، ومن الجمال نحـو خمسة آلاف جَمَل ، ومن البغال وحميرِ التراب عدّةً كبيرة .

(١) القنود : جمع قند ، وهو عسل قصب السكر إذا جمد ؛ عن شرح القاموس .

وبلغت عدّةُ مماليكه المشتروات خمسة آلاف مملوك، وبلغت جوامك[1] مماليكه فى كل شهر نحو أربعمائة ألف درهم فضة، وعليق خيولهم فى الشهر ثلاثة عشر ألف إردب شعير، وعليق خيوله بالإسطبل[2] السلطانى وغيره، وجمال النَّفَر وأبقار السواقى وحمير التراب فى كل شهر أحد عشر ألف إردب من الشعير والفول .

وكان ملكا جليلا حازما شَهْما شجاعا مقداما صارما فَطِنا عارفا بالأمور والوقائع والحروب، ومما يدل على فرط شجاعتــه وُثُوبُه على المُلك وهو من جملة أمراء الطبلخانات، وتملّكه الديار المصرية من تلك الشجعان، وما وقع له مع الناصرى ومنطاش عند خلعه من السلطنة كان خِذلانا من الله تعالى (لِيَقْضِيَ اللهُ أمرًا كانَ مفعولا)، وما وقع له بعد خروجه من حبس الكَرَك[3]، فهو من أكبر الأدلة على شجاعته وإقدامه .

وكان — رحمه الله — سَيُوسا عاقلا ثَبْتا، وعنده شهامةٌ عظيمة ورأى جيّد ومكرٌ شديد وحَدْس صائب، وكان يتروّى فى الشىء المدّة الطويلة حتى يفعله، ويتأنّى فى أموره، مع طمع كان فيه وشرهٍ فى جمع المال، وكان يحب الاستكثار

(١) الجوامك، هى رواتب خدّام الدولة (تعريب جامكى وهو مركب من جامه، أى قيمة، ومن كى، وهو أداة النسبة وهى كلمة فارسية (عن الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير الكلدانى) .

(٢) الإسطبل السلطانى، يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢)، وعلى الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) أن هــذا الإسطبل مكانه اليوم مجموعة المبانى التى بها مخازن ورش الجيش المصرى بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذى كان يسمى قديما باب الإسطبل فى المسافة الممتدّة بين جامع أحمد أغا قيومجى إلى نهاية الورش من جهاتها الغربية والقبلية والشرقية، هذا مع العلم بأن المكان الحالى للاسطبل المذكور ليس فى منسوب أرض قلعة الجبل، بل هو فى مستوى منخفض مما عليه القلعة، ويحيط به السور الأسفل الغربى المشرف على ميدان صلاح الدين بالقاهرة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء .

من المماليك ، ويُقدِّم جنس المماليك الجراكسة على غيره، ثم ندم على ذلك فى أواخر عمره، بعد فتنة علىّ باى .

وكان يُحب ٱقتناء الخيول والجمـال ، وكان يتصدّى للأحكام بنفسه ويبـاشرُ أحكامَ المملكة برأيه وتدبيره ، فيصيب فى غالب أموره ، على أنه كان كثيرَ المَشُورة لِأرباب التجارب، يأخذ رأيَهم فيما يفعلُه ، ثم يقيسُ رأيهم على حَدْسِه ، فيظهر له ما يفعـله .

وكان يحب أهل الخير والصلاح، وله ٱعتقاد جيّد فى الفقراء والصُّلَحاء، وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل عليه أحدٌ منهم ، ولم يكن يُعهد هذا من مَلِك كان قبله من ملوك مصر، على أنه صار يعض من الفقهاء فى سلطنته الثانية، من آجل أنهـم أفتَوْا فى قتاله وقتلِه، لاسيما القـاضى ناصر الدين ٱبن بنت ميلق، فإنه كان كثيرَ الاعتقاد فيه ، ومع شدّة حَنَقِه عليهم كان لا يترك إكرامَهم .

وكان كثيرَ الصَّدَقات والمعروف، أوقف ناحية بهتيت[1] على سَحابة[2] تسير مع الحج إلى مكة فى كلّ سنة ، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج وتَصْرِف لهم ما يحتاجون

---

(١) بهتيت : هى بذاتها ناحية بهتيم ، أصلها من المدن المصرية القديمة ، اسمها المصرى « حنب حيم » والقبطى « بهتيت » وذكرها ابن دقاق فى كتاب الانتصار فقال : « بهتيت من المدن القديمة وبها كيمان وآثار قديمة » (وهى إلى جانب قرية الأمـيرية من ضواحى القاهرة) وذكرها المقريزى فى خططه عند الكلام على ضواحى القاهرة (ص ١٢٠ ج ٢) باسم بهتين ثم حرّف اسمها بعـد ذلك من بهتيت وبهتين إلى بهتيم وهو اسمها الحالى، وهى الآن قرية زراعيـة من قرى ضواحى القاهرة . وقـد اتخذت الجمعيه الزراعية الملكية جزءا من أراضى هذه البلدة حقولا للتجارب الزراعية، وأنشأت بها مزرعة نموذجية كبيرة، وحظائر لتربية الخيول العربية وأنواع البقر والجاموس والأغنام والدواجن وغيرها . وتقع بهتيم فى شمال القاهرة على بعد سبعة كيلو مترات . ومساحة أراضيها ٢٦٣٢ فدانا . وسكانها حوالى ٦٠٠٠ نسمة بمـا فيهم سكان العزب التابعة لها وعددها ٣٣ عزبة . (انظر النجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية ج ١٠ ص ١٥٦) .

(٢) يريد بالسحابة ها هنا طائفة ممن يرافقون الحاج للحافظة عليه .

إليـه من المـاء والزاد ذهابا وإيابا ، ووقف أيضا أرضا على قبـور[(١)] إخوة يوسف عليه السلام بالقرافة[(٢)] ، وكان يذبح دائمـا فى طول أيام إمارته وسلطنته فى كلّ يوم من أيام شهر رمضان خمسا وعشرينَ بقَرة ، يتصدّق بها بعد ما أن تُطبَخ ، ومعها آلاف من أرغفة الخـبز النّقى ، تُفرَّق على أهل الجوامع والمساجد والرُّبُط[(٣)] وأهـل السجون ، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ ، وثلاثة أرغفة ، وهذا ، غير ما كان يفرّق فى الزوايا من اللحم أيضا ، فإنه كان يُعطى لكل زاوية خمسين رطلا من اللحم الضأن ، وعدّةَ أرغفة فى كل يوم ، وفيهـم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم وكان يفرق فى كل سنة فى أهل العلم والصلاح مائتى ألف درهم ، الواحد إلى مائة دينار ، وكان يفرّق فى فقراء القرافتين[(٤)] لكل فقير من دينار إلى أكثر وأقلّ ، ويفرّق فى كل سنة ثمـانية آلاف إردب قمحا على أهل الخير وأرباب الصلاح .

ويبعَث فى كل سنة إلى بلاد الحجاز ثلاثة آلاف إردب قمحا ، تُفرّق فى الحرمين وفرّق فى مدة الغلاء كلَّ يوم أربعين إردبا ، عنها ثمـانية آلاف رغيف ، فلم يمُتْ فيه أحدٌ من الجوع .

(١) قبور إخوة يوسف ، بما أن هذه القبور تقع فى أرض القرافة الكبرى ، وهذه القرافة قد زالت ، وعليه لا يمكننا أن نتعرّف قبور إخوة يوسف عليه السلام .

(٢) القرافة ، هى القرافة الكبرى ، مكانها اليوم أرض فضاء لا بناء فيها بين مصر القـديمة وجبانة الإمام الليث (عن كتاب الكواكب السيارة لابن الزيات) . وراجع الحاشية رقم ٢ ج ٨ ص ٣٨ .

(٣) الربط : جمع رباط ، وهى دار يسكنها أهل طريق الله من الفقراء . قال ابن سيدة : الرباط من الخيل الخمس فما فوقها ، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله . ثم صار لزوم الثغر رباطا (انظر خطط المقريزى ج ٢ ص ٤٢٧) .

(٤) يريد بالقرافتين : الكبرى والصغرى .

وكان غير هـذا كلّه يبعث فى كل قليل بجملة من الذهب تُفرّق فى الفقهاء والفقراء، حتى إنه تصدّق مرة بخمسين ألف دينار مصرية على يد خازنداره العبد الصالح الطواشى صندل المَنْجكى الرومىّ .

وأبطلَ عدّةَ مكوس: منها ما كان يؤخذ من أهل شُورى(١) و بَلْطيم(٢) من البُرُلُّس(٣)، وكانت شـبه الجالية(٤) فى كل سـنة . قلتُ : أُعيـد ذلك فى سلطنة الملك الظاهر جَقْمَق .

وأبطل ما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط(٥) عما تبتاعه الفقراءُ وغيرُهم .

---

(١) شورى، هى قرية من القرى التى بإقليم البرلس الواقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط فى شمال الدلتا، وهذه القرية هى الآن من توابع بلدة البرج التى كانت تسمى قديما البرلس بمأمورية البرلس بمديرية الغربية بمصر .

(٢) بلطيم، هى من القرى القديمة فى مصر اسمها الأصلى « اطوم » و وردت فى رحلة ابن بطوطة باسم ملطين، وقال إنها قرية قـرب البرلس، و وردت فى قوانين الدواوين لابن ممـاتى بلطيم من أعمال النستراوية، وهى الآن قاعدة مأمورية البرلس بمديرية الغربية بمصر، وفى سـنة ١٩٣٣ م أصدر وزير المالية قرارا بفصلها بزمام خاص بها من أراضى تلك الناحية، و بذلك أصبحت ناحية مالية قائمة بذاتها .

(٣) كانت البرلس من الثغور المصرية القديمة الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بين دمياط ورشيد، و إليهـا تنسب بحيرة البرلس الواقعة فى شمال مديرية الغربيـة . واسمها الرومى « بارالوس » و يطلق اسم البرلس أيضا على المنطقة السـاحلية المعروفة بإقليم البرلس الممتدة بين البحر الأبيض و بين بحيرة البرلس . ومن الحكم الأيوبى أنشأت الحكومة بقرية البرلس قلعة على شاطئ البحر اشتهرت بين الأهالى « بالبرج »، ومن ذلك الوقت عرفت قرية البرلس باسم « البرج »، واختفى اسمها الأصلى، إلا أن البرلس لا تزال علمـا على إقليم البرلس كما ذكرت . وهـذا الإقليم يشمل عدة قرى، منها قرية « البرج » وكلها تابعة لمركز كفر الشيخ بمديرية الغربية .

(٤) الجالية، أى الجوالى، وهى نوع من الضرائب (عن دوزى) .

(٥) ثغر دمياط : سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ٤٠ من هذا الجزء .

وأبطَل مكسَ مَعمَل الفراريج بالنحريرية(١) وما معها من بلاد الغربية ، وأبطَل مَكْس المِلح بعينتاب(٢) ، ومَكْسَ الدقيق بالبِيرة(٣) ، وأبطَل من طرابُلُس(٤) ما كان مقرَّرا على قُضاة البرّ و وُلاة الأعمال عند قدوم النائب إليها ، وهو مبلغ خمسمائة درهم على كلّ منهم ، أو بغلة بدل ذلك .

وأبطَل ما كان يؤخذ على الدَّريس والحَلْفاء بباب النصر خارج القاهرة .

---

(١) النجريرية : هذه البلدة هى التى تعرف اليوم باسم النحارية إحدى قرى مركز كفر الزيات بمديرية الغربية بمصر ، والنحريرية هو آسمها الأصلى فى الديوان ، وردت به فى قوانين الدواوين لابن مماتى ، وفى تحفة الارشاد ، وفى التحفة السنية لابن الجيعان من أعمال الغربية ، ومن بعد الروك الناصرى حرف آسمها إلى النحـراوية ، فقد وردت به فى رحلة ابن بطوطـة فى كتاب وقف السلطان قايتبـاى ، وفى دليل أسماء البلاد المصرية المحرر فى سـنة ١٢٢٤ هـ ، وفى الخطط التوفيقية مضبوطة برائين مهملتين بينهما ألف ، ووردت فى بعض الكتب باسم النحراوية ، ويحتمل أن يكون ذلك من الغلـط وقت الطبع لتشابه الحروف ، وفى العهد العثمانى حرف آسمها للرة الثانيـة إلى النحارية ، وهو آسمها الحالى ، وردت به فى تاج العروس للزبيدى ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ .

ويستفاد مما قرأته فى عدة كتب عن هذه البلدة ، أنها كانت فى بدء تكوينها ضيعة للأمير نحرير الأرغلى الاخشيدى فى القرن الرابع الهجرى ، فنسبت إليه ، وفى سنة ٧٢٦ هـ كانت فى إقطاع الأمير شمس الدين سنقر السعدى نقيب الجيوش المنصورة ، فأنشأ بها جامعا وطاحونا وخانا . ثم تزايدت فى العمارة حتى صارت بلدة كبيرة ذات إيراد عظيم ، ثم خرج عنها الأمير شمس الدين للملك الناصر محمد بن قلاوون ، فاتسع أمرها وأنشئ فيها زيادة عن ثلاثين بستانا ، وأصبحت مدينة كبـيرة ذات أسواق ودكاكين وقياسر وفنادق وعدة مساجد وحمامات ومعاصر للزيت ، وفيها تجار مياسير ، ورغبت الناس فى سكناها ، و بنوا بها الدور والقصور ، وبنى بها الملك الناصر جامعا كبيرا وسماه المحمودية وكان به ٣٥٠ عمودا ، ورتب فيه عشرين درسا ، ووقف عليـه أوقافا جليلة . وقد آندثر كل ذلك وأصبحت تلك المدينـة الآن قرية زراعية تبلغ مساحة أرضها ١٩٥٠ فدانا ، وعدد سكانها حوالى ٥٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها

(٢) عينتاب : بلدة كبيرة ، بها قلعة حصينة و رستاق بين حلب وأنطاكية .

(٣) البيرة : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية ، وهى قلعة حصينة مرتفعة على حافة الفرات فى البر الشرقى الشمالى ، ولها واد يعرف بوادى الزيتون ، به أشجار وأعين (عن معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٨٧) . وعن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل .

(٤) طرابلس : راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٠ من هذا الجزء .

وأبطَل ضمان المغانى بمدينة الكرك (١) والشَّوْبك (٢)، و بمنية آبن خصيب (٣)، وأعمال الأشمونين (٤) وزفتة (٥) ومُنْية غمر (٦).

---

(١) الكرك: راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء. (٢) الشوبك: قلعة من قلاع الكرك. (انظرها فى ياقوت ج ٣ ص ٣٣٢). (وفى صبح الأعشى ج ٢ ص ١٥٦).

(٣) منية آبن خصيب: واقعــة على الشاطىء الغربى للنيل، سميت منية الخصيب نسبة إلى الخصيب ابن عبد الحميد صاحب خراج مصر فى عهد الخليفة هارون الرشيد العباسى، و يقال لها: منية ابن خصيب وقد ورد آسمها فى معجم البلدان: منية آبن خصيب. وفى الخطط المقريزية: منية الخصيب وفى التحفة السنية لابن الجيعان: منية بنى خصيب فى إقليم الأشمونين. وقــد حذف المضاف إليه واستبدل به أداة لتعريف اختصارا، فاشتهرت باسم المنية ثم المنيا، وهو آسمها الحالى. وكانت فى الزمن المــاضى إحدى قرى الأشمونين. ولمــا أنشئت مديرية الإقليم الوسطى فى سنه ١٢٤٥ هـ — ١٨٣٠ م محل البهنساوية نقلت قاعدتها إلى مدينة الميناء وفى سنة ١٢٤٩ هـ — ١٨٣٣ م أنشئت مديرية المنيــا لأول مرة فى جغرافية مصر فأصبحت المنيا قاعدتها إلى اليوم.

(٤) الأشمونين: كانت فى عهد الفراعنة قسما من أقسام مصر بالوجه القبلى يسمى «أونو». وفى عهد الرومان «هرموبوليتس» وفى عهــد العرب «كوره الأشمــونين» وهو اسم قاعدتها وفى أيام الدولة الفاطمية أضيف إليها كورتان أخريان فأصبحت إقليما كبــيرا عرف بأعمال الأشمونين، ثم ولاية الأشمونين، ثم مأمورية الأشمونين وفى سنة ١٧٣١ م صدر أمر عال بضم هــذه المأمورية إلى مأمورية أسيوط، و بذلك اختفى اسم الأشمونين من الأقسام الإدارية بمصر، وأصبحت بلدة الأشمونين قرية من قرى مركز ملوى بمديرية أسيوط بمصر.

(٥) زفتة: هى من المدن المصرية القديمة آسمها القبطى «زيته» والعربى «منية زفتة». ووردت بهذا الاسم فى نزهــة المشتاق للإدريسى. وهى على الضفة الغربية للنهر. وفى معجم البلدان ليــاقوت: «منية زفتا» قرية فى شمال مصر على فوهة النهر الذى يؤدى إلى دمياط و يقابلها منية غمر. وورد آسمهــا فى قوانين آبن مماتى. وفى تحفة الإرشاد: «منيــة زفتى جواد» من أعمال جزيرة قويسنا. ووردت فى التحفة السنية لابن الجيعان ومباهج الفكر: «منية زفيتى جواد» من أعمال الغربية. ثم اختصر آسمها فى تاريع سنة ١٢٢٨ هـ «زفيتى جواد» وفى تاريع سنة ١٢٦٣ هـ باسم زفتى وهو آسمها الحالى. وهى مدينة زفتى الواقعة على الفرع الشرقى للنيل (فرع دمياط) قاعدة مركز زفتى مديرية الغربية: من المدن المشهورة بالوجه البحرى بمصر.

(٦) منية غمر: هذه البــلدة هى التى تعرف اليوم باسم ميت غمر، قاعدة مركز ميت غمــر بمديرية الدقهلية بمصر، وهى من القرى القديمة، وردت فى نزهة المشتاق للادريسى، فقال: وهى قرية لهــا =

وأبطل رمىُ الأبقار بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضى مصر على البطّالين بالوجه البحرىّ .

وأنشأ بالقاهرة مدرسته التى لم يُعمر مثلُها ببين القصرين ، ورتّب لها صوفية بعد العصر كلّ يوم ، وجعل بها سبعة دروس لأهل العلم على المذاهب الأربعة أعظمهم بالإيوان القبلىّ الحنفى ، ثم دَرْسا للتفسير ، ودرسا للحديث ، ودرسا للقراءات . وأَجْرَى على الجميع فى كلّ يوم الخبز ولحم الضّأن المطبوخ ، وفى الشهر الحَلْوَى والزيت والصابون والدراهم ، ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضى والدُّور ونحوها .

وعمّر جسرا على نهر الأُردن[1] بالغور فى طريق دِمَشق[2] . طوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا ، وجدّد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية ، وسور

= سوق ومتاجر ودخل وخرج قائم . ووردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى . وفى التحفة السنية لابن الجيعان منية غمر من الأعمال الشرقية . وفى الانتصار لابن دقماق وردت محرفة باسم منية غمسر ، ثم حرف اسمها فى العهد العثمانى من منية إلى ميت . ووردت فى تاريع سنة ١٢٢٨ ه باسمها الحالى . وأما منية حماد فهى التى تعرف اليوم باسم كفر البطل المشترك مع ميت غمر فى السكن والزمام ، والبطل هذا هو بذاته الأمير حماد الذى تنسب إليه منية حماد . ويعرف بالبطل لاعتقاد الناس فيه .

وقد جعلت ميت غمر قاعدة لقسم ميت غمر أحد أقسام مديرية الدقهلية من سنة ١٨٢٦ . ومن أول سنة ١٨٧١ سمى مركز ميت غمر . وقد أصبحت ميت غمر الآن بسبب موقعها على شاطئ النيل الشرق ومركزها التجارى من المدن المصرية يبلغ عدد سكانها حوالى ٢٥٠٠٠ نفس وبها دواوين لجميع المصالح الحكومية وبها مجلس بلدى ومدارس وجوامع ومستشفيات . وبها محكمة أهلية وأخرى شرعية وبها الأسواق والمحال التجارية التى يباع فيها كل ما يسد حاجات الناس . والورش الصناعية والأندية والأماكن والألعاب الرياضية والمتنزهات ، ولها كورنيش جميل على النيل الذى يمر بالجهة الغربية منها ، ويفصل بينها وبين مدينة زفتى . وبها محطة لسكة حديد الحكومة الموصلة بين الزقازيق وطنطا . ومحطة أخرى لشركة سكة حديد الدلتا الموصلة من المنصورة إلى بنها ، ثم إلى القناطر الخيرية .

(١) نهر الأردن : المقصود به الأردن الكبير ، وهو نهر يصب إلى بحيرة طبرية ، بينه وبين طبرية لمن عبر البحيرة فى زورق اثنا عشر ميلا ، تجمع فيه المياه من جبال وعيون ، فتجرى فى هذا النهر فتسق أكثر ضياع جند الأردن مما يلى ساحل الشام وطريق صور ، ثم تنصب تلك المياه إلى البحيرة التى عند طبرية . وطبرية : على طرف جبل يشرف على هذه البحيرة ، فهذا النهر (أعنى الأردن الكبير) بينه وبين طبرية البحرية

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء .

دمنهور[١]، وعمّر جبال الشرقية بالفيوم[٢]، وزاوية البرزخ بدمياط[٣]، وقناة العروب بالقدس، وبنى أيضا بركة بطريق الحجاز، وبركة أخرى برأس وادى بنى سالم

(١) دمنهور : قاعدة مديرية البحيرة إحدى مديريات الوجه البحرى بمصر، وهى من المدن المصرية القديمة، اسمها المصرى القديم دمنهور، وهو اسمها الحالى الذى لم يطرأ عليه أى تحريف من العهد الفرعونى إلى اليوم . ومعناها مدينة الإله هوريس وهو الصقر الذى يسميه اليونان : « أبولون » . ولما تولى البطالسة حكم مصر، وجدوا أغلب سكان مدينة دمنهور مقتفين عبادة الإله هرمس، ولذلك سموها هرمو بوليس بارفا أى مدينة الإله هرمس الصغيرة، تمييزا لها من هرمو بوليس مجنا، أى الكبيرة وهى الأشمونين التى بمركز ملوى . واحتفظ القبط والعرب باسمها القديم وهو دمنهور إلى اليوم .

ودمنهور هى قاعدة إقليم غربى الدلتا من عهد الفراعنة . ولما تولى العرب حكم مصر أطلقوا على هذا الإقليم اسم الحوف الغربى، وقسموا مدينة دمنهور إلى ست نواح، وهى دمنهور الوحش واسكنيدة (سكنيدة) وقرطسا وطاموس (أبو الريش) ونقرها وشبرومنا (شبرا الدمنهورية) وجعلوا لكل ناحية من هذه النواحى زماما خاصا بها من الأراضى الزراعية وسكنا معروفا باسمها، ولكن هذه النواحى يجمعه الآن سكن واحد ويطلق عليه اسم دمنهور .

وفى أيام الدولة الفاطمية قسم الحوف الغربى إلى كورتين : هما كورة البحيرة وقاعدتها دمنهور وكورة حوف رمسيس وقاعدتها مدينة رمسيس، وهذه اليوم إحدى قرى مركز إيتاى البارود وفى سنة ٧١٠ هـ أصدر الملك الناصر محمد بن قلاوون مرسوما بالغاء حوف رمسيس، وجعل البحيرة كلها إقليما واحدا باسم البحيرة وقاعدته مدينة دمنهور .

وبسبب زيادة عدد سكان المدينة وكثرة ما يقع فيها من مخالفات اللوائح العامة التى نشأ عنها كثرة أعمال الضبط والأعمال الإدارية والمالية، أصدر ناظر الداخلية قرارا فى فبراير سنة ١٩١٢ بفصل مدينة دمنهور عن بلاد مركز دمنهور، وجعلها مأمورية قائمة بذاتها باسم بندر دمنهور .

ومدينة دمنهور هى اليوم من كبريات المدن المصرية، يبلغ عدد سكانها حوالى ٦٦٠٠٠ نفس، وبها كل ما يلزم سكانها من معاهد العلم على اختلاف أنواعها، وبها كلية الزراعة التابعة لجامعة فاروق الأول بالإسكندرية، وبها المساجد والمستشفيات والمصالح الأميرية والمحاكم، ومحالج القطن الكبيرة والمحال التجارية التى يباع فيها كل ما يسد حاجات الناس، وكذلك بها الفنادق والأندية وأماكن الألعاب الرياضية ودور السينما، وهى بالإجمال من المدن المصرية الجامعة لأسباب الحضارة ووسائل المدنية .

(٢) راجع صفحة ٢٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

وجدّد عمارة القناة التى تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل ، وجدّد عمـارة الميدان من تحت القلعة ، بعد ما كان خَرِب ، وسقاه وزَرَعَ به القُرط ، وغَرَسَ فيه النخل ، وَعَمَر صِهريجا ومكتبًا يَقرأ فيـه أيتامُ المسلمين القرآن الكريم بقلعة الجبل ، وجعل عليه وقفـا ، وعمّر أيضا بالقلعة طاحونا ، وعمر أيضا سبيلا تُجاه باب دار الضيافة تُجـاه القلعة .

وخُطِب له على منابر تبريز(١) ، عند ما أخذها قرا محمد التُّركمانى ، وضُرِبت الدنانير والدراهم فيهـا بآسمـه وخُطب له على منابر الموصل(٢) من العراق ، وعلى منابر مَارِدين(٣) بديار بكر ، ومنـابر سِنْجار(٤) ، وخرّب عساكُره مدينـةَ دُورِكى(٥) وأَرْزَن(٦) كان من أرض الروم .

وكان نائبـه بالديار المصرية الأمير سُودون الفخرى الشيخونى إلى أن مات سُودون المذكور ، فلم يستنب الملك الظاهر أحدا بعده .

وكانت نُوّابه بدمشق(٧) (أعنى الذين تولوا فى أيام سلطنته) : الأمير بَيْـدَمر الخُوارزمى ، وإشْقَتَمُر المـارديى ، وألْطُنبغا الجُوبانى غير مرة ، وطُرُنطاى السيفى ،

(١) تبريز : اشهر بلدة بأذربيجان والعامة تسميها توريز . ومبانيها بالقاشانى والجبس والكلس وفيها مدارس حسنة ، ولها غوطة مليحة .

(٢) الموصل : قاعدة ديار الجزيرة وهى على دجلة فى جانبها الغربى (تقويم البلدان) .

(٣) ماردين : حصن من بلاد الجزيرة .

(٤) سنجار : فى جنوبى نصيبين ، وهى من أحسن المدن ، وليس بالجزيرة بلد فيه نخيل غير سنجار وهى من الموصل على ثلاث مراحل (تقويم البلدان) ملخصا .

(٥) دورکى (بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء والكاف) من بلاد الروم وهى من مضافات حلب .   (٦) أرزن : مدينة بديار بكر .

(٧) دمشق : مدينة قديمة مشهورة ، وهى قاعدة الشام وغوطتها إحدى متنزهات الدنيـا الأربعة ، وفى شمالها جبل يعرف بجبل قاسيون زعموا أن عنده قتل قابيل أخاه هابيل . اه ملخصا .

ويلبغا الناصرى صاحب الوقعة معه، وبُطا الطُّولُوتمرى الظاهرى المعروف بتَم ، ومات الملك الظاهر وهو على نيابتها .

ونُوَّابُه بحلب[1] : يَلْبُغا الناصرى غيرَ مرّة ، وسُودون المظفَّرى وكَمَشبُغا الحموى وقَرادِمرْداش الأحمدى وجُلْبان الكمشبُغاوى الظاهرى قَراسُقل وتَغرى بَرْدى من يَشْبُغا الظاهرى (أعنى الوالد) وأرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى وآقْبُغا الجمالى الظاهِرى الأُطْرُوش ، ومات السلطان وهو على نيابتها .

ونُوَّابُه بطرابُلس[2] مأمور القلمطاوى اليلبغاوى وكمشبغا الحموى اليلبُغاوى وأسندمر السيفى ، وقَرادمرداش الأحمدى اليَلْبُغاوى ، وإينال بن خجا على ، وإياس الجرْجاوى ، ودمرداش المحمدى الظاهرى ، وأرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى ، وآقبغا الجَمَالى الظاهرى الأُطْرُوش ، ويُونس بلْطا الظاهرى ، ومات الملك الظاهر وهو على نيابتها .

ونُوَّابُه بحَماة[3] : صَنْجَق الحَسَنِى ، وسُودون المظفَّرى وسُودون العلائى ، وسُودون العثمانى ، وناصر الدين محمد بن المُهمِنْدار ، ومأمور القَلَمْطاوى اليلبُغاوى ، ودِمِرْداش المحمدى الظاهرى وليها مرّتين ، وآقبغا السلطانى ، ويُونُس بلْطا الظاهرى ، ثم دِمِرْداش المحمدى ، ومات برقوق وهو على نيابتها .

(١) حلب : بلدة قديمة ذات قلعة مرتفعة . وبها مقام سيدنا إبراهيم الخليل ، وبينها وبين معرّة النعمان ستة وثلاثون ميلا .

(٢) طرابلس : مدينة ذات بساتين وأشجار كثيرة وبينها وبين بعلبك أربعة وخمسون ميلا وبينها وبين دمشق تسعون ميلا .

(٣) حماة : مدينة من أنزه البلاد الشامية ونهر العاصى يحيط بغالبها ولها قلعة حسنة البناء ، وهى مشهورة بكثرة النواعير دون غيرها من بلاد الشام .

ونُوَّابُه بصفد[١]: أرْكَماس السيفى، و بَتخاص السُّودونى، وارغون شاه الإبراهيمى الظاهرى، وآقْبُغا الجمالى الأُطْرُوش الظاهرى، وأحمد آبن الشيخ على، وأَلْطُنبغا العثمانى الظاهرى، ومات الملك الظاهر وهو على نيابتها .

ونُوَّابُه بالكَرَك[٢] : طُغاى تَمُر القبلائى، ومأمور القَلَمْطاوى، اليلبُغاوى، وقُدَيْد القَلمطاوى اليلبغاوى، و يونُس القشتمرى، وأحمد آبن الشيخ على، و بَتخاص السُّودُونى، ومحمد بن مبارك شاه المهندار، وأَلْطنبغا الحاجب، وسُودون الظريف الظاهرى الشمسى، ومات السلطان وهو على نيابتها .

ونُوَّابُه بغزة[٣] : قُطْلُوبغا الصَّفَوى وآقْبُغا الصغير، ويلبغا القَشْتَمرى، وألْطَنبغا العثمانى الظاهرى، وبَيْخجا الشَّرفى المدعوّ طَيْفُور، وألطنبغا الحاجب، ومات الملك الظاهر وهو على نيابتها .

ذكر قضاته بالديار المصرية

فالشافعية : بُرهان الدين إبراهيم بن جَمَاعة، و بدر الدين محمد بن أبى البقاء، وناصر الدين محمد بن بنت مَيْلَق، وعِماد الدين أحمد المُقَيَّرى الكركى. وصدر الدين محمد المُناوى، وتقى الدين عبد الرحمن الزُّبَيْرى، ثم المُناوِى ثالث مرة، ومات السلطان وهو قاض .

(١) صفد : بلدة متوسطة بين الكبر والصغر، وهى مشرفة على بحيرة طبرية و بعد أن آستنقذها الملك الظاهر من أيدى الفرنج جعلها مركزا للجيش الذى يحفظ البلاد الساحلية التى فى جهتها .

(٢) الكرك — بالتحريك — : من معاقل الشام التى لاترام و بها قبر جعفر الطيار وأصحابه رضى الله عنهم — (عن تقويم البلدان) .

(٣) غزة . بلد متوسطة فى العظم ذات بساتين على ساحل البحر، ولها قلعة صغيرة قال ابن حوقل : بها قبر هاشم بن عبد مناف و بها ولد الشافعى رضى الله عنه وفيها أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الجاهلية .

والحنفيّة : صدر الدين محمد بن منصور الدّمشقى ، وشمس الدين محمد الطرابُلُسى ومجـد الدين إسماعيل بن إبراهيم ، وجمال الدين محمـود القَيْصَرى العَجَمى ، وجمال الدين يوسف المَلَطى ، ومات الملك الظاهر وهو قاض .

والمـالكية : جمـال الدين عبد الرحمن بن خـير السَّكَنْدَرى ، ثمّ وَلِى الدّين عبد الرحمن بن خَلْدُون ، وشمس الدين محمد الرَّكْرَاكى المغربى ، وشهاب الدين أحمد النحريرى ، وناصر الدين أحمد بن التَّنَسى ، ثم آبن خَلْدُون ، ومات الملك الظاهر وهو قاض .

والحنـابلة : نصر الدين نصر الله العسْقَلانى ، ثم آبنـه برهان الدين إبراهيم ، ومات السلطان وهو قاض .

وأما أصحاب وظائفه من أكابر أمراء مصر فلم يضبُطْهم أحد من مؤرّخى ملك العصر ، وآكتفَوْا بذكرهم عنـد ولاية أحدهم أو عزله أو موته ، إن كانوا فعلوا ذلك .

ذِكْرُ مُباشِرى دولته ، أُسْتَاداريَّتُه : بهادُر المَنْجَكى ، ثم محمود بن على بن أصفر عينه ، ثم قَرْقَـاس الطَّشْتَمُرى ، ثم عمر بن محمد بن قَايْمـاز ، ثم قُطْلُوبك العلائى ، ثم يلبغا الأحمدى المجنون ، ثم محمـد بن سنقر ، ثم يلبغا المجنون ، ومات السـلطان وهو على وظيفته .

ووزراؤه بديار مصر : عَلَم الدين عبد الوهاب المعروف بِسِنّ إبرة ، وشمس الدين إبراهيم بن كاتب أُرْنان ، وعَلَم الدين عبد الوهاب بن كاتب سَيِّدى ، وكَرِيم الدين عبد الكريم بن الغَنّام ، وموفّق الدين أبو الفَرَج ، وسعد الدين نصر الله بن البَقَرى ، وناصر الدين محمد بن الحُسام ، وركن الدين عُمر بن قايْماز ، وتاج الدين عبد الرحيم آبن أبى شاكر ، وناصر الدين محمد بن رجب بن كَلْبك ، ومُبارك شاه ، وبدر الدين

محمد بن الطُّوخىّ ، وتاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج ، ومات السلطان وهو وزير .

وكُتّاب سِره : القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله ، وأوحد الدِّين عبد الواحد ، وعلاء الدين على المُقَيِّرى الكَركىّ ، ثم ٱبن فضل الله ثانيا ، ثم بدر الدين محمود الكلُسْتانىّ ، وفتح الدِّين فتح الله ، ومات السلطان وهو كاتب سِره .

ونُظَار جيشه : تقىّ الدين عبد الرحمن بن محبّ الدين ، وموفّق الدين أبو الفرج وجمال الدين محمود القَيْصرىّ العجمىّ ، وكَرِيم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز ، وشرف الدين محمد الدَّمامينى ، وسعد الدين إبراهيم بن غُراب ، ومات السلطان هو ناظر الجيش .

ونظّار خاصّه : سعد الدين نصر الله بن البَقَرِىّ ، وموفّق الدين أبو الفرج ، وسعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين موسى كاتب السعدى ، وسعد الدين بن غراب ، ومات السلطان وهو ناظر الجيش والخاص معا ، والله تعالى أعلم .

\+
\+ +

السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر ، وهى سنة ٱثنتين وتسعين وسبعمائة ، على أن الملك المنصور حاجّى بن الملك الأشرف شعبان حكم منها ثمانيةَ أشهر وسبعةَ أيام من يوم سلطنته إلى يوم طلوع الملك الظاهر برقوق إلى قلعة الجبل[1] .

فيها تُوفّى الأمير سيف الدين[2] آقبُغا بن عبد الله الجوهرىّ اليَلْبُغَاوِىّ ، كان من أكابر اليلبغاويّة وتولّى الأستادارية وحجوبيّة الحُجّاب كِلَيْهما بديار مصر ، ووقع له

(١) تقدّم الكلام على قلعة الجبل فى الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٦٥٦) : « الأمير علاء الدين » .

أمورٍ ، وهو أحدُ مَنْ أخرجه الملك الظاهر من حبس مِنْطاش بالإسكندرية ، وندَبه فيمن ندَب من الأمراء لقتال مِنطاش ، فقُتل فى وقعة حِمْص[(١)] عن بضع وخمسين سنة . وكان أميرًا جليلا عارفا يُذاكر بمسائل جيِّدة فقهيّة وغيرها فى عدّة فنون مع حِدّة مِزاج .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين أَرْدُبُغا بن عبد الله العثمانىّ اليَلْبُغاوى أحد أمراء الطبلخانات قتيلًا أيضا فى وقعة مِنْطاش ، وكان من كِبار اليَلْبُغاويّة .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين أُلْطُنْبغا بن عبد الله الجُوبانىّ اليلبُغاوى نائب الشام قتيلا فى واقعة منْطاش ، وقد تقدّم ذكرُ موته وكيفيّة قتله فى أوائل سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية ، وكان من عظماء المماليك اليلبُغاوية ، ولّاه الملك الظاهر فى سلطنته الأولى أميرَ مجلس ، ثم ولّاه نيابة الكَرَك ، ثم نقله إلى نيابة الشام ، ثم قَبَض عليه وحبَسه إلى أن أخرجه الناصرىّ بعد خلع الملك الظاهر برقوق وحبسه ، فولّاه الناصرىّ رأسَ نوبة الأمراء إلى أن أمسكه مِنْطاش وحبسه بالإسكندرية ثانيا ، حتى أخرجه الملك الظاهر برقوق فيمن أخرجه بعد عَوْده إلى سلطنة مصر، وولّاه نيابة الشام ، وندَبه لقتال منطاش فتوجّه وقاتله ، وقُتِل فى الواقعة ، وتولّى الناصرىّ نيابةَ الشام بعده، ومات الجُوبانى وقد قارب الخمسين سنة من العُمْر، وكان حشِما نفورا معظّما فى الدول متجمِّلا فى مَرْكبه ومماليكه ولُبْسه ، وعنده سياسةٌ وأدبٌ ومعرفةٌ ، رحمه الله تعالى .

---

(١) حمص : إحدى قواعد الشام ، وهى أصح بلاد الشام تربة وليس بها عقارب . ولا حيات ، وشرب أهلها من نهر العاصى .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قازان اليُرْقشى[1] أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وكان من حواشى الناصرى، قُتل فى واقعة منطاش على حِمْص، وقَبل أن يخرج منطاش بالملك المنصور من مصر لقتال الملك الظاهر برقوق لمّا خرج من سجن الكَرَك، أمر والى الفَيُّوم فى الباطن بقتل جماعة كبيرة من الأمراء ممن كان بحبس الفيوم، ثم سافر منْطاش، و بعد سفره بأيّام قَدِم محضَرٌ مفتعل من كاشف الفيوم: أنه لمّا كان يوم الجمعة حادى عشرين جُمَادى الآخرة سَقط على الأمراء المسجونين حائط سجنهم فماتوا جميعا، فعظُم ذلك على الناس إلى الغاية، كونهم من أكابر الأمراء وأعيان الدولة، وهم: الأمير تَنْكِز العثمانى اليلبُغاوى أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وكان من الشجعان، وتمان تمر الأشرفى نائب بَهْنَسا[2] وكان من أكابر المماليك الأشرفيّة، وهو من خُشداشيّة منطاش، لكنه كان من حزب الناصرى، وتَمُرْباى الحسنى الأشرف حاجب الحجاب بالديار المصرية ومن أجلّ المماليك الأشرفية، وهو حمو الوالد وكان من الشجعان، وجُمَق الكَمَشْبُغاوى أحد أعيان أمراء مصر والشام، وكان من حزب الناصرى، وتَمُر الجَرَكْتَمُرِى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وكان من حزب الملك الظاهر برقوق، وقُطْلُوبُغا الأحمدى اليلبُغاوى أحد أمراء العشرات بالقاهرة، وعيسى التُّرْكُمانى أحد أمراء الطبلخانات بمصر، وقد وَلِى عدّة أعمال، وقَرَابُغا البو بَكْرِى أمير مجلس وأحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية، وقَرْقماش الطَّشْتَمُرِى أستادار العالية والخازندار، والدوادار الكبير بالديار المصرية، تنقّل فى جميع هذه الوظائف وغيرها، وكان أوّلاً من حزب

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٦٣٧): «البرقشى» بالباء الموحدة.

(٢) هى مدينة واقعة على الشاطئ الغربى لبحر يوسف، وهى اليوم إحدى قرى مركز بنى مزار بمديرية المنيا.

الظاهر، ثم صار من بَعْد خَلْعه من حزب يلبُغا الناصرى، ويُونُس الإسْعردى الرمّاح الظـاهرى أحد أمراء الطبلخانات لم يكن فى المـاليك الظاهريّة من يُضاهيه فى حسن الشّكالة ولا فى لَعِب الرُّمح، قُتِل الجميع فى يوم واحد حسب ما ذكرناه .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين مأمور بن عبـد الله القلمطاوى اليلبُغاوى فى واقعـة حِمص أيضا وكان وَلِى نيابة الكَرَك، وتقدمة ألف بديار مصر، وحجوبية الحجاب بها، ثم ولّاه الملك الظاهر فى سلطنته الثانية نيابةَ حَماة[1]، فقُتِل وهو على نيابة حماة، وكان من أجلّ المـاليك اليلبُغاوية وأعيان أمراء مصر، وهو زَوْج بنت أستاذه الأتابك يَلْبُغا التى خَدَمت الملك الظاهر برقوقا لمـّا حُبِس بالكَرَك[2] .

وتُوُفِّى الشـيخ المعتقد الصالح علىّ المُغَرْبِل فى خامس جُمـادَى الأولى، ودُفِن بزاويته خارج القاهرة بحكر الزراق وكان للناس فيه آعتقاد حسن ويُقصد للزيارة.

وتُوُفِّى الشيخ المعتَقَد الصالح محمد الفاوىّ فى ثامن جُمادى الأولى ودُفِن خارج باب النصر، وكان خَيِّرا مُعتقدا .

وتُوُفِّى الشيخ المقرئ شمس الدين محمد المعروف بالرفاء[3] فى سابع جمادى الأولى .

وتُوُفِّى الأديب الشـاعر شمس الدين محمـد بن إسماعيل الإفلاتىّ فى سادس جُمَادَى الأولى .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم خمسة أذرع ونصف، مبلغ الزيادة ثمـانية عشر ذراعا و إصبعان . والوفاء حادى عشر مسرى . والله تعالى أعلم .

---

(١) حماة : مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات، واسعة الرقعة يحيط بها سور محكم وبها جامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصى عليه عدّة نواعير . راجع ياقوت ج ٢ ص ٣٣١ حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) تقدم الكلام على الكرك فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٥٧ من هذا الجزء .

(٣) كذا فى « م » : والذى فى « ف » : « الوفاء » وهو تحريف .

* * *

السنة الثانية من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر وهى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّى الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير الكبير الحاج آل ملك الجوكندار فى يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الآخرة .

وتُوُفِّى قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن مسلم بن سعيد ابن بدر القُرَشِىّ الدمشقى الشافعى قاضى قضاة دِمشق بخزانة شمائل (١) ، بعد عقوبات شديدة فى ليلة الأحد تاسع شهر رجب (٢) ، وكان غيرَ مشكور السِّيرة ، مُسرفا على نفسه ، وهو ممن قام على الملك الظاهر برقوق بدِمَشق ، وحرَّض العامّة على قتاله وقد مرّ من ذكره مافيه غُنْية عن ذكره ثانيا .

وتُوُفِّى الأمير حُسام الدين حُسين بن علىّ بن الكُورانِىّ أحد أمراء الطبلخانات ووالى القاهرة مخنوقا بخزانة شمائل بعد عقوبات كثيرة ، فى عاشر شعبان ، وكان غير مشكور السيرة وفيه ظلمٌ وجَبَروت ، قَتَل من الزُّعْر فى أيام ولايته خلائِقَ لا تدخل تحت حَصْر .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة جَلالُ الدين جلال بن رَسُول (٣) بن أحمد بن يوسف العجمىّ الثِّيرِىّ (٤) التَّبانىّ الحنفىّ خارج القاهرة فى يوم الجمعة ثالث [عشر] (٥)

---

(١) انظر الحاشية رقم ١ صفحة ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) رواية السلوك للمقريزى (ج ٣ ص ٦٧٧) : « فى ليلة الأربعاء » .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٦٧٩) : « جلال الدين رسولا بن أحمد » . ورواية المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢ ب) : « جلال بن أحمد » .

(٤) رواية المنهل الصافى المصدر المتقدم : « التبريزى » . والثيرى نسبة إلى ثيرة من بلاد الروم بالثاء المثلثة وهى بلد من نواحى الأهواز له ذكر فى الفتوح وأخبار الخوارج .

(٥) تكملة عن « السلوك المصدر المتقدم » .

شهر رجب، والتّبانىّ نسبة إلى سَكَنه، موضع خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير، يقال له : التّبانة[(١)]، وكان إماما عالمـا بفنون كثيرة، أفتى وأقرأ ودرّس عدّة سنين، وعُرِض عليــه قضاءُ مصر فآمتنع عِفّةً منه . وله مصنفات كثيرة : منهـا « شرح المنـار » فى أصول الفقه، و « شرح مختصر آبنُ الحاجب » وخرّج أيضا « مختصر التـلويح فى شرح الجامع الصحيح » للحافظ مُغْلَطاى، وله « منظومة فى الفقه »، وشرحها فى أربع مجلدات، وله «مختصر فى ترجيح الإمام أبى حنيفة»، وله تعليق على البزدوى ولم يكمله، وشَرَح كتبا كثيرة غير ذلك، وأصـله من بلدة بالروم يقال لهـا : ثيرة بكسر (الثاء المثلثة) وسكون الياء آخر الحروف .

وتُوُفّى الشيخ المعتقَــد الصالح على الروبىّ فى رابع ذى الحجة، وكان للناس فيه آعتقاد و يقصد للزيارة للتبرك به .

وتُوُفّى قاضى القضاة شمس الدين محمــد بن يوسف الرِّكْرَاكىّ المـالكىّ قاضى قضاة الديار المصرية وهــو قاض بحِمْص[(٢)]، فى رابع عشر شوّال، وقد تجرّد صحبة السلطان، وكان عالمـا ديّنا مشكورَ السِّيرة .

وتُوُفّى شيخ الخانقاه الصلاحيّة سعيد السعداء[(٣)] شهاب الدين أحمد بن الأنصارى الشافعى فى عاشر ذى القعدة .

---

(١) التبانة مشدّدة : حارة بظواهر القاهرة منها المترجم المذكور وكان فاضلا وآبنه يعقوب من أصحاب الحافظ ابن حجر (تاج العروس) .

(٢) بلد مشهور مسوّر، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال، وهى بين دمشق وحلب . وراجع الكلام عليها فى معجم البلدان لياقوت حيث تجد لها شرحا وافيا (ج ٢ ص ٣٣٤ وما بعدها) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

وتُوُفِّى قاضى قضاة الحنابلة بدمشق الشيخ شرف الدين عبد القادر بن شمس الدين محمد بن عبد القادر الحنبلى النابُلُسى الدمشقى فى عيد الأضحى بدمشق، وكان فقيها فاضلا ، أفتى ودرّس .

وتُوُفِّى القاضى فتح الدين أبو بكر محمد[1] آبن القاضى عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم ابن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبى الكَرَم محمد الدِّمشقى الشافعى المعروف بآبن الشّهيد كاتب سرّ دمشق قتيلا بخزانة شمائل[2]، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشرين شعبان، وكانَ ممن خرج على الملك الظاهر برقوق ووافق منطاشا، وحرّض على قتال بَرْقُوق، وقد مَرّ من ذكره نبذةٌ كبيرة عند حضوره إلى القاهرة مع جَنْتَمُر نائب دمشق وآبن القرشى قاضى دمشق وغيرهما، وكان فتح الدين رئيسا فاضلا بارعا فى الأدب والترسّل، مشاركا فى فنون كثيرة، ماهرا فى التفسير، مليح الخطّ، وله مصنفات، منها : أنه نظم السِّيرة النبوية لآبن هشام ، فى مسطور مرجّز ، وجملتها خمسون ألف بيت ، ولما وَلِى كتابة سرّ دمشق ، قال فيه بدر الدين آبن حبيب : (السريع)

كِتابةُ السرّ علا قدرُها * بآبن الشهيد الألمعىّ[3] الأديبْ
وكيف لا تعلو وقد جاءها * (نصرٌ من الله وفتحٌ قريبْ)

ومن شعر القاضى فتح الدين هذا — رحمه الله — قوله : (الوافر)

---

(١) عقد له آبن العماد الحنبلى فى كتابه شذرات الذهب (ج ٦ ص ٣٢٩) ترجمة ممتعة كلها درر ، ذكر فيها المناصب التى وليها والكتب التى ألفها ، ولما آل الأمر إلى برقوق حقد عليه وأمر بالقبض عليه من الشام فحمل مقيدا إلى مصر ثم أمر به فضربت عنقه بالقرب من قلعة الجبل .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) الألمعى : الذكى الفؤاد المتوقد .

مُديرَ الكأسِ حدِّثْنا ودَعْنا * بعيشك عن كؤوسك والحثيث (١)
حديثُك عن قديم الراح (٢) يُغني * فلا تسقِ الأنام سوى الحديث

ولـــه : (الكامل)

قاسوا حماة (٣) بجِلِّقٍ (٤) فأجبتهم * هـذا قياسٌ باطل وحياتِـكم
فعروسُ جامع جِلِّقٍ ما مثلُهـا * شتان بين عروسِنا وحماتِكم

وله فى عين بعلبك (٥) — رحمه الله — (الكامل)

ولقـد أتيتُ لبعلبكَّ فشاقني * عينٌ بهـا روضُ النعيـم منعَّمُ
فلأهلِها من أجلِها أنا مُكرِم * ولأجل عينٍ ألفُ عينٍ تُكرَمُ

وتُوُفى الأمير الكبير يلبغا بن عبد الله الناصرىّ اليلبغاوىّ (٦) قتيلا بقلعة حلب، وهو صاحبُ الوقعـة مع الملك الظاهر برقوق التى خُلِـع الملك الظاهر فيهـا من المُلك وحُبِس بالكرك (٧)، وكان أصله من أكابر ممـاليك يلبغا العُمرى أستاذ برقوق، وتولّى فى أيام أستاذه يلبغا إمرة طبلخاناه، ثم صار أميرَ مائة ومقدّمَ ألفٍ بالقاهرة فى دولة الملك الأشرف شـعبان، وكان معه فى العقبة (٨)، ثم مَلَكَ باب السلسلة (٩) من الإسطبل

(١) يريد بالحثيث هنا الإسراع فى إحضار كؤوس الخمر إليه .
(٢) قديم الراح : الخمر المعتقة .
(٣) تقدم الكلام على حماة فى الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من هذا الجزء .
(٤) جلق (بكسر أوّله وثانيه وتشديده) : موضع بالشام معروف .
(٥) بعلبك : بفتح البـاء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء ثم كاف فى الآخر : بلدة قديمة ذات أسوار ولها قلعة حصينة عظيمة البناء، ومنها إلى دمشق ثمانية عشر ميلا
(٦) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٦ من هذا الجزء .
(٧) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء .
(٨) راجع الحاشية رقم ٨ من الجزء السادس ص ٢٠٦ من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .
(٩) باب السلسلة، هذا الباب لا يزال موجودا، وعرف قديما بباب الاسطبل وباب الانكشارية، و يعرف اليوم بباب العزب نسبة إلى طائفة من العسكر تسمى عزبان وظيفتهم المحافظة على القلاع .

السلطانى، كلّ ذلك وبرقوق لم يتأمّر إلّا من نحو شهر واحد، ثم وقع له أمور وحُبِس ونُفِى إلى البلاد الشامية على إمرة مائةٍ وتقدِمةِ ألف بدمشق حتى ولِى نيابة حلب عن المنصور علىّ، ثم عن أخيه، ثم عن الملك الظاهر برقوق، ثم أطلقه وولّاه نيابة حلب ثانيا، فعصى بعد مدّة ووافق مِنطاش، وقهر الظاهر برقوقا وخلعه من السلطنة وحبسه بالكرك ورشّح إلى سلطنةِ مصر، فآمتنع غاية الآمتناع وسلطن الملك الصالح حاجيًّا ثانيا ولقّبه بالمنصور، وصار هو مدبّر مملكته، وحكم مصر إلى أن خرج عليه منطاش وكسره وقَبَض عليه وحبسه بسجن الإسكندرية(١)، إلى أن أفرج عنه الملِك الظاهر برقوق لما خرج من حبس الكرَك وكسر مِنطاش وتسلطن ثانيا، فأخرجه ولم يؤاخذه، وندبه لقتال مِنطاش ثم ولّاه نيابة الشام بعدِ قتل الجُوبانى ثم قَبض عليه فى هذه السنة، وقتلَه بقلعة حلب ليلته هو وكُشلى أمير آخوره والأمير محمد بن المهمندار نائب حماة، وقد تقدّم ذلك كله مفصلا فى ترجمة الملك الظاهر برقوق الأولى والثانية، وترجمةِ المنصور حاجّى، فإنه كان فى الحقيقة هو السلطان، وحاجى له الآسم لا غير، فيكتفى بما وقع من ذكره هناك، ولا حاجة للإعادة هنا.

وكان يلبغا الناصرى من أجلّ الملوكِ عِفّةً وصيانة، وَلِى مصر وخلع الملكَ الظّاهر، وولى الملكَ المنصور، ولم يَقتل أحدا صَبْرا(٢) غير واحد يسمّى سودون من مماليك الظاهر، ويكفيه من عفته عن سفك الدماء عدمُ قتلِه لِلملك الظاهر برقوق بعد أن أشار عليه جميع أصحابه بقتله وكان مذهبي فيه أنّ الملِك الظاهر برقوقا لا يقتله

(١) لما كانت الإسكندرية من المدن المصرية القديمة التى لها شأن عظيم فى التاريخ خصص لها المرحوم على باشا مبارك جزءا من خططه وهو الجزء السابع و يقع هذا الجزء فى ٩٥ صفحة من القطع الكبير.

(٢) يقال للرجل إذا شدّت يداه ورجلاه أو أمسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه، أو حبس على دمة القتل حتى يقتل : صبرا.

أبدا ، بل إذا ظهر منه ما يُخيفه يحبِسه إلى أن يموت مراعاة لما سبق له من المنّ عليه لمّا خلعه من الملك والسلطنة وحبسه ولم يقتله . انتهى .

*
* *

السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر برقوق « الثانية على مصر » ،

وهى سنة أربع وتسعين وسبعمائة . وفيها تُوفِّى الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمــد بن على الدُّنَيْسِرِىّ[1] المعروف بآبن العطار الشاعر المشهور فى سادس عشر شهر ربيع الآخر، وقد مرّ من شعره نبذة كثيرة فى عدّة مواطن. ومن نظمه المشهور فى الأقباط قوله : (السريع)

قالوا ترى الأقباط قــد رزقوا * حظًّا واضحَــوْا كالسلاطينِ
وتملَّكوا الأتراك قلت لهم : * رزقُ الــكلابِ على المجانينِ

وتُوفِّى الأمير الكبير إينــال بن عبد الله اليوسفىّ اليلبغاوىّ أتابك العساكر بالديار المصرية بها فى رابع عشرين جمادى الآخرة، وتولّى الأتابكية من بعده الأمير كَمُشْبُغا الحموى اليلبغاوى ، على أن كمشبغا كان يجلس فى الخدمة تحت[2] إينــال المذكور ، وكان إينال شجاعا مِقداما، وقد تقدم ركوبُه على الملك الظاهر برقوق قبل سلطنته والقبض عليه وحبسه مدّة إلى أن أخرجه برقوق إلى بلاد الشام وصار بهــا أميرا ، ثم نقله إلى عدّة وِلاياتٍ إلى أن ولّاه نيابة حلب ، ثم عزله فى سلطنته الأولى عن نيابة حلب ، وجعله أتابك دِمشق ، ثم ولّاه نيابة حلب بعــد عِصيان الناصرىّ، فلم يتم له ذلك ، وخرج إينــال أيضا على الظاهر ، ووافق الناصرىّ ، فلمّا ملك الناصرىّ مصر ولّاه نيــابة صفد[3]، ووقع له أمور حــتى ولّاه الملك الظاهر برقوق

(١) نســبة إلى دنيسر، وهى بلدة عظيمة مشهورة من نواحى الجــزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى هامش « م » : فوق .
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٧ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا لا بأس به .

أتابكية العساكر بالديار المصرية فى سلطنته الثانية ، فدام على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وقد تقدّم ذكر إينال هذا فى عدّة تراجم من هذا الكتاب ، فيها كفاية عن التعريف بحاله .

وتُوفّى الأمير سيف الدين بُطا بن عبد الله الطولوتمرى الظاهرى نائب الشام بها ، بعد أن ولى نيابة الشام أيامًا قليلة ، فى حادى عشرين المحرم ، وقد ذكرنا أمر بُطا هذا فى أواخر ترجمة الملك المنصور ، وكيفية خروجه من سجن القلعة ، وكيف ملك باب السلسلة(١) من صراى تمر نائب غيبة منطاش ، وإقامته بباب السلسلة إلى أن قدم أستاذه الملك الظاهر برقوق إلى الديار المصرية ، وولّاه الدوادارية الكبرى ، ثم ولاه نيابة دمشق بعد القبض على الأتابك يلبغا الناصرى ، فلم تطل أيامه ، ومات ، وكان من أعيان المماليك الظاهرية ، واتُّهِم الملك الظاهر فى أمره أنه اغتاله بالسم ، والله أعلم .

وتُوفّى الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله الناصرى بطّالا ملازما لبيته فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل ، وكان قديم هجرة فى الأمراء ، تأمّر فى دولة الناصر حسن ، ثم أنعم عليه الملك الأشرف شعبان بإمرة مائة ، وتقدمة ألف بالديار المصرية ، ثم جعله رأس نوبة النُّوَب ، بعد واقعة أسندمر الناصرى ، ثم نُقِل إلى إمرة مجلس ، ثم صار أستادارا كبيرا فى سنة إحدى وسبعين وسبعمائة عوضا عن علم دار المحمدى ، ثم أُخرج إلى نيابة صفد فى السنة المذكورة ، ثم عُزِل وأُحضر إلى القاهرة وأُنعِم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بها ، ثم ولى حجوبية الحُجّاب بالديار المصرية مدّة سنين(٢) ، ثم تعطّل ولزم داره حتى مات .

(١) لا يزال هذا الباب موجودا ، و يعرف قديما بباب الإصطبل و باب الإنكشارية ، وأما اليوم فيعرف بباب العزب ، نسبة إلى طائفة من العسكر تسمى عزبان ، وظيفتهم المحافظة على القلاع .

(٢) فى م : « إلى أن مات » .

وتُوفى الأمـير سيف الدين سُودون بن عبـد الله الطولوتمرى[(١)] نائب دمشق بها فى شعبان، وكان ولِى نيابة دِمشق بعد موت الأمير بُطا المقدّم ذكره، فحكم بدمشق ومات، وتولى بعده نيابة دِمشق الأمير كمشبغا الأشرفى الخاصّكىّ أمير مجلس .

وتُوفِّى الشيخ المعتقد المجذوب طلحة المغربىّ فى رابع عشر شوال بمدينة مصر، وكانت جنازته مشهودة ، ودُفِن خارج باب النصر[(٢)] من القـاهرة، وهو أحد مَن أوصى الملك الظاهر برقوق أن يُدفَن تحت أرجلهم من الصالحين والعلماء ، فدُفِن هنـاك، ثم عمِّرت التربة[(٣)] الناصرية الموجودة الآن، وكان للناس فيـه آعتقاد كبير، لا سيما الملك الظاهر برقوق .

وتُوفى الشيخ الإمام العالم العـلامة عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى الحنفى العجمى ، المعروف بالأصم ، شيخ خانقاه[(٤)] الملك المظفر ركن الدين بيبرس

(١) فى « م » الطرنطائى » .

(٢) قال المقريزى : كان باب النصر أوّلا دون موضعه اليوم، وقـد أدرك قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسـة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التى فيها بين المدرسة القاصدية و بين بابى جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة، ولـما تقلد أمير الجيوش بدر الجمالى وزارة المستنصر نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن . .

(٣) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على المقابر خارج باب النصر (ص ٤٦٣ ج ٢) ومن الكتّابات المنقوشة فى بعض مواضع من هذه التّربة أن الذى أنشأها هو الملك الناصر فرج بن برقوق فبدأ فى عمارتها سنة ٨٠٠ هـ وفرغ منها فى سنة ٨١٣ هـ ولذا عرفت بالتربة الناصرية، وهى واقعة بحرى جبانة المماليك، بينها و بين جبانة العباسية الجديدة المعروفة بجبانة الخفير بالقاهرة .

(٤) هـذه الخانقاه لا تزال موجودة الآن بشارع الجمالية بالقـاهرة باسم جامع بيبرس أو البيبرسية أو خانقاه بيبرس ، وجهتها غربية ، فوقها مئذنة أثرية على شـكل مآذن العصر الأيوبى يعلوها خوذة مضلعة كانت مكسوّة بالقاشانى ، ويمتـد بأعلى الوجهة طراز عريض يدور مع تجويف الباب العمومى مكتوب فيه بخط مملوكى كبير آسم السلطان بيبرس وألقابه وتاريخ إنشاء الخانقاه . ويوجد على يسار الداخل من البـاب العمومى قبـة شاهقة بها قبر منشئها ، و يكسو جدرانها وزرة من الرخام ويحيط بصحن الجامع إيوانان بسقف معقود ، و بأحدهما المحراب وعدّة قاعات يعلوها دوران من الغـرف ، كانت مخصصة لإقامة الصوفيـة ، وأما الرباط فقـد زال ، ومكانه اليوم الوكالة التى أنشأها سليمان أغا السلاح دار فى سنة ١٢٣٣ هـ .

الجاشنكير، ثم شيخ الخانقاه الشيخونية (١) فى ثالث عشرين المحرم، وقد أناف على السبعين سنة، وكان من العلماء.

وتُوفى الأديب الوزير فخر الدين (٢) أبو الفرج عبد الرحمن، وقيل عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن إبراهيم القبطى الحنفى الشهير بابن مكانس (٣) وزير دمشق، وناظر الدولة بالديار المصرية، والشاعر المشهور بالقاهرة فى خامس ذى الحجة، وكان أديبا فاضلا شاعرا فصيحا بليغا لا يُعرف فى أبناء جنسه الأقباط من يُقاربه ولا يدانيه، وهو أحد فحول الشعراء بالديار المصرية فى عصره، وشعرُه فى غاية الحسن والرِّقة والانسجام، وديوان (٤) شعره مشهور كثير الوقوع بأيدى الناس، وقد استوعبنا من شعره أشياء كثيرة فى كتابنا (المنهل الصافى)، إذ هو كتاب تراجم، نذكر هنا بعضها، ومن شعره وقد صادره الملك الظاهر برقوق، فقال: [الرمل]

رَبِّ خذْ بالعدلِ قومًا * أهلَ ظلم متوالى
كلَّفونى بَيْعَ خيلِى * برخيصٍ وبغالى

ولما علَّقه الملكُ الظاهر برقوق فى مصادرته منكسا على رأسه قال: [البسيط]

وما تعلقت بالسِّرْياقِ (٥) منتكسا * لجُرمةٍ أوجبتْ تعذيبَ ناسوتى (٦)
لكننى مذ نفثتُ السِّحْرَ من أدبى * عُلِّقْتُ تعليقَ هاروتٍ وماروتِ

---

(١) راجع ص ٢٦٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا لهذه الخانقاه.

(٢) رواية المنهل الصافى «ج ٣ ص ٢٩٠ ب»: «أبو الفتح وقيل أبو الفضل».

(٣) عقد المؤلف له ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢٩٠ ب) تقع فى سبع صفحات كلها غرر ومحاسن.

(٤) توجد من هذا الديوان ثلاث نسخ محفوظة بدار الكتب المصرية: الأولى مخطوطة تحت رقم ١١٩٦، والثانية مصورة فى مجلدين تحت رقم ٤٥٥١، ونسخة أخرى تحت رقم ٨٢م.

(٥) السرياق: خشبة التأديب (عن دوزى).

(٦) الناسوت: طبيعة الإنسان: يريد تعذيب جسمه.

وله — عفا الله عنه — : [الكامل]

زارتْ معطرةُ الشـذا ملفوفةً * كى تختفى فأبى شـذا العِطْرِ
يا معشر الأدباءِ هـذا وقتُكم * فتنـاظموا فى اللَّفِّ والنَّشْـرِ

وله — سامحه الله تعالى — : [الوافر]

يقول مُعذِّبى إذ هِمْتُ وجدًا * بخدٍّ خِلت فيه الشَّعْر نَمْـلا
أتعرِف خدّه للعِشق أهـلا * فقلت لهم نعم أهْـلًا وسهلا

وتُوفّى القاضى علاء الدين علىّ بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن حميد[1] الأزرق المُقَيِّرى[2] الكركىّ الشافعى كاتب سرّ الكرك ثم الديار المصرية فى أوّل شهر ربيع الاول، ودُفن خارج باب النصر[3]، وهو أحد من قام بنصرة الملك الظاهر عند خروجه من حبس الكرك، وقد تقدّم ذكر ذلك فى ترجمة الملك الظاهر برقوق، فعرَف له برقوق ذلك، وولّاه كتابة سرّ مصر، وولى أخاه القاضى عماد الدين قضاء الديار المصرية، وآستمرّ علاء الدين هذا فى وظيفته كتابة السر إلى أن مرض ومات، وأُعيد بدر الدين بن فضل الله من بعده فى وظيفة كتابة السرّ .

وتُوفّى القاضى علاء الدين علىّ بن عبـد الله بن يوسف البِيرىّ[4] الحلبىّ الشاعر الكاتب المنشئ فى رابع عشر شهر ربيـع الأوّل مخنوقا بأمر الملك برقوق ، وكان

(١) رواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٢٣ ب) : « ابن جميل » .

(٢) رواية المنهل المصدر المتقدم : « ابن المقبرى » بالباء الموحدة .

(٣) موضع هذا الباب اليوم تجاه زاوية القاصد الواقعة بشارع باب النصر بين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء .

(٤) البيرى : نسبة إلى البيرة وهى بلد قـرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهى قلعـة حصينة مرتفعة على حافة الفرات فى البر الشرق الشمالى ، ولها واد يعرف بوادى الزيتون ، وأعين (عن تقويم البلدان لأبى الفداء اسماعيل ، ومعجم البلدان لياقوت) .

بارعا فى الإنشاء والأدب، وخدم جماعة من الملوك إلى أن آتصل بخدمة الأتابك يَلْبُغَا الناصرى، وسار صحبته إلى الديار المصرية لقتال الملك الظاهر برقوق .

ولمّا ملك الناصرىّ ديارَ مصر صار علاء الدين هذا من عظماء مصر، ولا زال على ذلك حتى قُبِضَ على الناصرىّ وحُبِس بالإسكندرية ، فآستمر علاء الدين بمصر، فلمّا عاد الظاهر إلى مُلكه وأُخْرِج الناصرىّ، عاد علاء الدين هذا إلى خدمته ، إلى أن قَبَضَ عليه الملك الظاهر وقتله ، وأُمسِك علاء الدين هـذا وحُمِل إلى القاهرة فى الحديد، ثم قُتِل ، وكان بارعا أديبا شاعرا، ومن شعره : [الطويل]

أرى البدرَ لمّا أن دنا لغُروبه[1] * وأُلبِس منه أزرقُ الماء أبيضا
توهّم أن البحـر رام آلتقامَه * فسلّ له سيفًا عليه مفضّضا

وتُوفّى الأمير عَنْقاء بن شَطّى ملك العرب وأمير آل مِرًا[2] ، كان قـد خرج عن طاعة الملك الظاهر، وقَتَلَ الأميرَ يونس الدوادار، ووافق النـاصرىّ ومنطاشًا ، فلمّا عاد الملك الظاهر إلى مُلْكه لم يزل يُرسل إليه الفِداوِيّة ويَعِد الناسَ فى قتـله حتى قتلته الفِداويّة فى هذه السنة فى رابع المحرم .

وتُوفى الأمير سـيف الدين قُطلوبُغا بن عبـد الله الصَّفَوِى ، كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، وحاجبَ الحُجّاب بها فى أوّل شهر ربيع الآخرة .

وتُوفّى الأمير سيف الدين قُطْلوبَك[3] بن عبد الله السيفى طشتمر الدوادار، كان أحد أمراء العشرات مات فى عاشر صفر .

(١) رواية « ف » « بدا » .
(٢) ضبطها المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٩٣ ب) بالعبارة فقال : « بكسر الميم و بالراء المفتوحة المهملة وألف بعدها » .
(٣) فى رواية م : قطلوبغا .

وتُوفِّى الشيخ بدر الدين محمـد بن عبـد الله المِنْهاجىّ الفقيه الشافعى المعـروف بالزَّرْكِشِىّ(١) المصنِّف المشهور فى ثالث رجب وكان فقيها مصنِّفا .

وتُوفِّى الشيخ الصالح المعتقد أبو عبـد الله محمـد الرُّكْرَاكِىّ المغربىّ المـالكىّ فى ثالث(٢) جُمادَى الأولى ، وقد قارب مائة سنة .

وتُوفِّى الأمير الوزير ناصر الدين محمـد بن الأمير حُسام الدين لاچين الصفَرىّ المَنْجَكِىّ المعروف بٱبن الحُسام فى ثانى عشر صفر ، بعد مرض طويل ، بعد أن وَلِى الوظائف الجليلة مثل وزَر مصر والأستادارية وغيرهما .

وتُوفِّى القاضى جمال الدين محمود ٱبن القاضى حافظ الدين محمـد بن تاج الدين إبراهيم القَيْصَرىّ الحنفىّ قاضى قضاة الحنفية بحلب .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين قَرَا دِمِرْداش بن عبد الله الأحمدى اليَلْبُغَاوِىّ مقتولا فى محبسه بقلعة الجبـل(٣) فى ذى الحجة ، وهو أيضا من أعيان المـماليك اليَلْبُغاوِيّة ، وكان من جمـلة أمراء الألوف بالديار المصرية ، وأمير سلاح فى سـلطنة الظاهر الأولى ، فلمّـا ٱنتصر الناصرىّ على عسكر الملك الظاهر برقوق بدِمَشق ، وقبَض الناصرىّ على الأتابك أَيْتَمُش(٤) البَجَاسِىّ ، خَلَع الملك الظاهر على قَرا دِمِرداش هذا بٱستقراره عِوضَه أتابك العساكر بالديار المصرية ، وأنعم عليه بثلاثين ألف دينار ، فأخذها وعَصَى من ليلته ، وتوجّه إلى الناصرىّ ، وصار من جمـلة عساكره ، فلمّا ملك الناصرىّ الديارَ المصرية ٱستقرّ به أميرَ مجلس إلى أن أَمسك منطاشًا مع مَن

(١) فى « م » بابن الزركشى .

(٢) فى رواية « م » فى ثالث عشر .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا مطولا .

(٤) رواية « م » الأمير .

أُمسك من حواشى الناصرىّ ، وحبسه إلى أن أطلقه الملك الظاهر برقوق، وولّاه نيابة طرابُلُس، ثم نقله إلى نيابة حلب وندَبَه لقتال منطاش فدام على نيابة حلب إلى أن عزله عنها الملك الظاهر ، بعد أن أُمسك الناصرىّ وأنعم عليه بتقدمة ألف بديار مصر، ثم قَبضَ عليه بمصر وحبسه ثم قتله .

وتُوفّى الشيخ المحدِّث المُسْنِد بدر الدين محمد بن محمد بن مجير المعروف بآبن الصائغ وآبن المُشارف فى ثالث شهر ربيع الآخر .

§ — أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبعة أذرع وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

***

السنة الرابعة من ولاية(1) الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

وهى سنة خمس وتسعين وسبعمائة .

وفيها تُوفى الأديب الشاعر زَيْن الدين أبو بكر بن عثمان بن العَجَمِىّ فى سادس عشر ذى الحجّة، وكان عنده فضيلة، وله شعر جَيِّد من ذلك قوله : [البسيط]

قد عَاوَدَ الحُبُّ قلبي بعد سَلْوَته ... وآستعذب الضَّيْمَ والتعذيبَ والنَّصَبَا
وكان أقسمَ لا يصبُو لظَبْيِ نَقًا ... فما رأَى فى هَوَى غِزْلانِه وَصَبَا

وتُوفِّى الأميرُ زَيْن الدين أبو يزيد بن مُراد الخازن، دوادار السلطان الملك الظاهر برقوق، وأحد أمراء الطبلخاناه فى رابع جمادى الآخرة ، وحضر السلطان الصلاة عليه ، وأبو يزيد هذا هو الذى كان أخفى الملك الظاهر برقوقا عنده

(1) فى « م » من سلطنة .

فى نَوْبة الناصرى ومنطاش، وأُخذ من داره، وكان الظاهر توجّه إليه وآختفى عنده من غير مواعدة، فعَرَف له الملكُ الظاهرُ ذلك، فلما عاد الملك الظاهر إلى مُلْكه ثانيا أنعم عليه بإمرة طبلخاناه ثم آستقرّ به دوادارًا كبيرًا بعد توجّه بُطَا لنيابة الشام، فدام على ذلك حتى مات فى التاريخ المذكور، ودفِن بتربته(١) التى أنشأها عنـد دار الضيافة بالقرب من قلعـة الجبل، وكان أميرًا فاضـلا عارفا ذكيًّا له يدٌ فى فنـون، وكان يَعْرِف بالتُّركى والعجمىّ والأرمنىّ، على أنه كان فصيحا باللغة العربية .

قلت : هكذا يكون الدوادار، لا كمن لا يَعْرِف آسمه من آسم الحمار، وكان يميل إلى مذهب الصوفية، وكان الملك الظاهر يثِق إليه، ويُشاوره فى أموره .

وتُوفّى الوزير الصاحب شمس الدين أبو الفرج عبدالله المقسىّ، فى رابع شعبان ودفن بجـامعه(٢) الذى جدّده على الخليج الناصرىّ(٣) بالقرب من باب البحر، وكان معدودا من رؤساء الأقباط .

وتُوفّى الأمير ناصر الدين محمـد بن الأمير علاء(٤) الدين آقبغـا آص . قال المقريزى رحمـه الله : كان أولا من جمـلة أمراء الملك الأشرف شعبان الطبلخانات، ثم نزعها منه لمّـا سَخط على والده، وتعطّل مدّة وعَقّ أباه، وحُكِى عنه

(١) دلنى البحث على أنه كان توجد جبانة قديمة بالجهة القبلية من جامع قانباى الجركسى المجاور لدار الضيافة بميدان السيدة عائشة بقسم الخليفة بالقاهرة وأن تلك الجبانة كان بهـا عدّة تُرب للأمراء وغيرهم ولا بد أن يكون من بينها تربة زين الدين أبو يزيد المـذكور لأنها كانت أقرب جبانة لدار الضيافة وقد اندثر ما كان بها من الترب وأقيم فى مكانها المساكن الحالية المجاورة للجامع السالف ذكره .

(٢) هذا الجامع هو الذى يعرف اليوم بجامع أولاد عنان بشارع إبراهيم باشا من جهة ميدان باب الحديد بالقاهرة، وقد تقدم الكلام عليه فى مواضع كثيرة .

(٣) وأما الخليج الناصرى فقد اندثر وسبق التعليق عليـه فى الحاشية رقم ١ ص ٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ٧١١) : «ابن الأمير سيف الدين آقبغا» .

أمور شنيعة فى عقوقه لوالده، وسافر إلى اليمن وعاد إلى القاهرة وتنقّلت به الأيام إلى أن ولى شد الدواوين بإمرة عشرة مدّة، ثم أُمسك وصودر وعوقب عقوبة شديدة ، وكان سيّئ السيرة ، من أشرّ خلق الله المتجاهرين بالمعاصى ، إلى أن توفى فى يوم الأربعاء ثامن عشرين شوّال » . انتهى كلام المقريزى .

وتُوفّى الأمير الطواشى مقبل بن عبد الله الشهابى شيخ الخدّام بالحرم النبوىّ ، وكان أصله من خُدّام الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وتنقّل فى الخدم إلى أن ٱختص بالأمير شَيخون العُمَرى ، ثم خدم السلطان حسنا [ٱبن قلاوون] ، ثم ولى مشيخة الخُدّام بالحرم النبوى بعد وفاة الطواشى ٱفتخار الدين ياقوت الرسولى الخازندار الناصرى ، وكان مقبل يَنُوب عنه فى الحرم ، فلمّا مات ولى مكانه .

وتُوفى قاضى القضاة ناصر الدين أبو الفتح نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانى العسقلانىّ الحنبلى ، قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليلة الأربعاء حادى عشرين شعبان ، وكان مشكور السيرة مُحبّبا للناس .

وتُوفى الشيخ نجم الدين محمد بن جماعة الشافعى خطيب القدس فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة [بالقاهرة ودُفِن خارج باب النصر](١) .

وتُوفى الأمير صارم الدين إبراهيم ٱبن الأمير الكبير طشتمر الدوادار فى شهر رمضان بثغر الإسكندرية ، وكان من جملة أمراء الطبلخاناه بالديار المصرية .

(١) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٧١٣) .

وتُوفى الشيخ علاء الدين أبو الحسن على بن محمد الأَقْفَهْسِى[1] الفقيه الشافعى فى ثامن عشرين شوّال ، وكان معدودا من فقهاء الشافعية .

وتُوفى علاء الدين[2] قُطلوبغا بن عبد الله الأَسَنْقَجَاوى ، والمعروف بأبى دَرَقَة الكاشف[3] ، ولى الكشْف بجهات كثيرة ، ووقع له أمور مع العُرْبان ، وقَتل منهم جماعةً كبيرة حتى مَهّد البلاد القبلية .

وتوفى الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى، مدرس مدرسة الملك الظاهر[4] برقوق فى شهر ربيع الآخر .

وتُوفى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الضياء المُناوى الشافعى، شيخ المدرسة الجاولية بالكبش[5] ، وأحد نواب الحكم بالقاهرة فى شهر ربيع الآخر.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وأربعة عشر إصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرون إصبعا . والله تعالى أعلم .

* * *

السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

وهى سنة ست وتسعين وسبعمائة . وفيها توفى الأمير سيف الدين أَبْرَك بن عبد الله المحمودى الظاهرى شادّ الشراب خاناه السلطانية، وهو مجرّد بدمشق، وبها دفن وكان خَصيصًا عند أستاذه الملك الظاهر برقوق .

(١) الأقفهسى : نسبة إلى أقفهس وهى قرية بمصر من أعمال البهنساوية ، قال شارح القاموس : وقد اجتزت بها .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٧١١) : « ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الأسنقجاوى » .

(٣) رواية السلوك ج ٣ ص ٧١١ : « كاشف الوجه البحرى » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وفيها تُوفِّى الصاحب الوزير مُوَفَّق الدين أبو الفرج الأسلمى تحت العقوبة فى يوم الاثنين [حادى](١) عشرين شهر ربيع الآخر، وكان أسوأ الوزراء سيرة، لأنه كان أُكره على الإسلام حتى قال : كلمة الإيمان غصبا ولبس العمامة البيضاء وهو باق على دين النَّصرانية، فكان على الناس بذنوبهم(٢)، ولما كان على دين النصرانية وهو يباشر الحوائج خاناه كان مشكور السيرة، حتى أُكْرِه على الإسلام، فبلغ من المسلمين مبلغا عظيما من الظلم والجور، وولى فى بعض الأحيان نظر الجيش بديار مصر أيضا .

قلت : لا ألومه على ما فعله وما الذنب إلا لمُوَلِّيه : لم لا أقتدى بمن كان قبله من الملوك السالفة ووزرائهم ! مثل القاضى الفاضل عبد الرحيم، وآبن بنت الأعز وبنى حِنّاء وغيرهم — رحمهم الله تعالى .

وتُوفى الشيخ المعتقد الصالح رشيد التَّكْرورى(٣) الأسود فى البيمارستان المنصورى فى يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة، وكان يقيم بجامع راشدة(٤) خارج مدينة مصر القديمة، وهو آخر من سكنه وهو يُقصد للزيارة والناس فيه آعتقاد حسن .

وتوفى الأمير سلّام(٥) (بتشديد اللام) آبن محمد سليمان بن فايد، المعروف بابن التركية أمير خفاجة(٦) من الصعيد فى سابع شهر ربيع الآخر، وكان من أجلّ أمراء العرب .

---

(١) التكملة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٥٠٦ ب)، والسلوك (ج ٣ ص ٧٣٦) .

(٢) رواية المنهل المصدر المتقدم : « وتسلطن على الناس بذنوبهم » .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٥) ترجم له المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ١١٤ أ) ترجمة لا بأس بها .

(٦) خفاجة : حى من بنى عامر وهو خفاجة بن عمرو بن عقيل .

وتُوفِّى الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد بن صغير رئيس الأطباء ، وهو بمدينة حلب(١) فى التجريدة صُحبة السلطان فى يوم الجمعة عاشر ذى الحجة ودفن بهـا ، ثم نقل بعـد مدّة إلى القاهرة ، وكان من الأفراد فى علم الطب والملاطفة ماهرا فى صناعته ، كان من عظم آطلاعه فى علم الطب يصف للموسر بأربعين ألفـا ويصف الدواء فى ذلك الداء بعينه للمُعسِر بفَلْس واحد .

قال المقريزى : « وكنت عنده فدخلَ عليه شيخ وشكا شدة السُّعال ، فقال له : إياك تنام بغير سراويل ، فقال الشـيخ : إى والله . فقال له : فلا تفعل ، نم بسراويلك ! قال : فصدفت ذلك الشيخ بعد أيام فسألته ، فقال لى : عملت ماقال فبرِئتُ ، قال : وكان لنـا جار حدث لابنه رُعاف حتى أفرط فآنحلت قوى الصغير ، فجاء به إلى ابن صغير هذا وشكا من كثرة الرُّعاف ، فقال له : شرِّط أُذنه ، فتعجّب وتوقف فقال له ثانيا : توكَّل على الله وآفعل ، ففعل ذلك فبرئ الصغير وذكر له أشياء كثيرة من هذا النموذج يطول شرحها .

وتوفى القاضى بدر الدين محمد آبن القاضى علاء الدين على آبن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله بن مجلِّى بن دَعْجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله بن على ابن محمد بن أبى بكر عبد الله بن [عبد الله بن](٢) عمر بن الخطـاب العدوى القرشى العُمَرى المصرى الشافعى كاتب سِر الديار المصرية ورئيسها بدِمَشق فى يوم الثلاثاء العشرين من شوّال مجردا صحبة السلطان الملك الظاهر برقوق ودفن بتربتهم بدِمشق ، وولى كتابة السر من بعده القاضى بدر الدين محمود [السِّيرامى](٣) الكلستانى .

(١) ذكر لهـا ياقوت فى معجمه (ج ٢ ص ٣٠٤) ترجمـة تقع فى عشر صفحات .
(٢) تكملة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢١٧ ب) .
(٣) تكملة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢١٨ ؟) .

وتوفى أخوه حمــزة بن على بن فضل الله بعــده بشهر، فقال فى موتهما بعض شعراء العصر : [الوافر] .

قضى البدر بن فضل الله نحْبا * ومات أخوه حمزة بعــد شهرِ

فلا تعجب لذى الأجلين يوما * فحمــزة مات حقا بعــد بدرِ

وكان القاضى بدر الدين المــذكور إماما رئيسا فاضلا فى الإنشــاء والأدب وله مشاركةٌ جيدة فى الفقه وغيره، وكان محمودَ السيرة مشكور الطريقة، باشر كتابة سرّ مصر نحو سبع وعشرين سنة، على أنه انفصل فيها أولى وثانية، فالأولى بأوحد الدين عبد الواحد ، والثانية بعلاء الدين الكَرَكى وهو ثالث واحد سمّى بدر الدين من بنى فضل الله كُتّاب سر دمشق، وآخِرُ مَنْ ولى كتابة سر مصر وغيرها من بنى فضل الله، وبموته خرجت كتابه السر عن بنى فضل الله — رحمه الله تعالى —

وتُوفى القاضى تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المَلِيجى[1] المعروف بصائم الدهر محتسب القاهرة ، وناظر الأحباس وخطيب مدرسة[2] السلطان حسن فى تاسع عشر صفر عن سبعين سنة وكان خيِّرا دينا مشكور السيرة — رحمه الله —

وتُوفى الأمير مَنْــكِلى بغا بن عبد الله الشمسى الطرخانى، أحد الأمراء بديار مصر ثم نائب الكرك فى ليلة عاشوراء ، وكان من أكابر أمراء مصر ولديه حشــمة وريا ســة .

وتُوفى الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الأتابك منكلى بغا الشمسى وآبن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين ، وصهر الملك الظاهر برقوق وأحد أمراء الطبلخانات بديار مصر بها فى عاشر شعبان .

---

(١) فى السلوك ج ٣ ص ٧٣٧ : « المليحى » بالحاء المهملة .

(٢) تقدم شرح هذه المدرسة شرحا وافيا فى ص ١٢٣ س ٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتوفى الشـيخ ناصر الدين محمد بن مقبل الجنـدى الفقيه الظاهرى المذهب فى يوم الأربعاء ثالث عشر جُمادَى الآخرة ، وكان فاضلا وله مشاركة جيّدة فى فنون ، وكان لا يتكتّم الاقتداءَ بمذهب أهل الظاهر ويحفّ شاربَه ويرفع يديه فى كلّ خفض ورفع فى الصلاة .

وتُوُفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير شرف الدين موسى بن [سيف الدين أَرُقْطاى بن] الأمير جمال الدين يوسف أحد أمراء العشرات بالديار المصرية [(١)] فى ليلة الأربعاء سادس عشرين ذى القَعْدة ، وكان أبوه وجدّه من أمراء الألوف بالقاهرة ، وكان يُحِبُّ علمَ الحديث ، ويُواظب سَماعَه ، وله مشاركة فى المذهب .

وتُوفّيت الشيخة الصالحة المعتَقَدة المعروفة بالبغدادية ، صاحبة الرِّباط [(٢)] بالقاهرة فى يوم السبت ثانى عشرين جُمادَى الآخرة ، وكانت على قَدَم هائل من الصلاة والعبادة ، وللناس فيها اعتقاد ، وتُقصد للزيارة .

وتُوُفّى السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم [(٣)] فى ليلة الخميس رابع شعبان بمحلّ مُلكه مدينة تُونُس [(٤)] من بلاد المغرب ، بعد أن حكمها أربعا وعشرين سـنة وثلاثة أشهر ونصفا ، وقام من بعده على ملك تُونُس ابنُـه السلطان أبو فارس عبد العزيز وكان من أجلّ ملوك الغرب ، وطالت أيام ولده عبد العزيز فى الملك حسب ما يأتى ذكره فى محلّه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) التكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٧٣٨) .

(٢) هـذا الرباط داخل الدرب الأصـفر واقع تجاه خانقاه بيبرس الجاشنكير حيث كان المتجر وبعضهم يقول : رواق البغدادية أنشأته الست الجليلة تذكار باى خاتون ابنـة الملك الظاهر بيبرس لبندقدارى فى سنة ٦٨٤ هـ ، راجع بقية الكلام عليها ص ٢٦٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع السلوك للقريزى (ج ٣ ص ٧٣٩) .

(٤) راجع الكلام عليها ص ٧٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ؛ حيث تجد لها شرحا وافيا .

وتُوُفِّىَ أيضا صاحب مملكة فاس(١) من بلاد الغرب — السلطان أبو العباس أحمد بن أبى سالم بن إبراهيم بن أبى الحسن المَرِينى(٢) ملك الغرب فى المحرّم ، وأُقيم بعده ٱبنه أبو فارس عبد العزيز .

قلت : وهو يُشارك المقدّم ذكره فى الاسم والكُنية وٱسم الأب والجدّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأحد عشر إصبعا . والله تعالى أعلم .

***

السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

وهى سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّىَ(٣) الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم الآمدى الدِّمَشْقى الفقيه الحنبلى أحد أصحاب ٱبن تَيميّة .

وتُوفى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغا بن عبد الله الحلبى الأشرفى ، وهو مسجون بقلعة حلب ، وكان من أعيان المماليك الأشرفية ، وأحد أكابر الأمراء بديار مصر .

وتُوُفِّىَ الشيخ المعتقد المجذوب أبو بكر البِجَائى(٤) المغربى ، أحدُ من أوصى السلطان الملك الظاهر برقوقا أن يُدفن تحت رجلَيْه فى يوم السبت خامس جُمادَى

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة ، حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) راجع السلوك ج ٣ ص ٧٣٩ ، والمنهل الصافى ج ١ ص ٥٠ ب .

(٣) ذكر المقريزى أن وفاته كانت فى رابع عشرين ذى القعدة .

(٤) كذا فى جميع الأصول وفى المنهل الصافى (البجاسى) والبجائى نسبة إلى بجاية بالكسر مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد فى سنة ٤٥٧ ﻫ (انظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٤٩٥) طبع أوربا .

الآخرة، ودُفِن خارج باب النصر حيث هى التربة الظاهرية[١] الآن، وكانت جنازته مشهودة، وأخرجه السلطان وجهّزه على يد الأمير يلبغا السالمى[٢]؛ وكان للناس فيــه آعتقاد لا سيَّما الظاهر برقوق فإنه كان له فيه آعتقاد.

وتُوفّى العلّامة صــدر الدين بَديع[٣] بن نَفيس التِّبريزى رئيس الأطبــاء بالديار المصرية فى سادس عشر شهر ربيع الأول، وهــو عمّ القــاضى فتح الدين فتح الله كاتب السّر الآتى ذكرُه، وهــو الذى كَفَله بعــد موت جدّه نَفِيس؛ وكان مات والد فتح الدين مُعْتَصم بن نَفِيس، وفَتْحُ الله طفل صغير؛ وكان بديعا ماهرا فى علم الطبّ كثيرَ الحفظ لمتونه، وهو صاحب التصانيف المشهورة.

وتُوفّى الشريف أبو الحسن على بن عَجْــلَان[٤] بن رُمَيْثة، وآسم رميثة مُنْجِد بن أبى نُمَىّ بن أبى سعد حسن بن على بن قَتَادة بن إدريس بن مُطاعِن بن عبد الكريم آبن عيسى بن عيسى بن حســين بن سليمان بن على بن عبــد الله بن محمد بن موسى آبن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن السِّبط بن الحسن بن على بن أبى طالب المكى الحسنى، أمــير مكة المشرفة، وَلِيها ثمــانى سنين ونحو ثلاثة أشهر مستقلاً بالإمارة، غير سنتين أو نحوهمــا؛ فإنه كان فيهما شريكا لعنــان[٥] بن مُغــامس بن رميثــة؛ ووقع له أمــور بمكة مع الأشراف ووقائع؛ وآخر الأمر توجّه أخــوه الشريف حسن[٦] بن عجلان إلى القــاهرة يريد إمرة مكة؛ فقبض عليــه السلطان

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٨٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا مفصلا.
(٢) انظر المنهل الصافى (ج ٣ ص ٤٤٠ ب) حيث تجد له ترجمة مفصلة.
(٣) ذكره المؤلف فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٠٤ ب) والمقريزى ج ٣ ص ٧٥٧.
(٤) ترجم له المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤١٦ ب)، والمقريزى (ج ٣ ص ٧٥٧)، وشذرات الذهب (ج ٦ ص ٣٥٠).
(٥) ترجم له المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٩٢ ا).
(٦) ترجم له المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٥ ب)

وحبسه، و بعث إلى علىّ هذا باستمراره على إمرة مكة ، فاستمر على إمرتها إلى ان وقع بينـه و بين بعض القُواد ، وخرج إليهـم علىّ هذا ، فبدره بعضهم وسايره ، وهو راكب على راحلته ، والشريف علىّ هـذا على فرس فرمى القـائد بنفسه على الشريف علىّ المـذكور وضربه بجنبية[١] كانت معـه ، فوقعا جميعـا على الأرض ، فوثب عليـه علىّ وضربه بالسيف ضربة كاد منهـا يَهلك ، وولَّى علىٌّ راجعـا إلى الحِـلّة ، فأغرى به شخص يقـال له أبو نمىّ غلام لصهره حازم بن عبـد الكريم جنـديا ، وعُتْبة وحمزة وقاسما[٢] ، فوثبوا عليـه وقتلوه وقطّعوه و بعثوا به إلى مكة ، فدُفِن بالمَعْلاة على أبيـه عجلان ، وكان قتله فى يوم الأر بعاء سابع شـوّال[٣] ، ووَلِى إمرةَ مكة بعده أخوه حسن بن عجلان .

وتُوفِّى الأمير ناصر الدين محمد[٤] بن السلطان الملك الظاهر برقوق فى يوم السبت ثالث عشرين ذى الحجة ، ومولده فى مستهل شهر ربيع الأوّل سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة ، وأمّـه خَونْد الكبرى أُرْدُ[٥] ، صاحبة قاعة العواميد[٦] ، ومات بعـد أن أعيا الأطباء داؤه الذى كان برجليه من أرياح الشَّوكة . و به مات ، وكان إقطاعه الديوان المفرد الآن ، فإنه لمـا مات جعـله السلطان إقطاعه لممـاليكه المشتروات

---

(١) الجنبية : الخنجر يوضع فى حزام الرجل إلى جانبه . (عن دوزى) .

(٢) رواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤١٧ ب) : (وعتبة وحمزة بن قاسم) .

(٣) رواية المنهل الصافى المصدر المتقدم : « يوم الأربعاء سابع شعبان » .

(٤) ترجم له المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ١٢٥ أ) ، والمقريزى فى السلوك . ج ٣ ص ٨٥٧

(٥) أُرد بألف وراء مهملة ساكنة ، ودال مهملة مضمومة ، وهى تركية الأصل أعتقها الملك الظاهر برقوق وتزوّجها ، وجعلها خوند الكبرى .

(٦) هى إحدى قاعات القلعة ، وكانت مخصصة لحاجات السـلطان المنزلية ، وكانت تعرف بالقاعة الكبرى . راجع السلوك بتحقيق الأستاذ زيادة ص ٠٣٩ ، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين ص ٢٦ .

وأفرده فسمى المفرد من يومئذ، وجعل كاتبه الهيصَم ، وكان محمد هذا أكبر أولاد السلطان وأعظمهم، ووجد السلطانُ عليه وجْدًا عظيما .

وتُوُفِّي قاضي القضاة ناصر الدين محمـد(١) بن عبد الرحمن بن عبد الدائم بن محمد المعروف بآبن بنت مَيْلَق الشاذلي الصوفي، قاضي قضاة الديار المصرية، وهو معزول في ليلة الآثنين تاسع عشرين شهر ربيع الأول . وكان أصله من أُشْمُوم(٢) الرمان، وُلِد قبل سنة ثلاثين وسبعمائة، وسمع الحديث وطلب العلم وتفقه ووعظ دهرا ، وقال الشعر ، وأنشأ عِدّة خطبٍ بليغة، وجمع عدّة أجزاء في عِدّة فنون، وكان يتزيّا بِزِيّ الفقراء ويتصدى لعمل المواعيد، وآعتقده الناس وتبرّكوا به، وخطب بعدّة جوامع وصار له أتباع وشُهرة كبيرة، إلى أن طلبه الملك الظاهر برقوق للقضاء بعد عزل القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء، فامتنع ثم أجاب فألبسه الملك الظاهر تشريف القضاء بيده، وأخذ طيلسانه يتبرّك به .

قال المقريزي : "فداخل الناسَ بولايته خوفٌ ووهم، وظنوا أنه يحمل الناس على محض الحق ، وأنه يسير على طريق السلَف من القضاة، لِما ألفُوه من تشدّقه في وعظه، وتفخُّمه في منطقه، و إعلانه بالتبكير على الكافّة . ووقيعته في القضاة، وآشتماله على لبس الخشن المتوسط من الثياب، ومعيبه على أهل الترَّف، فكان أول

(١) ذكر له المؤلف ترجمة طويلة في المنهل الصافي (ج ٣ ص ١٧٢ ب) .

(٢) أشموم الرمان هي قصبة كورة الدقهلية ، مدينــة ذات حمامات وأسواق وجامع وفنادق، وقد استمرت قاعدة لإقليم الدقهلية والمرتاحية إلى آخر عهد دولة المماليك وفي أوائل الحكم العثماني نقلت القاعدة إلى مدينة المنصورة ، ومن ذلك الوقت اضمحلت أشمون الرمان وزال ما كان فيها من آثار المدنية والعمران وأصبحت اليوم قرية عادية من قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية .

ما بدأ به أن عزل قضاة مصر جميعَهم من العريش[1] إلى أُسوان[2] ، وبعد يومين تكلم معه الحاجّ مُفْلِح[3] مولى القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتم السرّ فى إعادة بعض مَنْ عزله من القضاة فأعاده ، فانحلّ ما كان معقودا بالقلوب من مهابته ، ثم قلع زيَّه الذى كان يلبسه ، ولبس الشاش الكبير الغالى الثمن ونحوه من الثياب ، وترفَّع فى مقاله وفعاله ، حتى كاد يصعد الجو ، وشح فى العطاء ولاذ به جماعة غيرُ محبَّبين إلى الناس . فانطلقت ألسنة الكافَّة بالوقيعة فى عِرْضه ، واختلقوا عليه ما ليس فيه ، فلما قَدِم الأمير يلبغا الناصرىّ إلى الديار المصرية ، وغلب برقوقا على المملكة وبعثه إلى سجن الكرك كان هو قاضيا يومئذ فوقَّع فى حقّ الظاهر ، وأساء القول فيه ، فبلغه ذلك قبل ذَهَابه إلى الكرك فأسرّها فى نفسه ، فلمّا ثار منطاش على الناصرى صرف ابن مَيْلق هذا عن القضاء بالصدر المُناوى ، بعد ما كان أخذ خطّه فى الفتاوى المكتتبة فى حقّ برقوق ، فلمّا عاد برقوق إلى الملك لَهَجَ[4] بدمه فتنبهت أعين العدا لابن ميلق هذا وحسنوا للبيدقى أحمد أمين الحكم أن يقف للسلطان ويشكو ابن ميلق المذكور بسبب ما أخذه من أموال الأيتام ، وكان نحو الثلاثين ألف درهم فضة ، عنها قريب من ألف وخمسمائة مثقال من الذهب ، فرفع فيه قصة إلى السلطان فطلبه فجاءوا به وقد حضر القضاة فأُوقف مع النقباء تحت مقعد السلطان فى الميدان فحالما مَثَل قائما سقط مغشيا عليه ، وصار على التُّراب بحضرة

(١) العريش : مدينة قديمة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، بقرب نهاية الحد الشرقى لأرض مصر ، وكانت من الثغور المصرية ، ولما أنشئت محافظة سيناء جعلت العريش محل إقامة المحافظ .

(٢) أسوان : من المدن المصرية القديمة ، على الشاطىء الشرقى للنيل بالقرب من الشلال الأول وهى مشهورة بحركتها التجارية وقد جعلت عاصمة للمديرية فى سنة ١٩٠٠ م .

(٣) ذكره المؤلف فى (المنهل الصافى) ترجمة طويلة فى (ج ٣ ص ٢١٧ ب) .

(٤) لهج بالشىء : أغرى به .

ذلك الجمع العظيم ، فتقــدّم بعضُ مَنْ كان يلوذ به ليصلح من شأنه ، فصَرخ فيه السلطان وتُرِك طويلا حتى أفاق ، وآدّعى عليــه البيدقى فلم يلحن بحجة ، وألزمه القضاة بغرامة ذلك ، والقيام به للأيتام من ماله ، ولم يكن المـال المذكور فى ذمته ، وإنما كان آقترضه وصرّه للحرمين ، فلزمه غَضبا ورُسِم عليــه وسُجِن بالمدرسة الشريفية(١) ، ليدفع المـال وما زال يُورده حتى أتى ذلك على غالب موجوده ، ثم لزم داره وذهبت عينه ، وتخلَّى عنــه أحبابُه إلى أن مات ، ودُفِن خارج باب النصر بتربة الصوفية ، فلقــد كان قبل ولايتــه حسنة من حسنات الدهر ، ما رأيت قبـله أحسن صـلاة منه ولا أكثر خشوعا مع حسن منطق ، وفصاحة ألفاظ ، وعذوبة كلام ، وبهجة زِىّ ، وصــدع فى وعظه إذا قصّ أو خطب ، إلّا أنه آمتُحِن بالقضاء ، وآبْتُلِى بمـا أرجو أن يكون كفارةً له . انتهى كلام المقريزى باختصـــار .

وتُوفِّى الشيخ شمس الدين محمد بن على بن صلاح الحريرى أحد نوّاب القضاة الحنفية ، ومشايخ القرّاء بالديار المصرية ، فى يوم الجمعة رابع عشرين شهر رجب . وكان فقيها مقرئا ، أقرأ ودرّس وناب فى الحكم سنين .

وتُوُفِّى القاضى شمس الدين محمــد بن عمر القِليجى(٢) الحنفى مفتى دار العــدل ، وأحد نواب القضاة بالديار المصرية ، فى ليلة الثلاثاء العشرين من شهر رجب وقد بلغ من الرياسة مبلغا عظيما ، وكانت لديه فضيلة تامّة .

(١) هى التى تعرف بجامع بيبرس الخياط بأوّل شارع الجودرية بالدرب الأحمر ، وراجع تاريخ مصر لابن إياس ج ٤ ص ٤٧٧ .

(٢) مكتبا اليوم القاعات الواقعة على يسار الداخل من باب العزب المشغولة الآن بمخازن المهمات بجامعة العزب المصرى ، راجع الكلام عليها فى ج ٧ الحاشية ١ ص ١٦٣

وتُوُفِّىَ العلّامة شمس الدين محمد الأقفراني الحنفى شيخ المدرسة الأيتمشية[1] بباب الوزير، فى سابع عشر جُمادى الأولى[2]، وكان إماما عالما مدرسا فقيها ذكيا حافظا، كان يُلقِى الدرس عند الملك الظاهر أيام إمرته، وصدرا من سلطنته، وكان خَصِيصا عند السلطان وله وجاهة فى الدولة، وتولّى بعد موته مشيخة الأيتمشية الشيخ سراج الدين عمر القِرمى.

وتُوُفِّىَ القاضى برهان الدين إبراهيم القَلْقَشندىّ الشافعىّ مُوَقِّع الحكم، وأحد الفقهاء الشافعية فى ثالث عشرين شعبان.

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين طُوغان بن عبد الله الظاهرىّ أمير جانْدار، فى سادس عشر صفر[3]، وكان أحد أعيان المماليك الظاهرية برقوق خصيصا عند أستاذه.

وتُوُفِّىَ الشيخ نور الدين أبو الحسن على الهُورِينىّ الفقيه الشافعى شيخ القَوْصُونية[4] فى شهر رجب وكان فقيها فاضلا بارعا.

وتُوُفِّىَ الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد السفرى الحلبى الحنفى فى يوم الجمعة خامس شهر ربيع الأوّل، وأصله من قرية خربتا من عمل عَزاز[5]، وكان فقيها بارعا، وله مشاركة فى فنون.

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ ج ١١ من هذه الطبعة.

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ج ١٠ ص ١٨٠ من هذه الطبعة.

(٣) رواية السلوك ج ٣ ص ٧٥٧ (فى سادس صفر).

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجدها فى حاشيتها

(٥) عزاز: قلعة قرب حلب.

وتُوُفِّى القاضى جمال الدِّين أبو محمد عبد الله بن فرج النُّوَيْرِى المـالكى ، أحد نُواب الحكم المـالكية بالديار المصرية ، وكان معدودا من فضلاء المـالكية .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين قرابُغا بن عبـد الله ، والد الأمير جَرَكْتَمُر الخاصكى الأشرفىّ ، فى ثانى شهر ربيـع الأوّل وكان أحد أمراء العشرينات بالقـاهرة ، وكان مشكور السيرة خيِّرا ديِّنا .

وتُوُفِّى الشيخ المعتقَد شمس الدين محمد المقسى(١) فى يوم الأحد أول شهر رمضان ، وكان يسكن بجامع(٢) المقسى على الخليج ، وكان يقصد للزيارة .

وتُوُفِّى الشيخ المُعْتَقَد محمـد السَّمَلُوطى الصعيدى المـالكى ، فى ثانى عشر شهر رمضان ، وكان فقيها خيِّرا ديِّنا ، وللناس فيه ٱعتقاد ومحبة .

وتُوُفِّى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن على بن عبدالعزيز المعروف بابن المُطَرِّز فى يوم الأحد سادس جُمادى الآخرة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربعة أذرع وأربعة أصابع — مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثمـانية أصابع .

*
* *

السنة السابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق « الثانية على مصر » .

وهى سنة ثمـان وتسعين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّى الشيخ المُقرِئُ الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد بن بيبرس الجُنْدىّ ، المعروف بٱبن الركن البيبرسى(٣) الحنفى ، وكان إماما فاضلا .

(١) فى السلوك ج ٣ ص ٧٥٩ : (القدسى) .
(٢) جامع المقسى هو جامع أولاد عنان بشارع ابراهيم باشا بالقاهرة .
(٣) رواية المقريزى ج ٤ ص ١٣ (البيسرى) .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين بهادُر بن عبد الله الأعسر[(١)] فى يوم عيد الفطر، وكان من أعيان الأمراء، وتنقّل فى عِدّة ولايات .

وتُوُفِّى الأمير تمُر بن عبدالله الشّهابى الحاجب أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية ، وكان فقيها فاضلا ، و إماما بارعا فى الفقه وفروعه ، معدودا من فقهاء الحنفيّة ، وكان شجاعا مِقْداما خَرجَ عليه العَرب العُصاة فقاتلهم بجُرِحَ فى المعركة ، ومات من جراحه ، رحمه الله .

وتُوُفِّى الأمير الجليل سُودون بن عبد الله الفخرى الشيخونى ، نائب السلطنة بالديار المصرية بها ، فى يوم الثلاثاء خامس جُمادى الآخرة[(٢)] ، بعدما شاخ ، وكان أصله من مماليك الأمير الكبير شيخون العُمَرِى الناصرى ، ثم تَرَقَّى فى الدول إلى أن وَلِى حجوبية الحجاب بالديار المصرية ، فى دولة الملك الصالح حاجى ، ثم نقله الملك الظاهر برقوق إلى نيابة السلطنة فى أوائل سلطنته ، وطالت أيامه فى السعادة ، وكان وَقُورا فى الدُّول ، معَظّما عند الملوك ، ولما كَبِر وشاخ أخذَ يتبرّم من الإمرة والوظيفة ويَسْتَعفى ، إلى أن أعفاه الملك الظاهر بعد قدومه من سَفْرته إلى البلاد الشامية ، وكان سودون مُقيما بالقاهرة ، فلَزِم دَاره من صفر سنة سبع وتسعين وسبعمائة إلى أن مات فى التاريخ المقدّم ذكره ، وكان أميرا خيِّرا ديِّنا وافر الحرمة ، آمرا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، ومنذ مات تَجاهَر الملك الظاهر برقوق بالمنكرات التى لم تكن قبلُ تُعرف منه ، وكان مُحبا للعلماء والفقراء ، كان يدور و ينزل إلى بيوت الفقراء ، ويتبرّك بهم ويبذُل إليهم الأموال .

(١) رواية المقريزى ج ٤ ص ١٤ (الأعمش) .

(٢) رواية السلوك ج ٤ ص ١٥ (جمادى الأولى) .

قال قاضى القضاة العينى — رحمه الله — : وكان حصل له شىء من التَّغَفُّل والتساهى .

قلت : كان فيه سلامةُ باطن مع دين وشفقة ولين جانب ، حتى صار يُحكى عنه أشياء فى حكوماته مختلَقة عليه ، كما يذكُر الناس ذلك عن الخادم بهاء الدين قَرَاقُوش الصَّلاحى الخصىّ وليس لذلك صحة . انتهى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين قُطلوبك بن عبد الله الطَّشْتَمُرى ، أحدُ أمراء الألوف بالديار المصرية ، وكان جليلَ القدر وَقورا من الأمراء المشايخ .

وتُوُفِّى الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن كَلْبَك(١) التُّركمانى الأصل المصرى ، فى يوم الجمعة سادس عشرين صفر ، كان شابا جميلا حسن الهيئة ، وهو ممن تُوُفِّى بغير نَكْبة ، ولّاه الملك الظاهر برقوق أوّلا شادّ الدواوين بعد ابن آقبغا آص ، ثم عُزِل بابن آقبُغا آص ، وعُوِّض عن شدّ الدواوين بشد الدواليب الخاصّ ، عوضا عن خاله محمد بن الحسام ، بحكم آنتقال خاله إلى الوزارة ، ثم بعد مدّة صُودر ، وحُمِّل مائة وسبعين ألف درهم ، وقبل أن يُغلِقها أفرج عنه ، ثم ولاه الملك الظاهر الوزارة عوضًا عن الوزير مُوَفَّق الدين ، فى يوم الآثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وأنعم السلطان عليه فى يوم ولايته للوزارة بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر ، ثم خلَع السلطان على جماعة من الوزراء البطّالين بوظائف تحت يده تعظيما له ، وصار الجميع فى خدمته ، فآستقرّ الوزير سعد الدين نصر الله ابن البَقَرِىّ ناظر الدولة ، وآستقرّ الوزير كريم الدين بن الغنّام فى نظر البيوت ، وآستقرّ الوزير علم الدين سِنّ إبرة فى آستيفاء الدولة ، شريكا للوزير تاج الدين عبد الرحيم

(١) فى السلوك ج ٤ ص ١٥ (كلفت) .

ابن أبى شاكر، ونزل الجميع فى خدمته، وباشروا بين يديه، كما كانوا بين يدى خاله الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحُسام الصَّفَوى، فسُمِّىَ بوزير الوزراء وباشر بحرمة وافرة إلى أن مات .

وتُوُفِّى السيد الشريف صدر الدين مرتضى بن الشريف غياث الدين إبراهيم ابن حمزة الحسنىّ العراقىّ، نقيب الأشراف فى ليلة [السبت](١) ثالث شهر ربيع الآخر، ودفن على أبيه بتربة الأتابك يلبغا العمرى بالصحراء خارج القاهرة. وكان ولى نظر وقف الأشراف مع تقابة الأشراف، ونظر القدس والخليل، وكان شكلا جميلا مَهيبا(٢) فصيحا بالألسن الثلاثة : العربية والعجمية والتركية، وكان دَيِّنًا خَيِّرًا، صاحب عبادة ونُسُك، وكان له نظم على طريق البغاددة — رحمه الله تعالى — وهو قوله :

بحَــقِّ عليكم بِشَــوقى إليكم * إذا اشْتَقْتُ لَيْكم تَعالُوا آبصرُونى

وتُوفِّى ملك الغرب وصاحب فاس السلطان أبو فارس عبد العزيز بن السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم بن إبراهيم(٣) بن أبى الحسن المَرِينى، وأُقِيم بعده على سلطنة فاس أخوه أبو عامر عبد الله .

وتُوُفِّى الشيخ صلاح الدين محمد الشَّطَنوفى موقِّع الحكم فى شهر رمضان، وكان إماما فى صناعته .

---

(١) تكلة من السلوك ج ٤ ص ١٦

(٢) رواية السلوك ج ٤ ص ١٧ (بهيا جميلا) .

(٣) رواية السلوك ج ٤ ص ١٧ (أبى سالم إبراهيم)

وتُوُفِّى الشيخ نور الدين على بن عبد الله بن عبد العزيز [بن عمر بن عَوَض[1]] الدّميرى المـالكى شـيخ القرّاء بخانقاه[2] شيخون ، وأخو القاضى تاج الدين بَهْرَام ، فى ثانى عشرين شهر رمضان ، وكان إماما فى القراءات مشاركا فى عدّة فنون .

وتُوُفِّى الأمير ناصر الدين محمد بن جُمَق بن الأمير الكبير أيتمش البجاسى فى يوم الجمعـة خامس صـفر ، وحضر السلطان الصـلاة عليه وكان أحدَ أمراء الطبلخانات .

وتُوُفِّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جاركس الخليلى فى يوم الثلاثاء تاسع صفر ، وكان محمد المذكور أيضا من أمراء الطبلخانات بالديار المصرية .

وتُوُفِّى القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى الشنشى[3] الحنفى المعروف بالرُّخ ، أحد نوّاب القضاة الحنفية بمصر فى [يوم الخميس سادس[4]] جمادى الأولى .

وتُوُفِّى الشيخ زَيْن الدين مُقْبل بن عبد الله الصَّرغَتْمشى الفقيه الحنفى فى أول شهر رمضان بالقاهرة ، وكان فقيها فاضلا مستحضرا لفروع مذهبه ، وله مشاركة فى عدّة فنون .

وتُوفى الأمير سيف الدين تَغْرى بَرْدِى بن عبد الله القَرْدَمِىّ قتيلا فى محبسه ، وكان من أعيان الأمراء ، ووقع له أمور فى واقعة النـاصرى ومنطاش مع الملك الظاهر برقوق أوّلا ، ثم كان من حزب الملك الظاهر على مِنطاش آخرا ، ودام على

---

(١) التكلة عن السلوك ج ٤ ص ١٥ .

(٢) توجد لهذه الخانقاه ترجمة مفصلة فى ص ١٣١ من الجزء السابع ، وص ٣٠٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك ج ٤ ص ١٦ (الشثنى) .

(٤) التكلة من السلوك ج ٤ ص ١٦ .

ذلك إلى أن قُبِض عليه وحُبِس ، ثم قُتِل فى التاريخ المذكور — رحمه الله — وكان شجاعا مقداما .

وتُوُفِّى الشيخ الخطيب برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ المعتقد الصالح عبد الله المَنُوفى الفقيه المالكى فى شهر رجب ، وكان أحد الفقهاء المالكية ، أَقْرأ ودرّس وخطب بجامع الأمير شرف الدين أمير حسين بن جَنْدر (١) سنين ، وهو ابن العبد الصالح المشهور عبد الله المَنُوفى .

❊ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع واثنا عشر إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و إصبعان .

❊ ❊ ❊

السنة الثامنة من سلطنة الملك الظاهر برقوق « الثانية على مصر »

وهى سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّى الأمير سيف الدين إياس بن عبد الله الجرْجاوى نائب طرابُلُس بالقاهرة بعد أن قُبض عليه وأُلزم بحمل مال كبير ، فأرسل خازنداره إلى حضور المال . فمات بعد يومين ، فى يوم الجمعة ثامن عشرين صفر ، وكان أولًا من أمراء الألوف بالديار المصرية ، ثم تنقل فى عدة أعمال بالبلاد الشامية ، حتى إنه ولى نيابة طرابُلس ثلاث مرات آخرها فى سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية إلى أنْ عزله بالأمير دمرداش المحمدى الظاهرى ، نائب حماة ، وتوجّه إياس أتابكا بدمشق ، فأقام بها يسيرا وطُلب إلى القاهرة وصودر وأُهين إلى أن مات بعد يومين حسب

(١) توجد ترجمة وافية لهذا الجامع ص ٦٢ الحاشية رقم (٢) ج ٩ من هذه الطبعة .

ما تقدّم ذكْره، وقيل : إنه لمـا أهين كان فى يده خاتم سُمّ فمصّه فمات من وقته، وقيل غير ذلك، وكان بَشِـعَ المَنْظر ظالمـا غَشوما حدّ المزاج كريهَ المعاشرة ، يُرمَى بعظائم، قيل : إنه قال له رجل مرة : يا وجهَ القمر ؛ بعد أن دعا له كما هى عادة العوامّ ، فضَرب الرجلَ ضربا مُؤلمـا ، وقال : أنا أعرف بنفسى منـك، وكانت بعض حظاياه مَلكها الوالدُ(١) من بعده وآستولدها، فكانت تَحكِى عنه عظائم من سوء خُلُقه وخَلْقه .

وتُوُفِّى الأمير أبو بكر بن [محمد بن واصل](٢) المعروف بابن الأحدب أمير العربان ببلاد الصعيد قتيلا .

وتُوُفِّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبـد الله التمان تمرى الأمير آخور الثانى، وأحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية ، فى رابع عشر جمادى الآخرة، وكان من قدماء الأمراء، وهو من أوّل الأمر إلى آخره كان من حزب الملك الظاهر برقوق، وكان الملك الظاهر يُنادمه ويُمازحُه ويُعجبه كلامُه ، وأنا أتعجّب غايةَ العجب من الملك الظاهر برقوق فى عدم ترقِّيه، ولعلّه كان راضيا بما هو فيه -والله أعلم- وهو والد صاحبنا الناصرى محمد بن بيبرس — رحمهما الله تعالى — .

وتُوُفِّى الأمير عمر بن عبد العزيز أمير عرب هَوّارة(٣) ببلاد الصعيد .

قلت : وعُمَرُ هذا هو والد بنى عمر أمراء العربان ببلاد الصعيد فى زماننا هذا، ولعله يكون أوّلَ من وَلِى منهم الإمرة .

---

(١) يعنى والد المؤلف . (٢) الزيادة من السلوك ج ٤ ص ٣٠

(٣) أنزلهم الظاهر برقوق بعد واقعة بدر بن سلام فى سنة ٧٨٣ ، فأقطع لإسماعيل بن مازن منهم ناحية دجرجا ، وكانت خرابا فعمرها ، وهو جد الموازنة ، وأقام بها حتى قتله على بن غريب منهم ، وهو جد الغرابى فولى بعده الأمير عمر بن عبد العزيز الهوارى (عن شرح القاموس مادة هور) .

وتُوُفّي الشيخ المسند المعمَّر المعتقد زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن المبارك بن حماد المغربي المعروف بآبن الشيخة(١)، ومولده في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، ومات في تاسع عشرين شهر ربيع الآخر، ودُفِن خارج القاهرة بعد أن حدّث سنين وصار رُحلةً في زمانه .

وتُوُفّي الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد العزيز العَقِيلِيّ (بفتح العين المهملة) المالكي إمام المالكية بالمسجد الحرام بمكة المشرفة، وأخو القاضي أبي الفضل . وكان يُعرف بالفقيه علىّ النُّوَيْرِيّ ، في ثاني جُمادى الأولى بمكة المشرفة ، وكان سمع الكثير وحدّث سنين .

وتوفي الشيخ الإمام مُحِبّ الدين محمد بن الشيخ الإمام العلّامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحويّ ، في ليلة الآثنين رابع عشرين شهر رجب بعد أن تصدّى لإقراء النحو سنين ، وآنتفع به جماعة الطلبة ، وكان له مشاركة جَيِّدة في الفقه وغيره ، وكان خَيِّرا دَيِّناً .

وتُوُفّي قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الطَّرَابُلُسي الحنفيّ . قاضي قضاة الديار المصرية . في يوم السبت ثامن عشرين ذي الحجة ، وكان عفيفا دَيِّنا مشكور السِّيرة . وتولى القضاء من بعده قاضي القضاة جمال الدين يُوسف بن موسى بن محمد المَلَطِيّ ، بعد أن خرج البريد بطَلبه ، وشغر مَنصب القضاء بالقاهرة ، مائة يوم وأحد عشر يوما . حتى حضر وولي قضاء الحنفية بديار مصر .

(١) في السلوك ج ٤ ص ٣١ (ابن السحنة) وقد عقد له المؤلف ترجمة في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٢٨٦ ب) .

قلت : هكذا تكون ولاية قضاة الشرع الشريف بعزّةٍ وطلب وآحترام، لا كمن يَسعى فيها من بيت المـال والأمير الكبير إلى بيت والى القاهرة، حتى يَلِي بالمـال والبذل من غير تستُّر فى ذلك حتى إنه يَعرِف ولايته بالبِرْطيل، كلّ أحد من المسلمين حتى النصارى واليهود، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

وتُوفِّى الشيخ الإمام العالم زين الدين ميكائيل بن حسن بن إسرائيل التُّرْكُمانى، الفقيه الحنفىّ فى ذى الحجة عن نيّف وسبعين سنة ، كان فقيها فاضلا بارعا مشاركا فى فنون كثيرة من العـلوم ، وكان مستحضِرا لمذهبه مُنَـاظِرا طَلِق اللسان فصيحا وأقرأ ودرّس سنين .

وتُوُفِّى القاضى جمال الدين محمود بن أحمد، وسماه بعضهم محمودا بن محمد بن على ابن عبـد الله القَيْصَرِى العجمىّ الحنفى ، قاضى قضـاة الحنفية بالديار المصرية ، وناظر الجيوش المنصورة بها، وشـيخ شيوخ خانقاه شيخون[(١)] ، فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأول، بعد أن جمع بين هذه الوظائف الثلاث التى لم تُجمع لغيره ، وكان من رجال الدهر حَزْمًا وعزمًا، ومعرفةً وعقلًا وفضلًا، وكان قَدِم إلى القاهرة فى عُنفوان شبيبته فقيرا مُمِلقا، ونُزِّل بالمدرسة الصَّرْغتمشية[(٢)] مدّة يخدمُ الفقهاء، فرأى فى منامه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول له : أنت شاهنشاه، ففسّر المنامَ على الشَّنْشى[(٣)]، وكان من جملة الصوفية بالصرغتمشية، وتنقّلت به الأحوال إلى أن

(١) ذكرها المقريزى فى خططه باسم خانقاه شيخو، حيث قال: (فى ص ٤٢١ ج ٢) من خططه : إن هذه الخانقاه فى خط الصليبة خارج القاهرة . راجع الكلام عليها ص ١٣١ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) تكلم المقريزى عن هذه المدرسة فى خططه ص ٤٠٣ ج ٢ . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ ج ١٠ من هذه الطبعة تجد لها شرحا مطولا .

(٣) هو محمـد بن محمد بن موسى القاضى شمس الدين الشنشى ، راجع ترجمته فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢٧١ أ) .

صار يُقرئ المماليك بالأطباق من القلعة، وقُتل الملك الأشرف شعبان وصار مخدومُه طَشْتَمُر اللّفاف أتابك العساكر. فتكلّم له في حِسْبة القاهرة دَفْعة واحدة فَوَلِيها، ونزل عند شخص في داره حتى تُعَيِّن له دارٌ يسكنها، وبعث له قاضي القضاة صدر الدين المناوى بثوب حتى لَبِسه، لعجزه عن شراء ثوب، وهذا كان أوّل مبدأ أمره، ثم تنقّل في الوظائف حتى كان من أمره ما كان. ولما مات خلّف موجودًا كبيرا وكُتبا حسنة، وخلّف ثمانية أولاد من الذكور والإناث، منهم العلّامة صدر الدين أحمد بن العجمى الآتى ذكره في وفيات ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وتولّى قضاء الحنفيّة من بعده القاضي شمس الدين محمد الطرابلسي، ومات في السنة حسب ما تقدّم، ووَلِىَ الجيش بعده شرف الدين بن الدّماميني[1].

وتُوُفِّيَ الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينه الأستادار، في يوم الأحد تاسع شهر رجب بخزانة شمائل[2]، بعد ما نُكِب وعُوقِب وصُودِر ودُفِن بمدرسته خارج بابي زويلة المعروفة به، وجملة ما أخذه الملك الظاهر منه من المال في أيام مصادرته ألف ألف دينار، وأربعمائة ألف دينار، وألف ألف درهم فضة، وبضائع وغلال، وغير ذلك بما يُنيف على ألف ألف درهم فضة. وتَلِف له بأيدى من عاقبه وحواشيه جملة كبيرة، واخفى[3] هو أيضا أشياء كثيرة يترجّى البقاء، ومن عِظم ماظهر له من المال، قالت العامة : ألان الله الحديدَ لداود، والذهب لمحمود، وكان أصل محمود هذا أنه كان في مبدأ أمره فقيرا يتعانَى الشدّ في إقطاعات الجند،

---

(١) هو القاضي شرف الدين محمد بن محمد الدماميني المالكي الإسكندري. ذكر له المؤلف ترجمة في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٦٢ ا).

(٢) كانت هذه الخزانة من سجون القاهرة. راجع المقريزي ج ٢ ص ١٨٨، والجزء العاشر ص ١٦ من هذه الطبعة. (٣) في (ف) شيئا كثيرا.

ثم خدم عند بعض الأمراء، فصلُحت حاله، وحصّل وسعى، حتى ولى شدّ الدواوين بالقاهرة، فظهر منه نجابة ويقظة، وترقّى حتى ولى الأستادارية فى دولة الملك الظاهر برقوق الأولى، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف. ونَكَبه الناصرى لمّا ملك مصر، وحبسه إلى أن خرج من السجن فى توبة بُطا وأصحابه من الجُبّ، وأعاده الملك الظاهر إلى وظيفة الأستادارية، بعد مدة فإنه كان أولا لما قدم إلى مصر ولّاه مُشيرا، ثم أعاده إلى الأستادارية، ودام بها إلى أن قَبَض عليه الظاهر، بسعى كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غُراب (١)، وأجرى عليه العقوبة إلى أن مات.

وتُوُفّى الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله القبطى الأسلمى، المعروف بابن البقرى، فى ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة مخنوقا بعد عقوبة شديدة ومصادرة.

وتُوُفّى قاضى القضاة سَرِىّ الدين [أبو الخطاب محمد] (٢) بن محمد قاضى قضاة الشافعية بدمشق، المعروف بابن المِسلّاتى الشافعى، بالقاهرة فى يوم الخميس سابع عشرين شهر رجب، وكان فقيها عالما أفتى ودرّس وولى قضاء دمشق، وكان معدودا من علماء الشافعية.

وتوفى قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبى العز (٣) وُهَيب بن عطاء بن جُبَير ابن جابر بن وهيب الحنفى الدمشقى، المعروف بابن أبى العز، وبابن الكُشك قتيلا

---

(١) عقد له المؤلف ترجمة طويلة فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٣ أ).

(٢) التكملة عن السلوك ج ٤ ص ٣٢

(٣) عقد له المقريزى فى السلوك ج ٤ ص ٣٣ ترجمة تختلف فى الألقاب عما ورد فى الأصلين.

بدمشق ، في مستهل ذي الحجة بعد أن لزم داره مدة ، وكان إماما فقيها بارعا عالما مُفْتِيًّا ، ولى قضاء دمشق آستقلالا غير مرة ، وحسُنت سيرته ، وأُشخص في سنة سبع وسبعين وسبعمائة إلى الديار المصرية ، وولى بها قضاء الحنفية بعد قاضي القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله التركماني بعد موته ، فلم تطل مدته وآستعفى ، وألحّ في ذلك حتى أعفاه السلطان ، وولاه قضاء الحنفية بدمشق على عادته ، فدام بها سنين ، ثم صُرِف عنها ، ولزم داره حتى مات قتيلا بدمشق — رحمه الله تعالى —

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وآثنا عشر إصبعا والله أعلم .

*
* *

السنة التاسعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق « الثانية على مصر »

وهي سنة ثمانمائة .

وفيها تُوُفِّي الأمير سيف الدين تَنْبك(١) بن عبد الله اليَحْياوِيّ الظاهريّ ، الأمير آخور الكبير في ليلة الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر ، ونزل السلطان إلى الإسطبل ومشى في جنازته حتى حضر الصلاة عليه بمصلّاة المؤمني(٢) ، ثم ركب وتوجّه أمام جنازته حتى شاهد دفنه ، وأقام القرّاءُ على قبره أسبوعا ، ووجِد السلطان عليه كثيرا وبكى عند دفنه ، وكان من عظماء المماليك الظاهرية ، أنعم عليه السلطان بإمرة عشرة في أوائل واقعة الناصريّ ومنطاش ، ثم رقّاه حتى ولّاه الأمير آخورية بعد الأمير

(١) في المقريزي ج ٤ ص ٥ (تاني بك) وكذا في المنهل الصافي (ج ١ ص ٣٨٥ أ) وذكر أنها تكتب (تنبك) بتاء مثناة من فوق ومفتوحة ، ومعناه في اللغة التركية (أمير جسد) .

(٢) أنشأ هذه المصلاة الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمني ، وأنشأ أيضا سبيلا مع المصلاة يعرف بسبيل المؤمني ، ولكن آبن إياس ذكره في تاريخ مصر (ص ٢١١ ج ١) باسم سبيل المؤمنين ؛ وقد أنشئت المصلى والسبيل حوالى سنة ٧٦٥ هـ . راجع الخطط التوفيقية (ج ٥ ص ١٢٣) .

بكْلَمُش العلائى، لمّا نُقِل إلى إمرة سلاح، فدام فى وظيفة الأمير آخورية إلى أن توفى ، وتولّى الأمير آخُورية بعـد موته الأمير نَوْروز الحافظى الظاهرى رأس نوبة النوب .

وتُوُفّى السيد الشريف جمال الدين عبد الله بن عبد الكافى بن على بن عبـد الله الطَّباطبى نقيب الأشراف فى ليلة رابع عشرين ذى القعدة .

وتُوُفّى القاضى العلّامة تاج الدين أبو محمـد عبد الله بن على بن عمـر السِّنجارى الحنفى المعروف بقاضى صَور (بفتح الصاد المهملة) وصور: بلَيْدة بين حصن كيفا[1]، و بين ماردين[2] من ديار بكر[3] بن وائل، وكان إماما عالما مفتنًّا بارعا فى الفقه والأصلين، والعربية واللغة، وأفتى ودرّس سنين بدمشق ومصر، وكان فى ابتداء أمره لما قدم القاهرة اجتاز بدمشق واستوطنها مدّة ، وأخذ بها عن العلّامة علاء الدين القُونوِى[4] الحنفى، ثم قدِم إلى القاهرة فأخذ عن العلّامة شمس الدين محمد الأصبهانى وغيره، حتى برع فى عدّة فنون، وأفتى ودرّس وصنّف وأشغل، ومن تآليفه كتاب « البحر الحاوى فى الفتاوى » ونظَم كتاب «المختار فى الفقه» ونظَم «السراجية فى الفرائض»

---

(١) حصن كيفا : قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وميا فارقين .

(٢) ماردين : ذكرها ابن حوقل فى المسالك ص ١٥٢ ، وياقوت فى معجم البلدان وابن بطوطة ج ٢ ص ١٤٢ وقاموس الأمكنة للرحوم على بهجت ، وقد حدّد موضعها أطلس فيلبس الجغرافى طبع لندن سنة ١٩٢١ . وراجع ص ٩٧ ج ٨ من هذه الطبعة حيث تجد لها ترجمة مطوّلة .

(٣) ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ، وهى ناحية ذات مدن كثيرة بين الشام والعراق وقصبتها الموصل ، وبها دجلة والفرات . راجع الكلام عليها فى معجم البلدان لياقوت ، والنجوم الزاهرة (ج ٨ ص ١١٧ من هذه الطبعة) ، ومراصد الأطلاع ، وآثار البلاد ، وأخبار العباد للقزوينى .

(٤) هو علاء الدين على بن محمود أبو الحسن القونوى ؛ ولد سنة ٦٩٠ وتوفى سنة ٧٤٩ . راجع المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٤٦ ب)

ونظم كتاب « سُلْوان المُطاع لابن ظَفَر » وناب فى الحكم بالقاهرة ، وولى وكالة بيت المال بِدَمشق ، وكان من محاسن الدنيا دينا وعلما وخيرا وكرما .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين قَلَمْطاى بن عبد الله العثمانى الظاهرى الدوادار الكبير بالديار المصرية فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الأولى، وحضر السلطان الملك الظاهر الصلاة عليه بمصلّاة المؤمنى، وحضر دفنه أيضا بتربته التى أنشأها عند الصُّوّة بالقرب من باب الوزير، وبكى السلطان عليه بكاء كثيرا، وأقام القرّاء على قبره أسبوعا ، وتولّى الدوادارية من بعده الأمير بيبرس ابن أخت السلطان ، وكان قلمطاى من أجلّ المماليك الظاهرية ، باشر الدوادارية بحرمة وافرة، ونالته السعادة وعَظُم فى الدولة، وهو صاحب الحاصل بالقرب من البندقيين بالقاهرة ، وخلّف مالا كثيرا ، وهو أيضا ممن نشّأه أستاذه الملك الظاهر برقوق فى سلطنته الثانية ، رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى أمين الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن على الأنصارى الحِمْصى الحنفى كاتب سرّ دمشق بها فى ثانى عشر ذى الحجة ، ومولده فى يوم الآثنين ثانى عشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، وتفقه بدمشق ، وبرع فى الفقه والعربية ، وشارك فى عدّة فنون مشاركة جيّدة، ومَهَر فى الأدب والترسّل والنظم، وتولى كتابة سرّ دمشق وباشرها بحرمة وافرة ، ونالته السعادة فى مباشرته ، وكان ذا شكالة حسنة، وعبارة فصيحة، وفضل وإفضال، وكان له يدٌ فى علم الموسيق وتأديته، وعنده ميل إلى اللهو والطرب مع حِشمة ودين وكرم، ومن شعره لمّا عاد

من تجريدَة أرْزَنْكان[1] صحبة الأمير تنم الحسنى[2] نائب الشام، وقـد ضلّ غالبُ العسكر فى بعض الليالى عن المـاء، فنزل هـو على ماء فى بعض الطريق ، وقال فى ذلك :

(البسيط) .

ضَلُّوا عن المـاء لَمّـا أن سَرَوْا سَحَرا * قومى فظلوا حيَـارَى يلهثْون ظَما
واللهُ أكرمنى بالوِرْدِ دونهـمُ * فقلت «يا ليتَ قَومى يعلَمون بما»

وله أيضا — سامحه الله تعالى — (الوافر) .

جفـونٌ من تأرُّقهـا[3] دوامى * مَدامِعُهـا تَفيـضُ على الدوامِ
فَـدَيْت عيون من حرمت عُيونى * مَنـاها من لِقـا طِيبِ المنـامِ
وراشت[4] من لواحِظها نبـالا * مراشِقَها شَـفَين من السقام
إذا لاحَظْنَنى[5] فتصيبُ قلـبى * على اللحظات موفـور السهام
لهـا شفتان قـد شَفَتا فؤادى * ولا شَـفَتاهُ إلّا للغــرام
وثغـرٌ من يَعيش به ارتواء * يموت من الصَّـبابة وهـو ظامِ
أدامت لى مُدامتَـه ارتشـافا * فوا سُكْراه من ذاك المُـدامِ
ولمّـا رام بـدرُ الأفْقِ فخـرًا * وتشـبيهـا بمـا تحت اللِّثامِ
بدَت تختـال عُجْبا عن عقود * وتَبْسِمُ عن جُمـانٍ بانتـظامِ

(١) ذكر ياقوت فى معجمه ج ١ ص ٢٠٥ أن اسمها (أرزنجان ، بالجيم) ، وأهلها يسمونها (أرزنكان) بالكاف ، وهى بلدة طيبة ، كثيرة الخيرات من بلاد أرمينية من بلاد الروم . وغالب أهلها أرمن ، وفيها مسلمون ، وهم أعيان أهلها .

(٢) اسمه الأصلى تنبك ، وكان نائب دمشق ، ومن مماليك الظاهر برقوق ، وله ترجمة فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٤٣٨ ب) .

(٣) فى (م) تراقيها .

(٤) راش السهم : ألصق به الريش ليسير بسرعة .

(٥) كذا بالأصل .

فأزرى ثغرُها بالدرّ نقصًا * وأخجل وجهُها بدرَ التمامِ
بعيشك يا كريم الخِيم[1] كن لي * معينا إن مررتَ على الخيامِ
وقل صبٌّ توصّل في أوانٍ * له قلبٌ تقطّع بالأُوامِ[2]
ولُبٌّ هام بالذكرى ودمعٌ * كوبل عطاءِ فخرِ الدينِ هامي[3]

وتُوُفّي القاضي نجم الدين محمد بن عمر الطَّنْبدى وكيل بيت المال ومحتسب القاهرة في رابع عشرين شهر ربيع الأول . قال المقريزي : « وكان غايةً في الجهل »

وتُوُفّي الشيخ الصالح المعتقد أبو عبد الله محمد بن سلامة النُّوَيْرِيّ المغربيّ المعروف بالكَركي لطول إقامته بمدينة الكرك في خامس عشرين شهر ربيع الأول، وكان عند الملك الظاهر برقوق بمنزلة مكينة جدًّا ، كان يُجلسه فوق قضاة القضاة ، ولم يُغيّر لبس العباءة ، ولا أخذ من الملك الظاهر شيئا من المال ، وكان الناس فيه على قسمين ما بين مُفرط في مدحه ، وما بين مُفرط في الحطّ عليه . وتَولّى الأمير يلبغا السالمي تجهيزَه ، وبعث السلطان مائتي دينار للقراءة على قبره مدّة أسبوع .

وتُوُفّي الأمير سيف الدين آق بلاط بن عبد الله الأحمدي الظاهري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة في شهر ربيع الآخر ، وكان تركيّ الجنس شجاعا .

وتُوُفّي الأمير سيف الدين طُوغاي بن عبد الله العمري أحد أمراء العشرات بالديار المصرية ، ونقيب الفقراء السُّطوحيّة في أول شهر ربيع الأول ، وكان دينًا خيّرا يُحب الفقراء ، و يتردّد لزيارة الصالحين .

---

(١) الخيم : الأصل .

(٢) الأوام : شدّة الظمأ .

(٣) يقال عطاء هام (بتنوين الميم مكسورة) ، أي دائم الانصباب

وتُوُفِّى الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البَعْلبكى الدمشقى الضرير المعروف بالبرهان الشـامى فى ثامن جُمـادى الأولى، وكان فاضلا أديبـا فقيها .

وتُوُفِّى الأمير سُولى بن قَراجَا بن دُلغادر التُّركمانى (١)، صاحب أُبُلُسْتَين (٢)، قُتِل غِيلةً على فراشه، وكان غيرَ مشكور السيرة، كثيرَ الشرور والفتن .

وتُوُفِّى الأمير شرف الدين موسى بن قُمارِى أمير شِكار فى ثانى عشر شهر رجب وكان من جملة أمراء العشرات .

وتُوُفِّى الشيخ الأديب المـادح أبو الفتح محمد بن الشيخ العارف على البِـديوىّ فى ثامن عشر جُمـادى الآخرة بالنَّحرِيرية (٣)، وكان أكثر شعره مدائح .

---

(١) ذكره المقريزى ج ٤ ص ٥٨ ترجمة طويلة .

(٢) ذكرها ياقوت فى معجمه ج ١ ص ٩٣ وقال إنها مدينـة مشهورة ببلاد الروم قريبة من مدينة أبسس مدينة أصحاب الكهف .

(٣) هذه البلدة هى التى تعرف اليوم باسم النحارية إحدى قرى مركز كفر الزيات بمديرية الغربية بمصر والنحريرية هو اسمها الأصلى فى الديوان، وردت به فى قوانين الدواوين لابن مماتى . وفى تحفة الإرشاد وفى التحفـة السنية لابن الجيعان من أعمال الغربية ومن بعد الروك الناصرى حرّف اسمها إلى النحراوية، فقـد وردت به فى رحلة ابن بطوطة، وفى كتاب وقف السلطان قايتباى، وفى دليل أسماء البلاد المصرية المحرر فى سنة ١٢٢٤ هـ، وفى الخطط التوفيقية مضبوطة براءين مهملتين بينهما ألف، ووردت فى بعض الكتب باسم النجراوية ويحتمل أن يكون ذلك من الغلط وقت الطبع لتشابه الحروف ، وفى العهد العثمانى حرّف اسمها للـمرة الثانية إلى النحارية، وهو اسمها الحالى وردت به فى تاج العروس للزبيدى .

ويستفاد مما قرأته فى عدّة كتب عن هذه البلدة أنها كانت فى بدء تكوينها ضيعة للأمير نحرير الأرغلى الإخشيدى فى القرن الرابع الهجرى فنسبت إليه، وكانت فى إقطاع الأمير شمس الدين سنقر السعدى نقيب الجيوش المنصورة فأنشأ بها جامعا وطاحونا وخانا، ثم تزايدت فى العمارة حتى صارت بلدة كبيرة ذات إيراد عظيم ثم خرج عنها الأمير شمس الدين للملك الناصر محمد بن قلاوون فاتسع أمرها وأنشئ فيها زيادة عن ثلاثين بستانا وأصبحت مدينة كبيرة ذات أسواق ودكاكين وقياسر وفنادق وعدّة مساجد وحمامات ومعاصر للزيت =

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وآثنا عشر إصبعا — مبلغ الزيادة . تسعة عشر ذراعا وسبعة أصابع والله تعالى أعلم .

= وفيها تجار مياسير ، ورغبت الناس فى سكاها وبنوا بها الدور والقصور وبنى بها الملك الناصر جامعا كبيرا وسماه المحمودية ، وكان به ٣٥٠ عمودا ، ورتب فيه عشرين درسا ، ووقف عليه أوقافا جليلة ، وقد اندثر كل ذلك وأصبحت تلك المدينة الآن قرية زراعية تبلغ مساحة أرضها ١٩٥٠ فدانا وعدد سكانها حوالى ٥٠٠٠ نسمة بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

*
* *

صورة ما جاء بالأصل الفوتوغرافى رقم ١٣٤٣ تاريخ

القسم الثانى من الجزء الخامس

يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد على الرضا ، ولك الحمد على كل حال . اللهم صل على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

تم الجزء الخامس من كتاب النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة من تأليف يوسف بن تغرى بردي اليشبغاوى الأتابكى .

\+
\+ \+

ذكر ما آشتمل عليه هذا الجزء من ملوك مصر وهم

الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك الناصر حسن ثانيا ، ثم الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك المنصور على بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، ثم الملك الصالح حاجى بن الملك الأشرف شعبان بن حسين ، ثم الملك الظاهر برقوق بن آنص العثمانى اليلبغاوى ، ثم الملك الصالح حاجى ثانيا ، وغير لقبه بالملك المنصور ، ثم الملك الظاهر برقوق ثانيا إلى أن مات . انتهى .

وكان الفراغ من هذا الجزء المبارك على يد الفقير إلى الله تعالى ، الراجى عفو ربه ومغفرته محمد بن عبد العزيز بن محمد البلقينى الكنانى الشافعى غفر الله له ولمالكه فى يوم الأربعاء المبارك العشرين من شهر الله المحرّم الحرام عام ست وثمانين وثمانمائة ، أحسن الله عاقبتهما بمحمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين ، والحمد لله وحده .

ذكر سلطنة الملك الناصر فرج بن بَرْقُوق الأولى على مصر

السلطان الملك الناصر زَيْن الدين أبو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر أبى سعيد بَرْقُوق بن الأمير آنص ، الجاركسى الأصل ، المصرىّ المولد والمنشأ ، سُلطان الديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والأقطار الحجازية ، وهو السلطان السادس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية ، والثانى من الجراكسة ، وأمّه أم ولدٍ رُومية تسمَّى شِيرين ، ماتت فى سلطنته . مولده فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، قبل خَلْع أبيه الملك الظاهر برقوق من السلطنة ، وحبسه بالكرك[1] ، فأراد أن يُسمِّيه « بُلْغاك » يعنى « تَخْبيط » باللغة التركية ، فَسُمِّىَ « فَرَجًا » .

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل[2] صَبيحة موتِ أبيه يوم الجمعة النصف من شوّال سنة إحدى وثمانمائة بعهدٍ من أبيه إليه حسب ما تقدّم ذكره ، فى أواخر ترجمة أبيه ، وحسب ما نذكره أيضا .

وفى سلطنته يقول الأديب المقرئ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن حسن الأوحدى[3] : [الطويل]

مضى الظاهر السلطان أكرمُ مالكٍ * إلى ربِّه يَرْقَى إلى الخُلْد فى الدرجْ
وقالوا ستأتى شِدَّةٌ بعد موته * فأكرمهم ربِّى وما جا سِوى (فرجْ)

---

(١) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا مطولا .

(٣) هو أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان بن عبد الله الشهابى الأوحدى نسبة إلى بيبرس الأوحدى نائب القلعة لكون جده لما قدم من بلاد الشرق سنة عشر وسبعمائة اتصل بخدمته وناب عند بالقلعة فشهر به . ولد سنة ٧٦١ هـ، ومات سنة ٨١١ هـ (عن الضوء اللامع ١ : ٣٥٨) .

ذكر جلوسه على تخت المُلك

قال الشيخ تقيّ الدين المقريزى — رحمه الله تعالى — : ولـمّا كان صبيحة يوم الجمعة ٱجتمع بالقلعة الأميرُ الكبير أَيْتَمُش، والأمير تَغْرى بَرْدِى أمير سلاح، وسائر أمراء الدولة، وٱستُدعى الخليفةُ وقضاةُ القضاة، وشيخُ الإسلام البُلْقِينى[1]، فلما تكاملوا[2] بالإسطبل[3] السلطانى، أُحضِر فرجُ بن السلطان الملكِ الظاهر برقوق، وخطبَ الخليفة وبايعه بالسلطنة وقلّده أمورَ المسلمين، وأُحْضِرت خِلْعة سوداء فأُفيضت على فرج المذكور، ونُعت بالملك الناصر، ورَكِب بشعار السلطنة، وطلع حتى جلس على تختِ الملك بالقصر السلطانى، وقبّل الأمراءُ كلُّهم الأرضَ بين يديه على العادة، ولَبِس الخليفة تشريفا جليلا، ثم أخذ الأمراء فى تجهيز السلطان الملك الظاهر برقوق. انتهى كلام المقريزى.

قلت : ونذكر الآن فى ٱبتداء دولة الملك الناصر فرج ٱسمَ خليفة الوقت ولَقَبه، وقضاةَ القضاة، وأربابَ الوظائف من الأمراء وغيرهم من النوّاب بالبلاد الشامية، ليكون ذلك مقدّمة لما يأتى من تغيير الوظائف وتقلّبات الدُّوَل. انتهى.

---

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقينى ولد سنة ٧٢٤ هـ وتفقه على مذهب الشافعى، وكان عالما جليل القدر، توفى سنة ٨٠٥ هـ.

(٢) فى « ف » : « فلما كان تكاملهم ».

(٣) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢) وعلى الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) أن هذا الإسطبل مكانه اليوم مجموعة المبانى التى بها مخازن ورش الجيش المصرى بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذى كان يسمى قديما باب الإسطبل

خليفـةُ الوقت : أميرُ المؤمنين المتوكِّل على الله أبو عبد الله محمـد العباسىّ ، والقاضى الشافعى صدر الدين محمد المُناوِى (١) ، والقاضى الحنفى جمال الدين يوسف المَلطى (٢) ، والقاضى المالكىّ وَلِىّ الدين عبد الرحمن بن خَلْدُون (٣) ، والقاضى الحنبلى برهان الدين إبراهيم بن نصر الله العسقلانى (٤) ، والأمير الكبير أتابك العساكر أَيْتَمُش البَجاسىّ ، وأمير سلاح تَغْرِى بَرْدِى من يَشْبُغا الظاهرىّ (أعنى الوالد) ، وأمير مجلس أَرغُون شاه البَيْدَمُرِى الظاهرى ، والأمير آخُور الكبير سَيِّدى سُودون قريب الملك الظاهر برقوق ، وحاجب الحجاب فارس الأعرج الظاهرى ، ورأس نَوْبة النُّوَب أَرِسْطَاى ، والدوادار الكبير بيبرس آبن أخت السلطان الملك الظاهر ، والخازندار يَشْبَك الشعبانى الظاهرىّ ، وهو أمير مائة ومقدم ألف ، وشادّ الشراب خاناه سُودون المَارِدَانىّ ، والأُستادار الأمير يلبغا الأحمدى الظاهرى المجنون ، وكاتب

(١) هو صدرالدين محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى الشافعى ، ولد سنة ٧٤٢ ﻫ ، وكانت له عناية كبيرة بجمع الكتب ، وكان معظما عند الخاص والعام ، وتوفى سنة ٨٠٣ ﻫ . عن الضوء اللامع جـ ٦ : ٢٤٩ ، وشذرات الذهب جـ ٧ : ٣٤ ، والمنهل الصافى جـ ٣ : ٨٣ أ .

(٢) هو القاضى يوسف بن موسى بن محمد الملطى الحلبى قاضى قضاة الحنفية بمصر ؛ كان عالما فاضلا وفقيها بارعا ، توفى سنة ٨٠٣ ﻫ ، عن حسن المحاضرة للسيوطى ١ : ٢٢٣ ، والضوء اللامع جـ ١ : ٢٢٥ طبع الموسوعات و إعلام النبلاء ٥ : ١٣٢

(٣) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الإشبيلىّ ، قاضى قضاة المالكية بمصر ، ولد بتونس وطلب العلم بها ، وجاء إلى مصر وولى قضاء المالكية فى عهد الملك الظاهر برقوق ، ثم عزل وأعيد بعد مدة ، ثم ولاه الملك الناصر فرج قضاء المالكية ، ومكث بها إلى أن مات بغتة سنة ٨٠٨ ﻫ (انظر التعريف بابن خلدون) .

(٤) هو إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد قاضى قضاة الحنابلة بمصر ولد فى سنة ٧٦٨ ﻫ ونشأ بها وتفقه بجماعة ، وناب فى الحكم عن أبيه ، وآستمر فى القضاء إلى أن توفى سنة ٨٠٢ ﻫ (الضوء اللامع جـ ١ ص ١٧٩ ، وشذرات الذهب ص ١٤ جـ ٧) .

السّر فتح الدين فتح الله التّبريزىّ ، والوزير تاج الدين عبد الرّزاق بن أبى الفرج ، وناظرَ الجيش والخاصّ معا سعد الدين إبراهيم بن غُراب ، ومحتسب القاهرة الشيخ تقِىّ الدين أحمد المقريزىّ ، ووالى القاهرة شهاب الدين أحمد بن الزين ، بالبلاد الحجازيّة والشامية ، وأمير مكة الشريف حسن بن عَجْلان الحسنىّ ، وأمير المدينة النبوية الشريف ثابت بن نُعَيْر الحُسَيْنِىّ ، ونائب الشام الأمير تَنْبك الحَسنى المعروف بتَنَم الظاهرى ، ونائب حلب آقبغا الجمالى الظاهرى ، المعروف بالأُطروش ونائب طرابُلُس يُونُس بَلْطَا الظاهرى ، ونائب حماة دمرداش المحمدى الظاهرى ، ونائب صفد أَلْطُنْبغا العثمانى الظاهرى ، ونائب غَزة أَلْطُنْبغا الحاجب الظاهرى ، ونائب الكرك سُودون الشمسىّ الظاهرى المعروف بالظريف ، وعِدَّةُ نُوّاب أُخَر بقِلاع الساحل وغيرها يطول الشرح فى ذكرهم .

ولمّا تم أمرُ الملك الناصر فرج فى الملك ، بعد أن دُفِنَ والده ، وصار الأتابك أيتمش مدبِّرَ مُلْكه ، أراد أيتمش أن يطلَعَ إلى باب السلسلة (١) ويسكُنَ بالإسطبل السلطانىّ ، فمنعه من ذلك الأمير سُودون الأمير آخور الكبير ، قريب الملك الظاهر ، وردّ ما بَعثه الأمير الكبير أيتمش من القماش ، فآستدعى سودون إلى حضرة السلطان فآمتنع ، فأمسك أيتمش عن الكلام فى ذلك ، وتكلّم فيما يعود نفعه ، فأمر فكتب إلى سائر الأقطار بالعزاء فى الملك الظاهر برقوق ، والهَنَاء بسلطنة ولده الملك الناصر فرج ، وكتب تقليد الشريف حسن بن عَجْلان بإمرة مكّة ، وكان بالقاهرة ، وكتب إلى مكّة وبها الأمير بَيْسَق الشيخى والى المدينة النبوية ، وتوجّه بذلك بعضُ الخاصكية ، وكتب إلى الأمير نُعَيْر بن حَيّار بإمرة آل فضل على عادته .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٢ ج ٧ من هذه الطبعة .

وعزل الأمير شمس الدين محمد بن عَنْقاء بن مُهنَّا ، وعَرف بموت الملك الظاهر ، وبسلطنة الملك الناصر فرج ؛ وحُمِل إليــه التشريفُ والتقليدُ على يد الأمير أسـنبغا الدوادار ، وعيّن الأمير سُودون الطّيار الأمير آخور بالكُتب والخِلَع إلى نائب الشام الأمير تَنَم الحسنى ، وعيّن يلبغا النـاصرى رأس نوبة إلى الأمير آقبغا الجمـالى نائب حلب ، وعيّن الأمير تَغْـرِى بردى قرا إلى الأمير يُونس بَلْطا نائب طرابُلس ، وعيّن الأمير يَشبك إلى الأمير أَلْطُنْبُغا العثمانى نائب صـفد ، وعيّن الأمير شاهين كُكُك إلى الأمير سُودون الظريف نائب الكرك ، وعلى يد كل من هؤلاء كتابٌ يتضمّن العزاءَ والهناء ، وأن يُحلّف كلٌّ نائب أمراء بلده للملك الناصر فرج على العادة ، وقرر الأمير الكبير أيتمش مع أرباب الدولة إبقاءَ الأمور على ما هى عليه .

ثم كلّم الوزير والأسـتادار فى الكفِّ عن الظلم وتجهـيز الجامَكيّة(١) والعليق برسم لممـاليك السلطانية .

وفى يوم الاثنين ثامن عشر شوّال خرج رَكْبُ المحمل إلى البركة(٢) صحبة أمير الحج الأمير شـيخ المحمودىّ الظاهرىّ، « أعنى الملك المؤيد » ، وأمير الركب الأوّل الأمير الطواشى بهادر مقدّم الممـاليك السلطانية .

وفى اليوم المذكور اجتمع الأمراء بالقلعة فى الخدمة السلطانية على عادتهم ، وطلبوا الأمير سُودون أمير آخور ، فامتنع عن الحضور ، فبعث الأمراء إليه ثانيا فامتنع ، فكرروا الإرسال إليــه ثلاث مرات إلى أن حضر فكلّموه فى النزول من

(١) الجامكية : رواتب خدام الدولة ، فارسى معرّب .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة

الإسطبل فلم يُجبْهم إلى ذلك، فتخيّلوا منه واتّهموه بأنه يريد إثارة فتنة، فقبضوا عليه وعلى الأمير علىّ بن إينال اليوسفى، وأخرجوا ما كان له بالإسطبل من خيول وقماش ونحو ذلك، وسَكَن الأتابك أيْتَمُش مكانه بالإسطبل من باب السلسلة، وأُنزِل سُودون وعلى بن إينال فى الحديد إلى الحرّاقة[1] وجهزا إلى سجن[2] الاسكندرية

ثم نُودى بالقاهرة ومصر بخروج طائفة العجم من الديار المصرية، وهُدِّد من تأخر بعد ثلاثة أيام بالقتل.

ثم خَلَع على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار بآستقراره (لا لا) السلطان الملك الناصر فرج، ومعه الأمير قطلوبغا الكركى (لا لا) أيضا.

ولمّا كان يوم حادى عشرين شوّال جلس السلطان الملك الناصر فرج بدار العدل، «أعنى بالإيوان من قلعة الجبل» على عادة الملوك، وخلع على الأمير الكبير أيْتَمُش، وعلى الوالد الأمير تَغْرى بردى وهو أمير سلاح، وعلى أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس، وعلى بيبرس الدوادار، وأَرِسْطاى رأس نَوْبة النُّوب، وفارس حاجب الحجّاب، وتمربغا المَنْجَكى الحاجب الثانى، وأحد مقدّمى الألوف، وعلى يَلَبغا المجنون الأستادار، وعلى جميع أرباب الدولة.

ثم قام السلطان من دار العدل ودخل إلى القصر، وجلس القضاةُ بجامع القلعة حتى يَخْلَع عليهم، فعند ما تكامل الأمراء وأرباب الدولة بالقصر، أغلق الأمراء الخاصكيّةُ باب القصر، وكان رئيسُهم يوم ذاك سُودُون طاز، وسودون من زادة،

(١) الحراقة: سفينة حربية كبيرة كانت تستخدم بالبصرة لحمل الأسلحة النارية، وفى مصر لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية. راجع المقريزى ج ٢ ص ١٩٤، وشرح القاموس مادة (حرق).

(٢) فى (م) حبس الإسكندرية.

وآقبـاى[1] رأس نوبة ، وجاركس القاسمى المُصارع ، ثم سلُّوا سيوفهم بمن معهم، وهجموا على الأمراء وقبضوا على أرِسْطاى رأس نوبة النُّوب ، وتمراز وتمربُغـا المنجكى ، وطُغنْجى و بلاط السعدى ، وطـولو رأس نوبة ، وفارس الحاجب ، وفـرّ مبارك شاه وطُنْبج، فأُدرِكا ، وقُبِض عليهما أيضا ، و بلغ ذلك يلبغا المجنـون الأُستادار وكان خارج القصر، نخلَع خِلعَته وسَلّ سيفَه، ونزل من القلعة إلى داره .

ثم أحضر الخاصكيّةُ الأمراءَ المقبوضَ عليهم إلى[2] عند الأمير الكبير أيتمش وقد بُهِتَ وأُسْكِتَ ، وقَيَّدُوا أَرِسْطاى رأس نوبة النُّوب ، وتمراز وتَمربُغا المَنْجكى ، وطُغنجى أحد أمراء الطبلخانات ، وأطلقوا مَنْ عداهم، وآستدعَوْا يلبغا المجنون الأُستادار، فلمّا حضر قُبِضَ عليه أيضا وقُيِّد وأُضيف إلى الأمراء المقبوض عليهم وأُنزل الجميع من يومهم إلى الحرَّاقة، وتوجّهوا إلى سجن الإسكندرية ، ماخلا يلبغا المجنون فإنه فى يوم السبت ثالث عشرينه عُصِر يلبغـا المجنون ليُحضر المـال ، ثم أَسْلَمُوه لسعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش والخاصّ ليحاسبَه، فنزل به إلى داره ، وسألوا يَلْبغا السالِمىَّ بوظيفته الأُستادارية فآمتنع ، فعرضوها على ناصرالدين محمـد بن سُنْقُر وآبن قطينة فـلم يُوافِقا ، نخلَـع على الأمير مبـارك شاه بآستقراره أستادارا عوضا عن يلبغا المجنون .

وفيه أُنفِق على المماليك السلطانية نفقة سلطنة الملك الناصر ، وتولَّى الإنفاق عليهم يلبغا السـالمى ، وفُرِّقت بحضرة السلطان والأمراء ، فأُعطِى كلّ مملوك من

---

(١) فى م : (آقبغا) .

(٢) رواية (ف) ثم أحضر الخاصكية الأمراء المقبوض عليهم ، وأنزل الجميع من يومهم إلى الحراقة وتوجهوا إلى سجن الإسكندرية ماخلا يلبغا المجنون

من أرباب الخدَم الجوانية والمشتروات ستين دينارا ، صَرْفُ كل دينار ثلاثون درهما .

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه ، تأخر سائرُ أمراء الألوف عن طلوع الخدمة السلطانية خوفا من الخاصكيّة ، فإن الأمور صارت معذوقة (١) بهم ، فبعث الخاصكية إلى الأمراء بالحضور فأَبَوْا ذلك ، فنزل الخاصكيّة إلى الإسطبل في خدمة الأمير الكبير أيتمش ، واستدعوا الأمراءَ من منازلهم فحضروا ، وكَثُرَ الكلام بينهم حتى اتفقوا جميعا ، وتحالفوا على طاعة الأمير الكبير أيتمش ، والملك الناصر ، وحلَف لهم أيضا أَيْتَمُش ، ثم حلف سائر المماليك والخاصكيّة ، وتولّى تحليفَهم يلبغا السالمي ، وخُلِع على سُودون الماردَاني باستقراره رأسَ نَوْبة النُّوب عوضا عن أَرِسطاى المقبوض عليه قبل تاريخه ، وعلى قطلوبغا الحسني الكركي باستقراره شادّ الشراب خاناه ، عوضا عن سُودون المارداني ، وأُنعِم على الأمير قَرا كُسُك بإمرة مائة ، وتقدمة ألف كانت مؤخّرة .

ثم في يوم الثلاثاء سادس عشرين شوّال خُلِع على الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبي الفرج باستقراره في وظيفة الأستادارية مضافا للوزر عوضا عن مبارك شاه بحكم استعفاء مبارك شاه .

وفيه كُتب مرسومٌ سلطانيٌّ باستقرار قرا يوسف بن قرا محمد صاحب تِبريز (٢) في نيابة الرُّهاء (٣) على عادته ، وباستقرار دِمَشْق خَجا في نيابة جَعْبر (٤) .

(١) معذوقة أي غير معلومة . (٢) راجع الحاشية ص ١٩ ج ٨ من هذه الطبعة .

(٣) الرهاء (بمد و بقصر) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، سميت باسم الرهاء بن البلندى بن مالك . راجع معجم البلدان لياقوت ٢ ص ٨٧٦ (٤) جعبر بالفتح ثم السكون ، و باء مفتوحة ؛ قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين (معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٨٤) .

وفيه ورد الخبرُ بأن أبا يزيد بن عثمان ملك الروم تحرّك للمشى على البلاد الشامية ، وفى ثامن عشرين شوّال ، ورد الخبر بأن الأمير تَنَم الحسنى نائب الشام أخذ قلعــة دمشق ، وكان خبرُ أخذه لقلعة دمشق أن تنم كان بالمَرْج من غُوطة دمشق ، فقَدِم عليه الخبر بموت الملك الظاهر برقوق ، فركب وقصد دمشق ولم يشعر به الناس ، فى ليلة الأربعاء العشرين من شوّال ، حتى حضر إلى دار السعادة(١) ثلث الليل ، فلما أصبح آستدعى الأمير جمال الدين يوسف الهَيْدَبانى نائب قلعة دمشق ، بحجة أن الملك الظاهر برقوقا طلبه إلى الديار المصرية ، فعندما نزل إليه أمسكه و بعث من تسلّم قلعة دمشق ، فلم يعلم أحد ماقصــده تنم المذكور إلى أذان الظهر ، فوصل فارس دوادار تنم من مصر ، وأخبر بموت المـلك الظاهر ، وسلطنة ولده المـلك الناصر فرج ، وأخبر أيضــا بأن سودون الطيّار قادم بالخلعه إلى الأمير تنم ، فخرج الأمير تنم إلى لقائه ، ولبس الخلعة ، وباس الأرض خارج مدينة دمشق ، ثم عاد إلى دار السعادة وقــد آجتمع بهــا القضاة والأعيان ، وقرئ عليهم كتاب السلطان المـلك الناصر فرج ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، ونُودِى بدمشق بالأمان والزينة ، فزُيِّنت البــلد ، ودُقَّت البشائر ، وسُرَّ الناس بذلك ، وأخذ الأمير تنم يقول بأن السلطان صغير ، وكلّ ما يصدُر ليس هو عنه ، وإنمــا هو عن الأمراء ، وأنا وصىّ السلطان لايعمل أحدُ شيئا إلا بمراجعتى ونحو هــذا ؛ فآضطرب الناس بدِمَشق ، وبَلَــغ ذلك نائبَ حِمْص ، فأخذ قلعتها ، وأخذ أيضا نائبُ حماة قلعــة حماة ، كلُّ ذلك قبل تكملة خمسة عشر يوما من سلطنة الملك الناصر فرج .

---

(١) المقصود بدار السعادة هنا دار الحكومة التى يقيم فيهــا الحاكم . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم فى أوّل ذى القعدة رَكب الأمير طُغاى تَمُر مقدّم البريدية من مصر على البريد إلى البلاد الشامية ، ومعه ملطّفات لأمراء الوَرْسق[1] والأمراء الأَوْجقية[2] ، ومُطْلَق لنواب الممالك والقلاع ، ومثال لأحمد بن رمضان نائب أَذَنَة[3] ولأمراء التركمان ، ولنائب حلَب ، ولنائب سِيس وصحبته أَقْبِيَة مطرزة بفَرْو ؛ خمس عشرة قطعة ، وفوقانيات حرير بطَرْز زَرْكَش ؛ أربع وعشرون قطعة ، وتشاريف عدّة كبيرة .

وفى ثالث ذى القعدة فرغ تحليف المماليك السلطانية للملك الناصر فرج .

وفيه أنعم على الأمير إينال باى من بَجْماس بإمرة مائة وتقدمة ألف ، وهو خُبز أَرِسْطاى رأس نوبة النُّوَب ، وعلى سودون من على بك المعروف بطاز ، بتقدمة الأمير سودون أمير آخور المقبوض عليه ، وعلى آقباى من حسين شاه ، بتقدمة ألف أيضا عوضا عن تَمُربُغا المَنْجَكى ، وأنعم على الأمير يعقوب شاه الخازندار بإمرة طبلخاناه زيادة على طبلخاناته ، فصارت تقدمته بثمانين فارسا « أعنى إمرة ثمانين » ، وأنعم على كل من قرابغا الأسنبُغاوى ويَتْمُر المحمدى وآقباى الإينالى بإمرة طبلخاناه ، وعلى جَرِباش الشيخى بإقطاع يلبغا المجنون ، إمرة خمسين فارسا وعلى آقبغا المحمودى بإمرة طبلخاناه أيضا وعلى كلٍّ من تَمُر الساق وجَركس القاسمى المصارع ، وإينال حَطَب ، وكَمشْبُغا الجمالى ، وأَلْطُنْبغا الخليلى ، وكُزل العجمى البَجْمَقْدار ، وقانى باى العلائى ، وجَكَم من عَوَض ، وصُوماى الحسنى بإمرة عشرة .

---

(١) الورسق والأوجقية من قبائل الغز التى تسكن شرق كليكليا .

(٢) فى الأصل : الأوثرية .

(٣) وردت فى تقويم البلدان ومعجم ياقوت والقاموس بالذال المعجمة ، وفى صبح الأعشى بالدال المهملة ، وهى مدينة من بلاد الأرمن كبيرة حصينة ، بينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا .

وفى سابعه خلع على سُودون المـاردانى بآستقراره رأس نوبة النُّوَب ، وكانت عُيِّنَتْ له قبل ذلك ، غيرَ أنه كان متوعِّكًا ، وعلى يعقوب شاه الظاهرى بآستقراره حاجبًا ثانيا ، عوضًا عن تمربغا المنجكى بإمرة ثمـانين ، وعلى كلٍّ من سُودون من زاده، وتَنْكِزبُغا الحَطَطِىّ ، وبَشْباى وجَكم من عوض، وآقبُغا المحمودى الأشقر وآستقروا رءوسَ نُوَب صِغارا .

وفى تاسـعه خلع على قرابغا الأَسَنْبُغاوى ومُقْبِل الظاهرى، وآستقروا حُجَّابا، فصارت الحُجَّاب ستة بالديار المصرية ، ورءوس نُوَب نحو العشرة ، وهذا شيء لم يكن قبل ذلك .

ثم حضر الأمير دُقْماق المحمّدى معزولا عن نيابة مَلَطْية بتقادِم كثيرة .

وفى ثانى عشره خَلَع على الأمير جَرِباش الشيخى وتمان تَمُر، بآستقرارهما رءوس نُوَب أيضـا ، فزادت عِدّة رءوس النُّـوَب على العشرة ، وخلع على كُزُل المحمدى العجمى البَجْمَقْدار بآسـتقراره أُستادار الصحبة، عوضا عن قرابغا الأسنبغاوى، المنتقل إلى الحجوبيـة ، وخلع على كل من الطواشيين : شاهين الحسنى الأشرفى ، وعبد اللطيف الأشرفى بآستقرارهما (لالا) السلطان .

وفى سابع عشره آستَدْعَى الأميرُ الكبير الشيخ سراج الدين عمر البُلْقِينىّ والقضاة وأعيان الفقهاء من كل مذهب ، فحضر الجميع عند الأمير الكبير بالإسطبل ، وقد حضر الأمراء والخاصكيّة بسبب الأموال التى خلّفها السلطان الملك الظاهر برقوق، هل تُقَسَّم فى ورثتـه ؟ أو يكون ذلك فى بيت مال المسلمين ؟ فوقـع كلام كثير آخرُه أن تُفَرَّق فى ورثته من السدس ، وما بقى فلبيت المـال .

وفيه آستقرّ الأمير أرغون شـاه البَيْدَمُرِى أمير مجلس فى نظر خانقاه شيخون عوضا عن يلبغا السالمى .

وفى حادى عشرين ذى القعـدة ، آستقر الأمير سُـودون الطيّار أمير آخورا كبيرا ، عوضا عن سُودون قريب السلطان ، بعد أن شَغَرت عِدَّةَ أيام .

وفى ثالث عشرينه خُلِـع على أستادار الوالد ، شهاب الدين أحمد بن عمر المعروف بابن قُطَيْنة بآستقراره وزيرا ، عوضا عن تاج الدين بن أبى الفرج .

[وخَلَع أيضا على يلبغا السالمى الظاهرى بآستقراره أُستادارا عِوضا عن آبن أبى الفرج] [١] المذكور ، وقُبِض على تاج الدين بن آبى الفرج وصُودِر ، فلم تُطل مدة آبن قطينة فى الوزر ، وعُزِل بفخر الدين ماجد بن غراب فى رابع ذى الحجـة وعاد إلى أستادارية الوالد على عادته .

ثم قدم الخبر فى ثامن عشر ذى الحجة بأن آبن عثمان أخذ الأَبُلُسْتَيْن [٢] ومَلَطية [٣] ، وعزم على المسير إلى البلاد الشامية ، فعمل الأمراء مشورة فى أمره ، وآتفق الحال على المسير إلى قتاله ، وتفرّقوا فأنكر المماليك السلطانية ذلك ، وقالوا هذه حِيلة علينا حتى نخرج من القاهرة ، وعيّنوا سُودون الطيّار الأمير آخور لكشف هذا الخبر ، وحضر البريد من دمشق بأن علاء الدين بن الطبـلاوى ترك لُبْس الأمراء ، وتزيّا بزىّ الفقراء ، وآمتنع من الحضور إلى مصر ، وكان طُلِب إليها ، وأن تنم نائب الشام قال : هذا رجل فقير قد قَنِـع بالفقر ، اُتركوه .

---

(١) الزيادة عن (ف) .

(٢) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم ، وسلطانها من ولد قليج أرسلان السلجوقى ، وهى قريبة من أبسس مدينة أصحاب الكهف (راجع ياقوت ص ٩٣ ج ١) .

(٣) ملطية كما فى ياقوت وقد ذكرت فى صبح الأعشى بكسر الطاء وتشديد الياء ؛ ويقول ياقوت : إن هذه لغة العامة .

وفى يوم ثامن عشر المـذكور خرج سُودون الطيّار لكشف الأخبار ، فدخل دِمشق فى العشرين منه ، وهذا شىء من وراء العقل ، كونه يصل من مصر إلى الشام فى يومين .

وفى أواخر ذى الحجة قَدِم الخبر بأن تَنَم نائب الشام خرج عن الطاعة ، وقَبَض جانبك اليحياوى الظاهرى ، الذى كان وَلِى نيابة قلعة دمشق ، ولم تُسلَّم له قلعةُ دمشق ، وأنه أرسل إلى نائب الصُّبَيْبة[(1)] . فأفرج عن آقبغا اللكّاش ، وأُلجيبُغَا الحاجب ، وخِضْر الكريمى ، وآستدعاهم إلى دمشق ، فقَدِموا عليه ، فلم يتحرّك بسبب ذلك ساكنٌ بمصر لاختلاف الكلمة .

ثم فى يوم الثلاثاء حادى عشرين المحرم سنة آثنتين وثمانمائة ، ركب السلطان الملك الناصر من قلعة الجبل ، ومعه الأمير الكبير أَيْتَمُش البَجَاسى ، والوالد أمير سلاح ، وسائر الأمراء ، ونزل إلى تُربة أبيه[(2)] بالصحراء وزاره ، ثم عاد بعد أن شقَّ القاهرة ، وطلع إلى القلعة ، وهذا أوّل ركوب الملك الناصر .

ثم فى هذه الأيام تزايد الآختلاف بين أكابر الأمراء ، وبين الأمراء الخاصّكية وآشتدّت الوحشةُ بين الطائفتين ، وآتّفق سُودون طاز ، وسودون من زاده ، وجَرْكَس القاسمى المصارع ، وأقباى من حُسين شاه ، وبَشْباى وغيرهم ، وآنضموا على الأمير يَشْبَك الشعبانى الخازندار ، وصاروا فى عُصْبة قوية وشوكة شديدة ، وآستمالوا جماعة كبيرة من خجداشيّتهم[(3)] الظاهرية ، الذين بالأطباق من القلعة ،

(١) الصبيبة : اسم لقلعة بانياس الحصينة . (٢) تعرف هذه التربة بالمدرسة الناصرية بالصحراء أو الخانقاة البرقوقية ، وهى أكبر تربة فى جبانات القاهرة لأن بها مسجدا فسيح الأرجاء وعلى خانقاه للصوفية وعلى سبيلين وسارتين وقد ذكرها المقريزى ج ٢ ص ٣٦٢

(٣) الخجداشية جمع خجداش أو خشداش ، فارسى معرّب ، ومعناه الزميل فى الخدمة ، وهم الأمراء الذين نشئوا مماليك عند سيدٍ واحد فنبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة (راجع السلوك طبع الأستاذ زيادة الجزء الأوّل ص ٣٨٨) .

وتأكدت الفتنــة ، وشرعت كلٌّ منَ الطائفتين تدبِّر على الأخرى ، فأخذ الأمراء الخاصكية يتخوّفون من تَنَم نائب الشام ، فأرسلوا بتفويض أمور البلاد الشامية إليه ، فلما وصل ذلك إلى تَنَم على يد مملوكه سَوِنْجبُغا ، فى ثالث عشر المحرم ، وقُرِئَ المرسوم الشريف الذى على يده بدار السعادة ، وفيه أنه يَعْزِل مَنْ شاء ، ويُوَلِّى مَنْ شاء ، ويُطلِق من شاء من المسجونين ، فأرسل أطلق الأمير جُلْبان الكَمْشْبُغاوى الظاهرى المعـروف بقراسُقُل المعزول عن نيـابة حلب ، ثم عن أتابكيّة دمشق ، من سجن قلعة دمشق فى ليلة الجمعة رابع عشرين المحرم ، وأطلق أيضا الأمير أزْدَمُر أخا إينال اليُوسُفى ، ومحمد بن إينـال اليُوسُفى ، من سجن طرابُلس وأحضرهما إلى دمشق ، ثم بعث إلى نواب البلاد الشامية يدعوهم إلى طاعته ، وإلى القيام معه فأجابه الأمير آقبغا الجمـالى الأُطْرُوش نائب حلب ، والأمير يونُس بَلْطَـا نائب طرابلس ، والأمير أَلْطُنْبُغا العثمانى الظاهرى نائب صفد ، وامتنع من إجابته الأمير دِمِرداش المحمدى الظاهرى ، نائب حماة ، ثم بعث تَنَم إلى طرابُلس بتجهيز شِينِى (١) فى البحر إلى ثغر دِمْيـاط ، ليُحمل فيه الأمير نَوْرُوز الحافظى ، وغـيره من الأمراء الذين بثغر دِميـاط ، فبادر ناصر الدين محمد بن بهـادُر المؤمنى ، فتسلم بُرْج الأمير أَيْتَمَش بطرابُلس ، وركب البحر إلى دميـاط ، وقدم إلى القـاهرة ، وأعلم القوم بمـا قصــده تَنَم ، فكتَب على يده عــدّة مُلطَّفات إلى الأمير قُرْمُش حاجب حُجّـاب طرابلس ، وإلى القضاة والأعيان بأن قُرْمُش يركب على يونس بَلْطَا نائب طرابلس ويقتُله ، ويَلِى نيابةَ طرابُلس عوضَه ، فاتفق أنَّ يُونُس المذكور قَبَض على قُرْمُش الحاجب وقتَــله قبل وصول ابن بهـادُر إلى طرابُلس ، ثم إن تَنَمَ استدعَى الأميرَ علاء الدين علىّ بن الطبلاوى المقــدّم ذكُره فى ترجمــة الملك الظاهر برقوق لمـا

(١) الشينى : سفينة حربية كبيرة (عن دوزى) .

صُودِر وحُبِس بخزانة[(١)] شمائل، ثم نُفِي وخُلِع عليه، وأقامه متحدِّثا فى أمور الدولة: كما كان فى ديار مصر، فأخذ آبن الطبلاوى هذا فى الإفحاش فى أمر الشاميّين، وطَرَح عليهم السُّكَّر الواصـل من الغَوْر[(٢)]، بحيث إنه طرح ذلك على الناس، حتى على الفقهاء ونقباء القضاة، فتنكّرت القلوب عليه، وقَدِم الخبرُ بهذا كلّه إلى الديار المصرية، فتحقَّق عند ذلك أعيانُ الدولة عِصيان تنم وصَرَّح الأمراء الخاصكية بأن الأمير الكبير أيتمش، والوالد وجماعة من أكابر الأمراء بالديار المصرية، قد وافقوا تنم على ذلك، وكاتبوه بالخروج، ولم يكن لذلك صحّة، فأخذ الأمراءُ الخاصّكيةُ وكبيرُهم يَشْبك الشعبانىّ الخـازندار، فى التدبير على أَيْتَمش ورُفقته، وآتفقوا على أمر يكون فيه زوالُ أيتمش وأصحابه، وعلّموا السلطان الملك الناصر فرجا بقول يقوله إلى أيتمش

فلمّا كان يومُ الخميس سادس شهـر ربيع الأول من سـنة آثنتين وثمـانمـائة وجميعُ الأمراء بالخدمة السلطانية، آبتدأ السلطان الملك الناصر بالكلام مع الأمير الكبير أيتمش، وقال له: يا عمّ أنا قد أدركتُ و بلغتُ الحُـلُمَ، وأُرِيد أن أُرَشَّـد فقال له آيتمش: السمعُ والطاعةُ، وآتّفق مع الأمراء الخاصكيّة على ترشيد السـلطان وصوَّب ذلك جميعُ الأمراء؛ إلّا الوالدَ وفارسَ الحاجبَ، وخالفا الجميعَ، فأخذ الأتابك أيَتْمُش يُحسِّن ذلك للوالد ولفارس، حتى أذعنا على رَغْمِها لترشيد السلطان وأنهـم يمتثلون بعـد ترشيده سائرَ ما يرسُم به، وطَلب فى الحال الخليفة والقضـاةَ والسراجَ البُلْقِينىّ ومفتى دار العدل فحضروا، وقام سـعد الدين إبراهيم بن غُراب ناظر الجيش والخاصّ، وآدّعى على الأمير الكبير أيتمش، بأن السلطان قد بلغ رُشْدَه

(١) راجع الحاشية رقم ١ ج ١٠ ص ١٦ من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) هو غور فلسطين، وهو حوض نهر الشريعة الكبير المسمى نهر الأردن .

وشَهِد عدّةٌ من الأمراء الخاصكيّة بذلك، ولم يكن لذلك صحة لحُكم القضاةُ بعد البيّنة بُرُشد السلطان، وخلَع على الخليفة وقُضاة القضاة وعلى الأمير الكبير أيتَمش وآنفضّ الموكب، ونزل الأميرُ الكبير إلى داره التى كان يسكُن بها بالقُرْب من باب الوزير(١) ومعه جميعُ الأمراء، فلما سار أيْتَمُش حتى صار تحت الطبلخاناه السلطانية، وطلَب أن يُسَلِّم على الأمراء، وآلتفتَ برأس فرسه، وقد وقف له جميعُ الأمراء لردّ سلامه، وقبل أن يُسلِّم عليهم، قال له الوالد: إلى أين يتوجّهُ الأميرُ الكبير من هنا؟ قال الأميرُ أيتمش: إلى بيتى! أو ما علمتَ بما وقع عليه الآتفاقُ من ترشيد السلطان، وأنه يستبدّ بالأمور، وأنزِل أنا من باب السِّلسلة إلى دارى! فقال الوالدُ: نعم، وقع ذلك، غيرَ أنه بنزولك تسكُن الفتنة، اطلع إلى باب السلسلة، وآمكُث به اليوم، وخُذ فى نقل قماشك شيئا بعد شيء إلى الليل حتى نُبْرِمَ أمرا نفعلُه فى هذه الليلة، فإذا أصبحتَ فآنزل إلى دارك، فقال أيتمش: ياولدى! ليس ذلك مصلحةً ويُقيم — من له غَرضٌ فى إثارة الفتنة — الحجّةَ علينا، فألح عليه الوالد حتى سمع كلامه كلُّ أحد، وأيتمش لا يُذعِن إليه، وأبى إلّا النزولَ إلى داره، ثم سلَّمَ عليهم، وآلتفت برأس فرسه، فقال الوالد: أخربتَ بيتك وبيوتَنا بسوء تدبيرك، وعاد الوالد إلى جهة داره، بخُطّ الصليبية(٢) عند حمام الفارقانى(٣)، ومعه سائر الأمراء،

(١) هذا الباب فتحه الوزير نجم الدين محمد بن على بن شروين المعروف بوزير بغداد وقت أن كان وزيرا للملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٤٢ ﻫ لمرور الناس فيه بين المدينة وبين الجبانة الواقعة خارج السور، وعلى الأخص بعد سد الباب المحروق، ولهذا عرف من ذلك الوقت إلى اليوم باسم باب الوزير وإليه ينسب باب الوزير وقرافة باب الوزير بالقاهرة. والباب الحالى جدده الأمير طراباى الأشرفى صاحب القبة المجاورة لهذا الباب.

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة، حيث تجد لها شرحا مفصلا

(٣) هذا الحمام أحد حمامات القاهرة، تجاه البندقدارية، بناه الأمير ركن الدين بيبرس الفارقانى، وقد هدم من زمن قديم، ومكانه اليوم المنزل ٤٨ وقف على أفندى طلعت بشارع قره قول المنشية. راجع ص ٢٦٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

فكلّمهم فى الطريق وقال: هؤلاء الأجلابُ لا بُدّ لهم معنا من رأس، فإن كان ولا بد يكون ذلك فى الإسطبل السلطانى معنا، ونَدَب الأمراء إلى أن يتوجّهوا إلى أيتمش فى ذلك، فقالوا: قد فات الأمر، ونزل إلى داره، ثم توجّه كلّ واحد إلى منزله، وفى الحال دُقّت البشائرُ لترشيد السلطان، وزُيّنت القاهرة، وآفترق العسكر فرقتين: فرقة مع الأمير الكبير أيتمش البجاسى، وهم جميع أكابر الأمراء والمماليك القرانيص، وفرقة مع الأمير يَشْبَك الشعبانى الخازندار، وهم الأمراء الخاصّكية ومماليك الأطباق، وقَوِيت شوكةُ الأمير يشبك بعجز أيتمش وعدم أهليته فى القيام بتدبير الأمور من يوم مات الملك الظاهر برقوق، وآستمرّ ذلك إلى ليلة عاشر شهر ربيع الأول المذكور، وقد نَدِم الأمير الكبير أيتمش على نزوله من باب السلسلة، حيث لا ينفعه الندم، ولم يجد بُدًّا من الركوب، وآتّفق مع الأمراء على الركوب

ذكر الواقعة بين الأتابك أيتمش وبين يشبك وغيره

ولما كان ليلة الآثنين عاشر شهر ربيع الأول، آتفق الأمراء الأكابر مع الأمير الكبير أيتمش، ولبسوا الجميع آلة الحرب، وآجتمعوا على الأتابك أيتمش بداره بخُطّ باب الوزير، بعد نزول أيتمش من باب السلسلة بثلاثة أيام، وأخذ بعض رُفْقته من أكابر الأمراء يلومه على نزوله من الإسطبل السلطانى، وعلى عدم ميله لكلام الأمير تغرى بردى (أعنى الوالد) فى النزول، فقال: هكذا قُدِّر، وكان سبب ركوب أيتمش بعد نزوله من الإسطبل أنه لما وقع ترشيد السلطان، وآتفقوا معه على أن ينزل إلى داره ظنّ أيتمش أن بنزوله تسكن الفتنة، وتطمئن الخواطر، ويصير هو على عادته رأسَ مشورة، ولا يُعمل شيء إلّا بعد مشاورته،

فتمشى الأحوالُ بذلك على أحسن وجه ؛ ولم يَدْرِ أن القصد كان بنزوله من باب السلسلة حتى يَضْعُفَ أمرُه ؛ وتصير القلعة بأسرها فى أيدى الجماعة ؛ ويستبدّوا بالأمر من غير مشارك ؛ ثم يقبضوا على واحد واحد ، حتى يصفو لهم الوقت ؛ وفَطِن الوالد لذلك فعرّف أيتمش بالمقصود وقال له : إنّه لا بدّ لهؤلاء الجماعة من إثارة فتنة فإن كان ولا بُدّ فيكون ذلك ونحن مُلّاك باب السلسلة ؛ وهى شطر القلعة ، فأبى إلّا ما أراد الله تعالى ، ونزل إلى داره وأقام يومه ، ثم أصبح وقد تحقّق ما قاله الوالدُ وغيره ، وعلم أنه متى ظَفِروا به وبالأمراء رفقته قبضوا عليهم ، فلم يجد بُدًّا من الركوب وركِب إلى الوالد فى ظهر نهاره وترضاه ، حتى وافقه ، فعند ذلك وافقه الجميع ، واتّفق رأيُهم على الركوب فى ليلة الآثنين المذكورة ، فركبوا بعد صلاة العشاء الأخيرة ، وهم جماعة كثيرة من أمراء الألوف والطبلخانات والعشرات والمماليك السلطانية القرانيص ، فالذى كان معه من مقدمى الألوف : الأمير تغرى بردى من يشبغا أمير سلاح (أغنى عن الوالد) ، والأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس ، وفارس حاجب الحجاب ، ويعقوب شاه الحاجب الثانى ، ومن أمراء الطبلخانات ألطنبغاشادى ، وشادى خجا العثمانى ، وتَغرِى بَرْدِى الجُلُبانى ، وبَكْتَمُر الناصرىّ المعروف بجلّق ، وتنكزبغا الحَطَطى ، وآقبغا المحمودى الأشقر ، وعيسى فلان والى القاهرة ، ومن العشرينات أَسندمر الإسعردىّ ، ومَنْكِلى العثمانى ، ويلبغا من خجا الظريف ، ومن العشرات خِضر بن عمر بن بكتمر الساقى ، وخليل بن قَرَطاى شادّ العمائر ، وعلى بلاط الفخرى ، وبِيرَم العلائى ، وأَسَنْبُغا المحمودى ، ومحمد بن يُونس النَّورُوزى ، وأُلجيبغا السلطانى وتمان تمر الإشقتمرى ، وتَغْرِى بَرْدِى البَيْدَمُرى ، وأرغون السَّيفِىّ ، ويلبغا المحمودى ، وباى خجا الحَسَنِىّ ، وأحمد بن أرغون شاه الأشرفى ، ومُقْبِل الحاجب ، ومحمد بن على بن كلبك نقيب الجيش وخيربك من

حسن شاه: و جُلُبّان العثمانى، وكُزُل العلائى و يدى[(١)] شاه العثمانى، وكَمَشْبُغا الجمالى، وأَلْطُنبغا الخليلى، وألطنبغا الحسنى، ونحو الألف مملوك من أعيان المماليك السلطانية، وخرج أيتمش إلى داره مُلبسا هو ومماليكه، وكانوا نحو الألف مملوك، وصحبته الأمراء المذكورون، وعبّى عساكره، وأوقف طُلبه[(٢)] ومماليكه بمن آنضاف إليهم من أُمراء الطبلخانات والعشرات، والمماليك السلطانية بالصُّوة[(٣)]، تُجاه باب المدرّج أحد أبواب قلعة الجبل، وأصعد جماعة أُخر من حواشيه إلى سطح المدرسة الأشرفية التى مكانها الآن بيمـارستان[(٤)] الملك المؤيد شيخ، ليرموا على مَن بالطبلخاناة السلطانية ويحـوا ظهور مماليكه، ولم يخرج هـو من بيته وكان الذى رتب العساكر الوالد، ووقف الأمير فارس حاجب الحجّـاب ومعه جمـاعة من أمراء الطبلخانات والعشرات، فى رأس الشارع الملاصق لمدرسة السلطان حسن[(٥)]، المتوصّل منه إلى سوق القَبْو، لِيقاتل مَنْ يخرج من باب السلسلة من السلطانية، ووقف الوالد ومعه الأمير أرغون شاه أمير مجلس، برأس سويقة منعم من خط الصليبة، تجاه القصر السلطانى وتفرقت الأمراء والمماليك ثلاث فرق: كل فرقة إلى جهة من الأمراء المذكورين مع من آنضاف إليهم من المماليك البطالة والزُّعر وغيرهم، وأخذ كلُّ واحد من هؤلاء الأمراء يُعبّئ طُلْبَه وعساكره، على حسب مايختار، كلّ ذلك فى الليل.

---

(١) فى هامش (م) (و بيدى) وفى (ف زبدى).

(٢) يجمع على أطلاب وهم الحرس الخاص لأمراء المماليك، يحملون سلاحا كالأجناد وهم الجند.

(٣) اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة فى الجهة الشمالية من قلعـة القاهرة فيما بين القلعة وجامع الرفاعى (راجع خطط المقريزى ج ٢ ص ٢١٣ والجزء الحادى عشر من النجوم الزاهرة من هذه الطبعة).

(٤) هـذا البيمارستان فوق الصوة تجاه طبلخاناه قلعـة الجبل حيث كانت المدرسة الأشرفية، التى هدمها الناصر فرج. (راجع خطط المقريزى الجزء الثانى ص ٢٠٨).

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا مطولا.

وأمّا أهل القلعة فإن الأمير يَشْبَك الشعبانىّ الخازندار لمّا سمع بذلك ركب إلى القلعة هو و بيبرس الدَّوادار وطلعا إلى السلطان ، وقد آجتمع غالبُ الأمراء والخاصكيّة من الظاهرية عند السلطان ، وطلب يشبك فى الحال مماليك الأطباق، وأمَرهم بلُبْس السلاح ولَبِس هو وجميعُ الأمراء، وحرَّضهم على قتال أيتمش ورُفقته، وخوّفهم عاقبةَ الأمر، وقال لهم : هؤلاء و إن كانوا خُشداشيّتنا ، فقد صاروا الآن أجانب، وتركوا خبزَ الملك الظاهر برقوق، وخرجوا على ولده، وأرادوا يُسلطنون أيْتَمُش ونحن نُقاتل مع آبن أستاذنا حتى نموت ، فأجابه جميع المماليك الجُلْبان وظنوا أن مقالته حقيقية، وفى الحال دُقَّت الكوسات الحربية بالقلعة ولَبِس سائر الأمراء الذين بالقلعة ، وهم : بيبرس الدوادار آبن أخت الملك الظاهر برقوق، ويَشْبك الشعبانى الخازندار المقدّم ذكرُه ، وسُودون المارْدانى رأس نوبة النُّوَب، وسُودُون من على بك طاز ، وإينال باى بن قجماس ، ويلبغا الناصرى . وبكتمر الرُّكنى ودُقْماق المحمدى المعزول عن نيابة مَلَطْية ، وشيخ المحمودى (أعنى المؤيّد) وآقبغا الطُرنطاى والجميع ألوف ، وجماعةٌ أُخر من الطبلخانات والعشرات ، وأما المماليك السلطانية فمعظمهم ، ونزل السلطان الملك الناصر فرج من القصر إلى الإسطبل السلطانى، ووقع القتال بين الطائفتين من وقت عشاء الأخيرة إلى باكر النهار ومعظم قتال أهل القلعة مع الذين كانوا برأس سُوَيْقة مُنْعِم، وتصادموا غير مرّة ، و بينما القتال يشتدّ أَمَر الأتابك أَيْتَمُش البجاسى فنُودِىَ مَنْ قبض على مملوك جَرْكَسِىّ وأحضره إلى الأمير الكبير أيتمش فله كَيْت وكَيْت ، فلمّا سمعت الجراكسة الذين كانوا من حزب أيتمش ذلك حنِقوا منه وتوجّه أكثرُهم إلى السلطان، مع أن أيتمش كان من أعظم الجراكسة ؛ غيرَ أن زوال النعم شيء آخر، فعنـد ذلك كثُر جمعُ السلطانية وقوِى أمرُهم ، وحَملوا على الوالد ، ومن معه وهو برأس سُوَيْقة

مُنْيم ، فكسروه ، فمرّ بمن معه من الأمراء ومماليكه حتى آجتاز بداره ، وهى دار طاز بالشارع الأعظم (١) تجاه حمّام الفارقانى (٢) ، والقوم فى أثره ، فحَمَى ظهره مماليكُه الجُلْبان الذين بالأطباق بالرمى على السلطانية ، حتى تركوه وعادوا ، ومرّ الوالد حتى لِحَق بالأمير أيتمش بالصُّوَّة .

وأما السلطانية فإنهم لمّا كسروا الوالد ، وكان الأهم عادوا لقتال فارس الحاجب ، وكان فارس من الفرسان المعدودة الأقشية ، فثبت لهم فارس المذكور ثباتا عظيما ، لولا ما كادوه من أخذ مدرسة السلطان حسن ، والرمى عليه من أعلاها إلى أن هزموه أيضا ، وآنحاز بطائفته إلى أيتمش بالصوّة ، فكرر أيتمش المناداة على المماليك الجراكسة — خذلان من الله — ، فذهب من كان بقى عنده منهم ، وعند ذلك صدمته السلطانية صدمة هائلة كسروه فيها ، وآنهزم من بقى معه من الأمراء المذكورين والمماليك وقت الظهر من يوم الآثنين عاشر شهر ربيع الأوّل من سنة آثنتين وثمانمائة ، ومرّوا قاصدين إلى جهة الشأم حتى نزلوا بسِرْياقوس (٣) ، فأخذوا من الخيول السلطانية التى كانت بها من جيادها نحو المائة فرس ، ثم ساروا إلى نحو البلاد الشامية ، ونذب السلطان خلف أَيْتَمَش ورُفقته من المنهزمين جماعة من أمراء الألوف وغيرهم ، فالذى كان منهم من أمراء الألوف بَكْتَمُر الرُّكْنى المعروف

(١) هو الذى يعرف بقصبة القاهرة أو شارع القاهرة ؛ وهذا الشارع يمتدّ بين باب الفتوح إلى باب زويلة راجع الكلام عليه فى ص ٦٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) هـذا الحمام لم يتكلم عليـه المقريزى فى خططه ، ولكنه لمـا تكلم على دار الأمير طاز قال : إنها تجاه حمام الفارقانى ، بناها هى والحمام الأمير ركن الدين بيبرس الفارقانى ، وهو غير سنقر آق الفارقانى المنسوبة إليه المدرسة الفارقانية

(٣) هى من القرى القديمة فى مصر ، وهى الآن من قرى مركز شـبين القناطر بمديرية القليوبية ، واقعة على الشاطىء الشرقى لترعة الإسماعيلية فى شمال القاهرة ، وعلى بعد ١٨ كيلو مترا منها .

بكتمر باطيا، ويلبغا الناصرى، وآقبغا الطرنطائى، ومن أمراء الطبلخانات أسنبغا الدوادار وبشباى من باكى، وصُوماى الحسنى فى جماعة كثيرة من أمراء العشرات، والمماليك السلطانية، وهم نحو خمسمائة مملوك فلم يقفوا لهم على خبر، وعادوا من قريب .

وآمتدّت الأيدى إلى بيوت الأمراء المنهزمين بالنهب، فنهبوا جميعَ ما كان فيها حتى نَهَبت الزُّعْر مدرسة أَيْتَمِش[1] وأخذوا جميع ما كان فيها حتى حفروا قبر ولده الذى كان بها، وأحرقوا الرَّبْع المجاور لها من خارج باب الوزير، ونهبوا جامع آق سُنْقُر[2] المجاور لدار أيتمش، وآستهانوا حُرْمة المصاحف بها، ثم نهبوا مدرسة السلطان حسن، وآنتهبوا بيوتا كثيرة من بيوت المنهزمين، فكان الذى أُخذ من بيت الوالد فقط من الخيل والقماش والسلاح وغير ذلك ما تزيد قيمته على عشرين ألف دينار .

ثم كسرت الزُّعْر حبس الديلم[3] وحبس الرحبة[4]، وأخرجوا من كان بهما من أرباب الجرائم، وصارت القاهرة فى ذلك اليوم غَوْغاء، مَنْ غلب على شئ صار له، وقُتِل فى هذه الواقعة من الطائفتين جماعةٌ كبيرة من المماليك وغيرهم، فكان الذى قُتِل من الأمراء قَجْماس المحمدى شادّ السلاح خاناه، وقَرا بُغا الأسنبغاوى، ويتمر

(١) هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة؛ أنشأها الأمير الكبير سيف الدين أيتمش البجاسى ثم الظاهرى فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة وجعل بها درس فقه للحنفية وبنى بجانبها فندقا كبيرا يعلوه ربع، ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربما . راجع الخطط للمقريزى (ص ٤٠٠ ج ٢)

(٢) جامع آق سنقر بسويقة السباعين على البركة الناصرية. (راجع خطط المقريزى ص٣٠٩ ج٢).

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٢ من الجزء الحادى عشر من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٨٣ من الجزء الحادى عشر من هذه الطبعة .

المحمدى، وآختفى بالقاهرة ممن كان مع الأتابك أيتمش، مقبل الرومى الطويل أمير جاندار، وكشبغا الخضرى وجماعة أخر يأتى ذكرهم، وتوجّه بقيـة أصحابه الجميع صحبته إلى دمشق، وقصد أيتمش الأمير تَنَم الحسنى نائب الشام .

وأما تنم نائب الشام فإنه لمـا عَظُم أمرُه بدمشق وتمّ له ماقصده، وجّه الأمير آقبغا الطولوتمرى اللّكّاش فى عدّة من الأمراء والعساكر إلى غَزّة فساروا من دِمَشق فى أوّل شهر ربيع الأوّل المذكور . ثم ندب جماعة أخر من كبار الأمراء إلى البلاد الحلبيـة، وخرجوا من دمشق فى ثالث شهر ربيـع الأوّل، وعليهم الأمير جُلُبان الكَمَشْبُغاوى الظاهرى، المعروف بقراسُقل المعزول عن نيابة حلب قديما، ومعه الأمير أحمد بن الشيخ على نائب صفد كان، والأمير بيخجا المعروف بطيفور نائب غَزّة كان، وهو يومئذ حاجب دمشق والأمير يلبغـا الإشقَتَمُرى، والأمير صرق الظاهرى، وساروا إلى حلب لتمهيد أمورها . ثم قَبَض الأميرُ تنم على الأمير تَخاص وعيسى التركمانى وحبسهما بالبرج من قلعة دمشق، ثم خرج تنم فيمن بقى معـه من عساكره فى سادسه يريد حلب، وجعل الأمير أزدمر أخا إينال اليوسفى نائب الغيبة بدمشق، وسار حتى قدم حِمص وآستولى عليها، وولّى عليها من يَثِق به من أصحابه، ثم توجّه إلى حَماة، فوافاه الأمير يونس بَلْطا نائب طرابلس ومعه عسكر طرابلس، ونزلوا على مدينة حماة، فآمتنع نائبها الأمير دمرداش المحمدى بها، وقاتل تنم قتالا شديدا، وقتـل من أصحاب تنم نحو الأربعة أنفس ولم يقدر عليـه تنم، وبينما تنم فى ذلك ورد عليه الخبر بقيام أهل طرابلس على من بها من أصحابه .

وخبرُ ذلك أنه لمـا قَرُب محمـد بن بهادر المؤمنى من طرابلس، بعث ما كان معه من الملطَّفات من الديار المصرية لأهل طرابُلُس، فوصلت إليهم قبل قدومه،

ثم وصل هو بمن معه فى البحر، فظنه نائب غَيْبة يُونُس بَلْطا من الفرنج، فخرج إليه فى نحو ثلاثمائة فارس من أجناد طرابلس، فتبيّن له أنه من المسلمين ، فطلبه نائب الغيبة بمن معــه فلم يأته ، وقاتلهم على ساحل البحر فانهزم إلى برج أيتمش ، وكان تحت حكم آبن المؤمنى المذكور، فأصبح الذين أتتهم الملطّفات من مصر ، ونادوا فى العامّة بجهاد نائب الغيْبة ، وخطب خطيبُ البلد بذلك، فشرَعَت العامّة فى قتال نائب الغيبة حتى هزموه ونهبوا ما كان معــه   توجه إلى حماة، فأرسل تنم الأمير الأمير صرق على عسكر كبير لقتــال أهل طرابلس ، فتوجه صرق إليهــم ، وقاتلهم قتــالا شديدا مدّة تسـعة أيام ، وبينما تـنم فى ذلك ورد عليــه الخبر بواقعــة الأمير أيتمش مع المصريين ، وأنه نزل بمن معــه فى دار النيابة بغزّة، وأنه سار بمن معه يريد دمشق، فسُرَّ تنم بذلك وأَذِن لنائب غيبته بدمشق وهو الأمير أزدمر بدخول أيتمش ، ومن معــه إلى دمشق و بالقيام فى خدمتهم حتى يحضر إليهم، ثم لما بلغه عجز صرق عن أهل طرابلس، جهّز إليها نائبُها الأمير يُونس بَلْطا فى طائفة كبيرة من العساكر، فسار إليها يونس ودخلها بعد أن هزم آبنَ المؤمنى، وركب البحر ومعه القــاضى شرف الدين مسعود قاضى القضاة الشافعية بطرابُلس ، يريدان القــاهرة بمن معهما ، ونهب يُونس أموالَ الناس كافّة بطرابلس ، وفعل فى طرابلس وأهلها ما لا تفعله الكفَرة ، وقَتل نحو العشرين رجلا من أعيان طرابلس وقضاتها وعلمائها منهم : الشيخ العالم المفتى جمال الدين بن النابُلسى الشافعى . والخطيب شرف الدين محمود ، والقاضى المحدّث شهاب الدين أحمــد الأذرعى المــالكىّ . وقاضى القضاة شهــاب الدين الحنفىّ . والقاضى موفَّق الدين الحنبلى ، وقَتل من عامــة طرابلس ما يُقارب الألف ، وصادر الناس مصادرات كثيرة ، وأخذ أموالهم وسَبَى حريمهم ،

فكانت هذه الكائنة من أقبح الحوادث ، وكانت فى الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل المذكور .

وأمّا أمرُ الديار المصرية فإنه لمـّا كان بعد الواقعة من الغد خلع السلطان على الأمير قرابُغا مفرق (١) الظاهرى بآستقراره فى ولاية القاهرة عوضـا عن عيسى فلان بحكم عِصيانه مع أيتمش ، فمات من الغـد من جُرح كان أصابه فى الواقعة، وآستقرّ فى ولاية القاهرة عِوضه بَلبَان أحد المماليك الظاهريّة ، فنزل بلبان المذكور بالخِلعة إلى القاهرة فمـرّ من باب زَوِيلَة يريد باب الفتوح ، وعبر راكبا من باب الجامـع الحاكمى وهو يُنادى بالأمان، وإذا بالأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين (٢) قد جاء من جهة باب النصر، وهو أيضا يُنادى بين يديه بآستقراره فى ولاية القاهرة، فتحيّرت المقدّمون والجبلية بينهما ، وبينما هم فى ذلك وقد آلتقى بَلبَان مع آبن الزين فقال بلبان أنا وَلّانى فلان، وقال آبن الزّين أنا وَلّانى فلان، وإذا بالطواشى شاهين الحسنى قَدِم ومعه خِلعةُ ابن الزين بولايتــه القاهرة ، فبَطَل أمر بلبان، وتصرّف آبن الزين فى أمـور الولاية ونادى بالكف عن النهب ، وهدّد من ظَفِـر به من النهّـابة .

ثم فى سادس عشره عرض السلطان المـماليك السلطانية ، ففُقِد منهـم مائة وثلاثون نفر قد آنهزموا مع الأتابك أيتمش .

ثم قَبَض السلطان على الأمير بكتمر جِلّق أحد أمراء الطبلخانات ، وتَنكِزبُغَا الحَطَطِى أحد أمراء الطبلخانات أيضـا ورأس نوبة ، وقرمان المنجكى وكمشبغا الخضرى ، وخضر بن عمر بن بكتمر الساقى، وعلى بن بلاط الفخرى ، ومحمـد بن

(١) فى هامش (م) (مفرق) بالفاء، وقد بحثنا كثيرا عنها فلم نجدها فى غير الأصول .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

يُونس النوروزى وأَلْجِيبُغا السلطانى وأرغون السيفى وأحمد بن أرغون شاه، والجميع من أصحاب أيتمش .

ثم رسم السلطان فكتب بإحضار الأمير سودون أمير أخور المعروف بسيدى سودون، والأمير تمراز الناصرى من سجن الإسكندرية ، والأمير نَوروز الحافظى الأمير أخور الكبير كان ، من ثغر دِمياط وسارت القُصَّاد لإحضارهم ، فوصلوا فى العشرين منه وقَبَّلوا الأرض بين يدى السلطان ونزلوا إلى دورهم .

وفى أوّل شهر ربيع الآخر آستقرّ الأمير آقباى من حُسين شاه الطُّرنطائى حاجب الحجّاب عوضا عن الأمير فارس الأعرج ، وآستقرّ الأمير دُقماق المحمدى المعزول عن نيابة مَلَطْية بآستقراره حاجبا ثانيا عوضا عن يعقوب شاه بحكم عصيانهما مع أيتمش .

ثم فى ثالثه خَلَع السلطان على كلٍّ من الأمير أَسَنْبغا العلائى الدوادار والأمير قُارِى الأَسنبغاوى والى باب القلعة[(1)] ومَنْكلى بغا الصلاحى الدوادار وسُودون المأمورى بآستقرارهم حجّابا، وآستقر تَمربغا المحمدى نائب القلعة .

وأما الأمير تَنَم فإنه لما جاءه خبر أيتمش ترك حصار حماة وعاد إلى دِمشق ثم خرج إلى لقاء أيتمش وأصحابه فى خامس شهر ربيع الآخر إلى ظاهر دمشق .

فلمّا عاينهم ترجّل عن فرسه وسلّم عليهم وبالغ فى إكرامهم، وعاد بهم إلى دمشق وقدّم إليهم تقادِم جليلة ، لا سيّما الوالد فإن تنم قام بخدمته زيادة عن الجميع ، حتى يزول ما كان عنده حسب ما تقدّم ذكُره وسببه أنه كان وغّر خاطر أستاذه الملك الظاهر برقوق عليه حتى عزله عن نيابة حلب، فأخذ تنم يعتذر إليه، ويتلطّف

(١) فى (ب) والى باب القلة .

به حتى زال ما كان عنده من الكمائن القديمة، وصار من أعظم أصحابه، وحلّفه على موافقته وحلَف له، ووعده بأمور كثيرة يُسْتَحْيا من ذكرها .

ثم كتب الوالد إلى الأمير دمرداش المحمدى نائب حماة بالدخول فى طاعة تنم حسب ما يأتى ذكره .

ثم قَـدِم على الأمير تنم كتابُ الملك الناصر فـرج يأمره بمسك الأتابك أيتمش و بمسك الوالد ومن قدِم معهما، فأخذ تنم الكتاب وأتى به إلى أيْتَمُش ورفقته، وقرأه عليهم بالقصر الأبلق[(١)] من الميدان، فضحك الوالد وقال له : امتثل مرسوم السلطان وآفعل ما أمرك به فتبسَّم تنم وقال له : بالله عليك زوّل ما عندك وطيِّب قلبك، وقام وعانقه، ثم تكلَّم تنم مع الأمراء فيما يفعله فى أمر دمرداش نائب حماة، فأشار الوالد بأنه يتوجّه إليه صحبةَ الأمير الكبير أيتمش، ثم يتوجهّان أيضا إلى نائب حلب يدعوانه إلى طاعة تنم وموافقته، فقال : هذا الذى كان خاطرى، فإن دمرداش لا يسمع لأحد غيرك، وخرجا بعد أيام إلى جهة حماة، فأجاب دمرداش بالسمع والطاعة، ودخل تحت طاعة تنم ووعد بالقيـام بنُصْرته، ثم عاد الوالد وأيتمش إلى دمشق فسُرَّ تنم بذلك غاية السرور .

ثم قَدِم دمرداش بعد ذلك بأيام إلى دمشق، فخَلَع عليه تنَم بآستمراره على نيابة حمـاة، وأَنعم عليه بأشياء كثيرة وتوجّه إلى حماة ثم أخذ الجميع فى التأهُّب إلى قتال المصريين .

وأمّا ما وقع بالديار المصرية من الولايات والعَزْل، فإنه لمَّـا كان العشرُ الأخير من شهر ربيـع الآخر، خلَع السلطان على الأمير بيبرس الدوادار بآستقراره أتابك

(١) هذا القصر بناه الملك الظاهر بيبرس فى الميدان القبلى بدمشق سنة ٦٦٨ هـ (راجع خطط الشام جـ ٤ ص ١٢٢ ، جـ ٥ ص ٢٨٥ ، والنجوم الزاهرة ص ٢٧٨ ج ٧ من هذه الطبعة) .

العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير أيتمش البجاسى، وأنعم عليه بإقطاعه إلا النَّحْريرية[1] ومُنْية بَدران[2] وطوخ الجبل[3]، فغضب بيبرس بسبب ذلك فلم يلتفت إلى غضبه، وأنعم بإقطاع الوالد ووظيفته على نَوْرُوز الحافظى، وأنعم على تمراز الناصرى بإقطاع أرغون شاه أمير مجلس، وأنعم على سُودون أمير آخور بإقطاع يعقوب شاه الحاجب، وأنعم بإقطاع بيبرس على بَكْتَمُر الرُّكنى، و بإقطاع بكتمر على دقماق المحمدى نائب ملطية كان، و بإقطاع دُقماق على جَرْكَس القاسمى المُصارع، وآستقر أمير طبلخاناه، وأنعم على كلّ من كُزُل الناصرى، وقُمارى الأَسَنْبُغاوى، وشاهين من شيخ الإسلام، وشيخ السُّليمانى، وبَشْبَاى من باكى، وتَمْرْبُغا الظاهرى، وجَكَم من عوض، وصُوماى، وتمر الساقى، و إينال حَطَب، وقانى باى العلائى، وسُودون المأمورى، وَأَلْطُنبغا الخَليلى وجُمْتَرك القاسمى، وكُزُل المحمدى، و بَيْغَان الإينالى بإمرة عشرين، وأنعم على كلّ من أزبك الرمْضانى وأَسَنْدمر العُمرى وقرقماس السيفى ومنكلى بغا الصلاحى وآقبغا الجوجرى وطيبغا الطولوتمرى وقانى باى من باشاه ودمرداش الأحمدى وآقباى السلطانى وأرغون شاه الصلاحى ويُونُس العلائى و جُمَق ونكباى الأزدمرى وقانى بك الحسامى و بايزيد من بابا وآقبغا المحمدى وسُودون الشمسى وسُودون البجاسى وتمراز من باكى وسُودون النَّوْروزى وأَسَنْبُغا المسافرى وقُطلوبغا الحسنى وقُطلُقتمر المحمدى وسُودون الحمصى وسُودون القاسمى وأرزمك وأسنباى بإمرة عشرة، وحَلَّفُوا الجميع على طاعة السلطان، والسفر معه لقتال تَمَ.

(١) النحريرية : إحدى بلاد مركز كفر الزيات .

(٢) منية بدران : من القرى المصرية القديمة ، ومكانها العامرة مركز المنزلة .

(٣) فى الأصلين (م، ف) الجبل ، وفى هامش (م) (طوخ الخيل) ولعلها هى الرواية الصحيحة كما ذكرها على مبارك فى خططه ص ٦٣ جـ ١٣

ولمّـا بلغ المماليكَ السلطانيةَ سفرُ السلطان إلى الشام آمتنعوا وهدّدوا الامراءَ وأكثروا لهم من الوعيد ، نخاف سُـودون طاز وتأخّر عن الخـدمة السلطانية ، ثم آتفقت المماليك المذكورة ، وتوجّهوا إلى الأمير يشبك وهو متوعّك وحدّثوه فى أمر السفر ، فآعتذر لهم بمـا هو فيـه من الضعف ، ثم وقع الخُلْف بين الأمير سُودون قريب الملك الظاهر المعروف بسيِّدى سـودون و بين الأمير سُودون طاز ، وتسابّا بسـبب سُكْنَى الإسطبل السلطانى بالحَـرّاقة ، وعلى وظيفـة الأمير أخورية وكادا يقتتلان ، لولا فرق بينهما الأمير نوروز الحافظى .

ثم وقع أيضا بين الأمير سُودون طاز المذكور و بين الأمير جَرْكس القاسمى المصارع تنافُس ، وتقابضا بالأطواق ، ولم يبقَ إلّا أن تثورَ الفتنةُ ، حتى فرّق الأمراء بينهما ، وصارت المملكة بأيدى هؤلاء الأمراء ، وكلّ من أراد شيئا فعله ، فصار الرجلُ يلى الوظيفةَ من سعى فلان ، و ينزل إلى داره فيُعزلُ فى الحال بأمر غيره ، وكلُّ أحد يتعصّب لواحد ، وكل منهم يروم الرتب العلية .

هـذا ومثلُ تنم وأيتَمش ورُفقتهما فى طلبهم وفى القصد إلى الديار المصرية ، ثم أخذَ نوروزُ يُسكِّنهم عن إثارة الفتنة ، ويُخوِّفهم عاقبةَ تنَم ، حتى عملوا مشورةً بين يدى السـلطان بسبب قتـال تنم وغيره ، فحضر جميعُ الأمراء ورتّبوا أمورا : منها إقامةُ نائب بالديار المصرية ، وعيّنوا عِدّة تشاريف .

فلمّا كان يومُ الخميس ثانى عشر شهر ربيع الآخر خَلع السلطان على الأمير سُودون طاز بآستقراره أميرأخورا كبيرا ، عوضا عن سُودون الطّيار ، لتأخُّره بدمشق عنـد تَنم ، وخَلَع على الأمير مُبارك شاه بآستقراره حاجباً ثالثـا بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وهذا بخلاف العادة .

ثم خلع على بعض الأمراء وآستقرّ حاجبًا ثامنًا، وهذا أيضا بخلاف العادة، لأن فى القديم كان بمصر ثلاثة حُجّاب (أَعْنى بالقديم فى دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون) ثم لا زال الملكُ الظاهرُ برقوق يَزِيدُ الحجّاب حتى صار عِدّتُهم ستة، وذلك فى أواخر دولته، والآن صارُوا ثمانية، وكان هذا أيضا مما عابه الأميرُ تَنَم على أمراء مصر فيما فعلوه.

قلتُ: والسُّكات أجملُ، فإنّ تلك الحجّاب الثمانية كان فيهم ثلاثةُ أمراء ألوف وثلاثةُ طبلخاناه، وأمّا يومُنا هذا ففيه بمصر أزيدُ من عشرين حاجبًا، ما فيهم أميرُ خمسة، بل الجميعُ أجناد، وفيهم مَنْ جُنْدِيّتُه غيرُ كاملة، والحاجب الثانى أميرُ عشرة، فسبحانَ الحكيم الستّار.

ثم بعد أيام خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى بآستقراره رأس نَوْبة الأمراء، وعلى الأمير تمراز باستقراره أمير مجلس، وعلى الأمير سيدى سودون بآستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن بيبرس، وكانت شاغرة منذ انتقل بيبرس عنها إلى الأتابَكية.

وهذا كله بعد أن ورد الخبر على الملك الناصر بخروج الأمير تَنَم من دمشق يريد القاهرة، فعندئذ أمر السلطان بأن يخرج ثمانية أمراء من مقدّمى الألوف بألف وخمسمائة مملوك من المشتروات، وخمسمائة مملوك من مماليك الخدمة، وأن يخرجوا فى أول جُمَادى الآخرة، فمنهم من أجاب، ومنهم من قال: لا بدّ من سفر السلطان وآختلف الرأى وآنفضوا على غير شىء، ونفوسهم متغيِّرة من بعضهم على بعض، كلُّ ذلك والأمراء تكذِّب خروج تَنَم من دمشق حتى عُلّق جَاليش(١) السفر على

(١) الجاليش: راية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر.

الطبلخاناه السلطانية، ووقع الشروع فى النفقة للأمراء، فحمل إلى كل من الأمراء الأكابر مائة ألف درهم، ولمن دونهم كل واحد على قــدر رتبته، وأنفق على ثلاثة آلاف مملوك وستمائة مملوك لكل واحد مائة دينار، فبلغت جميع النفقة نحو خمسمائة ألف دينار.

ثم خرجت مدوّرة[(١)] السلطان وخيامه، ونصبوا خارج القاهرة تجاه مسجد التبن[(٢)].

ثم خلع السلطان على الأمير بكتمر الركنى بآستقراره أمير سـلاح عوضا عن الوالد، وكانت شاغرة عنه منذ توجه مع أيتمش إلى الشام، وبينما السلطان فى ذلك قَدِم علاء الدين على بن المكلّلة والى منفلوط، وأخبر أن أَلْطنبُغا نائب الوجه القبلى خرج هو ومحمــد بن عمر بن عبد العزيز الهوّارى عن الطاعة، وكبسا عثمان بن الأحدب، ففرّ آبن الأحدب إلى جهــة منفلوط وتبعاه إليها وأخرباها، فرسم السلطان لكل من الأمير الكبير بيبرس والأمير إينال باى من قجماس وآقباى بن حسين شاه حاجب الحجّاب وسودون من زادة وإينال حطب رأس نوبة، ويَشْبَك الشيخى الأمــير آخور الثانى، وبهادُر فُطَيْس الأمير آخور الثـالث أن يتوجّهوا إلى بلاد الصعيد لقتال ألطنبغا وآبن عمر الهوّارى فلم يوافقوا على ذلك ولا سار أحد.

(١) المدوّرة: مائدة من الفضة، تنصب على الكرسى، وعليها من الأوانى الذهبية والصينى الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك. عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٧

(٢) ذكر المقــريزى (ص ٤١٣ ج ٢) فى خططه: أن هــذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق قريبا من المطرية، بنى فى سنة ١٤٥ هـ، وعرف بمسجد البئر وبمسجد الجميزة. وفى زمن الدولة الإخشيدية عمره الأمير تبر أحد الأمراء الأكابر فى أيام الأستاذ كافور الإخشيدى فعرف بمسجد تبر، وتسميه العامة بمسجد التبن وهو خطأ. وأقول: إن هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم باسم زاوية الشيخ محمد التبرى فى وسط أرض زراعية تابعة لسراى القبة وفى الشمال الغربى لمحطة القبة وبالقرب منها.

ثم قَدِم الخبر على السلطان بأنّ الأمير دِمرداش المحمدى نائب حماة قَدِم على الأمير تَنَم بِدَمشق بعساكر حماة ، وأن لأمير آقبغا الجمالى الأُطْرُوش نائب حلب لَمّا برز هو أيضا من حلب يريد المسير إلى دمشق ثار عليه جماعة من أمراء حلب وقاتلوه فكَسَرهم ، وقبض على جماعة منهم ، ثم سار إلى دِمَشق فسُرَّ بقدومه تَنَم وأكرمه غاية الإكرام ، وأنه قد خرج من دمشق من أصحاب تنم الأمير أرغون شاه البَيْدَمُرى أمير مجلس ، والأمير يعقوب شاه ، وفارس حاجب الحجّاب ، وصرْق وفَرَج بن مَنْجك إلى غزّة ، فعند ذلك خلع السلطان على الأمير عمر بن الطحّان حاجب غزّة بآستقراره فى نيابة غزّة ، وعلى سودون حاجبها الصغير بآستقراره حاجب حُجّاب غزّة عوضا عن آبن الطحان المذكور .

ثم قَدِم الخبر على السلطان بأن عساكر تنم خرجوا من دِمَشق فى يوم خامس عشرين جُمادَى الآخرة ، فأمر السلطان الأمير سودون المأمورى الحاجب بالتوجّه إلى دِمْياط لينقل منها الأمير يلبغا الأحمدى المجنون الأستادار كان ، والأمير تمربغا المَنْجكى ، وطُغُنْجى و بلاط السعدى ، وقَرَاكُسُك إلى سجن الإسكندرية .

هذا وقد تجهّزت العساكر المصرية للسفر صحبة السلطان لقتال تنم وتهيأ الجميع .

فلمّا كان يوم الآثنين رابع شهر رجب نزل السلطان الملك الناصر من القلعة إلى الرَّيْدانية (١) خارج القاهرة ، وأصبح من الغد خلع على الأمير الكبير بيبرس بآستقراره فى نظر البيمارِسْتان المنصورى ، و بنيابة الغَيْبَة بالديار المصرية ، وخلع على الأمير نَوْرُوز الحافظى رأس نَوْبة الأمراء بآستقراره فى نظر الخانقاه الشيخونية ، ثم أصبح من الغد سادس الشهر خلع السلطان على الأمير نوروز المذكور بتقدمة

(١) راجع الحاشية رقم ٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

العساكر، ثم أنفق السلطان على جماعة من المماليك السلطانية بنحو خمسة وعشرين ألف دينار إنعاما .

وفى اليوم المذكور رحل جَاليش(١) السلطان من الرَّيْدَانيّة ، وفيـه من الأمراء نوروز الحافظِىّ مقدّم العساكر وبَكْتَمُر الركنى المعروف بباطيا أمير سلاح ، وتمراز الناصرى أمير مجلس، ويلبغا الناصرى، وسُودون الدوادار المعـروف بسيدى سودون ، وشيخ المحمودى هو المؤيّد، ودُقماق المحمدى الحاجب الثـانى، والجميع مقدَّمُو ألوف .

ثم رَحَل السلطان بعدهم فى يوم الجمعـة ثامنه ببقيَّة العساكر ، وعدَّةُ ما سافر أوّلا وثانيا سـبعة آلاف فارس، وهذا سوى مَنْ أقام بالقاهرة، وهم أيضا عِدَّة كبيرة من الأمراء والمماليك، فأمّا الأمراء فكان بالقاهرة بيبرس، وآقباى حاجب الحجّاب،وأقام بقلعة الجبل الأمير إينال بَاىْ من قَجْماس أحد مقدّمى الألوف،و إينال حَطَب رأس نَوْبة، وأقام بالإسطبل(٢) السلطانى سُودون من زادة، وبهادُر فُطَيْس و يِشْبك الشيخى أميرآخور ثانى، وأقام عند هؤلاء جماعة كبيرة من المماليك السلطانية.

وأما تَمِر فكان من خَبَره أنه قَدِم جماعةٌ من أمرائه وعساكره إلى مدينة غَزَّة حسب ما ذكرناه، وهم : الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس، وفارس حاجب

(١) الجاليش (شاليش) : اسم لعـلم من الأعلام التى كانت تحملها جيوش المماليك فى الحروب، وكان من الحرير الأبيض المطرز، تعلق فى أعلاه خصـلة من الشعر . والجاليش كلمة تركية معناها مقدمة القلب، وسمى بذلك لأن ترتيب جاليش السلطان فى المواضع التى يحضرها يكون عادة فى قلب الجيش .

(٢) يستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عنـد الكلام على صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢) وعلى الميـدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) أن هذا الإصطبل مكانه اليوم مجموعة المبانى التى بهـا مخازن ورش الجيش المصرى، مع العلم بأن المكان الحالى للإصطبل المذكور ليس فى منسوب أرض قلعة الجبل، بل هو فى مستوى أوطى مما عليه القلعة .

الحجاب، ويعقوب شاه وصرق، والأمير فرج من منجك فتوجّهوا أمامه بعساكر كثيرة .

ثم قَدِم على تَنَم الأمير يُونُس بَلْطا نائب طرابُلس بعساكرها وغيرهم، ومعه الأمير حمد بن يلبغا أمير مجلس كان، وكان قَدِم على تَنَم قبله نائب حلب الأمير آقبغا الجمالى الأطروش، ونائب حماة الأمير دِمِرداش المحمدى، فخرج هؤلاء النواب أيضا أمام تنم إلى جهة غزة، ثم تبعهم الأمير تنم ومعه الأتابك أيتمش والوالد وبقية عساكره، بعد أن جعل الأمير جَرْكَس المعروف بأبى تنم نائب الغيبة بدمشق، وعنده جماعة أُخَر من أعيان الأمراء، ثم خرج بعد الأمير تنم الأمير يُونُس بلطا نائب طرابلس، وسار تنم فى عساكر عظيمة إلى الغاية، وكان قبل سفره بدمشق منذ قَدِم عليه أمراء مصر يعمل كلّ يوم مَوْكِبًا أعظم من الآخر، حتى قيل: إن موكبه كان يُضاهى موكبَ أستاذه الملك الظاهر برقوق بل أعظم، وكان يركب بالدُّف والشبّابة(١) والشعراء والجاويشية، ويركب فى خدمته من الأتابك أَيْتَمُش إلى مَنْ دونه من أمراء الألوف، وهم نحو خمسة وعشرين أميرا من أمراء الألوف، سوى أمراء الطبلخانات والعشرات، وذلك خارج عن التركمان والأعراب والعشير(٢)، وكانوا أيضا جَمْعا كبيرا إلى الغاية، وآخر موكب عمله بدمشق كان فيه عساكر دمَشق بتمامها وكمالها، وعساكر حلب وطرابلس وحماة، وجماعة كبيرة من عظماء أمراء الديار المصرية (أعنى أَيْتَمُش ورفقته)، وكان الجميع قد أذعنوا لتنم بالطاعة، حتى إنه لم يشكّ أحد فى سلطنته، حتى ولا أمراء مصر أخصامه، فإنهم كتبوا له فى الصلح غير مرة، وفى المستقبل أيضا حسب ما يأتى ذكره، وأنفق تنم فى العساكر من الأموال مالا يُحْصَى .

(١) الشبابة : قصبة الزمر المعروفة .

(٢) العشير : بدو الشام والدروز .

وأمّا أمراء الديار المصرية فإنه لمـا سافر السلطان إلى جهة تمر بعساكره فى ثامن الشهر، قـدم الخبرُ فى صبيحته على الأمـير بيبرس وهـو يوم السبت من البُحَيْرة، بأن الأمير سُودون المأمورىّ الحاجب أخذ الأمراء من ثغر دمْياط، وسار بهم نحو الإسكندرية. فلمّا وصل بهم إلى دَيْرُوط[1] لقيه الشيخ المعتقد عبد الرحمن آبن نفيس الدَّيْرُوطِىّ وأضافه، فعندما قعد الأمير سُودون المـأمورىّ هو والأمراء للأكل قام يلبغا المجنـون ووَثَب هو ورُفقتُه من الأمراء على سُودون المـأمورىّ، وقبضوا عليه وعلى مماليكه وقَيَّدُوهم بقيودهم، وبينما هم فى ذلك قَدِمَتْ حَرّاقَةٌ من القاهرة فيها الأمـير كَمَشْبُغا المحضَرى وإياس الكَمَشْبُغاوى وجَقمَق البَجْمَقْدار، وأمير آخر، والأربعة فى القيود، فدَخَلت الحرّاقةُ بهم إلى شاطئ دَيْرُوط ليقضوا حاجة لهم، فأحاط بهم يلبغا المجنون، وخَلَّص منهـم الأربعة المقيَّدين، وأخذهم إلى أصحابه.

ثم كتب يلبغـا إلى نائب البُحَيْرة بالحضور إليـه، وأخذ خيول الطواحين، وركب هو ورفقته من الأمراء وسار بهم إلى مدينة دَمَنْهُور وطرقها بغتة، وقبض على متولّيها، وأتته العربان من كل فجّ حتى صار فى عَدَد كبير.

ثم نادى بإقليم البُحَيْرة بحطّ الخراج عن أهلها عدّة سنين، وأخذ مال السلطان الذى آستخرج من تروجة[2] وغيرها، وبعث يستدعى بالمـال من النواحى، فراعاه الناس، فإنه كان ولى وظيفة الأستادارية سنين كثيرة، فكتب بيبرس بذلك يعرّف السلطان والأمراء، فوردت كتبهم إلى نائب الإسكندرية بالاحتراز على مدينـة

(١) إحدى بلاد مركز المحمودية بمديرية البحيرة.

(٢) هى القرية التى كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجرى، ثم درست مساكنها، ومحلها الآن كوم تروجة بحوض تروجة زاوية صقر مركز أبى المطامير بمديرية البحيرة.

إسكندرية وعلى من عنده من الأمراء المسجونين، وكتب السلطان أيضا إلى أكابر العربان بالبحيرة بالإنكار عليهم، و بإمساك يلبغا المجنون ورُفقتِه، وكتب السلطان أيضا للأمير بيبرس أن يتجرد هو وآقباى الحاجب وإينال باى بن قَجْماس و يَشْبَك أمير آخور، و إينال حطب رأس نوبة، وأربعمائة مملوك من المماليك السلطانية لقتال يلبغا المجنون ، وكتب السلطان مثالا (١) إلى عربان البحيرة بحطّ الخراج عنهم مدّة ثلاث سنين .

وأما يلبغا المجنون فإنه عدّى من البحيرة إلى الغربيّة خوفا من عرب البحيرة ، ودخل المحلّة (٢) ، ونهب دار الكاشف، ودار إبراهيم بن بدوى كبيرها، وقبض عليه وأخذ منه ثلاثمائة ألف فلوس، ثم عدّى بعد أيّام سمنّود إلى برّ أُشموم طنّاح، وسار إلى الشرقيّة، ونزل على مَشْتُول الطواحين (٣)، وسار منها إلى العبّاسة (٤)، فارتجّت القاهرة، و بعث الأمير بيبرس إلى برّ الجيزة حيث الخيول مربوطة به على الربيع، فأحضروها إلى القاهرة خوفا من يلبغا، لئلّا يطرقهم على حين غفلة ، و بينما بيبرس فى ذلك ورد عليه الخبر بمخامرة كاشف الوجه القبلى مع العرب ، فاضطرب بيبرس وخاف على القاهرة ، وكان فيه لين جانب وآنعكاف على اللهو والطرب ، فشرع بيبرس فى آستخدام الأجناد، وأراد بيبرس الخروج إلى يلبغا المجنون، فمنع، وخرج إليه الأمير آقباى الحاجب و يلبغا السالمى، و يشبك أمير آخور، ومحمد بن سنقر فى ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية كما سنذكره .

(١) المراد بالمثال هنا الأوراق التى كان يعطيها السلطان إلى الجند مبينا بها مقدار الأطيان التى كانت تمنح إقطاعا لهم و بيان النواحى الكائنة بها تلك الأطيان .

(٢) المحلة ، هى المحلة الكبرى : وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) هى مشتول السوق إحدى قرى مركز بلبيس بمديرية الشرقية .

(٤) العباسة : إحدى قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية .

وأما السلطان الملك النـاصر فإنه لمـا سار بعساكره من الريدانية ، وآسـتقل بالمسير من يومـه حتى نزل على منزلة تل العجول (١) خارج مدينـة غزة فى ثامن عشر رجب ، وأقام به يومه ، فـلم يلبث إلا وجاليش الأمير تنم طرقه ، ومقدّم العسكر المذكور الوالد ، وصحبته من أكابر الأمراء والنوّاب : آقبغا الجمالى نائب حلب ودمرداش المحمدى نائب حماة ، وألطنبغا العثمانى نائب صـفد وجقمق الصفوى نائب ملطيـة ، وجماعة أخرى من أكابر الأمراء وهم : أرغون شاه أمـير مجلس وفارس الحاجب ، وآقبغـا الطولوتمرى اللّكّاش ، ويعقوب شاه ، وجماعة كبيرة من الأمراء والعساكر ، فركبت العساكر المصرية فى الحال ، وقاتلوهم من بُكرة النهار إلى قريب الظهر ، وكل من الفريقين يبذل جهده فى القتال ، والحرب تشتدّ بينهم إلى أن خرج من جاليش عسكر تَنَم دِمرداش المحمدى نائب حمـاة بمماليكه وطُلبه ، ثم تَبِعه أَلْطُنْبُغـا العثمانى نائب صفد بطلبه وعساكره ، ثم صَرَاى تَمُر الناصرى أتابك حلب بمماليكه ، ثم جَقْمَق الصَّفوى نائب مَلَطْية بطلبه وممـاليكه ، ثم فَرَج بن مَنْجك أحدُ أمراء الألوف بطُلبه ومماليكه ، ثم تَبِعهم عِدّة أمراء أُخر ، فعند ذلك آنهزم الوالدُ بمَنْ بَقِى معه إلى نحو الأمير تنم ، وملَكَ السلطان الملك الناصر مدينةَ غَزَّة ، ونزل على مصطبة السلطان .

وأما تَنَم فإنه نزل بعساكره على مدينة الرَّمْلة وآجتمع عليه الوالد بها بمَن بقى معه من العساكر الشامية ، وقَصّ عليـه ما وقع من أمر القتال وهُروب الأمراء من عسكره ، فتأثّر تَنَم قليلا ثم أراد القبض على الأمير بَتْخاص ، فمنعه بعضُ أصحابه من ذلك ، ثم أخذ يتهيّأ لقتال المصريين ، ولم يكترث بما وقع لجاليشه لكثرة عساكره ، وقوّته بمن بقى معه من أكابر الأمراء وغيرهم .

(١) هى جهة بين عكا والعائدة .

وأمّا العسكر السلطانى المصرى فإنهم لمّا دخلوا إلى غزّة بلغهم أنّ تنَم إلى الآن لم يصل إلى الرّملة بعساكره، وإنما الذى قاتلهم هو جاليشُ عسكره، فكثُر عند ذلك تخوُّفهم منه، وداخلهم الرُّعب، وعَمِلوا بسبب ذلك مَشُورةً، فآتفق الرأى أن يتكلّموا معه فى الصلح، وأرسلوا إليه من غزّة قاضى القضاة صدر الدين المُناوِى الشافعى، ومعه المعلّم نصر الدين محمد الرّماح أمير أخور، وطغاى تمر مقدّم البريديّة، فخرجوا الجميعُ من غَزّة فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب، وكُتِبَ لتنم صحبتهم أَمانٌ من السلطان، وأنه باقٍ على كفالته بدِمَشق إن أراد ذلك، وإلّا فيكون أتابك العساكر بمصر، وإليه تدبيرُ مُلْك آبن أستاذه الملك الناصر فرج لا يُشاركه فى ذلك أحد.

ثم كَتَب إليه أعيانُ الأمراء يقولون: أنت أبونا وأخونا وأستاذنا، فإن أردت الشام فهى لك، وإن أردتَ مصر كنّا مماليكك، وفى خدمتك، فصُن دماءَ المسلمين ودَعْ عساكر مصر فى قُوّتها، فإنّ خَلْفنا مثلَ تَيْمورلنك، وأشياء كثيرة من أنواع التضرُّع إليه، فسار إليه قاضى القضاة المذكور برفيقيه حتى وافاه بمدينة الرملة[1] وهو بمخيَّمه على هيئة السلطان، والأتابك أيْتَمُش عن يمينه والوالد عن يساره، وبقيّة الأمراء على منازلهم مَيمنةً وميسرةً، فلمّا عاين تَنَم قاضى القضاة المذكور قام له وآعتنقه، وأجلسه بجانبه فحدّثه قاضى القضاة المذكور فى الصلح، وأدّى له الأمان ووعَظه، وحذّره الشّقاق والخروج عن الطاعة، ثم كلّمه ناصر الدين الرّماح وطغاى تَمُر بمثل ذلك، وترفّقا له عن لسان الأمراء، وأن السلطان هو آبن الملك الظاهر برقوق، ليس له من يقوم بنُصرته غيرُك، فقال تَنَم: أنا مالى مع السلطان كلامٌ، ولكن يُرسَل إلى يَشْبك وسُودون طاز وجَرْكس المُصارع، وعدّد جماعةً أُخر كثيرة،

(١) فى (م) غزة وما أثبتناه عن (ف).

ويعود الأمير الكبير أيتمش وجميع رفقته على ما كانوا عليه أوّلا، فإن فعلوا ذلك وإلّا فما بيني وبينهم إلا السيف، وصمّم على ذلك، فراجعه قاضى القضاة غير مرّة فيما يريده غير ذلك، فأبى إلّا ماقاله، فعند ذلك قام القاضى من عنده، فخرج معه تنم إلى ظاهر مخيّمه يوادعه، فلمّا قدم صدر الدين المناوى على الملك الناصر وأعاد عليه الجواب قال السلطان: أنا ما أسلّم لا لاتى لأحد (يعنى عن يشبك الشعبانى)، وانفضّ الأمراء، وقد أجمعوا على قتاله، وركب تنم بعساكره من مدينة الرملة يريد جهة غزّة، وركب السلطان بعساكره من غزّة يريد الرملة. إلى أن أشرف على الجيتين[1] قريب الظهر، فعاين تنم وقد عبأ عساكره، وهم نحو الخمسة آلاف فارس، ونحو ستة آلاف راجل، وصفّ الأطلاب فعبأ أيضا الأمراء عسكر السلطان ميمنة وميسرة، وقلبا فى قلب، ولكل جماعة رديف[2]، وكان ذلك تعبئة ناصر الدين المعلّم أخذتُ أنا هذه التعبئة عن الأتابك آقبغا التمرازى عنه، انتهى.

ثم تقدّم العسكران وتصادما فلم يكن إلا أسرع وقت، وكانت الكسرة على تنم، وانهزم غالب عسكره من غير قتال، خذلان من الله تعالى، لأنه تقنطر عن فرسه فى أوائل الحرب، فانكسرت عساكره لتقنطره فى الحال ولوقوعه فى الأسر، وقبض عليه وعلى جماعة كبيرة من أعيان أصحابه من أكابر الأمراء والنوّاب، ولقد سألتُ جماعة من أعيان مماليك تنم ممن كان معه فى الوقعة المذكورة عن سبب تقنطره، فإنه لم يطعنه أحدٌ من العسكر السلطانى، فقالوا: كان فى فرسه الذى ركبه شؤمٌ. إما شعر رسل[3] أو تحجيل[4]، منتهى الوهم منّى، قالوا: فكلّمناه فى ذلك ونهيناه عن ركوبه فأبى

(١) الجيتان مثنّى جيت: قرية ببلد غزة. راجع معجم البلدان لياقوت (ج٥ ص ١٨).
(٢) فى (ف) حلة. (٣) الشعر الرسل: الطويل وهو مكروه فى الخيل.
(٤) الشؤم فى تحجيل الخيل هو بياض اليد والرجل من الشق الأيمن، وهو مكروه. عن (المخصص ج ٦ ص ١٦٥

إلا بركوبه، وقال: ما خبأته إلا لهذا اليوم، فحالما علا ظهره وحركه لينظر حال عسكره ووغل فى القوم تقنطر به، وقد كرّت عساكره إلى نحوه، ولم يلحقه أحد من مماليكه، فظفر به، ولما قبض على تنم قبض معه بعد هزيمة عسكره على الأمير آقبغا الجمالى نائب حلب، ويونس بلطا نائب طرابلس، وأحمد بن الشيخ على نائب صفد كان، وجلبان قراسقل نائب حلب كان، وفارس حاجب الحجاب، وبيغوت وبيرم رأس نوبة أيتمش، وشادى خجا. ومن الطبلخانات والعشرات من أمراء مصر والشام ما ينيف على مائة أمير، وفر الأتابك أيتمش والوالد، وأحمد بن يلبغا أمير مجلس كان، وأرغون شاه أمير مجلس، ويعقوب شاه وآقبغا اللكاش، ويخجا المدعو طيغور نائب غزة كان، وجماعة أخر فى نحو ثلاثة آلاف مملوك، وتوجهوا إلى دمشق.

ولما قبض على تنم أنزل فى خيمة وقيد، ثم شكا العطش وطلب ماء ليشربه، فقام الأمير قطلوبغا الحسنى الكركى وهو يوم ذلك أحد أمراء الطبلخانات وشاد الشراب خاناه السلطانية، وتناول الكوز وأخذ شِشْنَة(1) على عادة الملوك، ثم سقاه لتنم، وكان لما أمسك تنم آدعى مملوك من الظاهرية أنه قنطر تنم عن فرسه، وطلب إمرة عشرة، فلما بلغ ذلك تنم قال: اطلبوه إلى عندى، فأحضروه، فنظر إليه طويلا ثم قال له: أنت تستأهل إمرة عشرة وغيرها بدون ذلك، إلا أن الكذب قبيح، هذا قرقلى(2) إلى الآن علىّ، أين المكان الذى طعنتنى فيه برمحك، أنا ما رمانى إلا الله تعالى، ثم فرسى الأشقر.

(1) الششنة: أخذ جرعة من الشراب عنه للاختبار مخافة أن يكون به سم. (عن دوزى).

(2) القرقل: الدرع تصنع من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأصفر والأحمر (عن صبح الأعشى جـ ٤ ص ١١).

وعندما أمسك تنم كُتِبَتْ البشائرُ إلى الديار المصرية والبلاد الشاميّة بذلك ، ودُقّت البشائر ، وسار أيتمُش ورُفْقته إلى نحـو دِمَشق حتى وصلوها ، فأراد الوالد و يعقوب شاه و جماعةٌ أن يتوجّهوا إلى بلاد التُّركمان ، حتى يأتيهم أمانٌ مِن السلطان ، وأشاروا على أيتمش بذلك ، فآمتنع أيتمش من ذلك ، وأبى إلّا دخول دمشق ، فحال دخولهم إليها وهم فى أشدّ ما يكون من التعَب ، وقد كلَّت خيولهم ، ثار عليهم أمراء دِمَشق ، وقبضوا على أيْتَمُش والوالد ، وآقبغا اللَّكّاش وأحمـد بن يَلْبغا النابُلسى ، وحُبِسوا بدار السعادة ، وفَـرَّ من بقِى ، ثم أُمسك بعد يومين أرْغون شاه و يعقوب شاه ، وتتَبَّع أمراءُ دِمَشق بقيَّةَ أصحاب تَنَم من كلّ مكان حتى قبضوا على جماعة كبيرة منهم .

وأمّا يَلْبُغا المجنون فإنه لمّـا خرج إليه العسكر من مصر مع آقْباى الحاجب ، سار آقباى إلى العبّاسـة[1] فلم يقف ليلبُغا المجنون على خَبَر ، فقيـل له إنه سار إلى قَطْيا[2] ، فنزل آقباى بالعساكر على الصالحية[3] فـلم يَرَوْا له أثرا ، فعادوا إلى القـاهرة من غير حرب ، وسار آن سُـنْقُر و بَيْسَق نحـو بلاد السباخ فلم يجـدا أحدا ، فعادا إلى عِيتا[4] فى يوم الجمعـة وأقاما بها ، فلم يشعرا إلّا و يلبغا المجنون قـد طرقهما وقبض عليهما ، وأخذ خَطَّهما بجملة من المـال ، فآرْتجّت القاهرة لذلك ، ثم سار يلبغا بعد

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا لا بأس به .

(٢) ذكر ياقوت فى معجم البلدان أنها على بعد يوم من الفرما . وفى زبدة كشف الممالك أنها مزم الدرب حتى لا يمكن الوصول إلى الديار المصرية إلا منها وفى رحلة النابلسى أنها مكان أخذ المكوس من كل من يمر فى هذا الطريق .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧ س ١٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٤) ذكر على مبارك فى خططه أن غيتا إحدى قرى مديرية الشرقيـة تبع مركز بلبيس (انظر الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ٦٤) .

أيام، حتى نزل البئر البيضاء(١)، فبعث له بيبرس أمانا، فقبض على من حضر من عند بيبرس وطوّقه من الحديد، فاستعدّ الناس تلك الليلة بالقاهرة لقتاله، وباتوا على أُهبة اللقاء، وركب الأمراء بأسرهم من الغد إلى قُبّة النصر(٢) خارج القاهرة، وصفّوا عسكرهم من الغد، وبعد ساعة أقبل يلبغا المجنون بجموعه فواقعهم عند بساتين المطرية(٣) ومعه نحو ثلاثمائة فارس، فيهم واحد من مماليك الوالد يسمى كُزُل بُغَا، وصدمهم بمن معه، وقصد القَلْب، وكان فيه سُودون من زَادة، وإينال حَطَب، ونحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية، فأطبق عليه الأميرُ بيبرس من الميمنة، ومعه يلبغا السالمي الأستادار، وساعدهما إينال باى بن قَجْماس بمن معه من الميسرة، فتقنطر سُودون من زادة، وخرقَ يلبغا المجنون القلب في عشرين فارسا، وسار إلى الجبل الأحمر، وانكسر سائر من كان معه من الأمراء وغيرهم، فَتبعهم العسكر وفي ظنّهم أن يَلْبُغا المجنون فيهم، فأدركوا الأمير تَمربُغا المَنْجكى بالزيات(٤)، وقبضوا عليه، وأخذ طُلْب يلبغا المجنون من عند خليج الزَّعْفران فوجدوا فيه ابن سُنْقُر وبَيْسَق الشيخى أمير آخور اللذين كان قَبَضَ عليهما يلبغا المجنون بالبئر البيضاء، فأطلقوهما، وعاد العسكر إلى تحت قلعة الجبل، وسار يلبغا المجنون في عشرين فارسا مع ذيل الجبل إلى تُجاه دار الضيافة، فلمّا رأى كثرةَ من اجتمع من العامّة خاف منهم أن

(١) يستفاد مما ورد في صبح الأعشى عند الكلام على مراكز البريد وعلى الطريق بين غزة والقاهرة (ج ١٤ ص ٣٧٦) أن هذه البئر كانت واقعة بين بلد الخانكة وبلبيس؛ وبالبحث تبين أن مكانها اليوم عزبة أبي حبيب الواقعة في حوض البيضاء بأراضي ناحية الزوامل بمركز بلبيس.

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٤) الزيات: قرية القلج مركز شبين القناطر مديرية القليوبية. راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٧٧ من الجزء الحادي عشر من هذه الطبعة.

يرجموه ، فقال لهم : أنتم ترجمونى بالحجارة وأنا أرجمكم بالذهب ، فدعَوْا له وتركوه فسار من خَلْف القلعة ومضى إلى جهة الصعيد من غير أن يُعرّف الأمراء، وتوجّه فى نحو المـائة فارس ، وأخذ خَيلَ والى الفيّوم[(١)] ، وانضمّ عليه جماعةٌ من العُربان .

وأمّا السـلطان الملك الناصرفإنه لمّـا كَسَرتَنَم وقبض عليـه وعلى جمـاعة من أصحابه وقيّدهم ، أرسل فى الحال سعد الدين إبراهيم بن غراب إلى الشام لتحصيل الإقامات[(٢)] ، ثم نَدبَ السلطان الأمير جَكَم من عوض رأس نوبة للتوجه إلى دِمَشق لتقييد الأمير أَيْتَمُش ورُفقته وإيداعهم بسجن قلعـة دمشق ، ثم خَلَع السلطان على الأمير سُودون الدوادار المعروف بسَيِّدى سُـودون ، بآستقراره فى نيـابة دِمشق عوضا عن الأمير تَنَم الحَسَنِيّ، فسار جَكَم وفَعَلَ ما أُمِر به ، ثم دخل بعده سودون نائب الشام إليها فى ليـلة الآثنين ثانى شـعبان ومعه الأمير تَنَم نائب الشام وعشرة أمراء فى القيود ، فحُبِس الجميع بقلعة دمَشق ، ثم دخل السلطان الملك الناصر بعساكره وأمرائه إلى دِمَشق من الغد فى يوم الآثنين ثانى شعبان المذكور، فكان لدخوله يومٌ مشهود ، وأوقع آبنُ غُراب الحَوْطة على حـواشى تنم ، وعلى الأمير علاء الدين بن الطبلاوى .

ثم أصبح السلطان من الغـد وخَلَع على سيِّدى سـودون بنيابة الشام ثانيا ، وعلى الأمير دمرداش المحمّـدى نائب حماة بآسـتقراره فى نيـابة حلب عوضا عن آقبغا الجمالى الأُطْرُوش ، وعلى الأمير شيخ المحمودى المؤيَّد بآستقراره فى نيـابة طرابُلس عوضا عن يُونُس بَلْطـا[(٣)] ، وعلى الأمير دُقْمـاق المحمدى بآسـتقراره

(١) الفيوم : كلمة مصرية قديمة معناها البحيرة ؛ وكان هذا الآسم يطلق على أراضى الوادى المنخفض الذى يعرف اليوم بمديرية الفيوم .

(٢) الإقامات : جمع إقامة ، وهى ما يلزم العساكر من المؤونة والعلف (عن دوزى) .

(٣) فى «م» : «سودون» .

فى نيابة حماة عوضا عن دِمِرْداش المحمدى، وعلى الأمير ألطنبغا العثمانى بآستمراره على نيابة صفد ، وعلى الأمير جُنْتَمُر التركمانى نائب حِمْص بنيابة بعلبك، وعلى الأمير بَشْباى من باكى بآستقراره حاجب حُجّاب دمشق عوضا عن بيخجا المدعوّ طَيْفور.

وآستمرّ السلطان بعساكره فى دمشق إلى ليلة الأحد رابع عشر شعبان، فآتفقت الأمراء المصريون على قتل جماعة من المقبوض عليهم ، فذُبح فى الليلة المذكورة الأميرُ الكبيرُ أَيْتَمُش البجاسىّ، وجُلْبان الكَمَشْبُغاوى المعروف بقراسقَل نائب حلب كان، فى دولة أُستاذه الملك الظاهر برقوق، وأَرْغون شاه البَيْدَمرِى الظاهرىّ أمير مجلس كان، وأحمد بن يَلْبُغا العُمَرِى أمير مجلس كان، وآبن أستاذ الملك الظاهر برقوق ، وآقبغا الطُولوتمرى الظاهرى اللّكّاش أحدُ أمراء الألوف بالديار المصرية وأميرُ مجلس، وفارس الأعرج حاجب الحجّاب بالديار المصرية، وكان من الشجعان، وفيه يقول الشيخ المقرئ الأديب شهاب الدين أحمد الأوحدى : [الرجز]

يا دهر كم تُفْنِى الكرامَ عامدًا * هل أنت سبعٌ للورى مُمَارس

أيتمشٌ ربُّ العُلا صرعتَه * ورحتَ للندب الهمامِ فارس

والأميرُ يعقوب شاه الظاهرى الحاجب الثانى ، وأحدُ مُقَدَّمى الألُوف بالديار المصرية ، و بيخجا المدعوّ طَيْفُور نائب غزّة كان ، ثم حاجب حُجّاب دِمَشق، والأميرُ بَيْغُوت اليَحْياوِى الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات، والأمير مُبارك المجنون والأميرُ بهادُر العثمانى الظاهرى نائب البِيرة، و جميعُ من قُتِل من هؤلاء المذكورين من عظماء مماليك الملك الظاهر برقوق، قتلتهم خُجْداشيّتُهم بذنب واحد لأجل الرياسة، ولم يكن فيهم غير ظاهرىّ إلّا الأتابك أَيْتَمُش، وهو أيضا ممن أقامه الملك الظاهر برقوق وأنشأه، بل كان آشتراه أيضا فى سلطنته الأولى حسب ماذكرناه، وكان عند الظاهر بمنزلة عظيمة لسلامة باطنه، ولين جانبه وشيخوخته، فإنه كان

بمعـزل عن إثارة الفِتن ، ويكْفيك أن منطاشا لمّـا ملك الديار المصريّة بعـد خلْع الظاهر برقوق، والقبض على الناصرى، قتـل غالبَ حواشى الملك الظاهر برقوق، وكان أيتمش فى حبسه بقلعة دِمَشق وهو أتابك العساكر وعظيمُ دولة برقوق، فلم يتعرّض إليـه بسوء، لكونه كان مكفوفا عن الشرور والفِتَن، إلا هؤلاء القوم، فإنهم لمّـا ظَفِروا بتَنَم وأصحابه لم يرحموا كبيرا لِكبره ولا صغيرا لِصغره ، ولهذا سلّط الله تعالى بعضَهم على بعض، إلى أن تفانَوْا جميعا .

ثم جهّزوا رأسَ الأتابك أَيْتَمُش المذكور، ورأسَ فارس الحـاجب لا غير إلى الديار المصرية ، فعُلِّقتا بباب قلعة الجبل، ثم بباب زويلة أيّاما ثم سُلِّمتا إلى أهلهما .

ثم خلَع السـلطان الملك الناصر على الأمير نَشْبَك الشعبانى الخازندار بآستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن سـيِّدى سودون المُنْتقِل إلى نيابة الشام، وآستمرّ السلطان بدَمشق إلى ليـلة الخميس رابع شهر رمضـان ، فقُتِل فى الليـلة المذكورة الأميرُ تَنَم الحَسنِى نائب الشـام بمَحْبِسه بقلعـة دِمَشق . وقُتِل معـه الأمير يُونُس بَلْطـا نائب طرابلس أيضا . خَنْقًا بعد أن آستُصْفيت أموالُهما بالعقوبة ، ثم سُلِّما إلى أهلهما ، فدُفِن تَنَم بتربتـه التى أنشأها عند ميدان الحصى خارج دِمَشق ، وكان تَنَم المذكور — رحمه الله — من محاسن الدنيا، وكانت مدة ولايته على دِمَشق سبع سنين وستة أشهر ونصفا . ولقد أخبرنى بعضُ مماليك الوالد — رحمه الله — قال : لمـا حصر تيمورلنك العساكر المصرية بدمشق، كان الوالد يوم ذلك متولّى نيابة دمشق ،وكان مقيما على بعض أبواب دمشق لحفظها، وكان نَوْرُوز الحافظى على باب آخر ، فركب نوروز الحافظى فى بعض الأيام ، وأتى الوالدَ ووقف يُحادثه ،فكان من جملة كلامه للوالد ، يافلان ، انظر عساكر هـذا اللعين ما أكثرها ، والله لو عاش أستاذُنا لمـا قدر عليـه لكثرة عساكره ، فتبسّم الوالد وخاشَـنه فى اللفظ يُمـازحه ، وقال له :

والله لو كان تنم حيًّا للقيه من الفرات وهزمه أقبح هزيمة، وإنما عساكرنا الآن مفلولة، وآراؤهم مختلفة، وليس فيهم مَنْ يرجع إلى كلامه، فلهذا كان ما ترى. انتهى.

ثم دُفِن يُونُس بلطا بصالحية[1] دمشق، وكان أيضا ولى نيابة طرابلس نحو ست سنين، ثم قَتَل جميعَ مَن كان من أصحاب أيتمش وتنم، ولم يبق منهم إلا آقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب، والوالد أُبْقِيَ لشفاعة أخته خَوَنْد شِيرِين أم السلطان الملك الناصر فرج فيه، فإنها كانت ألزمت الأمير نوروز الحافظى والأمير يَشْبك الشعبانىّ بالوالد وحرّضتهما على بقائه، وكان لها يوم ذلك جاهٌ كبير لسلطنة ولدها الملك الناصر، ثم أوصت ولدَها الملك الناصر أيضا به، فزاد ذلك فسحة الأجل فأبقى، وأما آقبغا الأُطْرُوش فإنه بذل فى إبقائه مالا كبيرا للأمراء فأُبْقِي.

ثم خلع السلطان على الأمير بَخَاص السُّودونى بآستقراره فى نيابة الكرك عوضا عن سودون الظريف.

ثم خَرَج السلطان بعساكره وأمرائه من مدينة دمشق فى يوم رابع شهر رمضان صبيحة قَتْل تَنَم ويُونُس يريد الديار المصريّة، وسار حتى نزل غزّة فى ثانى عشر شهر رمضان المذكور، وقُتِل بغزّة علاء الدين على بن الطبلاوى أحد أصحاب تَنَم، ثم خرج من غزّة وسار يريد القاهرة حتى وصلها فى سادس عشرين رمضان من سنة آثنتين وثمانمائة، بعد أن زُيِّنت القاهرة، وفرِشت له الشِّقاق الحرير من تُرْبة الأمير يُونُس الدوادار بالصحراء إلى قلعة الجبل، وكان يوم دخوله إلى مصر من الأيام المشهودة، وطلع إلى القلعة وكَثُرت التهانى بها لمجيئه.

(١) هى بسفح قاسيون الغربى بجوار المدرسة العزيزية، أنشأها الملك المعظم عيسى بن العادل. ودرس بها جلة من العلماء، منهم شمس الدين بن عطاء الله الأذرعى وغيره.

ثم فى ثامن عشرينه أنعم السلطان على الأمير قُطْلُوبغا الكَرَكى الحسنى الظاهرى بإقطاع سيِّدى سودون نائب الشام وأنعم على الأمير آقباى الكركى الخازندار بإقطاع شيخ المحمودى المنتقل إلى نيابة طرابلس، وأنعم على الأمير جركس القاسمى المصارع بإقطاع مبارك شاه، وأنعم على الأمير جَكَم من عوض بإقطاع دقماق المحمدى نائب حماة، والجميع تقادم ألوف، وأنعم السلطان على الأمير الطواشى مُقْبِل الزّمّام بإقطاع الطواشى بهادر الشّهابى[1] مقدّم المماليك بعد موته، وأنعم بإقطاع مقبل على الطواشى صواب السعدى المعروف بشَنْكَل، وقد آستقرّ مقدّم المماليك بعد موت بهادر المذكور، وأنعم بإقطاع صواب المذكور على الطواشى شاهين الأُلجائى نائب مقدّم المماليك .

ثم قَدِم على السلطان مملوك الأمير يلبغا المجنون من بلاد الصعيد بكتاب يلبغا المجنون يسأل فى نيابة الوجه القبلى، فرسَمَ السلطان أن يُخْرِج إليه تجريدةً من الأمراء وهم : الأمير نَوْرُوز الحافظى - وهو مقدم العسكر المذكور، وبَكْتَمُر أمير سلاح، وآقباى الحاجب، وتِمْراز أمير مجلس، ويَلْبُغا الناصرى، وإينال باى بن قجماس، وأَسَنْبُغا الدوادار، وتتمّة ثمانية عشر أميرا، وخرجوا من القاهرة فى ثالث عشر شوّال ومعهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية .

وفى صبيحة يوم خروج العسكر، ورد الخبر على السلطان بأن الأمير محمد بن عمر ابن عبد العزيز الهوّارى حارب يلبغا المجنون، وأنه قبض على أمير على دواداره، وعلى نائب الوجه البحرى، وعلى الأمير إياس الكَمَشْبَغاوى الخاصكى، وعلى جماعة من أصحابه، وأن يلبغا المجنون فرّ بعد أن آنهزم ونزل إلى البحر بفرسه فغرق، وأنه أخرج من النيل ميتا، فوجدوه قد أكل السمك لحم وجهه، فسر السلطان والأمراء بذلك، وخرج البريد فى الوقت بعود الأمراء المجرّدين إلى القاهرة .

(١) فى م (الشهابى) .

ثم فى ثامن عشره خرج أمير حاج المحمل بيسق الشيخى أمير آخور الثانى بالمحمل، وكان تكلم الناس بعدم سفر الحاج فى هذه السنة ولم يكن لذلك أصل .

ثم ابتدأت الفتنة بين الأمير يشبك الشعبانى الدوادار وبين الأمير سودون من على بك المعروف بطاز الأمير آخور الكبير، ووقع بينهما أمور .

فلما كان يوم ثامن عشرين شوال المذكور منع جميع مباشرى الدولة بديار مصر من النزول إلى بيت الأمير يشبك الدوادار ، وذلك أن المباشرين بأجمعهم الكبير منهم والصغير كانوا ينزلون فى خدمة يشبك منذ قدم السلطان من دمشق، فعظم ذلك على سودون طاز، وتفاوض معه فى مجلس السلطان فى كفّه عن ذلك ، حتى أذعن يشبك فمنعوا، ثم نزلوا إليه على عادتهم ، وصاروا جميعا يجلسون عنده من غير أن يقفوا، وكانوا من قبل يقفون على أقدامهم .

ثم فى ثانى ذى القعدة ورد الخبر على السلطان من حلب بواقعة الامير دمرداش المحمدى نائب حلب مع السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد والعراق.

وخبره أن القان غياث الدين أحمد بن أويس المذكور لما ملك بغداد بعد حضوره إلى الديار المصرية حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمة الملك الظاهر برقوق الثانية ، فأخذ السلطان أحمد المذكور يسير مع أمرائه ورعيته سيرة سيئة ، فركبوا عليه وقاتلوه، وكاتبوا صاحب شيراز[1] فى القدوم عليهم لأخذ بغداد، وخرج ابن أويس منهزما إلى الأمير قرا يوسف يستنجده، فركب معه قرا يوسف وسار إلى بغداد ، فخرج إليهما أهل بغداد، وقاتلوهما وكسروهما بعد حروب طويلة، فانهزما إلى شاطئ الفرات ، وبعثا يسألان الأمير دمرداش نائب حلب فى نزولهما ببلاد الشام ،

---

(١) شيراز : قصبة بلاد فارس، وهى مدينة عظيمة (انظر معجم البلدان) .

ففى الحال آستدعى دمرداش دقماق نائب حمـاة بعساكره إلى حلب فقدم عليـه، وخرجا معا فى عسكر كبير وكبسا آبن أويس وقرا يوسف، وهما فى نحو سبعة آلاف فارس، فاقتتلا قتالا شـديدا فى يوم الجمعة رابع عشرين شوال ، قتل فيـه الأمير جانبيك اليحياوى أتابك حلب، وأسر دقماق المحمدى نائب حماة، وآنهزم دمرداش المحمدى نائب حلب، وفرّ فيمن بقى من عسكره إلى حلب، ثم لحقه دقماق بعد أن فدى نفسه بمـائة ألف درهم، وحضر الوقعـة الأمير سـودون من زاده المتوجه بالبشارة إلى البـلاد الشامية بسلامة السلطان، وقـدم مع ذلك كُتُبُ آبن أويس وقرا يوســف على السلطان تتضمن : إنا لم نجئ محاربين، وإنمـا جئنا مستجيرين مستنجدين بسلطان مصر، على عوائد فضل أبيــه الملك الظاهر ـــ رحمه الله ـــ فحاربنا هؤلاء بغتة، فدافعنا عن أنفسنا وإلا كنا هلكنا، فلم يلتفت أهل الدولة إلى كتبهما، وكتبوا إلى نائب الشام بسيره بعساكر الشام وقتال آبن أويس وقرا يوسف والقبض عليهما وإرسالهما إلى مصر .

هــذا وخوند شـيرين والدة الملك الناصر فرج مستمرّة السعى فى الإفراج عن الوالد من سجنه بقلعة دمشــق . إلى أن أجاب الأمراء إلى ذلك وكتب بالإفراج عنه وعن الأمير آقبغا الجمـالى الأطروش نائب حلب فى يوم عرفة من محبسهما بقلعة دمشق، وحملا إلى القدس بطالين بها .

وبينما القوم فى آنتظـار ما يرد عليهم من أمر السلطان أحمـد بن أويس وقرا يوسف، قدم عليهم الخبر من حلب بنزول تيمور لنك على مدينة سـيواس [1] ، وأنه حارب سليمان بن أبى يزيد بن عثمان، فانهزم سليمان المذكور إلى أبيه بمدينة بُرصا [2] ومعه قرا يوسف، وأخذ تيمور سيواس وقتل من أهلها مقتلة عظيمة .

---

(١) سيواس : مدينة كبيرة مشهورة ، وبها قلعة صغيرة بينها وبين قيسارية ستون ميلا (عن تقويم البلدان لأبى الفداء اسماعيل) . (٢) أطلنا البحث عن معرفة موقع هذا المكان فلم نهتد إلى موقعه .

ثم وصلت بعد قليل رسل ابن عثمان إلى الديار المصرية وكتابه يتضمن آجتماع الكلمة وأن يكون مع السلطان عونا على قتال هـذه الطاغية تيمورلنك ، ليستريح الإسلام والمسلمون منه ، وأخذ يتخضع و يلح فى كتابه على آجتماع الكلمة ، فلم يلتفت أحد إلى كلامه ، وقالت أمراء مصر يوم ذاك الآن صار صاحبنا ، وعندما مات أستاذنا الملك الظاهر برقوق مشى على بلادنا ، وأخذ ملطية من عملنا ، فليس هو لنا بصاحب ، يقاتل هو عن بلاده ، ونحن نقاتل عن بلادنا ورعيتنا ، وكتب له عن السلطان بمعنى هذا اللفظ ، وكان ما قاله أبو يزيد بن عثمان من أكبر المصالح ، فانه حدثنى فيما بعـد الأمير أسنباى الظاهرى الزردكاش[1] ، وكان أسره تيمور وحظى عنده وجعله زردكاشـه ، قال : قال لى تيمـورلنك ما معناه : إنه لـقى فى عمـره عساكر كثيرة وحاربها ، لم ينظر فيها مثل عسكرين : عسكر مصر وعسكر آبن عثمان المذكور ، غير أن عسكر مصر كان عسكرا عظيما ليس له من يقوم بتدبيره لصغر سن الملك الناصر فرج ، وعدم معرفة من كان حوله من الأمراء بالحروب ، وعسكر ابن عثمان المذكور ، غير أنه كان أبو يزيد صاحب رأى وتدبير و إقدام ، لكنه لم يكن له من العساكر من يقوم بنصرته .

قلت : ولهذا قلت إن المصلحة كانت تقتضى الصلح مع أبى يزيد بن عثمان المذكور ، فإنه كان يصير للعساكر المصرية من يدبرها ، و يصير لآبن عثمان المذكور عساكر مصر مع عساكره عونا ، فكان تيمور لا يقـوى [على] مـدافعتهم ، فإن كلا من العسكرين كان يقوى دفعه لولا ما ذكرناه ، فما شاء الله كان .

و بعد أن كتب لابن عثمان بذلك لم يتأهب أحد من المصريين لقتال تيمور ، ولا التفت إلى ذلك ، بل كان جل قصد كل أحد منهم ما يوصله إلى سلطنة مصر

(١) الزردكاش : الصانع المقيم بالسلاح خاناه لإصلاح العدد ؛ وهى لفظة أعجمية ، ومعناها صانع الزرد

و إبعاد غيره عنها، و يدع الدنيا تنقلب ظهرا لبطن، فإنه مع و رود هذا الخبر المزعج بلغ السلطان والأمراء أن الأمير قانى باى العلائى الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة يريد إثارة فتنة ، فطلبه السلطان وأمره بلبس التشريف بنيابة غزة ، فامتنع من لبسه، فأمر السلطان به فقبض عليه وسلم للأمير آقباى الحاجب ، فأخذه ونزل إلى داره وأقام عنده إلى آخر النهار، فاجتمع عليه طائفة من المماليك السلطانية يريدون أخذه من آقباى الحاجب غصبا ، فخاف آقباى وطلع به إلى القلعة، فطلب السلطان الأمراء وتشاوروا على قتله[1] ، فاتفقوا على إبقائه فى إمرته ووظيفته .

ثم فى خامس عشرين المحرم من سنة ثلاث وثمانمائة و رد البريد على السلطان من حلب بأخذ تيمور ملطية، ثم وصل من الغد البريد أيضا بوصول أوائل عسكر تيمورلنك إلى مدينة عينتاب ، و فى الكتاب : أدركوا المسلمين و إلا هلكوا ، فاستدعى السلطان بعد يومين الخليفة والقضاة والأمراء وأعيان الدولة ، وعلموا أن تيمورلنك وصلت مقدمته إلى مرعش وعينتاب ، وكان القصد بهذا الجمع أخذ مال التجار إعانة على النفقة فى العساكر ، فقال القضاة : أنتم أصحاب الأمر والنهى وليس لكم فيه معارض، و إن كان القصد الفتوى فى ذلك فلا يجوز أخذ مال أحد يخاف على العساكر من الدعاء ، فقيل لهم نأخذ نصف الأوقاف من البلاد، نقطعها للأجناد البطّالين ، فإن الأجناد[2] قلّت لكثرة الأوقاف ، فقال القضاة : وما قدر ذلك؟ ومتى عمدتم على البطّالين فى الحروب ، خيف أن يؤخذ الإسلام ، وطال الكلام فى ذلك حتى استقر الرأى على إرسال الأمير أسنبغا الدوادار لكشف الأخبار، وتجهيز عساكر الشام إلى جهة تيمورلنك، وسار أسنبغا فى خامس صفر من سنة ثلاث المذكورة على البريد، ووقع التخذيل والتقاعد لاختلاف الكلمة وكثرة الآراء .

(١) فى م « فى أمره » . (٢) فى ف (فإن الأخباز) .

هذا وأهل البلاد الشامية فى أمر لايعلمه إلا الله تعالى، مما داخلهم من الرعب والخوف ، وقصد كل واحد أن يرحل من بـلده ، فمنعه من ذلك حاكم بلده ، ووعده بحضور العساكر المصرية والدفع عنهم .

ثم بعـد أيام قدم البريد بكتاب نائب حلب الأمـير دمرداش المحمـدى ، وصحبته أيضا كتاب أسـنبغا الدوادار بأن تيمـور نزل على قلعة بَهَسْنا [1] ، بعد ماملك مدينتها ، وأنه مستمر على حصارها ، وقد وصلت عساكره إلى عينتاب [2] ، ووصل هذا الخبر إلى مصر رابع عشرين صفر المذكور ، فوقع الشروع عند ذلك فى حركة سـفر السلطان ، ثم علق جاليش السـفر فى يوم ثالث شهر ربيـع الأول، وكان من خبر أسنبغا الدوادار أنه وصـل إلى دمشـق فى سابع صفر ، فقـرأ كتاب السلطان فى الجامع [3] الأموى ، وهو يتضمن تجهيز العساكر الشامية وخروجهم لقتال تيمور، وقدم فى تاسعه رسول تيمور إلى الشـام وعلى يده مطالعات تيمور للمشايخ والقضاة والأمراء، بأنه قدم فى عام أول إلى العراق، يريد أخذ القصاص ممن قتل رسله بالرحبة [4]، ثم عاد إلى الهند ، فبلغه موت الملك الظاهر، فعاد وأوقع بالكُرْج [5]

---

(١) بهسنا (بفتحتين وسـكون السين ونون وألف) قلعة عجيبة بقرب مرعش وسميساط ، وهى من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧٠) .

(٢) هى قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية .

(٣) كان ابتداء عمارة جامع دمشق فى أواخر سنة ٨٦ هـ وتكامل فى عشر سنين ؛ وكان الفراغ منه سنة ٩٦ هـ وفى هذه السنة توفى بانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقـايا من الزخرفة فكملها أخوه سليمان بن عبد الملك ، وجددت فيه أشياء أخر، فمن ذلك القبة الغربية التى فى صحن الجامع ، ويسميها الناس قبة عائشة ، راجع وصف الجـامع فى ص ٢٧٥ من الجزء الخامس من كتاب خطط الشـام حيث تجد هناك شرحا كاملا .

(٤) هى بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات جنوبى قرقيسيا (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٧٦٤) .

(٥) الكرج (بالضم ثم بالسكون وآخره جيم) : جيل من الناس نصارى ، كانوا يسكنون فى جبال القبق وبلد السرير، قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ، ولهم ولاية تنسب إليهم (راجع معجم البلدان لياقوت ص ٢٥١ ج ٤) .

ثم قصد الروم(١) لمـّا بلغه قلّة أدب هذا الصبيّ سليمان بن أبي يزيد بن عثمان أن يعرك أذنه، فتوجه إليه وفعل بسيواس(٢) وغيرها من بلاد الروم ما بلغكم، ثم قصد بلاد مصر ليضرب بها السكة، و يذكر اسمه فى الخطبة، ثم يرجع، وطلب فى الكتاب أن يرسل إليه أطلمش المقبوض عليـه من أمرائه قبل تاريخه، فى دولة الملك الظاهر برقوق، و إن لم ترسلوه يصير دماء المسلمين فى ذمتكم، فـلم يلتفت سودون نائب الشام إلى كلامه، وأمر بالرسول فوسّط .

وتوجه أسـنبغا إلى حلب فوجد الأخبار صحيحة؛ فكتب بمـا رآه وعلمه إلى الديار المصرية صُحبـة كتّاب نائب حلب، فوصلت الكـتب المـذكورة إلى مصر فى ثالث شهر ربيع الأول؛ وكان ما تَضمنته الكتب أن تيمور نزل على بُزاعة(٣) ظاهر حلَب، وقد اجتمع بحلب سائر نوّاب البلاد الشامية، وآستحثّ فى خروج السلطان بالعساكر من مصر إلى البلاد الشامية، وأن تيمور لمـا نزل على بزاعة خرج الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس هو الملك المؤيد و برز إلى جَاليش تيمورلنـك فى سبعمائة فارس، والتتار فى نحو ثلاثة آلاف فارس، وترامى الجمعان بالنشاب ثم آقتتلوا ساعة، وأخذ شيخ من التتار أربعة، وعاد كل من الفريقين إلى موضعه، فوسّط الأربعـة على أبواب مدينة حلب بحضرة من آجتمع بحلب من النواب. وكان الذى آجتمع بها الأمير سودون نائب الشام بعساكر دمشق وأجنادها وعشيرها،

---

(١) تقع بلاد شرقى الخليج القسطنطينى وشمالى الشام وغربى بحر الروم ومن الجنوب بلاد الشام والجزيرة . راجع تقويم البلدان لأبى الفداء اسماعيل ص ٣٧٨ .

(٢) راجع الحاشية رقم ١٠ ص ١٦٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) بزاعة (بضم الباء الموحدة وفتح الزاى وبعد الألف عين مهملة مفتوحة وهاء) : قرية من أعمال حلب . راجع الكلام عليها فى النجوم الزاهرة (ج ٥ ص ٣٢٢ طبعة دار الكتب المصرية) وتقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل (ص ٢٦٦ و ٢٦٧) .

ونائب طرابلس شيخ المحمودى المذكور بعساكر طرابلس وأجنادها ورجّالتها ، ونائب حماة دقماق المحمدى بعساكر حماة وعربانها ، ونائب صفد ألطنبغا العثمانى بعساكر صفد وعشيرها ، ونائب غزة عمر بن الطحان بعساكرها ، فآجتمع منهم بحلب عساكر عظيمة ، غير أن الكلمة متفرّقة ، والعزائم محلولة لعدم وجود السلطان . انتهى .

وكان تيمور لما نزل على عينتاب أرسل رسوله إلى الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب يعده باستمراره على نيابة حلب ، ويأمره بمسك سودون نائب الشام ، فإنه كان قتل رسوله الذى وجهه إلى دمشق قبل تاريخه ، فأخذ دمرداش الرسول وأحضره إلى النواب ، فأنكر الرسول مسك سودون نائب الشام ، وقال لدمرداش : إن الأمير (يعنى تيمور) لم يأت البلاد إلا بمكاتباتك إليه ، وأنت تستدعيه أن ينزل على حلب ، وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها ، فحَنِق منه دمرداش لما سمع منه هذا الكلام ، وقام إليه وضربه ، ثم أمر به ، فضُربت رقبتُه ، ويقال : إن كلام هذا الرسول كان من تميق تيمورلنك ودهائه ومكره ليفرّق بذلك بين العساكر ، فعلم الأمراء ذلك ، ولم يقع ما قصده ، ومن الحلبين جماعة يقولون إلى الآن : إنه كاتب تيمور وتقاعدَ عن القتال . والله أعلم بصحّة ذلك .

ثم آجتمع الأمراء والنواب على قتال تيمور ، وتهيأ كل منهم للقائه بعد أن يئسوا من مجىء السلطان وعساكره ، لعلمهم بعدم رأى مدبّرى مملكة مصر من الأمراء ، ولصغر سن السلطان ، وقدفات الأمر وهم فى قلة إلى الغاية بالنسبة إلى عساكر تيمور وجنوده وجموعه ، وكان الأليق خروج السلطان من مصر بعساكره ووصوله إلى حلب قبل رحيل تيمور من سيواس ، كما فعل الملك الظاهر برقوق — رحمه الله — فيما تقدّم ذكره .

وبينما النواب فى إصلاح شأنهم للقتال، نزل تيمور بعساكره على قرية جيلان(١)، خارج حلب فى يوم الخميس تاسع شهر ربيع الأول وأحاط بمدينة حلب، وأصبح من الغد فى يوم الجمعة، زَحَف على مدينة حلب وأحاط بسُورها، فكانت بين أهل حلب وبينه فى هـذين اليومين حروبٌ كثيرة، ومُناوشات بالنشّاب والنّفوط والمَكاحل، وركب أهل حلب أسوارَ المدينـة وقاتلوه أشـدّ قتال، فلما أشرقت الشمس يوم السبت حادى عشره خرج نوّاب الشـام بجميع عساكرها، وعامة أهـل حلب إلى ظاهر مدينة حلب، وعَبَأُوا الأطـلاب والعساكر لقتال تيمور، ووقف سـيّدى سودون نائب دمشق بمماليكه، وعساكر دمشق فى الميمنة، ووقف دمرداش نائب حلب بمماليكه، وعساكر حلب فى الميسرة، ووقف بقية النواب فى القلب، وقدّموا أمامهم أهل حلب المشاة، فكانت هذه التعبئة من أيشم(٢) التعابى، هـذا مع آدعاء دمرداش بالمعرفة لتعبئة العساكر، وحال وقوف الجميع فى منازلهم زحف تيمور بجيوش قد سدّت الفضاء، وصدم عساكر حلب صدمةً هائلة فالتقاه النوّاب وثبتوا لصدمته أوّلا، ثم آنكسرت الميسرة، وثَبَتَ سُودون نائب الشام فى الميمنة، وأَرْدَفه شيخ نائب طرابلس وقاتلاه قتالا عظيما، وبرز الأمير عزّ الدين أزدمر أخو الأتابَك إينال اليوسفى وولده يشبك بن أزدمر فى عِدّة من الفرسان وقد بذلوا نفوسَهم فى سبيل الله، وقاتلوا قتالا شديدا وأبلَوْا بلاءً عظيما وظهر عن

(١) جيلان ويقال لهـا (الجيل وكيلان) قال صاحب صـبح الأعشى فى الكلام على إقليم الجيـل (ج ٤ ص ٣٨٠) نقلا عن مسالك الأبصار: إن بلاد كيلان فى وطاة من الأرض يحيط بهـا أربعـة حدود، من الشرق إقليم مازندران، ومن الغرب موقان، ومن الجنوب عراق العجم، ومن الشمال بحر طبرستان. وهى شديدة الأمطار كثيرة الأنهار، ومدنها غير مسوّرة، وجميع مبانيها بالآجر، وبها حمامات يجرى إليها المـاء من الأنهار؛ وبها المساجد والمدارس وتسمى الخوانق اه ملخصا.

(٢) ورد فى لسان العرب (مادة شأم): «الشؤم: ضدّ اليمن، والعامة تقول: ما أيشمه».

أزدمر وولده يشبك من الشجاعة والإقدام ما لعلّه يُذْكر إلى يوم القيامة، ولم يزل أَزْدمر يقتحم القوم ويكُرّ فيهم إلى أن قُتِل وفقد خبره فإنه لم يُقتل إلّا وهو في قلب العدُو، وسقط ولده يشبك بين القتلَى وقد أُثخنتْ جراحاتُه، وصار في رأسه فقط زيادة على ثلاثين ضربةً بالسيف وغيره، سوى ما في بدنه.

ثم أُخِذَ وحُمِل إلى بين يدى تيمور، فلمّا رأى تيمور مابه من الجراح تعجّب من إقدامه وثباته غاية العَجَب، وأمر بمداواته، فيما قيل؛ ولم تمض غيرُ ساعة حتى ولّت العساكر الشامية منهزمةً يريدون مدينة حلب، وركب أصحابُ تيمور أقفيتَهم، فهلك تحت حوافر الخيل من البشر ومن أهل حلب وغيرها من المشاة ما لا يدخل تحت حصر، فإن أهل حلب خرجوا منها لقتال تيمور، حتى النساء والصبيان، وآزدحم الناس مع ذلك في دخولهم إلى أبواب المدينة، وداس بعضُهم بعضا، حتى صارت الرِّمَمُ طولَ قامة، والناس تمشى من فوقها، وقصد نوّاب المماليك الشامية قلعةَ[1] حلب وطلعوا إليها، فدخلها معهم خلائق من الحلبيين وكانوا قبل ذلك قد نَقَلوا إليها سائر أموال الناس بحلب.

هذا وقد آقتحم عساكر تيمور مدينة حلب في الحال، وأشعلوا فيها النّيران وأخذوا في الأسر والنهب والقتل، فهرب سائر نساء البلد والأطفال إلى جامع[2] حلب وبقية المساجد، فمال أصحاب تيمور عليهن، وربطوهن بالحبال أسرى، ثم وضعوا السيف في الأطفال، فقتلوهم بأسرهم، وشرعوا في تلك الأفعال القبيحة على عادتهم، وصار الأبكار تُفتضّ من غير تستّر، والمخدّرات يُفسَق فيهنّ من غير آحتشام، بل

(١) قلعة حلب، هي مقام إبراهيم الخليل، وفي هذا المقام صندوق به قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليه السلام ظهر سنة ٣٥ هجرية راجع معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٣٠٨).

(٢) أطلنا البحث في المصادر التي تحت يدنا عن وصف جامع حلب فلم نجد ما يوصلنا إلى موضعه.

يأخذ التترى الواحدة ويعـلوها فى المسجد والجامع بحضرة الجمّ الغفـير من أصحابه ومن أهل حلب ، فيراها أبوها وأخوها وزوجها وولدها ولا يقدر أن يدفع عنهـا لقلّة مقدرته ، ولشغله بنفسه بما هو فيه من العقوبة والعذاب ، ثم ينزل عنها الواحد فيقوم لها آخر وهى مكشوفة العورة .

ثم بذلوا السيف فى عامة حلب وأجنادها حتى آمتلأت الجـوامع والطرقات بالقتلى ، وجافت حلب ، واستمر هـذا من ضحوة نهار السبت إلى أثناء يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأوّل ، هذا والقلعة فى أشـدّ ما يكون من الحصار والقتال ، وقد نقبها عسكر تيمور من عدّة أماكن ، وردم خندقها ولم يبق إلا أن تؤخذ .

فتشاور النوّاب والأعيان الذين بالقلعة ، فأجمعوا على طلب الأمان ، فأرسلوا لتيمور بذلك ، فطلب تيمور نزول بعض النوّاب إليه ، فنزل إليـه دمرداش نائب حلب ، فخلع عليه ، ودفع إليه أمانا وخِلَعا إلى النوّاب ، وأرسل معه عِدّة وافرة من أصحابه إلى قلعة حلب ، فطلعوا إليها وأخرجوا النوّاب منها بمن معهم من الأمراء والأعيان ، وجعلوا كلّ آثنين فى قيد ، وأحضروا الجميع إلى تيمور وأُوقفوا بين يديه ، فنظر إليهم طويلا وهم وقوف بين يديه ورئيسهم سودون نائب الشام .

ثم أخذ يقرّعهم ويوبّخهم ويلوم سودون نائب الشام فى قتله لرسوله ، ويكثر له من الوعيد . ثم دفع كلّ واحد منهم إلى من يحتفظ به .

ثم سيقت إليه نساء حلب سبايا ، وأحضرت إليه الأموال والجواهر والآلات الفاخرة ، ففرّقها على أمرائه وأخصّائه ، وآستمرّ النهب والسبى والقتل بحلب فى كل يوم

مع قطع الأشجار وهَدْم البيوت و إحراق المساجد ، وجافت حلب وظواهرُها من القَتْلَى ، بحيث صارت الأرض منهم فراشا ، لا يجد الشخص مكانا يمشى عليه إلّا وتحت رجليه رِمّةُ قَتيل . وعمل تيمور من رءوس المسلمين منائر (١) عدّةً مرتفعةً من الأرض نحو عشرة أذرع فى دور عشرين ذراعا ، حُسِب ما فيها من رءوس بنى آدم فكان زيادةً على عشرين ألف رأس ، ولمّا بُنيتْ جعلت الوجوه بارزةً يراها من يمرّ بها .

ثم رحل تيمور (٢) من حلب (٣) بعد أن أقام بها شهرا ، وتركها خاويةً على عروشها ، خاليةً من سكّانها وأنيسها ، قد خرِبت وتعطّلت من الأذان والصلوات ، وأصبحتْ خرابًا يبابًا مظلِمة بالحريق موحِشةً قَفْرا ، لا يأويها إلّا البُوم والرَّخَم . وسار تيمور قاصدا جهة دمشق ، فمرّ بمدينة حماة ، وكان أخذها آبنه ميران (٤) شاه .

وكان من خبرها أن ميران شاه بن تيمور نزل عليها بكرةَ يومِ الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور ، وأحاط بها بعساكره ، بعد أن نهب خارجَ مدينةِ حماة ، وسبى النساء والأطفال ، وأسرَ الرجال ، وآستمرّت أيدى أصحابه يفعلون فى النساء

(١) فى م : « منابر » .

(٢) فى السلوك : « تمر ، وقيل تيمور » ؛ وكلاهما صحيح . و بإضافة « لنك » إلى الآسم يكون معناه تيمور الأعرج . وهو ما سيرد شرحه فى ترجمته ؛ وضبط الآسم ابن عرب شاه فى كتابه (عجائب المقدور) ص ٥ : « تيمور : بتاء مكسورة و ياء ساكنة مثناة من تحت وواو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة » .

(٣) حلب : مدينة كبيرة ببلاد الشام شمالا ؛ فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد ، وكانت تسمى قديما هلبون أو هلبة ، وعند الفراعنة خالو بو . وعند الآشوريين خالبان . وفيها مشهد لإبراهيم الخليل . قيل إنه مكان تعبده . (معجم البلدان ج ٣ ص ٣١١) و (قاموس الجغرافية القديمة) واشتهرت بآثارها الأيوبية وقلعتها المشهورة المحتفظة بأهم تفاصيلها ونقوشها وكتاباتها ، كما آشتهرت بأسواقها الجميلة .

(٤) كذا فى (الضوء اللامع) و (البدر الطالع) . والذى فى (الشذرات) و (عجائب المقدور) : « أميران شاه » .

والأبكار تلك الأفعالَ القبيحة ، وخرّبوا جميعَ ما خَرَج[١] عن سور المدينة . هذا وقد آستعدّ أهلُ حماة للقتال ، وركب الناسُ سورَ المدينة ، وآمتنعوا من تسليم المدينة ، وباتوا على ذلك ، فلما أصبحوا خادَعهم آبن تيمور ، ففتحوا له بابا من أبواب المدينة ، ودخل آبن تيمور المذكور مدينةَ حماة ونادى بالأمان ؛ فقَدِم الناس عليه ، وقدّموا له أنواع المَطاعِم ، فقبِلها منهم ، وعزم أن يقيم رجلا من أصحابه عليها ، فقيل له : إن الأعيان قد خرجوا منها ، فخرج إلى مخيّمه وبات به .

ثم رحل يوم الخميس عنها ووعد الناس بخير ؛ ومع ذلك فإن قلعة[٢] حماة لم يتسلّمها ، بل كانت آمتنعتْ عليه .

فلما كان ليلة الجمعة نزل أهلُ القلعة وقتلوا من أصحاب آبن تيمور رجلين كان أقرّهما بالمدينة ، فلما بلغ ذلك آبن تيمور رجع إليها وآقتحم البلد ، وأشعل النارَ بها ، وأخذ أصحابه يقتُلون ويأسِرون وينهَبون حتى صارت كمدينة حلب ، غير أنّه كان رَفَق بأهل حلب ، فإنه كان سأل قضاة حلب لمّا صاروا فى أسره عن قتاله ، ومن الشهيدُ [من العسكرين][٣] ؟ فأجاب محبّ الدين محمد بن محمد بن الشِّحْنة الحنفى[٤] بأن قال : سئل رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — عن هذا ، فقال : "مَن قاتَلَ لتكونَ كلمةُ الله هى العُليا فهو الشهيد" ، فأعجبه ذلك وحادثهم ، فطلبوا منه أن يعفو عن

(١) كذا فى ف والسلوك . وفى باقى الأصول : « ما خارج » وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) قلعة حماة : هدمها تيمورلنك بعد أن تسلمها ، ومن ذلك الحين بقيت خرابا ليس فيها إلا بعض بيوت وجدران قائمة ، وآثار سجن الحكومة بقيت إلى القرن الحادى عشر الهجرى (تاريخ حماة ص ٥٢) .

(٣) هاتان الكلمتان ساقطتان من « م » .

(٤) انظر كتابه (روضة المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر) المطبوع بهامش الجزء التاسع من تاريخ (الكامل لابن الأثير ص ٢١٤) طبع بولاق . وانظر أيضا (عجائب المقدور ص ٩٦) .

أهل حلب، ولا يقتل أحدا؛ فأمنهم جميعا وحلف لهم، فحصل بذلك بعض رفق بالنسبة إلى غيرهم .

وأما أهل دمشق، فإنه لما قدم عليهم الخبر بأخذ حلب، نودى فى الناس بالرحيل من ظاهرها إلى داخل المدينة، والآستعداد لقتال العدو المخذول فأخذوا فى ذلك، فقدم عليهم المنهزمون من حماة، فعظم خوف أهلها وهموا بالجلاء، فمنعوا من ذلك، ونودى « من سافر نهب »، فعاد إليها من كان خرج منها، وحصنت دمشق، ونصبت المجانيق[(١)] على قلعة دمشق، ونصبت المكاحل[(٢)] على أسوار المدينة، وآستعدوا للقتال آستعدادا جيدا إلى الغاية .

ثم وصلت رسل تيمور إلى نائب الغيبة[(٣)] بدمشق ليتسلموا منه دمشق، فهم نائب الغيبة بالفرار، فرده العامة ردا قبيحا، وصاح الناس وأجمعوا على الرحيل عنها، وآستغاث النساء والصبيان، وخرجت النساء حاسرات لا يعرفن أين يذهبن، حتى نادى نائب الغيبة بالآستعداد .

وقدم الخبر فى أثناء ذلك بمجىء السلطان إلى البلاد الشامية، ففتر عزم الناس عن الخروج من دمشق ما لم يحضر السلطان .

---

(١) المنجنيق : آلة من خشب لها دفتان قائمتان، بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التى يوضع فيها الحجر، يجذب حتى ترتفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة، فيخرج الحجر أو النفط منه، فما أصاب شيئا إلا أهلكه . وفارسيتها «من جه نيك» . وقال فرنكل : إن الكلمة معربة عن اليونانى (الألفاظ الفارسية ص ١٤٦) .

(٢) مكاحل البارود : هى المدافع التى يرمى عنها النفط، وهى أنواع : فمنها ما يرمى بأسهم عظام تكاد تخترق الحجر، و بعضها يرمى ببندق من حديد زنته ما بين عشرة أرطال إلى ما يزيد عن مائة رطل .

(٣) نائب الغيبة : هو نائب السلطان أو نائب نائبه؛ وله حرية التصرف فى الحكم (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٧) .

وأمّا أمراء الديار المصريّة فإنه لمّـا كان ثامن عشر شهر ربيع الأوّل وهو بعـد أَخْذ تيمور لمدينة حلب بسبعة أيّام ، فُرِّقَت الجماكى[١] على المماليك السلطانيّة بسبب السفر .

ثم فى عشرينه نودى على أجنـاد الحَلْقة[٢] بالقاهرة أن يكونوا فى يوم الأربعاء ثانى عشرينه فى بيت الأمير يَشْبك الشّعبانى الدّوادار للعَرْض[٣] عليه .

ثم فى خامس عشرينه ورد عليهم الخـبرُ بأخذ تيمور مدينةَ حلب ، وأنه يحاصر قلعتَها ، فـكذّبوا ذلك ، وأُمسك المُخْـبِر وحُبس حتى يُعَاقَب بعد ذلك على آفترائه ، ووقع الشروعُ فى النفقة ، فأخذ كلّ مملوك ثلاثةَ آلاف وأربعمائة درهم .

ثم خرج الأمير سُـودون من زادة والأمير إينـال حطب على الهُجن فى ليـلة الأربعاء تاسع عشرينه لكشف هذا الخبر .

ثم ركب الشـيخُ سراج الدين عمـر البُلْقينى وقُضـاة القضاة والأمير آقباى الحاجب[٤] ، ونُودى بين أيديهم[٥] : «الجهاد فى سبيل الله تعالى لعدوّكم الأكبر تيمورلنك ، فإنه أخذ البلاد ووصل إلى حلب وقتّل الأطفال على صدور الأمّهات ، وأخرب الدُّور والجوامعَ والمساجدَ ، وجعلها إسطَبْلات للدوابّ ، وأنّه قاصدكم ، يُخَرِّب

(١) الجماكى : يراد بها مرتبات الجند . وفى الأصلين : « الجمال » تحريف .

(٢) أجناد الحلقة : هم عدد جم ، وربمـا دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم . ولـكل أربعين منهم مقدّم ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر فيكون له الإشراف عليهم ، فهم أقرب إلى احتياطى الجيش .

(٣) الدوادار : وظيفة تعادل وظيفة السكرتير الخاص للسلطان ، (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩) .

(٤) فى ف والسلوك : « حاجب الحجاب والأمير مبارك شاه » .

(٥) زاد فى السلوك قوله : « بالقاهرة من ورقة تتضمن أمر الناس » .

بلادكم ، ويقتّل رجالكم ؛ فاضطربت القاهرة لذلك ، وآشتدّ جزع الناس ، وكثر بكاؤهم وصُراخُهم ، وآنطلقت الألسنة بالوقيعة فى أعيان الدولة .

وآستهلّ شهر ربيع الآخر(١) ، فلما كان ثالثه قدم الأمير أَسَنبُغا الحاجب(٢) وأخبر بأخذ تيمور مدينة حلب وقلعتها بآتفاق دَمُرْداش ، وحَكَى ما نزل بأهل حلب من البلاء ، وأنه قال لنائب الغيبة بدمشق يخلّى(٣) بين الناس وبين الخروج من دمشق ، فإن الأمر صعب ، [وإن النائب لم يمكّن أحدا من السير](٤) فخرج السلطان الملك الناصر من يومه من القاهرة ونزل بالرَّيْدانيّة بأمرائه وعساكره [والخليفة](٤) والقضاة ، وتعيّن الأمير تمراز الناصرىّ أميرَ مجلس لنيابة الغَيبة بالديار المصريّة ، وأقام بمصر من الأمراء الأمير جَكَم من عوض فى عدّةٍ أُخر ، وأقام الأمير تمراز يَعرِض أجناد الحَلْقة ، وفى تحصيل ألف فرس وألف جمل ، وإرسال ذلك مع من يقع عليه الآختيار من أجناد الحَلْقة للسَّفَر .

ثم رسم بآستقرار الأمير أَرِسْطاى من نُجحا على رأس نوبة النُّوَب كان فى نيابة الإسكندرية(٥) بعد موت نائبها فرج الحلبي .

---

(١) فى ف : « ربيع الأول » . (٢) فى م : « الدوادار » . وقد ولى كلتا الوظيفتين .
(٣) زاد فى السلوك قوله « ان » . (٤) تكملة عن السلوك . (٥) الاسكندرية : أكبر ثغور مصر ، وكان اسمها عند قدماء المصريين راكوتى ، وعند اليونان راكوتس . وكانت العرب تسميها راقودة ، كما فى المقريزى وغيره ، ومحلها القديم كوم الشقافة . وهى من أجمل موانى البحر الأبيض المتوسط ، بناها الإسكندر المقدونى سنة ٣٣١ قبل الميلاد ، وكان لها فنار عال بلغ ارتفاعه ٤٠٠ قدم على جزيرة فاروس الموجود بها (طابية قايتباى الآن) .
وكانت فى عصر البطالسة دار العلوم والفنون بالشرق ، وكان فيها مكتبة شهيرة لا نظير لها فى العالم ، أحرقها عساكر يوليوس قيصر ، فالتهمت النار جزءا عظيما منها ، ثم احترقت ثانيا سنة ٣٩٠ ق ، وقد لعبت =

وكان أرسْطاى منـذ أُفرِج عنه بطّالا بالإسكندريّة ، فوردت عليـه الولاية وهو بهـا ، وأخذ الأمير تِمراز فى عَرْض أجناد الحَلْقة ، وتحصيل الخيول والجمال وطلب العربان من الوجه القبلىّ والبحرىّ لقتال تيمور ، كلّ ذلك والسلطان بالرِّيْدانيّة .

ثم خرج الجاليش فى بكرة يوم الجمعـة ثامن شهر ربيع الآخر ، وفيـه من أكابر الأمراء مقـدَّمى الألوف : الأتابك بِيبرس ، والأمير نَوْرُوز الحـافظى رأس نوبة الأمراء ، والأمير بَكْتَمُر الركنى أمير سـلاح ، وآقباى حاجب الحجّاب ، ويلبغـا الناصرى ، وإينال باى بن قجماس ، وعدّة أخر من أمراء الطبلخانات والعشرات .

ثم رحل السلطان ببقيّة الأمراء والعساكر من الرّيْدانيّة يريد جهة الشام لقتال تيمور لنك ، وسار حتى نزل بغزّة فى يوم عشرين من الشهر ، واستدعى بالوالد وآقبغا

= الإسكندرية فى الفتح الإسـلامى دورا خطيرا مما دعا عمـرو بن العاص إلى فتحها مرتين : الأولى سنة ٢١ هـ ٦٤١ م والثانية سنة ٢٥ هـ ٦٤٥ م وقد عنى مؤرخو العرب بالإشادة بفضلها وفضل المرابطة فيها . والمتتبع للمراجع التاريخية الخاصـة بمصر يلمس فقر الإسكندرية فيهـا ، فلم تنفرد إلا بمؤلفات قليلة لتاريخها وطبوغرافيتها حتى إن هـذا القليل فقد أيضا ، ومنها المؤلف الذى وضعه عنها منصور بن سـليم السكندرى وعنوانه (الدرّة السنية فى تاريخ الإسكندرية) حيث لم نجده فى مقره بمكتبة أيا صوفيا .

وزاد الأمر عموضا أن أكثر معالمها الأثرية الإسـلامية فقدت أو تجددت ، ففقدت مميزاتها الفنية ونصوصها التاريخية .

ومن خيرة من أهتم بها المقريزى فى خططه جزء ١ ص ١٤٤ — ١٧٢ وعلى مبارك باشا فى خططه الجديدة أيضا إذ أفرد لها الجزء السابع . وقد تناولتها بالبحث فى مقال كبير نشر فى مجلة الكتّاب عدد يناير سنة ١٩٤٧ تحت عنوان « الإسكندرية فى العصر الاسلامى » ص ٣٧٩ — ٣٩٣ أوجزت فيه تاريخها والمؤلفات العربية التى ألفت فيها ومظانها ، كما تناولت أثر صلاح الدين والحافظ السلفى فى نهضتها العلمية ، وأنها سبقت مصر فى إنشاء المدارس ، مع ذكر آراء الرحالة فيها ومن لقوا بها من العلماء ، مع إحصاء لبعض ما كان بها من مساجد ومدارس ، و إحصاء موجز لأشهر علمائها وشعرائها وشواعرها وندوات الأدب والعلم بها .

الجمالى الأُطْروش نائب حلب كان من القدس ، وأخلع على الوالد بآستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن سودون قريب الملك الظاهر برقوق بحكم أسره مع تيمور ، وهذه ولاية الوالد على دمشق الأولى .

وخلع على الأمير آقبغا الجمالى الأُطْروش بآستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن شيخ المحمودى بحكم أَسْره مع تيمور أيضا ، وعلى الأمير تَمُرْبُغا المَنْجَكى بآستقراره فى نيابة صَفَد عوضا عن أُلْطُنْبغا العثمانى بحكم أسره ، وعلى طولو[1] من على باشاه باستقراره فى نيابة غزّة عوضا عن عمر بن الطحّان ، وعلى صدقة بن الطويل باستقراره فى نيابة القدس ، و بعث الجميعَ إلى ممالكهم .

وأما الوالد فإنه قال للسلطان وللأمراء : عندى رأىٌ أقوله ، وفيه مصلحة للسلمين وللسلطان ، فقيل له : وما هو ؟ فقال : الرأى أن السلطان لا يتحرك هو ولا عساكره من مدينة غزّة ، وأنا أتوجه إلى دمشق وأحرّض أهلها على القتال ، وأحصّنها — وهى بلدة عظيمة لم تُنْكَب[2] من قديم الزمان ، وبها ما يكفى أهلَها من الميرة سنين ، وقد داخلَ أهلَها أيضا من الخوف ما لا مزيد عليه ، فهم يقاتلون قتالَ الموت — وتيمور لا يقدر على أخذها منّى بسرعة ، وهو فى عسكر كبير إلى الغاية لا يُطيق المكثَ بهم بمكان واحد مدّة طويلة ، فإما أنه يدع دمشقَ ويتوجّه نحو السلطان إلى غزّة ، فيتوغّل فى البلاد و يصير بين عسكرين ، وأظنه لا يفعل ذلك ، وإمّا أنه يعود إلى جهة بلاده كالمنهزم من عدم معرفة عساكره

(١) فى ابن إياس : « طولو بن على شاه » . وترجمه ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى : « طولو ابن عبد الله من علىّ باشا الظاهرى » .

(٢) رواية م : « المؤونة » والمعنى واحد .

بالبـلاد الشامية ، وقلّة ما فى طريقـه من الميرة لخراب البلاد ، ويركب السلطان بعساكره المصرية والشامية أقفية التّمُرية إلى الفرات ، فيظفر منهم بالغرض وزيادة(١)، فاستصوب ذلك جميـع الناس ، حتى تيمور عند ما بلغـه ذلك بعد أخذه دمشق ، وما بقى إلا أن يُرْسَم بذلك ، تكلّم بعضُ جهّال الأمراء مع بعض فى السرّ ممّن عنـده كَمِينٌ من الوالد من واقعة أَيْتَمُش وتَنَم ، وقال : تقتلوا رُفقته وتسلّموه الشام ، والله ماقَصْدُه إلاّ أن يتوجّه إلى دمشق ، ويتّفق مع تيمور ويعودَ يقاتلنا ، حتى يأخذ منّا ثأرَ رفقته ، وكان نوروز الحافظى بإزاء الوالد ، فلمّا سمع ذلك آستحيا أن يبديَه للوالد ، فأشار إليه بالسُّكات والكفّ عن ذلك ، وانفضّ المجلس ، وخرج الوالد من الخدمة وأصلح شأنَه ، وتوجّه إلى دمشق ، فوجد الأمير دمرداش نائب حلب قد هرب من تيمور وقدم إلى دمشق ، وقد جَفَل أهلُ دمشق لمّا بلغهم قربُ تيمور إلى دمشق فأخذ الوالد فى إصـلاح أمر(٢) دمشق ، فوجد أهلَها فى غاية الآستعداد ، وعزمهم قتال تيمـور إلى أن يفنوا جميعا ، فتأسّف عند ذلك على عدم قبـول السلطان لرأيه ولم يسَعْه إلّا السّكات .

ثم رحل جاليش السلطان من غزّة فى رابع عشرين شهر ربيع الآخر ، ثم رحل السلطان ببقيّة عسكره من غزّة فى سادس عشرينه ، وسار الجميع حتى وافَوا دمشق .

وكان دخـول السلطان دمشق فى يوم الخميس سادس جمـادى الأولى ، وكان لدخوله يوم مهول من كثرة صراخ النـاس و بكائهـم والآبتهال إلى الله بنصرته ، وطلع السلطان إلى قلعة دمَشق وأقام بها إلى يوم السبت ثامنه ، فنزل من قلعة دمشق

---

(١) رواية م : « بزيادة » .

(٢) فى م : « أهل » .

وخرج بعساكره إلى مُخَيَّمه عند قبة يَلْبُغَا[1] ظاهر دمشق، وتهيّأ للقاء تيمور هو بعساكره وقد قَصّرت المماليكُ الظاهريّة أرماحَهم حتى يتمكّنوا من طعن التمُرية أولا بأول لازدرائهم عساكر تيمور.

فلما كان وقت الظهر من اليوم المذكور وصل جاليش تيمور من جهة جبل الثَّلج[2] فى نحو الألف فارس، فبرز إليهم مائة فارس من عسكر السلطان وصدموهم صدمةً واحدة، بدّدوا شملَهم وكسروهم أقبحَ كسْرة، وقتلوا منهم جماعةً كبيرة وعادوا.

ثم حضر إلى طاعة السلطان جماعةٌ من التمريّة وأخبروا بنزول تيمور على البقاع[3] العزيزى فلتكونوا على حذر، فإن تيمور كثيرُ الحِيَل والمَكْر، فاحترز القومُ منه غايةَ الاحـــتراز.

---

(١) قبة يلبغا: علق عليها حضرة الأستاذ محمد أحمد دهمان مؤرخ دمشق فى الحاشية رقم ٢ ص ٦٦ من (القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية) بقوله: «كان لدمشق فى العصر المملوكى طريقان عظيمان: أحدهما طريق مصر وهو أعظمها لكونها العاصمة.

وكان عند قرية القدم قبة تدعى قبة يلبغا وربما كان مكانها موضع القبة التركية القائمة أمام زاوية الشيخ أحمد العسالى، فكان السلطان أو النائب إذا كان قادما إلى دمشق صحبته المواكب الرسمية منها حتى يدخل دمشق، وإذا كان خارجا الى مصر صحبته المواكب اليها».

ولما ترجم المؤلف فى كتابه (المنهل الصافى ج ٣ ص ٤٣١) للأمير يلبغا قال: «وعمر قبة النصر عند مسجد القدم». وهذا يفيد أنها عرفت أيضا بقبة النصر لوقوعها عند قرية القدم الموجود بها مسجد القدم الباقى إلى الآن خارج دمشق بعد حى الميدان. (ثمار المقاصد فى ذكر المساجد ص ١٢٩، ٢٤٤).

(٢) جبل الثلج وجبل لبنان وجبل اللكام: هذه الجبال متصلة ببعضها فكونت جبلا ممتدا من الجنوب الى الشمال، فالطرف الجنوبى لهذا الجبل بالقرب من صفد، وهو يمتد الى الشمال ويجاوز دمشق، ويسمى اذا صار فى شماليها جبل سنير. وجانبه المطل على دمشق قاسيون. و يمر غربى بعلبك؛ ويسمى الجبل المقابل لبعلبك جبل لبنان، (تقويم البلدان ص ٢٦٨).

(٣) البقاع العزيزى أو سهل البقاع أو بقاع العزيز: يعـرف فى الكتاب المقدس بوادى لبنان. وفى المؤلفات العربيـة: بمرج الروم. وهو قسم من ســورية خلف جبـل لبنان. (معجم الخريطة التاريخية ص ٣٠)، (صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٠).

ثم قدم على السلطان خمسة أمراء من أمراءِ طرابلس بكتاب أَسَنْدَمُر نائب الغَيبة بطرابلس يتضمّن أن الأمير أحمد بن رمضان أمير التركمان هو وابن صاحب الباز(١) وأولاد شُهرى آتفقوا وساروا إلى حلب وأخذوها من التمريّة، وقتلوا من أصحاب تيمور زيادةً على ثلاثة آلاف فارس، وأن تيمور بعث عسكرا إلى طرابلس، فثار بهم أهلُ القرى وقتلوهم عن آخرهم بالحجارة لدخولهم بين جبلين، وأنه قد حضر من عسكر تيمور خمسةُ نفر، وأخبروا بأن نصف عسكر تيمور على نيّة المسير إلى طاعة السلطان .

وكان ذلك من مكايد تيمور، ثم قال: و إن صاحب قُبْرُص(٢) وصاحبَ الماغوصة(٣) وغيرهم وردتْ كتبهم بآنتظار الإذن لهم فى تجهيز المراكب فى البحر لقتال تيمور معاونةً للسلطان، فلم يلتفت أحدُ لهذا الكتاب، وداموا على ما هم فيه من آختلاف الكلمة .

ثم فى يوم السبت نزل تيمور بعساكره على قَطَنَا(٤)، فملأتْ عساكرُه الأرضَ كثرةً، وركب طائفةٌ منهم لكشف الخبر، فوجدوا السلطانَ والأمراءَ قد تهيّئوا للقتال وصفّت العساكر السلطانيّة، فبرز إليهم التمريّة وصدموهم صدمة هائلة، وثبت كلّ من العسكرين ساعة، فكانت بينهم وقعةٌ آنكسر فيها ميسرةُ السلطان، وآنهزم

---

(١) المقصود بالباز « بازارجق » لا « بازمرو » . وهى من أقضية لواء مرعش بولاية حلب (آثار الأدهار ٦٤٤) .

(٢) قبرص بالصاد (وتكتب بالسين أيضا) : جزيرة مشهورة بالبحر الأبيض المتوسط .

(٣) الماغوص أو الماغوصة : مدينة مشهورة بقبرص، وتسمى أيضا المراص .

(٤) قطنا : قرية من قرى دمشق . (معجم البلدان ج ٧ ص ١٢٥) .

العسكر الفزّاوىّ وغيرُهم إلى ناحية حَوْران[١]، وجُرِح جماعة، وحمل تيمور بنفسه حملةً[٢] شديدة ليأخذ فيها دمشق ، فدفعتْه ميمنةُ السلطان بأسنان الرماح حتى أعادوه إلى موقفه .

ونزل كلّ من العسكرين بمعسكَره، و بعث تيمور إلى السلطان فى طلب الصلح و إرسال أطْلَمش أحد أصحابه إليه، وأنه هو أيضا يبعث مَن عنده من الأمراء المقبوض عليهم فى وقعة حلب، فأشار الوالد ودمرداش وقُطْلُوبغا الكَركى فى قبول ذلك لما يعرفوا من آختلاف كلمتهم، لا لضعف عسكرهم، فلم يقبلوا وأبَوا إلّا القتال.

ثم أرسل تيمور رسولا آخر فى طلب الصّلح، وكرّر القولَ ثانيا، وظهر للأمراء ولجميع العساكر صدقُ مقالته ، وأن ذلك على حقيقته ، فأبى الأمراءُ[٣] ذلك، هذا والقتال مستمرّ بين الفريقين فى كلّ يوم .

فلما كان ثانى عشر جمادى الآخرة آختفى من أمراء مصر والمماليك السلطانيّة جماعة، منهم الأمير سُودون الطيّار، وقانى باى العلائى رأس نوبة، و جُمَق ، ومن الخاصكيّة يَشْبك العثمانى وقمش[٤] الحافظى و بَرْسُبُغا الدوادار وطرباى فى جماعة أُخر، فوقع الآختلاف عند ذلك بين الأمراء، وعادوا إلى ما كانوا عليه من التشاحن فى الوظائف والإقطاعات والتحكّم فى الدولة ، وتركوا أمر تيمور كأنه لم يكن ، وأخذوا فى الكلام فيما بينهم بسبب من آختفى من الأمراء وغيرهم .

(١) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع .

(٢) فى م : « حملة عظيمة شديدة » .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى « م » .

(٤) رواية السلوك ٢٦ جـ ٣ قسم ١ : «وقمح الحافظى» ؛ والصواب ما أثبتنا كما فى الأصلين والضوء اللامع للسخاوى جـ ٦ ص ٢٢٤ .

هــذا وتيمور فى غاية الآجتهاد فى أخذ دمشق وفى عمل الحِيلة فى ذلك .

ثم أُعلِم بما الأمراء فيه، فَقَوِى أمُره وآجتهاده، بعد أن كان عزم على الرحيل، وآستعدّ لذلك .

ثم أشــيع بدمشق أن الأمراء الذين آختفَوا توجّهوا جميعا إلى مصر ليسلطِنوا الشيخ لاچين الجركسى أحد الأجناد البرّانيّة ؛ فعظم ذلك على مدبِّرى المملكة لعدم رأيهم ، وكان ذلك عندهم أهمّ من أمر تيمور، وآتّفقوا فيما بينهم على أخذ السلطان الملك الناصر جَرِيدة[(١)]، وعَودِه إلى الديار المصرية فى الليل، ولم يُعْلِموا بذلك إلّا جماعة يسيرة ، ولم يكن أمر لاچين يستحقّ ذلك ، بل كان تِمْراز نائب الغيبة بمصر يكفى السلطان أمرهم ، ﴿ وَلَٰكِنْ لِيَقْضِىَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

فلما كان آخر ليلة الجمعة حادى عشرين جمادى الأولى[(٢)] ركب الأمراءُ وأخذوا السلطان الملك النـاصر فرج على حين غفلة ، وساروا به من غير أن يعلم العسكر به من على عقبة دُمَّر[(٣)] يريدون الديار المصرية ، وتركوا العساكر والرعيّــة من المسلمين غنَمًا بلا راعٍ ، وجدُّوا فى السير ليلا ونهارا حتى وصلوا إلى مدينة صَفَد ، فآستدعوا نائبها الأمير تَمُرْبُغا المَنْجكى وأخذوه معهم[(٤)]، وتلاحَق بهم كثير من أرباب الدولة وأمرائهـا ، وسار الجميع حـتى أدركوا الأمراء الذين ساروا إلى مصر — عليهـم

(١) الجريدة : فرقة من الخيالة .

(٢) رواية ف والسلوك : « جمادى الآخرة » .

(٣) عقبة دمر : مشرفة على غوطة دمشق ، وهى من جهة الشمال فى طريق بعلبك ، (معجم البلدان ج ٤ ص ٧٢) .

(٤) زاد فى السلوك بعد هذه الكلمة ما نصه : « إلى غزة » .

من الله ما يستحقّوه — بمدينة غزّة ، فكلّموهم فيما فعلوه، فاعتذروا بعذر غير مقبول فى الدنيا والآخرة ، فندم عند ذلك الأمراء على الخروج من دمشق حيث لا ينفع الندم ، وقد تركوا دمشق أُكلة لتيمور ، وكانت يوم ذاك أحسن مُدُن الدنيا وأعمرها .

وأما بقيّة أمراء مصر وأعيانها من القضاة وغيرهم لمّا علموا بخروج السلطان من دمشق خرجوا فى الحال فى إثره طوائف يريدون اللّحاق بالسلطان ، فأخذ غالبهم العشير ، وسلبوهم[1] ، وقتلوا منهم خَلْقا كثيرا .

أخبرنى غير واحد من أعيان المماليك الظاهرية قالوا : لمّا بلغنا خروج السلطان ركبْنا فى الحال ، غير أنه لم يَعُقْنَا عن اللّحاق به إلا كثرة[2] السلاح المُلْقى على الأرض بالطريق مما رمتْها المماليك السلطانيّة ليخفّ ذلك عن خيولهم ، فمن كان فرسُه ناهضا خرج ، وإلّا لحِقه أصحابُ تيمور وأسروه ، فممّن أسروه قاضى القضاة صدر الدين المناوىّ[3] ومات فى الأَسر حسبما يأتى ذكره فى الوَفَيَات[4] وتتابعَ دخول المنقطعين من المماليك السلطانيّة وغيرهم إلى القاهرة فى أسوإ حال من المشى

(١) زاد هنا فى السلوك قوله : « ما معهم » .

(٢) رواية ف « غير كثرة » .

(٣) فى السلوك : « صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى الشافعى » .

(٤) ورد فى السلوك بعد هذه الكلمة ما نصه : «وكان قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكى بداخل مدينة دمشق فلما علم بتوجه السلطان تدلى من سور دمشق وسار إلى تيمورلنك فأكرمه وأجله وأنزله عنده ثم أذن له فى المسير إلى مصر فسار إليها وتتابع » الخ .

والعُرْى والجوع، فرسم السلطان لكلّ من المماليك السلطانية المذكورين بألف درهم وجامكيّة شهرين .

وأمّا الأمراء فإنهم دخلوا إلى مصر وليس مع كلّ أمير سوى مملوك أو مملوكيْن؛ وقد تركوا أموالَهم وخيولهم وأطلابَهم وسائرَ ما معهم بدمشق؛ فإنهـم خرجوا من دمشق بغتةً بغـير مُواعَدة لمـّا بلغهم توجّه السلطان من دمشق، وأخذ كلّ واحد ينجو بنفسه .

وأما العساكر الّذين خلّفوا بدمشق من أهل دمشق وغيرها، فإنه كان آجتمع بها خلائق كثيرة من الحلبيّين والحمويّين والحمصيّين وأهل القرى ممّن خرج جافلا من تيمـور .

ولمـّا أصبحوا يوم الجمعة وقد فقدوا السلطانَ والأمراءَ والنائبَ غلّقوا أبواب دِمَشق، وركبوا أسوارَ البلد، ونادَوْا بالجهاد، فتهيّأ أهلُ دمشق للقتال، وزحف عليهم تيمور بعساكره، فقاتله الدمشقيّون من أعلى السور أشدّ قتال، وردّوهم عن السور والخندق، وأسروا منهم جماعةً ممن كان آقتحم باب دمشق، وأخذوا من خيولهم عدّة كبيرة، وقتلوا منهم نحو الألف، وأدخلوا رءوسهم إلى المدينة، وصار أمرهم فى زيادة فأعيا تيمور أمرُهم، وعلم أن الأمر يطول عليه، فأخذ فى مخادعتهم، وعَمِل الحيلة فى أخذ دمشقَ منهم .

وبينما أهل دمشق فى أشدّ ما يكون من القتال والآجتهاد فى تحصين بلدهم، قدم عليهم رجلان من أصحاب تيمور من تحت السور وصاحَا من بُعد: «الأمير يريد الصلح، فآبعثوا رجلا عاقلا حتى يحدّثه الأمير فى ذلك» .

قلت : هذا الذى كان أشار إليه الوالد عند آستقراره بغزّة فى نيـابة دمشق، وقوله : إن أهل دمشق عندهم قوّة لدفع تيمور عن دمشق ،وأن دمشق بلد كثيرة الميرة والرِّزق، وهى فى الغاية من التحصين،وأنه يتوجّه إليها و يقاتِل بها تيمور، فلم يسمع لَه أحـد فى ذلك ، فلعمرى لو رأى من لا أعجبـه[1] كلام الوالد قتال أهل دمشق الآن وشدّة بأسهم وهم بغير نائب ولا مدبِّر لأمرهم ، فكيف ذاك لو كان عندهم متـولّى أمرهم بمماليكه وأمراء دمشق وعساكرها بمن آنضاف إليهم لكان يحق له الندم والآعتراف بالتقصير . آنتهى .

ولمـا سمع أهلُ دمشق كلامَ أصحاب تيمور فى الصلح وقع آختيارُهم فى إرسال قاضى القضاة تقى الدّين إبراهيم بن [محمد بن][2] مفلح الحنبلى،فأُرخى من سور دمشق إلى الأرض،وتوجّه إلى تيمور وآجتمع به وعاد إلى دمشق،وقد خدعه تيمور بتنميق كلامه، وتلطّف معه فى القول، وترفق له فى الكلام، وقال له : هذه بلدة الأنبياء والصحابة، وقد أعتقتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقةً عنّى وعن أولادى ، ولولا حَنَق من سُودُون نائب دمشق عند قتله لرسولى ما أتيتُها، وقد صار سودون المذكور فى قبضتى وفى أَسْرى ،وقد كان الغرض فى مجيئى إلى هنا،ولم يبق لى الآن غرض إلا العود، ولكن لا بدّ من أخذ عادتى من التَّقدمة من الطُّقُزات .

وكانت هـذه عادته إذا أخذ مدينة صُلحا يُخرِج إليـه [أهلها][3] من كل نوع من أنواع المأكول والمشروب والدوابّ والملابس والتُّحف تسعة ؛ يسمّون ذلك طُقزات، والطُّقُز باللّغة التركيّة : تسعة، وهذه عادة ملوك التتار إلى يومنا هذا .

---

(١) كذا فى الأصلين . ولعله « يعجبه » . (٢) الزيادة عن السلوك .

(٣) الزيادة عن م والسلوك .

فلما صار آبن مفلح بدمشق شرع يخـذّل الناس عن القتـال ويُثنى على تيمور ودينِه وحسن آعتقاده ثناءً عظيما، و يكفّ أهل دمشق عن قتاله، فمال معه طائفة من النـاس، وخالفه طائفة أخرى وأَبَوْا إلّا قتاله، وباتوا ليلةَ السبت على ذلك، وأصبحوا نهارَ السّبت وقد غلب رأىُ ابن مفلح على مَن خالَفه، وعزم على إتمـامِ الصلح، ونادى فى الناس : إنه من خالف ذلك قُتِل وهُـدِر دمُه، فكفّ الناس عن القتال .

وفى الحال قدم رسول تيمور إلى مدينة دمشق فى طلب الطُقُزات المذكورة، فبادر آبن مفلح، وآستدعى من القضاة والفقهاء والأعيان والتجار، حَمْلَ ذلك كلَّ أحد بحسب حاله، فشرعوا فى ذلك حتى كمل، وساروا به إلى باب النَّصر[1] ليخرجوا به إلى تيمور، فمنعهم نائب قلعة دمشق من ذلك، وهدّدهم بحريق المدينة عليهم إن فعلوا ذلك، فلم يلتفتوا إلى قوله، وقالوا له : [أنت][2] آحكم على قلعتك، ونحن نحكم على بلدنا، وتركوا باب النصر وتوجهوا، وأخرجوا الطقُزات المذكورة من السور، وتدلّى آبنُ مفلح من السور أيضا ومعه كثير من أعيان دمشق وغيرهم وساروا إلى مخيّم تيمور، وباتوا به ليلةَ الأحد، وعادوا بكرة الأحد، وقد آستقرّ تيمور بجماعة منهم فى عدّة وظائف : ما بين قضاة القضاة، والوزير، ومستخرِج الأموال، ونحو ذلك، معهم فرمان من تيمور لهم، وهو ورقة فيهـا تسعةُ أسطر يتضمّن أمان أهل دمشق على أنفسهم

(١) باب النصر و باب الفتوح : أسماء تيمّن أطلقت على أبواب الحصون فى مصر وتونس ودمشق . و باب النصر هذا بدمشق ويسمى باب السرايا وصفه الأسـتاذ صلاح الدين المنجد فى مؤلفه القيم عن دمشق القديمة بأنه باب فتحه الملك الناصر من الجهـة الغربية لسور دمشق، وكان مكانه سـوق الأروام اليوم وقد أزاله شروانى باشا أحد ولاة الأتراك سنة ١٨٦٣ م عند فتح سوق الحميدية .

(٢) الزيادة عن (م) .

وأهليهم خاصّة ؛ فقرئ الفرمان المذكور على منبر جامع بنى أمية بدمشق ، وفتح من أبواب دمشق باب الصغير[1] فقط ، وقدم أمير من أمراء تيمور ، جلس فيه ليَحفظ البلَد ممّن يعبُر إليها من عساكر تيمور ، فمَشّى ذلك على الشاميّين وفرحوا به ، وأكثر آبن مفلح ومن كان توجّه معه من أعيان دِمشقَ الثّناء على تيمور وبثّ محاسنه وفضائله ، ودعا العامّة لطاعته ومُوالاته ، وحثّهم بأسْرهم على جمع المال الّذى تقرّر لتيمور عليهم ، وهو ألف ألف دينار ، وفَرض ذلك على الناس كلّهم ، فقاموا به من غير مشقّة لكثرة أموالهم ، فلمّا كمل المال حمله آبن مفلح إلى تيمور ووضعه بين يديه ، فلمّا عاينه غضب غضبا شديدا ، ولم يرض به ، وأمر آبن مفلح ومن معه أن يخرجوا عنه ، فأُخرِجوا من وجهه ، ووكّل بهم جماعة حتى آلتزموا بحمل ألف تومان ، والتومان عبارة عن عشرة آلاف دينار [من الذّهب][2] ، إلّا أنّ سعر الذهب عندهم يختلف ، وعلى كلّ حال فيكون جملة ذلك عشرةُ آلاف ألف دينار ، فآلتزموا بها ، وعادوا إلى البلد ، وفرَضُوها ثانيا على الناس [كلّها][3] عن أجرة أملاكهم ثلاثة أشهر ، وألزموا كلّ إنسان من ذكر وأنثى حرّ وعبدٍ بعشرة دراهم ، وألزم

---

(١) باب الصغير هو باب المدينة الجنوبى ، وسمى بذلك لأنه كان أصغر أبوابها ، وهو باق إلى الآن وهو الذى جدد زمن الأيوبيين ، وما زال محتفظا بنصوصه التاريخية ، (دمشق القديمة . أسوارها أبراجها ، أبوابها) ص ٤٩ .

(٢) الزيادة عن (م) . والتومان يطلق إلى الان على عملة صغيرة فى إيران . وفى سنة ١٨٥٤ م كان يساوى خمسين فرنكا ، (قاموس الأمكنة والبقاع ٧٣) . والتومان يطلق أيضا على الفرقة العسكرية المكوّنة من عشرة آلاف نسمة ، (تاريخ العراق جـ ١ ص ١٣١) .

(٣) الزيادة عن (م)

مبـاشر كلّ وقف بحمل مالٍ له جِرْم [١] ، فنزل بالناس بآستخراج هــذا منهم ثانيـا بلاءُ عظيم ، وعوقب كثير منهم بالضّرب [٢] ، فغلت الأسعار ، وعزّ وجودُ الأقوات ، وبلغ المُدُّ القمح — وهو أربعـة أقداح — إلى أربعين درهما فضّة ، وتعطّلت صلاة الجمعـة [٣] من دمشــق فلم تقم بهـا جُمعةٌ إلّا مرتين حتى دُعِى بهـا على منـابر دمشق للسلطان محمود ولولىِّ عهده آبن الأمير [٤] تيمورلنك ، وكان السلطان محمــود مع تيمور آلة ، كون عادتهم لا يتسلطن عليهم إلّا من يكون من ذرّية الملوك . انتهى .

ثم قدم شاه ملك أحد أمراء تيمور إلى مدينـة دمشق على أنه نائبهـا من قبل تيمور .

ثمّ بعـد جمعتين مُنعوا من إقامة الجمعـة بدمشقَ لكثرة غَلَبة أصحاب تيمور بدمشق ، كلّ ذلك ونائب القلعة ممتنع بقلعة دمشق ، وأعوان تيمور تحاصره أشـدّ حصار ، حتى سلّمها بعـد تسعة وعشرين يوما ، وقد رمى عليهـا بمدافع ومَكاحلَ لا تدخل تحت حَصْر ، يكفيك أن التمـريّة من عظم ما أعياهم أمرُ قلعة دمشــق بنَوْا تجـاه القلعة قلعةً من خشب ، فعنـد فراغهم من بنائها وأرادوا طلوعها

---

(١) زاد فى السلوك قوله : « من سائر الأوقاف » .

(٢) زاد فى السلوك بعد هذه الكلمة قوله : « وشغل كل واحد بمـا هو فيه » .

(٣) زاد فى السلوك ما نصه : « والجماعة » .

(٤) يستفاد مما كتبه آبن عرب شاه فى عجائب المقدور فى صحيفتى ٦٨ ، ٩٠ أن تيمورلنك كتب إلى نوّاب حلب و إلى القاضى برهان الدين أبى العباس أحمـد الحاكم بقيصرية وتوقات وسيـواس أن يخطبوا باسم محمود خان « أوسيورغاتمش خان » و باسم الأمير الكبير تيمور كوركان .

ليقاتلوا من أعلاها مَنْ هو بالقلعة ، رمى أهل قلعة دمشق نِفْطًا فأحرقوها عن آخرها ، فأنشئوا قلعة ثانية أعظمَ من الأولى[1] وطلعوا عليها وقاتلوا أهلَ القلعة .

هذا وليس بالقلعة المذكورة من المُقَاتِلة إلّا نفر يسير[2] دون الأربعين نفرا ، وطال عليهم الأمر ، ويئسوا من النَّجْدة ، وطلبوا الأمان ، وسلّموها بالأمان .

قلت : لا شُلّت يداهم ! هؤلاء هم الرجال الشجعان . رحمهم الله تعالى .

ولما تكامل حصول المال الذى هو ألف تومان ، أخذه آبن مفلح وحمله إلى تيمور ؛ فقال تيمور لابن مفلح وأصحابه : هذا المال بحسابنا إنما هو يسوى ثلاثة آلاف ألف دينار ، وقد بقى عليكم سبعة آلاف ألف دينار ، وظهر لى أنكم عجـزتم .

وكان تيمور لما آتفق أوّلا مع آبن مفلح على ألف ألف دينار يكون ذلك على أهل دمشق خاصة ، والّذى تركتْه العساكر المصرية من السلاح والأموال يكون لتيمور ، فخرج إليه آبن مفلح بأموال اهل مصر جميعها[3] ، فلما صارت كلها إليه وعلم أنه آستولى على أموال المصريين ألزمهم بإخراج أموال الذين فرّوا من دمشق ، فسارعوا أيضا إلى حمل ذلك كله ، وتدافعوا عنده حتى خلص المال جميعه ، فلما

---

(١) رواية عجائب المقدور ص ١١٢ : « ثم إنه صار فى هذه المدة يحاصر القلعة ويعدّ لها ما استطاع من عدّة ، وأمر أن يبنى مقابلها بناء يعلوها ، ليصعدوا عليه فيبدوها ، فجمعوا الأخشاب والأحطاب وعبوها . وصبوا فوق الأحجار التراب ودكوها ، وذلك من جهة الشمال والغرب ، ثم علوا عليها وناوشوها الطعن والضرب ، وفوض أمر الحصار لأمير من أمرائه الكبار يدعى جهان شاه ، فتكفل بذلك وعاناه ، ونصب عليها المجانيق ، ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق . وكان فيها من المقاتلة فئة غير طائلة ، أمثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقى ، وشهاب الدين أحمد الزردكاش الحلبى » .

(٢) فى م : « قليل » . (٣) فى الأصلين : جميعه .

كل ذلك ألزمهم أن يُخرِجوا إليه جميعَ ما فى البلد من السـلاح جليلِها وحقيرها ، فتتبعوا ذلك وأخرجوه له حـتى لم يَبقَ بهـا من السلاح شيء ، فلمّا فرغ ذلك كلّه قَبض على آبن مفلح ورفقتِـه ، وألزمهم أن يكتبوا له جميعَ خُطط دمشق وحاراتها وسِكَكِها ، فكتبوا ذلك ودفعوه إليه ، ففرّقه على أمرائه ، وقسم البلد بينهم ، فساروا إليها بمماليكهم وحواشـيهم ، ونزل كلُّ أمير فى قسمه وطلب من فيـه ، وطالبهم بالأموال ، فحينئذ حلّ بأهل دمشق من البلاء ما لا يوصَف ، وأجرى عليهم أنواع العذاب من الضَّرْب والعَصْر والإحراق بالنار ، والتعليق منكوسا ، وغَمّ[(١)] الأنف بخرقة فيها تراب ناعم كلّما تنفّس دخل فى أنفه حتى تكاد نفسـه تَزهَق ، فكان الرجل إذا أشرف على الهلاك يُخلَّى عنه حتى يستريح ، ثم تعادُ عليه العقوبةُ أنواعا ، فكان المُعاقَب يحسد رفيقَه الّذى هلك تحت العقوبة على الموت ، ويقول : ليتنى أموت وأستريح مما أنا فيه ، ومع هذا كلّه تؤخذ نساؤه و بناته وأولاده الذكور ، وتُقْسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير ، فيشاهد الرجل المعذَّب آمرأته أو بنتَه وهى توطأ ، وولدَه وهو يُلاطُ به ، يصرُخ[(٢)] هو من ألم العذاب ، والبنت والولد يصرخان من إزالة البَكارة واللِّواط ، وكل ذلك من غير تسـتّر فى النهار بحضرة الملأ من الناس . ورأى أهلُ دمشـق أنواعا من العـذاب لم يُسمَع بمثلها ؛ منها أنهـم كانوا يأخذون الرجل فتُشَـدّ رأسُـه بحبـل ويَلْويه[(٣)] حتى يَغوصَ فى رأسـه ، ومنهم من كان يضع الحبـلَ بكتِفَى الرجل ويَلوِيه بعصاه حـتى تنخلع الكَتِفان ، ومنهم من كان يربط إبهـامَ يَدىِ المعـذَّب من وراء ظهره ثم يلقيـه على ظهره ويَذُرّ فى مَنخريه

(١) غمّ الأنف : تغطيته .

(٢) فى (م) : « فيصرخ » .

(٣) فى م : « و يلوونه » .

الرّماد مسحوقا، فيقرّ على ما عنده شيئا بعد شيء[1]، حتى إذا فرغ ما عنده لا يصدّقه صاحبه على ذلك، فلا يزال يكرّر عليه العذاب حتى يموت، و يعاقَب ميّتا مخافة أن يتماوت . ومنهم من كان يعلّق المعذَّب بإبهام يديه فى سقف الدار ويُشعِل النـار تحته ، و يطول تعليقه، فربّمـا يسقط فيها، فيُسحب من النار ويُلقَوه على الأرض حتى يُفيق ، ثم يعلّقه ثانيا .

وآستمرّ هذا البلاءُ والعذابُ بأهل دمشقَ تسعة عشر يوما ، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب من سـنة ثلاث وثمانمائة، فهلك فى هـذه المدّة بدمشق بالعقوبة والجوع خلقٌ لا يَعلم عددهم إلّا آلله تعالى .

فلما علمتْ أمراء تيمور أنه لم يبق بالمدينة شيء خرجوا إلى تيمور، فسألهم : هل بقِى لكم تعلّق فى دِمشقَ؟ فقالوا : لا ؛ فأنعم عند ذلك بمدينة دمشق على أتباع الأمراء فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب ، ومعهم سـيوفٌ مسلولة مشهورة وهم مُشاة ، فنَهبوا ماقَدَروا عليه من آلات الدُّور وغيرها، وسَبَوا نساءَ دمشق بأجمعهنّ، وساقوا الأولادَ والرجال ، وتركوا من الصغار مَن عمـرُه خمسُ سنين فـا دونَها ، وساقوا الجميعَ مربوطين فى الحبال .

ثم طرحوا النـارَ فى المنازل والدُّور والمساجد ، وكان يوم عاصف الريح ، فعمّ الحريق جميعَ البلد حتى صار لهيبُ النار يكاد أن يرتفعَ إلى السحاب، وعملت النار فى البلد ثلاثة أيّام بلياليها آخرها يوم آلجمعة .

وكان تيمور ــ لعنه الله ــ سار من دمشق فى يوم السبت ثالث شهر شعبان[2] بعد ما أقام على دمشق ثمانين يوما، وقد آحترقتْ كلُّها وسقطتْ سُقوفُ جامع بنى أمية

(١) هذه الكلمة ساقطة من م
(٢) فى ف : « رجب » .

من الحريق ، وزالت أبوابه وتفطّر رُخامُه ، ولم يَبق غيرُ جُدُره قائمة . وذهبت مساجد دمشق ودُورُها وقياسرُها(١) وحمّاماتُها وصارت أطلالا باليةً ورسوما خالية ، ولم يبق بها [دابة تدب](٢) إلّا أطفال يتجاوز عددهم [آلاف](٣) فيهم من مات، وفيهم من سيموت من الجوع .

وأمّا السلطان [الملك الناصر فرج](٤) فإنّه أقام بغَزّة ثلاثة أيام، وتوجّه إلى الدّيار المصريّة بعد ما قَدِم بين يديه آقبغا الفقيه أحد الدوادارية ، فقدم إلى القاهرة فى يوم الأثنين ثانى جمادى الآخرة، وأعلم الأمير تِمْراز نائب الغَيبة بوصول السلطان إلى غَزّة ، فأرتجت القاهرة ، وكادت عقولُ الناس تَزهَق ، وظنّ كلّ أحد أن السلطان قد أنكسر من تيمور، وأنّ تيمور فى أَثَره، وأخذ كلُّ أحد يبيع ما عنده ويستعدّ للهروب من مصر، وغَلَا أثمان ذوات الأَرْبَع حتى جاوز المِثْلُ أمثالا .

فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الآخرة المذكور قدم السلطان إلى قلعة الجبل ومعه الخليفة وأمراء الدولة ونوّاب البلاد الشامية ، ونحو ألف مملوك من المماليك السلطانية، وقيل نحو الخمسمائة .

ثم فى يوم السبت سابع جمادى الآخرة المذكور أنعم السلطان على الوالد بإمرة مائة، وتَقدِمة ألف(٥) بالدّيار المصريّة كانت موفّرة فى الديوان السلطانى، بعد آستعفائه

---

(١) القيسارية فى مصر : سوق مسقوفة تجمع مختلف الصناعات والتجارات . وفى الشام أطلقت على الخانات والوكايل الكبيرة . (٢ و ٣) الزيادة عن السلوك .

(٤) تكلة عن « م » . (٥) إمرة مائة وتقدمة ألف : وظيفتان عسكريتان يتدرّج فيهما الجندى من أمير عشرة إلى إمرة طبلخاناه ، إلى أمير مائة وتقدمة ألف ، وهى أعلى مراتب الأمراء ، والحائز لها يلى الوظائف الكبيرة ، وسمى أمير مائة بسبب تخصيص مائة مملوك لخدمته .

من نيابة دمشق ، وعيّن السلطان لنيابة دمشق (١) آقبغا الجمالى الأُطْروش ، ورسم للوالد أن يجلس رأس ميسرة (٢) .

ثم أذن السلطان للأمير يَلْبُغا السالمىّ الأُستادار (٣) أن يتحدّث فى جميع ما يتعلّق بالمملكة ، وأن يجهّز العسكرَ إلى دمشق لقتال تيمور ، فشرع يَلْبُغا السالمى المذكور فى تحصيل الأموال ، وفَرَضَ على سائر أراضى مصرَ فرائضَ من إقطاعات الأمراء ، وبلاد السلطان ، وأخباز الأجناد (٤) ، وبلاد الأوقاف عن عبرة كلّ ألف دينار خمسمائة درهم فضّة وفرس .

ثم جبى من سائر أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما أجرة شهر ، حتى إنه كان يقوّم على الإنسان داره التى يسكنها ، ويؤخذ منه أجرتها ، وأخذ من الرزق ، وهى الأراضى التى يأخذ مُغَلَّها قوم على سبيل البرّ والصدقة عن كل فدّان عشرة دراهم ، وكان يوم ذاك أجرة الفدّان من ثلاثين درهما إلى ما دونها .

قلت : أخذ نصفَ خراجِها بدَوْرَةِ دارَها ، وأخذ من الفدّان القَصَب أو القلقاس أو النِّيلَة من القنطار مائة درهم ، وهى نحو أربعة دنانير ، وجبى من البساتين عن كلّ فدان مائة درهم .

(١) نيابة دمشق : لقب القائم مقام السلطان فى حكمها . ولأهمية دمشق يطلق على نائبها كافل السلطنة . ومن دونه إلى أكابر النوّاب يكتب لهم « نائب السلطنة الشريفة بكذا » .

(٢) رأس الميسرة : كبير الأمراء المتقدّمين فى السنّ من أكابر أمراء المائة ، وهم أمراء المشورة .

(٣) الأستادار : لفظ فارسىّ معناه وكيل الخراج والمؤونة . وفى دولتى المماليك اعتبرت وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، وموضوعها التحدّث فى سائر ما يتعلق بخاصة السلطان وماليته .

(٤) أخباز الأجناد : هى إقطاعاتها .

ثم استدعى أمناءَ[١] الحُكم والتجّار وطلبَ منهم المـالَ على سبيل القَرْض، وصار يكبِس الفنادقَ والحواصـلَ فى الليل، فمن وجده[٢] حاضرا فتح مخزنه وأخذ نصف مايجده فيه من النقد، وهى الذهب والفضّة والفلوس، وإذا لم يجد صاحب المـال أخذ جميع ما يجده من النقود وهى الذهب والفضة والفلوس، وأخذ جميع ما وجد من حواصل الأوقاف[٣]، ومع ذلك فإن الصَّيْرفىّ يأخذ عن كل مائة درهم ثلاثة دراهم، ويأخذ الرسول الذى يحضر المطلوب ستة دراهم، وإن كان نقيبا أخذ عشرة دراهم؛ قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزى رحمـه الله، قال: فاشتدّ ما بالناس، وكثر دعاءُ الناس على السالمىّ.

قلت: وبالجملة فهم أحسن حالا من أهـل دمشق، وإن أخذ منهم نصف مالهم، وأَيْش[٤] يعمَل السالمىّ! مسكين، وقد ندَبه السلطان لإخراج عسكر ثانٍ من الديار المصرية لقتال تيمور. إنتهى.

ثمّ خلع السلطان على الأمـير نَوروز الحافظى وعلى الأمير يَشْـبَك الشعبانى، واستقرّا مُشيرَيِ الدّولة ومدبِّرَىْ أمورها.

ثمّ فى ثالث عشره خلع على القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى [قاضى العسكر باستقراره[٥]] قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية بعـد موت قاضى القضاة جمـال الدين يوسف الملطى، وعلى القـاضى

(١) امناء الحكم: هم أمناء القاضى، وعليهم التحفظ على أموال اليتامى والغائبين.

(٢) فى السلوك: «فمن وجد صاحبه».

(٣) زاد فى السلوك بعد هذه الكلمة قوله: «تستخرج مما تقدم ذكره».

(٤) أيش: بمعنى أىّ شىء، خفف منه (شفاء الغليل ص ١٧ طبع بولاق).

(٥) الزيادة عن (م). وقضاء العسكر: من الوظائف الجليلة القديمة، يحضر صاحبها الى دار العدل مع القضاة، ويسافر مع السلطان إذا سافر (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٦).

جمال الدين عبد الله الأقفهسي[(١)] بآستقراره قاضي قضاة المالكيّة بالديار المصرية عِوضا عن القاضي نور الدين عليّ بن الجَلال بحكم وفاته .

وفيه قـدِم من الشام من المماليك المنقطعين ثلثمائة مملوك بأسوأ حال : من المَشي والعُري والجوع .

ثم في حادي عشرينه حضر إلى القاهرة قاضي القضاة موفّق الدين أحمد بن نصر الله الحنبليّ من دِمَشق بأسوأ حال، وقَدِم أيضا قاضي قضاة دمشق علاء الدين علي بن أبي البقاء الشافعيّ، وحضر كِتاب تيمورلنك للسلطان على يد بعض المماليك السلطانيّة يتضمّن طلب أطْلَمَش[(٢)]، وأنه إذا قدم عليه أرسَل مَن عنده من الأمراء والنوّاب وغيرهم ، وقاضي القضاة صدر الدين المُناوي الشافعي، ويرحل عن دمشق ، فطلب أطْلَمَش من البُرْج بالقلعة ، وأطلق وأنعم عليه بخمسة آلاف درهم، وأنزل عند الأمير سودون طاز الأميرآخور الكبير، وعيّن للسفر معه قطلوبغا[(٣)] العلائي ، والأمير محمد بن سنقر .

ثم خرج إلى تيمور الأمير بَيْسَق الشيخي الأمير آخور رسولا من السلطان بالإفراج عن أطلمش وأشياء أخر ، هـذا ويلبغا السالمي يجدّ في تحصيل الأموال، وأخذ في عَرْض أجناد الحَلْقة، وألْزم من كان منهم [(٤)]قادرا على السفر بالخروج إلى الشام لقتال تيمور، وألزم العاجزَ عن السفر بحضورِ بَديل، أو تحصيل نصف مُغَلّه

(١) نسبة إلى أقفهس : بلد بمصر بالصعيد من كورة البهنسى وتعرف أيضا بالأقفاص (ياقوت) جـ ١ ص ٣٣٨ طبع أوربا .

(٢) رواية عجائب المقدور ص ٩٠ «أطلاميش» ، وهو زوج بنت أخت تيمور .

(٣) في السلوك ص ٢٨ ج ٣ قسم ١ « قطلوبك » . وترجمه السخاوي في (الضوء اللامع) : جـ ٦ ص ٢٢٤ قطلوبك العلائي .

(٤) سقطت هذه الكلمة من « ف »

فى السّـنة ، وألزم أربابَ الغلال المحضَّرة للبيع فى المراكب بسواحل القاهرة أن يؤخذ منهـم عن كلّ إردب درهم [وأن[١] يؤخذ من كلّ مَرْكَب من المراكب التى تسير[٢] فيها الناس مائة درهم] .

ثم فى[٣] يوم الثلاثاء أوّل شهر رجب أمر السالمىُّ أن تُضرَب دنانير[٤] مازنة الدينار مائة مثقال ومثقال ، ومنها ما زنته تسعون مثقالا ومثقال ، ثم ما دون ذلك ، إلى أن وصل منها دينار زنته عشرة مثاقيل ، فضرب من ذلك جملة دنانير .

ثم فى ثالثـه خلع السـلطان على عَلَم الدين يحـيى بن أسـعد المعروف بأبى كُمّ بآستقراره وزيرا بديار مصر عوضا عن فخر الدين ماجد بن غراب .

ثم ورد الخبر أن دمرداش المحمّدى نائب حلب تخلّص من تيمور، وجمع جموعا من التركمان، وأخذ حلب وقلعتها[٥] من التمريّة، وقتل منهم جماعةً كبيرة .

ثم خلع السلطان على شاهين الحلبى نائب مقدّم المماليك بآستقراره فى تقدمة المماليك السلطانية عوضا عن صواب المعروف بجنكل ، واستقرّ الطواشى فيروز من جرجى مقدّم الرَّفْرَف نائب المقدّم .

---

(١) سقطت هذه التكلة من « م » وقد أثبتناها عن ف والسلوك .

(٢) رواية السلوك « يتنزه » .

(٣) رواية السلوك « وأهل شهر رجب بيوم الثلاثاء فبلغت الدنانير السالمية ثلاثة آلاف دينار وأمر السالمى» . (٤) فى السلوك بعد هذه الكلمة قوله : « أيضا منها » .

(٥) قلعة حلب : من أهم عمارات حلب ، بل ومن أهم التحصينات الأثرية ، وهى قائمة على هضبة صخرية ؛ ومعظم أبنيتها الباقية تعود إلى زمن الملك الظاهر غازى الذى جدّد حصـونها و بنى منحدراتها وخندقها . وقد رممت أسوارها مرارا خلال القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر (نزهات أثرية فى سورية ٩٢ـ٩٣) . وقال عنها ابن الشحنة : عجائب الدنيا ثلاث : جب الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب ؛ والثلاثة موجودة بحلب (تاريخ مملكة حلب ص ٤٧) .

ثم حضر فى سابع شهر رجب من عربان البحيرة إلى خارج القاهرة ستّة آلاف فارس، وحضر من عُربان الشرقيّة من عَرَب آبن بقر ألفان وخمسمائة فارس، ومن العِيساويّة و بنى وائل ألف وخمسمائة فارس، فأنفق فيهم يلبغا السالمى الأموال ليتجهّزوا لحرب تيمور .

ثم حضر فى ثامنه قاصدُ الأمير نُعير، وذكر أنه جمع عربانا كثيرة ونزل بهم على تَدْمُر[1]، وأنّ تَمُرْلَنْك رحل من ظاهر دمشق إلى القُطَيِّفة[2] .

هذا وقد التفت أهل الدولة إلى يَلبُغا السالمى والعمل فى زواله حتى تمّ لهم ذلك .

فلما كان رابع عشر شهر رجب المذكور قبض على يلبغا السالمى وعلى شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة أُستادار الوالد الذى كان وَلِى الوَزَر قبل تاريخه، وسُلّما لسعد الدين إبراهيم بن غراب ليحاسبَهما على الأموال المأخوذة من الناس فى الجبايات .

---

(١) تدمر : عروس صحراء الشام وعاصمة مملكة الزباء الحافلة بالأمجاد حقبة من الزمن انطوى فيها أمجد صفحة من صفحات حضارة الشرق . وهى مدينة قديمة معناها بالعبرية « النخيل » . وهى واقعة بطرف بادية الشام، وسط قصور الحير الشرقى والحير الغربى ورصافة هشام؛ وهذه كلها قصور لهشام بن عبد الملك، وقد كانت ترتبط بحمص . وكان لها شأن عظيم مع الرومان، وعلى الأخص فى عصر ملكتها نائلة بنت عمرو بن الظرب المعروفة بالزباء، وقد توفر على دراستها ودراسة طبوغرافيتها وآثارها فى مختلف عصورها الأستاذان صلاح الدين المنجد وجان اسناركى فى مؤلف قيم أخرجته مديرية الآثار العامة بدمشق سنة ١٩٤٧ .

(٢) القطيفة بالتصغير : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى طرف البرّية من ناحية حمص . (معجم البلدان جـ ٧ ص ١٣١) .

قلت : فصار حاله كالمَثَل السائر « أفقرنى فيمن أَحَبّ[١] ولا آستغنى » .

ثم فى ثامن عشره آستقرّ سـعد الدين إبراهيم بن غراب المذكور أُسـتادارا عِوَضا عن السالمى مضافا لمـا بيده من وظيفتَىْ نظر الجيش والخاصّ .

ثم فى خامس[٢] شـعبان برَز الأمراء المعيَّنون للسـفر لقتال تيمور بمن عُيِّن معهم من الممـاليك السلطانيّة وأجنادِ الحَلْقـة إلى ظاهر القـاهرة ، وهم الّذين كانوا بالقاهرة فى غَيبة السلطان بدمشق ، وتقـدّم الجميع الأمير تِمراز الناصرىّ الظاهرىّ أمير مجلس ، والأمير آقباى من حسن شـاه الظاهرى حاجب الحجّـاب ، ومن أمراء الطبلخانات : الأمير جرِباش الشيخى ، والأمير تَمـان تَمُر والأمير صوماى الحَسَنى ، وآمتنع الأمير جكم من السّفر .

وفى اليـوم[٣] قدم الأمير شيخ المحمودىّ نائب طَرابلس فارّا من أَسْر تيمـور إلى الديار المصرية ، وأَخبر برحيل تيمور إلى بلاده ، فرسم السلطانُ بإبطال السفر ، ورجع كل أمير إلى داره من خارج القاهرة .

ثم فى[٤] الغد قدم دُقْمـاق المحمّدى نائب حَماة فارّا أيضا من تيمور .

وفيـه طلب الوالد وخلع عليه بآستقراره فى نيـابة دمشق ثانيا على كره منه ، وكانت شاغرةً من يوم قدوم تيمور دمشق .

---

(١) رواية م : « فيما أحب » .

(٢) بالرغم من كون المؤلف ينقـل كثيرا عن السـلوك فإنه ترك بعض حوادث شهر رجب وأوائل شعبان ، فلم يذكر قدوم ابن خلدون إلى مصر مع من شفع فيهم لدى تيمورلنك وانتقل إلى خامس شعبان .

(٣) رواية السلوك : « وفى سابعه » .

(٤) رواية السلوك : « وفى تاسع عشره »

ثم أخلع على الأمير شيخ المحمودى بآستقراره فى نيابة طرابلس على عادته ، وعلى الأمير دُقْمَاق المحمّدى بآستقراره فى نيابة حَماة على عادته .

ثم أخلع السلطان على الأمير تَمُربُغا المَنْجَكى بآستقراره فى نيابة صَفَد وعلى الأمير تَنِبكز بُغا الحَطَطى بنيابة بَعْلَبك .

ثم نودى بالقاهرة ألّا يقيم بها[1] أحد من الأعاجم ، وأُمهِلوا ثلاثةَ أيّام ، وهُدِّد من تخلّف منهم بالقاهرة ، فلم يَخرج أحد ، وأكثرَ الناسُ من الكتابة فى الحيطان : « مِنْ نُصرة الإسلام ، قَتْل الأعجام » ، كل ذلك وأحوال مصر غيرُ مستقيمة .

وأما البلاد الشاميّة فحصل بها جَراد عظيم بعد خروج اللَّنْك[2] منها ، فزادت خرابا على خراب[3] .

قلت : ولنذكر هنا نُبذةً يسيرة من أخبار تيمورلنك ونسبه وكثرة عساكره وعظم دهائه ومكره ؛ ليكون الناظر فى[4] هذا الكتاب على عِلم من أخباره وأحواله ، و إن كان فى ذلك نوع تطويل وخروج عن المقصود ، فهو لا يخلو من فائدة .

---

(١) رواية السلوك : « أن لا يقيم بديار مصر » .

(٢) كذا فى ف . والذى فى م والسلوك : « تمرلنك » .

(٣) يلاحظ أن المؤلف قطع حوادث شهر شعبان ، وأخذ يترجم تيمورلنك ، بينما سار المقريزى فى السلوك فى سرد الحوادث مع الشهور ، كما يلاحظ أن المؤلف بعد أن فرغ من ترجمة تيمورلنك وأخباره عاد إلى سرد الحوادث آبتداء من أوّل شوّال مهملا بقيّة حوادث شهرى شعبان ورمضان .

(٤) فى « م » . « ليكون ناظر هذا الكتاب » .

فنقول: هو تمرلنك وقيل تيمور، كلاهما بمعنى واحد، والثانى أفصح. [وهو][1] باللغة التركية الحديد[2] بن أيتمش قتلغ بن زنكى بن سَنْبا بن طارم طر بن طغريل بن قليج ابن سنقور بن كنجك بن طغر سبوقا[3] بن التاخان المغولى الأصل التركى من طائفة جغتاى الطاغية تيمور، كوركان، أعنى باللغة العجمية[4] صهر الملوك[5].

مولده سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بقرية تسمى خواجا أيلغار[6] من عمل كش[7] أحد مدائن ما وراء النهر، وبعد هذه البلدة عن مدينة سمرقند يوم واحد، ويقال:

---

(١) الزيادة عن (عجائب المقدور ص ٦).

(٢) رواية (عجائب المقدور) «الحديد بن ترغاى بن ابغاى».

(٣) رواية الشذرات جـ ٧ ص ٦٢ «ابن سبيا بن طارم طر بن طغر بك بن قليج بن سنقور ابن كنجك بن طغر سبوقا».

(٤) رواية عجائب المقدور «المغولية».

(٥) قال ابن عرب شاه بعد أن ضبط اسمه بالعبارة فى ص ٥ من كتابه (عجائب المقدور): «إن الألفاظ الأعجمية إذا تداولها صولجان اللغة العربية خرطها فى الدوران على بناء أوزانها ودحرجها كيف شاء فى ميدان لسانها. فقالوا فى هذا تارة، تمور، وأخرى تمرلنك، ولم يجر عليهم فى ذلك حرج ولا ضنك.

وشاركه فى هذا النقد ابن تغرى بردى جـ ١١ ص ٢٢٦ — فإنه بعد أن أورد نماذج من تحريف الأسماء وتفسيرها قال: «حتى إن بعض الأتراك والأعاجم إذا سمعها لا يفهمها إلا بعد جهد كبير، وقد أوضحنا هذا وغيره فى مصنف على حدته فى تحريف أولاد العرب للأسماء التركية والعجمية ...».

وأقول: ليتنا نعثر على هذا المؤلف، فان الأثريين والمؤرخين يعانون الكثير فى ضبط الأعلام الفارسية والتركية، وفى ضبط كتابتها ومخالفة المتداول لما هو منقوش على الآثار، ومخالفة ما هو منقوش على الآثار للرسم التركى الصحيح.

(٦) كذا فى (عجائب المقدور) وهو الصحيح. أما رواية الأصلين والمنهل «خواجا أبغار».

(٧) كش: إحدى مدن ما وراء النهر، قال ابن حوقل: هى مدينة مقدارها نحو ثلث فرسخ فى مثله، وبناؤها طين وخشب. وهى مدينة خصيبة جدا تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك فى سائر ما وراء النهر ... (قاموس الأمكنة والبقاع ص ١٣٢)، (صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٣٥)، وفى (تاريخ جرجان ص ٤٦٢): أنها قرية على الجبل على ثلاثة فراسخ من جرجان.

أنه رؤى يوم وُلد[1] كأن شيئا يشبه الخوذة تراءى طائرا فى جوّ السماء، ثم وقع إلى الأرض فى فضاء كبير، فتطاير منه جمر وشَرَر حتى ملأ الأرض . وقيل : إنه لما خرج من بطن أمّه وُجدتْ كَفّاه مملوءتين دما، فوجدوا أنه تُسفَك على يديه الدماء .

قلت : وكذا وقع .

وقيل : إن والده كان إسكافا . وقيل : بل كان أميرا عند السلطان حسين صاحب مدينة بَلْخ[2]، وكان أحد أركان دولته، وإن أمه من ذرّيّة جنكزخان . وقيل : كان للسلطان حسين المذكور أربعة وزراء، فكان أبو تيمور أحدهم، وولى تيمور بعد موته مكانه عند السلطان حسين . وأصل تيمور من قبيلة بَرْلاص .

وقيل : إن أوّل ما عُرِف من حال تيمور أنه كان يتجرّم[3]، فسَرق فى بعض الليالى غَنمةً[4] وحملها ليهرُب بها، فانتبه الراعى وضربه بسَهْم فأصاب كَتِفَه، ثم رَدِفه بآخر فلم يصبْه، ثم بآخَر فأصاب فَخِذَه وعمل فيه الجرح الثانى الذى فى فخذه حتى عرج منه؛ ولهذا سمى تمرلنك، لأن «لنك» باللغة العجمية أعرج، وأما اسمه الحقيقى فـ(تمر) بلا «لنك»، فلما أعرج [تمر][5] أضيف إليه «لنك» .

ولما تعافَى أخذ فى التجرّم على عادته وقطع الطريق، وصَحِبَه فى تجرّمه جماعة عدّتهم أربعون رجلا .

---

(١) رواية م : «ليلة» .

(٢) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان .

(٣) فى الأصلين «يجرم» . والتصويب عن تاريخ العراق ج ٢ ص ١٢٣ «يتجرم» .

(٤) هذا من قول العامة، وإلا فالغنم محركة لا واحد له من لفظه .

(٥) الزيادة عن ف .

وكان تيمور لنك يقول لهم فى تلك الأيام : لابد أنْ أملك الأرض وأقتلَ ملوك الدنيا ؛ فيسخَر منه بعضُهم ، و يصدّقه البعض ، لمـا يرونه من شدّة حزمه وشجاعته . وقيـل : إنه تاهَ فى بعض تجرماته مدّة أيام إلى أن وقع على خيل السلطان حسين المقدّم ذكره ، فأنزله الجُشارى -صاحب مرج الخيل عندَه(١)- وعطف عليـه وآواه وأتى إليه بمـا يحتاجه من طعام وشراب . وكان لتيمور معرفة تامّة فى جياد الخيل فأعجب الجُشارىَّ منه ذلك ، فاستمرّ به عنده إلى أن أَرسل معه بخيول إلى السلطان حسين وعرّفه به ، فأنعم عليـه وأعاده إلى الجُشارى ، فلم يزل عنـده حتّى مات ، فولّاه السلطان حسين عِوَضه على جُشاره ، ولا زال يترقّى بعد ذلك من وظيفة إلى أخرى حتى عظُم وصار من جملة الأمراء . وتزوج بأخت السلطان حسـين ، وأقام معها مدّة إلى أن وقع بينهما فى بعض الأيّام كلام ، فعايرتْه بمـا كان عليـه من سـوء الحـال ، فقتلَها وخرج هاربا ، وأظهرَ العصيانَ على السلطان حسين ، وآستفحل أمرُه ، وآستولى على ماوراء النهر(٢) ، وتزوّج ببنات ملوكها ، فعند ذلك لقِّب بـ « بكوركان » ، وقد تقدم الكلام على آسم كوركان . ولا زال أمره ينمو وأعماله تتسع(٣) إلى أن خافه السلطان حسين ، وعزم على قتاله ، وبلغه ذلك فخرج هاربا .

---

(١) كذا فى كلا الأصلين . والذى فى عجائب المقدور : « فأنزله الجشارى راعى الخيل عنده » .

(٢) بلاد ما وراء النهر ، قال ياقوت فى المشترك : توران : آسم لمجموع ماوراء النهر ، وهما بلاد الهياطلة . والذى ظهر لنا فى تحديد ما وراء النهر أنه يحيط بهـا من جهة الغرب حدود خوارزم ، ومن الجنوب نهر جيحون من لدن بذخشان إلى أن يتصل بحدود خوارزم (تقويم البلدان ٤٨٣) .

(٣) زاد فى المنهل الصافى بعد هذه الكلمة قوله : « من بلد إلى أخرى » .

ثم قوى أمره بعد سنة ستين وسبعمائة، فلما كثر عسكره بعث إلى ولاة بَلَخْشان(١) وكانا أخوين قد ملكا بعد موت أبيهما يدعوهما إلى طاعته؛ فأجاباه، وكانت المُغل قد نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين، وكان كبيرهم الخان قمر الدين فتوجه السلطان حسين إليهم وقاتلهم، فأرسل تيمور يدعوهم إليه، فأجابوه ودخلوا تحت طاعته، فقويت بهم شوكته.

ثم قصده(٢) السلطان حسين ثانيا فى عسكر عظيم حتى وصل إلى ضاغلغا(٣)، وهو موضع ضيق يسير الراكب فيه ساعة، وفى وسطه باب إذا أغلق وأحمى لا يقدر عليه أحد، وحوله جبال عالية، فملك العسكر هذا الدَّرْبَند من جهة سَمَرْقند، ووقف تيمور بمن معه على الطريق الآخر، وفى ظن العسكر أنهم حصروه وضيقوا عليه، فتركهم ومضى فى طريق مجهولة، فسار ليلة فى أوعار مشقة حتى أدركهم فى السحر وقد شرعوا فى تحميل أثقالهم، على أن تيمور قد انهزم وهرب خوفا منهم، فأخذ تيمور يكيدهم بأن نزل هو ومن معه عن خيولهم [وتركوها ترعى فى(٤) تلك المروج وناموا كأنهم من جملة العسكر فرت بهم خيولهم] وهم يظنون أنهم منهم قد قصدوا الراحة، فلما تكامل مرور العسكر ركب تيمور بمن معه أقفيتهم، وهم يصيحون وأيديهم تدقهم دقا بالسيوف، فاختبط الناس وانهزم السلطان حسين بمن معه لايلوى أحد على أحد، حتى وصل إلى بلخ فاحتاط تمر [لنك(٥)] على ما كان معه، ولم(٦)

---

(١) بلخشان : من ولايات سمرقند . (عجائب المقدور) ١٧٠

(٢) كذا فى م، وفى ف : «ثم قصدهم».

(٣) رواية المنهل . «قاغلغا».

(٤) الزيادة عن المنهل الصافى .

(٥) الزيادة عن (م)؛ وفى المنهل : «تيمور بما كان معه».

(٦) رواية المنهل : «وضم اليه من بق».

من بقى من العسكر عليـه ، فعظم جمعـه ، وكثر ماله ، واسـتولى على الممـالك[(١)] ، ولا زال حتى قبض على السلطان حسين بعد أن أمّنه وقتله ، فهذا أوّل عظمته .

والثانية واقعته مع تقتمش[(٢)] خان ملك التتار، فإنه لمـا واقعه بأطراف تركستان[(٣)] قريباً من نهر نُجَند[(٤)] ، واشتد الحرب بينهما وكثرت القتلى فى عسكر تيمور حتى كادت تَفنَى ، وعزم تيمور على الهزيمة ، فإذا هو بالمعتقَد السيد الشريف بَرَكة قد أقبل على تيمور ، فقال له تيمور وقد جَهَده البلاء : يا سيّدى جيشى انكسر ، فقال له السيد الشريف بركة المذكور : لا تخف ، ثم نزل عن فرسه وتناول كفّا من الحصى ثم ركب فرسـه ورمى بها فى وجوه جيش تقتمش وصرخ قائلا بأعلى صوته «ياغى قجتى» . يعنى باللّغة التركية العدوّ هرب[(٥)] ، فصرخ بها أيضا تيمور كمقالة الشريف بركة

---

(١) رواية المنهل الصافى : « واستولى على ممالك ما وراء النهر ورتّب جنودا ، وكتب الى شيره على نائب السلطان حسين بسمرقند بتسليمها له فمال اليه على أن تكون المملكة بينهما نصفين ، فاقتسما تلك الأعمال . ثم قدم عليه شيره على ، فأكرمه ومضى على ما وافقه عليه ثم سار يريد بلخشان فتلقاه ملكها بالهدايا والتحف وأمده بعسكر ومضى معه إلى بلخ فنزل عليها وحصرها وبها السلطان حسـين إلى أن ضعف حاله وسلم نفسه فقبض عليه وردّ صاحب بلخشان إلى عمله مكرما مبجلا . ثم عاد إلى سمرقند ومعه السلطان حسين فنزلهـا واتخذها دار ملكه ، ثم قتل السلطان حسين وأقام عوضه رجلا من ذرية جنكزخان يقال له صرغتمش وجعـله السلطان ، ولم يجعل له شيئا من الأمر » .

(٢) رواية عجائب المقدور : « توقتاميش » . وفى المنهل : « تقتيمش » .

(٣) تركستان : تحد شمالا بالروسيا ، وغربا ببحر الخزر ، وجنوبا ببلاد خراسان و بلاد الأفغان ، وشرقا بالجبال الصينية ، وهى تابعة لروسيا . ومن مدنها بخارى ، وهى مركز تجارة وسط آسيا . (قاموس الأمكنة والبقاع) ص ٧٣

(٤) نجندة : بلدة مشهورة بمـا وراء النهر على شاطئ سيحون ، فى وسطها نهر جار . (معجم البلدان جـ ٣ : ٤٩٢) .

(٥) رواية المنهل : « العدو يهرب »

فامتلأت آذان التمرية بصرختهما وأتوه بأجمعهم بعد ما كانوا ولّوا هاربين(١)، فكرّ بهم تيمور ثانيا فى عسكر تقتمش وما منهم أحد إلا وهو يصرخ «ياغى بقتى»، فانهزم عند ذلك عسكر تقتمش خان وركبت التمرية أقفيتهم وغنموا منهم من الأموال ما لا يدخل تحت حصر، فاستولى على غالب بلاد تقتمش خان .

والثالثة واقعته مع شيره(٢) على صاحب مازندران(٣) وكيلان(٤) و بلاد الرى(٥) والعراق وكسره وقبض عليه وقتله وملك جميع بلاده ، ثم قصته مع شاه شجاع صاحب شيراز(٦) وتزوج(٧) بنت شاه شجاع لابن تيمور، ومهادنة شاه شجاع له إلى أن مات شاه شجاع ، واختلفت أولاده وقوى شاه منصور على اخوته فمشى عليه تيمور هذا، فلقيه شاه منصور فى ألفى فارس لا غير .

---

(١) زاد فى المنهل قوله : « وتركوا جميع ما معهم » .

(٢) رواية عجائب المقدور : « على شير » .

(٣) مازندران : اسم لولاية طبرستان (معجم البلدان ٣٦٣ جـ ٧) .

(٤) كيلان : تسمى أيضا الجيل وجيلان . وكيلان من جهة الغرب شىء من أذربيجان وبعض بلاد الرى ويحيط بهما من جهة الجنوب قزوين وشىء من أذربيجان وبعض الرى . ويحيط بهما من جهة الشرق بقية الرى وطبرستان . ويحيط بهما من الشمال بحر الخزر، وهى غربى طبرستان . (تقويم البلدان ص ٤٢٦) .

(٥) الرى : كانت مدينة عظيمة ببلاد الجبال اسمها القديم راغة، ومنه اشتق الاسم العربى . وهى الآن أطلال على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران تعرف باسم مشهد عبد العظيم . (فهرست معجم الخريطة التاريخية ٥١) .

(٦) شيراز : مدينة فى بلاد فارس جنوبا . وكانت قاعدة عماد الدولة بن بويه . وفيها قبر سيبويه . (صبح الأعشى ٣٤٤ جـ ٤) ، (فهرست معجم الخريطة ٦٥) .

(٧) رواية ف : «وتزويج» ، ورواية المنهل : « وزوج ابنه لبنت تيمور فلم يتم ذلك » .

وشاه منصور هـذا هو أفرس من قاتل تيمور من الملوك بلا مدافعة، فإنه برز إليه فى ألفى فارس وعساكر تيمور نحو المائة ألف .

وعند ما برز له شاه منصور فـر من عسكره أمير يقال له محمد بن أمين الدين[١] إلى تيمـور بأكثر العساكر، فبقى شاه منصور فى أقل من ألف فارس، فقاتل بهم تيمور يومه إلى الليل .

ثم مضى كل من الفريقين إلى معسكره ، فركب شاه منصور فى الليل و بيّت[٢] التمرية ، فقتل منهم نحو العشرة آلاف فارس .

ثم انتخب شاه منصور من فرسانه خمسمائة فارس، فأصبح وقاتل بهم من الغد وقصد بهم تيمور حتى أزاله عن موقفه ، وهرب تيمور واختفى بين حرمه، فأحاط بهـم التمرية مع كثرة عددهم وهـو يقاتلهم حتى كلّت يداه وقتلت أبطاله ، فانفرد عن أصحابه وألقى نفسه بين القتلى، فعرفه[٣] بعض التمرية فقتـله، وأتى برأسـه إلى تيمور، فقتل تيمور قاتله أسفا عليه. واستولى تيمور أيضا على جميع ممالك العَجَم بأسرها بعد شاه منصور .

---

(١) رواية عجائب المقدور ص ٣٢ : «وكان فى عسكر شاه منصور أمير خراسانى مباطن لتيمور يدعى محمد بن زين الدين من الفجرة المعتدين» .

(٢) رواية المنهل : «فعمد شاه منصور إلى فرس جفول وربط فى ذنبه قدرا من نحاس قد لفها ببلاس أسود، وأحكم شدها، ثم ساقها فى معسكر تيمور وهم نيام بعد هدأة من الليل، فعند ما جالت فى معسكرهم وهى تختبط من حركة القدر، ثار القوم من وقتهم مذعورين لا يدرون من يقتلون، وفى ظنهم أن شاه منصور قـد بيتهم . هذا وشاه منصور واقف بمن معه يقتل من ظفر به من التمرية ويجول فى نواحى عسكر تيمور برجال فوارس ويخرق بهم صفوف تيمور يمينا وشمالا ويقول : أنا شاه منصور وهم يفرون منه حتى قتل منهم نحو العشرة آلاف فارس» .

(٣) م : «فضربه» .

هذا وقد آستوعبنا واقعة شاه منصور[١] بأوسع من ذلك فى تاريخنا (المنهل الصافى). إذ هو كتاب تراجم .

ثم أخذ تيمور فى الآستيلاء على مملكة بعد مملكة حتى ملك العراقين[٢]، وهرب منه السلطان أحمد بن أويس، وأخرب غالبَ العراق : مثل بغداد[٣] والبصرة[٤] والكوفة[٥] وأعمالهم، ثم ملك غالب أقاليم ديار بكر[٦]، وأخرب بها أيضا عدّة بلاد .

ثم قصد البلاد الشاميّة فى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، ثم رجع خائفا من الملك الظاهر برقوق إلى بلاده، فبلغه موت فيروز شاه ملك الهند عن غير ولد، وأن أمر الناس بمدينة دِلّى[٧] فى آختلاف، وأنه جلس على تخت المُلْك بدِلّى وزير يقال له مَلّو

(١) هو شاه منصور بن شاه ولى بن محمد بن مظفر اليزدى سلطان عراق العجم . ذكر له ترجمة موجزة فى ص ١٧٣ جـ ٢ قسم ١ المنهل الصافى .

(٢) العراقان : يقصد بهما عراق العرب، وعاصمتها بغداد، وعراق العجم، وهى بلاد الجبل، ويحيط بها من جهة الغرب أذربيجان، ومن الجنوب شىء من بلاد العراق وخوزستان، ويحيط بها من جهة الشرق مفازة خراسان وفارس، ويحيط بها من جهة الشمال بلاد الديلم وقزوين . (تقويم البلدان ٤٥٨)

(٣) بغـداد : عاصمة العراق ومهد الحضارة، يمر فى منتصفها نهر دجلة فيقسمها إلى قسمين كبيرين. الشرقى منهـا « الرصافة » والغربى « الكرخ » ويربط هذين الجانبين أربعـة جسور ضخمة . وتعرف بمدينة السلام . (البلدان لليعقوبى)، و (قاموس الأمكنة)، و (جغرافية العراق) .

(٤) البصرة : واقعة على نحو أربعمائة وعشرين كيلو مترا من الجنوب الشرقى لمدينة بغداد .

(٥) الكوفة : مصرها سعد بن أبى وقاص سنة ١٧ من الهجرة، وهى قرب الحيرة على نهر صغير من روافد العراق . (فهرس معجم الخريطة ٩٢) .

(٦) ديار بكر : مدينة كبيرة بأرض الجزيرة تسمى أيضا آمد وقره آمد، واسمها القديم : آميدا . (قاموس الجغرافية القديمة ٤١) .

(٧) دلى : ضبطها ابن تغرى بردى فى المنهل بكسر الدال وتشديد اللام وكسرها، وضبطها القلقشندى (جـ ٥ صبح الأعشى ص ٦٨) بفتح الدال وتشديد اللام وكسرها وقال : وسماها صاحب (تقويم البلدان) فى تاريخه دهلى، وعليه اعتمد فى التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ صفحة ٧٧ من هذا الجزء، وضبطها بالفتح الدكتور محمد مصطفى زيادة فى الحاشية ٢ ص ٩١٦ قسم ٣ جـ ١ سلوك وقال : هى المعروفة فى كتب التاريخ باسم هندستان، وعاصمتها مدينة دلى نفسها .

فخالف عليه أخو فيروز شاه، واسمه سارنك خان متولّى مدينة مُولْتان [1] ، فلمّا سمع تيمور هذا الخبر اغتنم الفرصة وسار من سَمَرْقند فى ذى الحجّة سنة ثمانمائة إلى مُولْتان وحاصرَ مَلِكَها سارنك خان ستّة أشهر، وكان فى عسكر سارنك خان ثمانمائة فيل حتى مَلَكها .

ثم سار تيمور إلى مدينة دِلّى وهى تخت الملك ، فخرج لقتاله صاحبها مَلّو [2] المذكور وبين يديه عساكره ومعهم الفِيَلة، وقد جعل على كلّ فيل برجا فيه عدّة من المقاتلة ، وقد أُلبستْ تلك الفيلةُ العُدَد والبركُستُوانات [3] ، وعُلّق عليها من الأجراس والقلاقل [4] مايهول صوتُه ليجفل بذلك خيول الجغتاى ، وشدّوا فى خراطيمها عدّةً من السيوف المرهَفة، وسارت عساكر الهند من وراء الفيلة لتُنَفِّر هذه الفيلة خيول التمرية بما عليها ، فكادهم تيمور وحسب حسابهم بأن عمل آلافا من الشوكات الحديد مثلّثة الأطراف، ونثرها فى مجالات الفِيَلة ، وجعل على خمسمائة جمل أحمال قصب محشوّة بالفتائل المغموسة بالدُّهن، وقدّمها أمامَ عسكره، فلمّا تراءى الجَمْعان وزحف الفريقان للحرب، أَضرم تيمور فى تلك الأحمال النارَ وساقها على الفيَلة . فركضتْ تلك الأباعر من شدّة حرارة النار ، ثم نخسها سوّاقُوها من خَلْف . هذا وقد كمن تيمور كمينا من عسكره .

---

(١) مولتان : بلدة بإقليم « بنجاب » كانت من حواضر الهند الكبرى ، دخلها الإسكندر المقدونى وفتحها محمد الغزنوى سنة ١٠٠٥ م . (فهرس معجم الخريطة التاريخية ص ١٠٥) .

(٢) رواية المنهل : « ملكها » .

(٣) البركستوان : كسوة مزركشة تكسى بها الخيول والفيلة .

(٤) رواية المنهل : « القلايد » .

ثم زحف بعساكره قليلا [قليلا][1] وقت السحر . فعندما تناوش القوم للقتال لوى تيمور رأس فرسه راجعا يوهم القوم أنه قد آنهزم منهم ويكفّ عن طريق الفيَلة كأنّ خيوله قد جَفَلت منها ، وقصد المواضع التي نثر فيها تلك الشوكات الحديد التي صنعها ، فمشت حيلتُه على الهنود ، ومشّوا بالفيلة وهم يسوقونها خلفه أشدّ السَّوْق حتى داست على تلك الشوكات الحديد ، فلما وطئتْها نكَصتْ على أعقابها .

ثم التفّ[2] تيمور بعساكره عليها بتلك الجمال ، وقد عظم لهيبها على ظهورها ، وتطاير شررها في تلك الآفاق ، وشَنُع زُعاقُها من شدّة النخس في أدبارها .

فلما رأت الفيَلة ذلك جفلتْ وكرّت راجعة على العسكر الهندى ، فأحست بخشونة الشوكات التي طرحها تيمور في طريقها ، فبركت وصارت في الطريق كالجبال مطروحة على الأرض لا تستطيع الحركة ، وسالت أنهار من دمائها ؛ فخرج عند ذلك الكمين [من عسكر تيمور][3] من جنبي عسكر الهنود ، ثم حَطَمَ تيمور بمن معه فتراجعت الهنود وتراموا بالسهام .

ثم إنهم تضايقوا وتقاتلوا بالرماح ثم بالسيوف والأطبار[4] ، وصبر كلّ من الفريقين زمانا طويلا ، إلى أن كانت الكسرة على الهنود بعد ماقتل أعيانهم وأبطالهم ، وآنهزم باقيهم بعد أن ملّوا من القتال ، فركب تيمور أقفيتهم حتى نزل [على][5] مدينة دلّى وحصرها [مدّة حتى][6] أخذها [من جوانبها][7] بعد مدّة عنوة ، وآستولى على

(١) الزيادة عن المنهل الصافى .

(٢) رواية ف : ثم « آلتفت » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن م .

(٤) الأطبار : جمع طبر ، والطبر : الفأس من السلاح معرّب تبر ، (الألفاظ الفارسية المعربة ص ١١١) . (٥ — ٧) الزيادة عن المنهل .

تحت ملكها وآستصفى ذخائرها[1]، وفعلت عساكره فيهـا على عادتهـم القبيحة من الأَسْر والسَّبْى والقتل والنَّهْب والتخريب .

وبينما هم فى ذلك بلغ تيمور موت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، وموت القاضى برهان الدين أحمـد صاحب سيواس من بلاد الروم ، فرأى تيمور أنه بعد موتهما ظفر بمملكتيهما ، وكاد أن يطير بموتهما فرحا ، فنجز أمره وولّى[2] مسرعا بعد أن استناب بالهند من يثق به من أمرائه ، وسار حتى وصل سَمَرْقَنْد ، ثم خرج منها عجِلا فى أوائل سنة آثنتين وثمانمائة ، فنزل خراسان[3] .

ثم مضى منها إلى تبريز فاستخلف بها آبنه ميرانْ[4] شاه ، ثم سار حتى نزل قراباغ[5] [فى سـابع عشر][6] شهر ربيع الأوّل ، فقَتَل وسَبَى ، ثم رحل منهـا ونزل تَفْلِيس[7] [فى يوم الخميس[8] ثانى] جمادى الآخرة وعبر بلاد الكرج ، وأسرف فيها أيضا فى القتل والسبى ، ثم قصد بغداد ففرّ منه [صاحبها[9]] السلطان أحمد بن أويس [فى ثامن[10] عشر شهر رجب] إلى قرا يوسف[11] فعاد تيمور من بغداد وصيّف ببلاد التركمان ثم سار إلى [ماردين فعصى صاحبها عليه الملك الظاهر مجد الدين عيسى ، فتركه تيمور ومضى إلى[12]]

---

(١) رواية المنهل الصافى : « ذخائر ملوكها وأموالهم » .

(٢) رواية المنهل الصافى : « وولى من ولى بسرعة » .

(٣) خراسان : إقلـيم من أكبر الأقاليم الفارسية . (صبح الأعشى جـ ٤ ص ٣٨٩)، (فهرس معجم الخريطة التاريخية ٤٢) . (٤) رواية المنهل الصافى : « أميران شاه » .

(٥) قراباغ : مصيف فيما بين مدينة السلطانية وتبريز . (رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٤٤) .

(٦) الزيادة عن المنهل الصافى .

(٧) تفليس : بلد بأرمينية ، والبعض يقول بأرّان ، وهى قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب . (معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٩٦) . (٨ ، ٩ ، ١٠) الزيادة من المنهل الصافى .

(١١) رواية المنهل : « فتمهل تيمور عن المسير إلى بغداد فعاد إليها أحمد بن أويس ومعه قرا يوسف ، ثم خرجا منها إلى بلاد الروم فصيف تيمور » . (١٢) الزيادة عن المنهل الصافى

سِيواس وقد أخذها الأمير سليمان بن أبي يزيد بن عثمان(١)، فحصرها تيمور ثمانية عشر يوما حتى أخذها في خامس المحرّم من سنة ثلاث وثمانمائة، وقبض على مقاتلتها وهم ثلاثة آلاف نفر، فحفر لهم سِرْدابا(٢) وألقاهم فيه وطمّهم بالتراب بعد ما كان حلف لهم ألّا يريق لهم دما وقال: أنا على يميني ما أرقتُ لهم دما، ثم وضع السيفَ في أهل البلد وأخربَها حتى محا رسومَها.

ثم سار إلى بَهَسْنا(٣) فنهب ضواحيها وحصر قلعتَها ثلاثةً وعشرين يوما حتى أخذها، ومضى إلى مَلَطْيَة فدكّها دكّا، وسار حتى نزل قلعة الروم(٤) فلم يقدر عليها(٥)، فتركها وقصد عِين تاب(٦)، ففرّ منه نائبُها الأمير أَرْكَمَاس الظاهري، وهو غير أَرْكَمَاس الدَّوادار في الدولة الأشرفية.

ثم قصد حلب ووقع له بها وبدمشق ما تقدّم ذكرُه إلى أن خرج من البلاد الشاميّة.

وكان رحيلُه عن دمشق في يوم السبت ثالث شعبان من سنة ثلاث وثمانمائة المذكورة، وآجتاز على حلب وفعل بها ما قدر عليه ثانيا، ثم سار منها حتى نزل على ماردِين(٧) يوم الأثنين عاشر شهر رمضان من السنة، ووقع له بها أمور، ثم رحل عنها.

---

(١) رواية المنهل: «وقد فرّ منها». (٢) كذا في م. والذى في «ف» والمنهل الصافي «سرابا». (٣) بهسنا: قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسميساط، من أعمال حلب. (معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٢٥)، (صبح الأعشى جـ ٤ ص ١١٩)، وورد ذكرها عند ذكر النهر الأزرق، ووصفه بأنه نهر بالثغر بين بهسنا وحصن منصور في طرف بلاد الروم من جهة حلب. (معجم البلدان جـ ٨ ص ٣٣٥). (٤) قلعة الروم (قلعة المسلمين): قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط. (صبح الأعشى جـ ٤ ص ١١٩).

(٥) رواية المنهل: «فلم يصل لأخذها لمدافعة نائبها ناصر الدين محمد بن موسى بن شهرى فتركها».

(٦) عين تاب: مدينة بالشام شماليّ منبج. (صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢١).

(٧) ماردين: حصن من بلاد الجزيرة. قال ابن حوقل: وبالقرب من نصيبين جبل ماردين من الأرض إلى ذروته نحو من فرسخين، وبه قلعة منيعة. (تقويم البلدان ٢٧٩).

وأوهم أنه يريد سمرقنـد يُوَرّى بذلك عن بغداد ، وكان السلطان أحمـد بن أويس قد آستناب ببغـداد أميرا يقال له فرج ، وتوجّه هو وقرا يوسف نحو بلاد الروم ، فندب تيمور على حين غفلة أمير زاده رستم ومعه عشرون ألفا لأخذ بغداد.

ثم تبعه بمن بقى معـه ونزل على بغـداد ، وحصرها حتى أخذها عنوةً فى يوم عيد النحر من السنة ، ووضع السيفَ فى أهل بغداد .

حدّثنى الأمير أَسَنْباى الزَّرْدكاش الظاهرى برقوق — وكان أسر عنـد[1] تيمور وحَظِىَ عنده ، وجعله زَرَدْكاشه[2] عند أخذ بغداد وحصارها — بأشياء مهولة ، منها أنه لمّـا آستولى على بغداد أَلْزم جميع من معه أن يأتيه كلّ واحد منهم برأسين من رءوس أهل بغداد ، فوقع القتلُ فى أهل بغداد وأعمالها ، حتى سالت الدماءُ أنهارا ، حتى أتوه بما أراد ، فَبنى من هذه الرءوس مائة وعشرين مئذنة ، فكانت عدّة من قتل فى هذا اليوم من أهل بغداد تقريبا مائة ألف[3] إنسان . وقال المقريزى : تسعين ألف إنسان ، وهذا سوى من قتل فى أيّام الحصار ، وسوى من قتل فى يوم دخول تيمور إلى بغـداد ، وسوى من أَلقى نفسَه فى الدِّجْلة[4] فغَرِق ، وهو أكثر من ذلك .

قال : وكان الرجل المرسوم له بإحضار رأسـين إذا عجز عن رأس رجلٍ قَطعَ رأس آمرأة من النساء وأزال شعرها وأحضرها ، قال : وكان بعضهم يقف بالطرقات ويصطاد من مرّ به ويقطع رأسه .

---

(١) رواية ف : « مع » .
(٢) الزردكاش : الصانع المختص بإصلاح الزرد والسلاح .
(٣) رواية المنهل الصافى : «تسعين ألف» .
(٤) دجلة : نهر مشهور بالعراق يشق مدينة بغداد ، لا تلحقه أداة التعريف قط ، فلا يقال الدجلة .

ثم رحل تيمور من بغداد وسار حتى نزل قراباغ[1] بعد أن جعلها دَكًّا خرابا ، ثم كتب إلى أبي يزيد[2] بن عثمان صاحب الروم أن يُخرِج السلطان أحمد بن أويس وقرا يوسف من ممالك الروم و إلّا قصده وأنزل به ما نزل بغيره ، فـردّ أبو يزيد جوابَه بلفظ خَشِن إلى الغاية ، فسار تيمور إلى نحوه ، فجمع أبو يزيد بن عثمان عساكرَه من المسلمين والنصارى وطوائف التَّتَر .

فلمّـا تكامل جيشُه سار لحربه ، فأرسل تيمور قبـل وصوله إلى التتار الذين مع أبي يزيد بن عثمان يقول لهم : نحن جنس واحد ، وهؤلاء تُرْكُمان ندفعهم من بيننا ، ويكون لـكم الروم عِوَضهم ، فآنخدعوا له وواعدوه أنهم عند اللقـاء يكونون معه .

وسـار أبو يزيد بن عثمان بعساكره على أنه يلقى تيمور خارج سِيواس ، و يردّه عن عبور أرض الروم[3] ، فسلك تيمور غيرَ الطريق ، ومشى فى أرض غير مسلوكة ، ودخل بلاد آبن عثمان ، ونزل بأرض مخصِبة[4] وسيعة ، فلم يشـعر آبن عثمان إلّا وقد نُهِبتْ بلاده . فقامت قيامته وكرّ راجعـا ، وقد بلغ منـه ومن عسكره التعب مبلغا أَوهَن قواهم ، وكلّت خيولهم ، ونزل على غـير ماء ، فكادت عساكره أن تَهلِك ، فلمّـا تدانَوا للحرب كان أوّل بلاء نزل بابن عثمان مخـامرة التتار بأسرها عليه ، فضعُف بذلك عسكرُه ، لأنّهم كانوا معظم عسكره ، ثم تلاهم ولده سليمان ورجع عن أبيـه عائدا إلى مدينة بُرصا[5] بباقى عسكره ، فلم يبق مع أبي يزيد إلا

(١) رواية م «عن» . ورواية المنهل الصافى «ثم جمع تيمور أموال بغداد وأمتعتها وسار إلى قراباغ» .

(٢) يقول ابن تغرى بردى فى المنهل جـ ٣ قسم ٣ ص ٥١٠ : إن صواب الاسم بايزيد .

(٣) أرض الروم أى آسيا الصغرى حيث كان يطلق على الأتراك أبناء الروم أو الروم ، و إلى عهد ليس بالبعيد كان يطلق على أمبراطورية القسطنطينية مملكة الروم ، كما أطلق علماء الجغرافيا من العرب اسم بلاد الروم وأرض الروم على شبه جزيرة الأناضول .

(٤) زاد فى المنهل الصافى بعد هذه الكلمة قوله : « ذات ماء كثير » .

(٥) برصا وتعرف أيضا بروسة أو برسا : مدينة عظيمة فى الأناضول . (آثار الأدهار ٨٢٢) .

نحو خمسة آلاف فارس، فثبت بهم حتى أحاطت به عساكر تيمور ، وصدمهـم صـدمة هائلةً بالسيوف والأطبار حتى أفنَـوا من التمرية أضعافَهم ، واستمر القتال بينهم من ضحى يوم الأربعاء إلى العصر، فكلّت عساكر ابن عثمان، وتكاثروا التمرية عليهـم يضربونهم بالسيوف لقلّتهم وكثرة التُّمرية ، فكان الواحد من العثمانية يقاتله العشرة من التمرية ، إلى أن صُرِع منهـم أكثرُ أبطالهم ، وأُخذ أبو يزيد بن عثمان أسيرا قبضا باليد على نحو ميـل من مدينة أَنقَرة[1] ، فى يوم الأربعاء سـابع عشرين ذى الحجّة سنة أربع وثمـانمائة بعد أن قتل غالبُ عسكره بالعطش ، فإن الوقت كان ثامن عشرين أبيب بالقبطىّ وهو تموز بالرومىّ ، وصار تيمور يوقِف بين يديه فى كل يوم ابنَ عثمان ويَسـخَر منه ويُنْكيه بالكلام ، وجلس تيمور مرّة لمعاقَرة الخمر مع أصحابه وطلب ابن عثمان طلبا مزعِجـا ، فحضر وهو يَرسُف[2] فى قيوده وهو يرجف ، فأجلسه بين يديه وأخذ يحادثه[3] ، ثم [وقف تيمور[4]] وسـقاه من يد جواريه اللائى[5] أسرهنّ تيمور ، ثم أعاده إلى محبسه .

ثم قدم على تيمور إسفنديار[6] أحد ملوك الروم بتَقادِمَ جليلة ، فقَبِلها وأكرمه وردّه إلى مملكته [بقسطمونية[7]] ، هذا وعساكر تيمور تفعل فى بلاد الروم وأهلِها تلك الأفعالَ المقدّم ذكرها .

---

(١) أنقرة ويقال أنكورا وأنكورية : إحدى ولايات تركيا فى آسيا الصغرى ؛ وهى العاصمة الحديثة لتركيا الآن . (آثار الأدهار : ٣٣٦) .

(٢) رواية المنهل الصافى « يرفل » .

(٣) زاد فى المنهل بعد هذه الكلمة قوله : « ويؤانسه » .

(٤) الزيادة عن م . ورواية ف والمنهل « ثم سقاه » .

(٥) كذا فى م . ورواية ف : « الذين »

(٦) كذا فى المنهل وعجائب المقدور ص ١٤٠ وهو الصواب ، وفى كلا الأصلين « إسـبندار » تصحيف

(٧) الزيادة عن المنهل . وقسطمونية : جنوب آسيا الصغرى .

وأما أمر سليمان بن أبى يزيد بن عثمان ، فإنه جمع المال الذى كان بمدينة بُرصا ، وجميع ما كان فيها ورحل إلى أَدْرنة (١) وتلاحقَ به الناس ، وصالح أهلَ إستانبول (٢) ، فبعث تيمور فرقةً كبيرة من عساكره صحبةَ الأمير شيخ نورالدين إلى برصا فأخذوا ما وجدوا بها ، ثم تبعهم هو أيضا بعساكره .

ثم أفرج تيمور عن محمد وعن أولاد ابن قرمان من حبس أبى يزيد بن عثمان ، وخلع عليهما وولّاهما بلادهما ، وألزم كلَّ واحد منهما بإقامة الخطبة ، وضرب السِّكّة بآسمه وآسم السلطان محمود خان المدعو صرغتمش (٣) .

ثم شتا فى معاملة منتشا (٤) وعَمِل الحيلةَ فى قتل التتار الّذين أتوه من عسكر ابن عثمان حتى أفناهم عن آخرهم .

وأما أبو يزيد بن عثمان ، فإنه آستمر فى أسر تيمور من ذى الحجّة سنة أربع ، إلى أن مات بكربته وقيوده ، فى أيام من ذى القعدة سنة خمس وثمانمائة ، بعد أن حكم ممالك الروم نحو تسع سنين .

وكان من أجلّ الملوك حَزما وعزما وشجاعة ، رحمه الله تعالى . وهو المعروف بيِلدِرِم بايزيد .

ثم توجّه (٥) تيمور من بلاد الروم وقد تعلّقت آمالُه بأخذ بلاد الصين ، فأخذه الله قبل أن يصل ، ولولا خشية الإطالة لذكرنا أمرَه وما وقع له بطريق الصين إلى

---

(١) رواية ف : «سوادريه» ، والمنهل : «سوادرنة» والصواب ما أثبتنا ، وهى إحدى ولايات تركيا .

(٢) إستانبول و إسلامبول : القسطنطينية ، فتحها السلطان محمد فى سنة ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م .

(٣) رواية عجائب المقدور ص ٣٨ «محمود خان أو سيورغاتمش خان» .

(٤) كذا فى الأصلين . وفى عجائب المقدور ١٤١ «فى ولايات منشا» .

(٥) كذا فى ف . والذى فى م : «رجع» .

أن توفّى [لعنه الله][1] ولكنّ أضربنا عن ذلك خشـية الإطالة ، وأيضا قد ذكرناه فى ترجمته[2] فى (المنهل الصافى) مستوفاة، فلتنظر هناك[3] .

وكانت وفاة تيمور فى يوم[4] الأربعاء سابع عشر شعبان سـنة سبع وثمانمائة وهو نازل بالقرب من أُترار[5]، وأُترار بالقرب من آهنكران، ومعنى آهنكران باللغة العربية الحدّادون[6] .

ولـمـا مات لبسوا عليه المُسوح ، ولم يكن معه أحد من أولاده سوى حفيده سلطان خليل بن ميران شاه بن تيمور ، فتسلطن موضعَ جدّه تيمور فى حيـاة والده ميران شاه المذكور ، فاسـتولى خليل المذكور على خزائن جدّه وبذل الأموال ، وتم أمره . انتهى ما أوردناه من قصة تيمورلنك على سبيل الاختصار .

ولنعــد إلى ما نحن بصدده من ترجمة السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق [رحمه الله[7]] .

ولـمـا كان يوم الأحد أوّل شوّال أفرج السلطان عن الأمير يَلْبُغا السالمى وهو متضعّف بعد ما عُصِر وأهين إهانةً بالغة .

---

(١) الزيادة عن م .

(٢) كذا فى ف . والذى فى م : « تاريخنا » .

(٣) راجع تفاصيل تلك الحلة فى ص ٤٢٥ — ٤٢٦ جـ ١ قسم ٣ (المنهل الصافى)، (وعجائب المقدور ص ١٦٦) .

(٤) كذا فى ف ؛ والذى فى م : « ليلة » .

(٥) أترار، أو أطرار : مدينة عظيمة وولاية واسـعة فى أوّل حدود الترك بمـا وراء النهر على نهر سيحون قرب فاراب . (معجم البلدان) جـ ١ ص ٢٨٥

(٦) زاد فى المنهل الصافى بعد هذه الكلمة ما نصه : «فآهنكر يعنى حداد، وآهنكران جمع حدادين» .

(٧) الزيادة عن م .

وفى هذه الأيّام كثر آحتراز الأمراء بعضهم من بعض، وتحدّث الناس بإثارة فتنـــة[1] .

ثم فى سابع شوّال المذكور آستقرّ الأمير طُولُو من على باشاه الظاهرى فى نيابة إسكندرية عوضا عن الأمير أرِسطاى ، واستقر الأمير بَشْباى[2] من باكى الظاهرى حاجبا ثانيــا على خبز[3] سُــودون الطيّار، إمرة طبلخاناه، واستقر كلٌّ من ســودون الطيار وأَلْطُنْبُغا من سيدى حجّابا بحلب لأمر آقتضى ذلك .

ثم آستدعى السلطان الأمراء بقلعة الجبل ، وقال لهم : قد كتبنا مناشير جماعة من الخاصكيّة[4] بأمريّات ببلاد الشام من أوّل شهر رمضان، فلِمَ لا يسافروا ؟ وكلّ ذلك بتعليم يشبك الدوادار، فقال الأمير نوروز الحافظى ما فى هذا مصلحة، إذا أرسل السلطان هؤلاء من يبقى عنده من ممـاليك أبيه الأعيـان ؟ ووافق نوروز سودون المـاردانى . فقال السلطان : من ردّ مرسومى فهـو عدوّى ، فسكت الأمراء وأمر السلطان بالمناشير أن تبعث إلى أربابها .

فلما نزلت إليهم امتنعوا من السفر، ومنهم من ردّ منشوره، فغضب السلطان وأصبح الجماعة يوم الأحد ، وقد اتفقوا مع الأمراء وساروا للأمير نوروز الحافظى

(١) زاد فى السلوك بعد هذه الكلمة قوله : « بينهم » .

(٢) رواية السلوك « باشاباى » .

(٣) هكذا وردت هـذه العبارة فى م والسـلوك . أما ف فقـد وردت فيها هكذا (خبر) بدون نقط . ولما ترجمه فى المنهل لم يورد هذه الجملة وقال : ولم نعلم أحدا سمى بهذا الاسم من الأكابر غيره ومعناه باللغة التركية « رأس سعيد » ، وخبز هنا بمعنى إقطاع .

(٤) الخاصكية : هى خاصة السلطان وحاشيته .

وتحدّثوا معه فى عدم سفرهم، فاعتذر إليهم، وبعثهم لسودون الماردانى رأس نوبة النوب (١) فحدّثوه فى ذلك، وما زالوا به حتى ركب للأمير يشبك الشعبانى الدوادار وحدّثه فى ألّا يسافروا، فأغلظ يَشْبك فى ردّ الجواب عليه، وهدّدهم بالتوسيط (٢) إن آمتنعوا من (٣) السفر.

ثم أمره أن يطلع إلى السلطان ويسأله فى [ذلك فطلع سُودون الماردانى إلى السلطان] (٤)، وسأله فى إعفائهم من السفر، وأعلَمه أنه قد آتفق منهم نحو الألف تحت القلعة، وهم مجتمعون، فبعث السلطان إليهم بعض الخاصكيّة يقول لهم: نحن ماخلّيناكم بلا رزق بل عَملناكم أمراء، فما هو إلّا أن نزل إليهم وكلّمهم فى ذلك (٥)، ثاروا عليه وسبّوه ثم ضربوه حتى كاد يَهلِك، فبينما هم فى ضربه، وإذا بالأمير قطلوبغا الحسنى الكَرَكى والأمير آقباى الكَرَكى الخازندار نزلا من القلعة، فمال عليهم المماليك يضربونهم بالدّبابيس إلى أن سقط قطْلُوبُغا الكَرَكى، وتكاثر عليه مماليكه وحملوه إلى بيته، ونجا آقباى الكَرَكى الخازندار والتجأ إلى بيت الأمير يَشْبك الدوادار، وماجت البلد وغلّقت الأسواق، فنودى بعد العصر من اليوم المذكور بطلوع الأمراء والمماليك السلطانيّة فى الغد إلى القلعة، ومن لم يطلع حلّ مالُه ودمُه للسلطان.

ثم طلع الأمير يشبك، ونوروز الحافظى، وآقباى الكَرَكى الخازندار، وقطلوبغا الكَرَكى إلى القلعة بعد عشاء الآخرة، وباتوا بالقلعة إلّا نُوروزا فإنّه أقام معهم ساعةً عند السلطان.

(١) رأس نوبة النوب: لقب لمن يتحدّث على مماليك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم، ويجمع على رءوس نوب. والعامة تقول لأعلاهم فى خدمة السلطان: رأس نوبة النوّاب؛ وهو خطأ؛ والصواب رأس رءوس النوب أى أعلاهم. (صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٥).

(٢) التوسيط: نوع من أنواع التعذيب، اذ يصلب المعذب ويشق نصفين.

(٣) رواية ف «عن».

(٤) الزيادة عن م.

(٥) كذا فى م. ورواية ف: «وكلمهم بذلك».

ثم نزل إلى داره وطلع أيضا فى الليل غالب المماليك السلطانية .

وأصبحوا يوم الاثنين تاسع شوال ، فطلع جميع الأمراء والمماليك إلا الأمير جَكَم من عوض ، وسُودون الطيّار ، وقانى باى العلائى ، وقَرَقَماس الأينالى ، وجُمَق وتَمُربغا المشطوب ، فى عدّة من المماليك السلطانية الأعيان ، منهم يشبك العثمانى ، وقمج و برسْبُغا وطرباى وبقية خمسمائة مملوك ، والجميع لبسوا السلاح وآلة الحرب ووقفوا تحت القلعة حتى تَضحّى النهار . ثم مضوا إلى بِركة الحَبَش(١) ونزلوا عليها .

وأما أهل القلعة ، فإن يشبك بعث فى الحال نقيب الجيش(٢) إلى الشيخ لاچين الجركسى أحد الأجناد ، فقبض عليه وحمله إلى بيت آقباى حاجب الحجّاب ، فوكّل به آقباى من أخرجه من القاهرة إلى بُلْبَيْس ليسافر إلى الشام .

ثم قبض على سودون الفقيه ، أحد دعاة الشيخ لاچين ، وأخرج إلى الإسكندرية فسجن بها .

وآستمرّ الأمير جَكَم ورفقته ببركة الحَبَش إلى ليلة الأربعاء ، فاستدعى الأمير يشبك سائر الأمراء ، فلما صاروا بالقلعة وكّل بهم من يحفظهم ، فآستمرّوا على ذلك حتى مضى جانب من الليل .

---

(١) سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ٢ ص ١٤ جـ ٥ من هذا الكتاب . وموقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام دير الطين ، وجزء عظيم من الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية البساتين . وتحد من الغرب بجسر النيل الموصل بين مصر القديمة ودير الطين ؛ ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين ، ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرقى ، ومن الشمال جبل الرصد والقرافة الكبرى . وكانت من أجمل متنزهات مصر .

(٢) نقيب الجيش : هو الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم . (صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٦) .

ثم نزل الطلب إلى الأمير سودون طاز الأمير آخور[١] الكبير من السـلطان ليطلع إلى عند الأمراء، وفى عزمهم أنه إذا طلع قبضوا عليه، فنمّ لسودون طاز بعض الخاصكية يسمّى قانى باى، وقال له : فز بنفسك، فلم يكذّب سودون طاز الخبر، وأخذ الخيول السلطانية التى بالإسطبل السلطانى، وركب بمماليكه، وسار حتى لحق بالأمير جَكَم ببِركة الحَبَش، وبلغ السلطان ذلك، فآرتجّ القصر السلطانىّ، وقام كلّ أمير ونزل إلى داره ولبس آلة الحرب بمماليكه، ودقّت الكُوسات وطلعوا إلى القلعة .

فلما أصبح نهار الأربعـاء نزل السلطان من القصر إلى الإسطبل، وبعث إلى الأمير جكم من عوض بأن يتوجّه إلى صَفَد نائبا بهـا ، فردّ جكم الجواب[٢] « نحن ممـاليك السلطان ، وهو أستاذنا وآبن أستاذنا ، ولو أراد قتلنا ما خالفناه ، غير أننا لنا غرماء يدعنا نحن وإيّاهم، ثم بعد ذلك مهما أراد السلطان يفعل فينا، فنحن بين يديه» . فلمّا عاد الرسول بذلك بكى الأمير يشبك الدوادار، وتكلم هو والأمير آقباى الكَرَكى الخازندار وقطلوبغا الكَرَكى مع السلطان ، ودار بينهم كلام كثير[٣] ، حتى بعث السلطان بالأمير نوروز الحافظى والقـاضى الشافعى[٤] وناصر الدين المعلّم الرمّاح أمير آخور إلى الأمير جكم فى طلب الصلح ، فنزلوا إليـه وكلّموه فى ذلك ، فآمتنع جكم من الصلح هو ومن معه وقالوا : لابدّ لنا من غرمائنا، وأخذوا عندهم الأمير نوروز الحافظى ، وعاد القاضى[٥] الشافعى وناصر الدين الرمّاح بالجواب ، فعند ذلك قال السلطان لِيَشْـبك : دُونَك وغرماءَك؛ فطلب يشـبك المساعدة من السلطان عليهم ، فلم يفعل، فنزل يشبك إلى داره وقد آختلّ أمره .

(١) أمير آخور هو المشرف على الإصطبلات الخاصة والبريد والهجن .
(٢) فى السلوك : « الجواب فقال » . (٣) فى م : « الكلام الكثير » .
(٤) رواية السلوك « وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن الصالحى » .
(٥) عبارة ف : « وعاد قاضى القضاة » .

ثم عاد إلى القلعة ليطلع إلى السلطان فلم يمكّن منها، وتخلّى عنه المماليك السلطانية؛ فلم تكن غير[1] ساعة حتى أقبل جَكَم وسودون طاز ونوروز فى عُدَدهم وأصحابهم. وصاحب الموكب نوروز وجكم عن يساره، وسودون طاز عن يمينه، وساروا نحو يشبك، فنادى يشبك: «من قاتل معى من المماليك السلطانية فله عشرة آلاف درهم» فأتاه طائفة، وخرج من بيته وصفّ عساكره، فحمل عليه نوروز بمن معه، وصدمه صدمة واحدة كسره فيها؛ فانهزم إلى داره وقاتل بها ساعة، ثم هرب منها، فنهبت داره ودار قطلوبغا الكَركىّ.

وكان بيت يشبك دار منجك اليوسفى الملاصقة لمدرسة[2] [السلطان][3] حسن وهى الآن على مُلك تمربغا الظاهرى الدوادار، ودار قطلوبغا [الكركى][3] البيت الذى تجاهه، وقبض على آقباى الكركى الخازندار، فشفع فيه السلطان، فترك فى داره إلى يوم الخميس ثانى عشره، فركب الأمير جكم إليه، وأخذه وطلع به إلى الإسطبل السلطانىّ وقيّده.

ثم قبض على الأمير قطلوبغا الكركى الحسنى من بيت الأمير يَلبُغا[4] الناصرى وقيّده.

---

(١) كذا فى ف. والذى فى م: «إلا» وكلتا الكلمتين بمعنى واحد.

(٢) دار منجك اليوسفى السلحدار ليست ملاصقة لمدرسة السلطان حسن، ولكنها قريبة منها، وخاصة لما كانت مبانيها ممتدة الى القرب من مدرسة السلطان حسن. وبقاياها الآن موجودة بأول سويقة العزى (سوق السلاح) بجوار البوستة، وتلك البقايا ممثلة فى مدخلها المنشأ سنة ٧٤٧ — ٧٤٨ه ١٣٤٨م وما يتصل به من عقود صغيرة. وهو مدخل فخم كتب حول عقد سقفه اسم المنشئ وألقابه، كما اشتمل على رنكه، وهو سيف على جانبى المدخل.

أما دار قطلوبغا الكركى فقد هدمت ولم يبق لها أثر.

(٣) الزيادة عن م.

(٤) دار يلبغا بسويقة العزى، كانت موجودة إلى سنة ١٢٢٢ ه، (الجبرتى ج ٤ ص ٦٩).

ثم قبض على جركس القاسمى المصارع من عنـد سودون الجلب، وقيّـده وبعث الثلاثة إلى الإسكندرية ، والثلاثة أمراء ألوف من أصحاب يشبك ، وسافروا إلى الإسكندرية فى ليـلة السبت رابع عشر شوّال المذكور من سنة ثلاث وثمانمائة، وكتب جَكَم بإحضار سودون الفقيه من الإسكندرية .

وسودون الفقيه هـذا هو حمو الملك الظاهر ططر ، وجدّ الملك الصالح محمد ابن ططر الآتى ذكرهما . وطلب جَكَم الأمير يَشْـبك الشعبانى الدوادار فلم يقدر عليه إلى ليـلة الاثنين سادس عشره دُلَّ عليه أنه فى تربة بالقرافة[1] ، فنزل إليه جكم فلمّا أحيط بيشبك [وهو][2] فى التربة المذكورة ألقى نفسه من مكان مرتفع، فشجّ جبينه، وقبض عليه الأمير جكم، وأحضره إلى بيت الأمير نوروز الحافظى، فقيّد وسيّر من ليلته إلى الإسكندرية فسجن بها .

وفى يوم الاثنين خلع على سعد الدين إبراهيم بن غراب باستمراره [فى وظائفه][3] وهو أحد أصحاب يشبك بعد أن اجتهد غاية الاجتهاد فى رضا جكم عليه فلم يقدر .

---

(١) رواية ابن إياس جـ ١ ص ٣٣٩ : « أنه أمسك من تربة خوند سمرا التى تجاه باب جامع قوصون خارج باب القرافة » .

وهذا النص كان سببا فى التعريف بأثر من أهم الآثار بالقرافة الصغرى تحت القلعة مسجل ضمن الآثار العربية تحت رقمى ٢٨٨ ، ٢٨٩ باسم التربة السلطانية . وتدل بقاياه الممثلة فى قبتيه ومنارته على أنه من أهم الآثار المنشأة فى دولة المماليك البحرية ، وأنه وقعت عليه تأثيرات فارسية وخاصة قبتيه ، وقد هدم حسين باشا المعمار إحدى هاتين القبتين للوقوف على تصميمها .

وموقعها تجاه بقايا مسجد قوصون يتوسطهما قبر الإمام الديوطى . وخوند سمرا هى زوجة الأشرف شعبان وأم ولده أحمـد ، ولخلوها من النصوص التاريخيـة واستنادا إلى تفاصيلها المعمارية نضعها ضمن منشآت النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى الموافق الرابع عشر الميلادى .

(٢) هذه الكلمة عن « م » . (٣) الزيادة عن السلوك .

ثم في ثامن عشره أخلع السلطان على الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس باستمراره على نيابته ، وهى خلعة السفر(١)، وكان له من يوم قدم من أسر تيمور بالقاهرة في عمل مصالحه، وكذلك الأمير دقماق نائب صفد خلع عليه خلعة السفر .

- وكان دقماق أولا نائب حَماة ، ثم صار الآن في نيابة صَفَد ، وأذن لهما بالسفر إلى محلّ كفالتهما(٢) .

وفي تاسع عشره خلع السلطان الملك الناصر على الأمير جَكَم بآستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن يَشْبك الشعبانى ، بحكم حبسه بالإسكندرية ، وعلى سُودون من زاده بآستقراره خازندارا، عوضا عن آقباى الكَرَكى، وعلى أرغون(٣) من يشبغا باستقراره شادّ الشراب خاناه(٤)، عوضا عن قُطْلُوبُغا الكَرَكى، وأخلع على بَيْسَق الشيخى خلعة إمرة الحاج على العادة ، ورسم له أن يقيم بعد انقضاء الحجّ بمكّة لعمارة(٥) ما بقى من المسجد الحرام .

ثم في سادس عشرين شوّال أخلع السلطان على الأمير يونس الحافظى باستقراره في نيابة حماة بعد عزل الأمير عمر بن الهَيْدَبانى(٦)، وفي هذا اليوم أنعم على

(١) رواية السلوك : «ألبس الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس قباء نسيج» وخلعة السفر وصفها ابن تغرى بردى في كتابه حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، الفصل ٣ ص ٤١٨ بأنها فوقانيا بطرز زركش» .

(٢) رواية السلوك : «ولايتهما» . (٣) رواية السلوك وابن إياس : «أرغون بن يشبغا» .

(٤) الشرابخاناه : الموضع المخصص للأشربة والحلوى والعقاقير والفواكه . وشاد الشرابخاناه هو المشرف على شؤونها . أما الشربدار فهو لقب للقائم بتقديم أنواع الشراب .

(٥) هذه العمارة أجريت عقب الحريق والسيل اللذين أصابا المسجد سنة ٨٠٢ هـ ١٣٩٩ م وكانت عمارة هامة ، كشف فيها عن أساسات العمد الرخامية ، وأسفر الكشف عن وجود حديد فيها بنظام أقرب إلى طريقة الخرسانة المسلحة . (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٨٩ — ٩٠) .

(٦) رواية السلوك : « الهدبانى » .

الأمير جَكم من عوض الدوادار بإقطاع يَشْـبك الشعبانى الدوادار ، وعلى سُودون الطيّـار بإقطاع الأمير جكم ، وأنعم بإقطاع آقباى الكَركىّ على قانى باى العَلائى ، وبإقطاع قُطْلوبُغا الكَركى على تمربُغا من باشاه المعروف بالمشطوب ، وبإقطاع چركس القاسمى المصارع على سودون من زاده بستّين فارسا .

ثم فى أوّل ذى القعـدة ألزم سـعد الدين[١] بن غراب بتجهيز نفقة المماليك السلطانية ، فآلتزم أن يحمـل منها مائة ألف دينـار ، وألزم الوزير ناصر الدين محمد بن سـنقر ، وتاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج ، و يلبغا السالمى بمائة ألف دينار ، فشرع الجميع فى تجهيزها .

ثم قبض على السالمى وصُودر ، وعُذِّب بأنواع العـذاب ، ثم أُفرج عنه بعد مدّة ، وآستمرّ الحال على إن جَكَم صار متحدّثا فى المملكة .

ثم فى رابع ذى الحجة آختفى سعد الدين بن غُراب[١] ، وأخوه فخر الدين ماجد ، ولم يُعرف خبرُهما . فآسـتقرّ ناصر الدين محمد بن سُـنْقُر فى الأسـتدارية ، عوضا عن سعد الدين بن غراب ، مضافا لمـا معه من الذخيرة والأملاك .

ثم آستعفى سودون من زاده من وظيفـة الخازندارية[٢] ، وأخلع على الوزير علم الدين أبى كَمّ بآسـتقراره فى نظر الخاصّ[٣] مضـافا على الوَزَر عوضا عن

(١) فى السلوك : « سعد الدين ابراهيم بن غراب » .

(٢) الخازندارية : وظيفة المشرف على خزائن السلطان من نقد وأمتعة .

(٣) نظر الخاص : وظيفة أحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون . واختصاصه الإشراف على مالية السلطان .

سعد الدين بن غراب ، وأخلع على سعد الدين بن أبى الفرج بن بنت الملكى ، صاحب ديوان[1] الجيش ، وآستقر فى نظر الجيش[2] عوضا عن آبن غراب .

ثم فى تاسع ذى الحجة ورد كتاب مشايخ تروجة[3] يتضمن قدوم سعد بن غراب إليهم ، ومعه مثال سلطانى بآستخراج الأموال ، ومسيرهم معه إلى الإسكندرية لإخراج يشبك والأمراء من سجن الإسكندرية ، وإحضارهم إلى القاهرة . فأخلع[4] السلطان على رسولهم ، وكتب على يده مثالا سلطانيا بالقبض على آبن غراب ومن معه ، وإرسالهم إلى القاهرة . ثم قدم كتاب نائب الإسكندرية بأن سعد الدين ابن غراب طلب زعران الإسكندرية ، فخرج إليه أبو بكر المعروف بعلام[5] الخدام بالزعر إلى تروجة ، فأعطى لكل واحد منهم مبلغ خمسمائة درهم ، وقرر معهم قتل النائب ، فبلغ ذلك النائب ، فلما قدموا إلى الإسكندرية قبض على جماعة منهم وقتل بعضهم وقطع أيدى بعضهم ، وضرب علام الخدام بالمقارع ، وأنه أيضا ظفر بكتاب آبن غراب لبعض تجار الإسكندرية ، وفيه أن يجتمع بالنائب ويؤكد

(١) ديوان الجيش : يعادل وزارة الحربية الان .

(٢) نظر الجيش : يعادل وظيفة وزير الحربية الآن لأن اختصاصه الإشراف على شئون الجيش .

(٣) تروجة : بلدة كانت غربى ناحيـة بطورس بقليل ، وفى الجنوب الغـربى لدمنهور ، وأقرب البلاد إليها من الجهة القبلية ناحية حوش عيسى ، وكانت مدينة عظيمة ذات مساجد وقصور وأسواق ارتبط ذكرها بالكثير من حوادث مصر فى مختلف عصورها ، وكثيرا ما قصدها الملوك والأمراء للصيد .

وللمغفور له محمد رمزى بك تعليق عليها بالحاشية رقم ٣ ص ١١ ج ٤ من هذا الكتاب يقول فيه : إنها درست ومحلها كوم تروجة بحوض تروجة بأراضى ناحية زاوية صقر مركز أبى المطامير بمديرية البحيرة .

(٤) كذا فى ف . والذى فى م : « فخلع » .

(٥) كذا فى الأصلين . ورواية السلوك « أبو بكر غلام الخدام » .

عليه ألّا يقبل ما يرد عليه من أمراء مصر فى أمر يشبك الدوادار ومن معه من الأمراء، وأن يجعل باله لا يجرى عليه مثل ما جرى على آبن عزّام فى قتله الأمير بَرَكة .

ثم وردت كتب مشايخ تروجة بسؤال الأمان لآبن غراب ، فكتب له السلطان أمانا ، وكتب الأمراء[1] ماخلا الأمير جَكَم، فإنه كتب إليه كتابا ولم يكتب إليه أمانا ، فقدم إلى القاهرة فى حادى عشرينه فى الليل ، ونزل عند صديقه جمال الدين يوسف أستادار بجاس ، وهو يومئذ أستادار الأمير سودون طاز أمير آخور ، فتحدّث له مع سودون طاز وأوصله إليه ، فأكرمه وأنزله عنده يومى الثلاثاء والأربعاء ، حتى آسترضى له الأمراء ، وأحضره فى يوم الخميس ثالث عشرينه إلى مجلس السلطان ، وخلع عليه بآستقراره فى وظائفه القديمة : الأستادارية ، ونظر الجيش ، والخاص .

ونزل إلى بيت الأمير جَكَم الدوادار ، فمنعه جَكَم من الدخول إليه ورَدّه وما زال يسعى آبن غراب حتى دخل إليه مع الأمير سُودون من زادة ، وقبّل يَدَه فلم يكلّمه كلمة ، وأعرض عنه ، فلم يزل حتى أرضاه بعد ذلك ، ثم فى يوم الخميس سلخ ذى الحجة أنفق آبن غراب تتمّة النفقة على المماليك السلطانية ، فأعطى كل واحد ألف درهم ، وعند ما نزل من القلعة أدركه عدّةٌ من المماليك السلطانية ورجموه بالحجارة يريدون قتله ، فبادر إلى بيت الأمير نوروز وآستجار به حتى أجارَه .

(١) فى السلوك : « وكتب له » .

ثم فى محرم سنة أربع وثمانمائة ، كتب الأمراء بمصر لأمراء دمشق بالقبض على الوالد[١] ، فكتب للوالد بذلك بعض أعيان أمراء مصر ، فسبق ذلك المثال السلطانى ، فركب الوالد من دار السعادة[٢] بدمشق فى نفر من مماليكه فى ليلة الجمعة ثانى عشرين المحرم وخرج إلى حلب ، فتعين لنيابة[٣] دمشق عوضا عن الوالد ، الأمير آقبغا الجمالى الأطروش أتابك دمشق وكتب بانتقال دقماق نائب صفد إلى نيابة حلب ، عوضا عن دمرداش المحمّدى بحكم عصيانه وانضمامه على الوالد لمّا قدم عليه من دمشق ، واستقر الأمير تَمُرْبغا المَنْجكى فى نيابة صفد عوضا عن دُقْماق .

وأما الوالد رحمه الله فإنه لمّا سار إلى حلب وجد الأمير دمرداش نائب حلب قد قبض على الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر أمير التركمان[٤] ، فأمره الوالد

---

(١) فى السلوك : « بالقبض على الأمير تغرى بردى ، أعنى الوالد » .

(٢) دار السعادة : سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ جـ ٧ النجوم . وهى دار العدل التى أنشأها فى دمشق قريبا من باب النصر قبلى قلعة دمشق الشهيد محمود بن زنكى ، واشتهرت فى عصر المماليك بدار السعادة ، وحقق موقعها المؤرّخ الشيخ محمد أحمد دهمان الدمشقى بأنها قبلى سوق الأروام .

(٣) رواية ف : « فتعين الى نيابة » .

(٤) التركمان : خلق كثير من نسل الترك الذين فتحوا بلاد الروم فى مدة السلاجقة ، ومن قبيلة أغز تتفرع التركمان وهم اثنان وعشرون بطنا . وأعظمهم قنق ، ومنهم السلاطين والأمراء ومنهم بنو سلجوق ومن ذريتهم الملوك الذين ملكوا بلاد الروم (القسطنطينية) .

وأما التركمان الذين يسكنون بلاد الروم والشام فأصلهم من التركمان الذين جاءوا مع السلطان ألب أرسلان السلجوقى فسكنوا البلاد رحالة ببيوت خركاوات ، فطائفة سكنت ببلاد ديار بكر ، ومنهم تركمان قرا محمد وولده قرا يوسف ، و بنو يمر ، و بنو يغمر ، ومنهم طائفة سكنت ببلاد الروم على سواحل البحر الملح ، فنهم تركمان ورسخ وأولاد حميد و سليمان باشاه ، ومنهم أولاد قرمان وأصلهم من تركمان سكنوا ارمناك من بلاد لارندة (تقويم البلدان ٣٧٩) ، (الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ص ١٠) ، (وديوان لغات الترك جـ ١ ص ٢٧) .

بإطلاقه ، فأطلقه ، واتفق الجميع على الخروج عن طاعة السلطان بسبب من حوله من الأمراء ، واجتمع عليهم خلائق من التركمان وغيرهم على ما سيأتى ذكره .

ثم وقع بين أمراء مصر ، وهو أن سودون الحمزاوى وقع بينه وبين أكابر الأمراء ، مثل نوروز ، وجَكَم ، وسُودون طاز ، وتَمُرْبُغا المشطوب ، وقانى باى العلائى ، فانقطعوا الجميع عن الخدمة السلطانية من أول صفر ، وعزموا على إثارة فتنة ، فلبس سودون الحمزاوى آلة الحرب فى داره ، واجتمع عليه من يلوذ به .

وكان الأمراء المذكورون ، قد عَيّنوا قبل ذلك للخروج من ديار مصر ثمانيةَ أنفُس ، وهم سودون الحمزاوى المذكور ، وسودون بقجة وهما[1] من أمراء الطبلخانات ورءوس نُوَب ، وأزبك الدوادار ، وسودون بشتو وهما من أمراء العشَرات ، وقانى باى الخازندار ، و بردبك وهما من الخاصكية ، وآخرين[2] ، ولما لبس الحمزاوى مشت الرسل بينهم فى الصلح إلى[3] أن وقع الاتفاق على خروج سودون الحمزاوى إلى نيابة صَفَدَ ، و إقامة الباقين بمصر من غير حضورهم إلى الخدمة السلطانية .

ثم فى سابع عشرين صفر المذكور ، أخلع على سودون الحمزاوى بنيابة صفد و بطل ولاية تَمَرْبغا المَنْجَكى من صَفَد .

وفى هذا الشهر ، حضر الأمير أَلْطُنْبُغا العثمانى نائب صَفَد كان[4] ، والأمير عمر ابن الطحّان نائب غزّة كان ، من أسر تيمورلنك ، وذكرا أنّهما فارقاه من أطراف بغداد .

---

(١) رواية م : «وهم» . (٢) رواية م : «وآخران» . (٣) رواية م : «الصلح على أن» . (٤) (كان) بمعنى سابقا ، واستعملت أيضا فى الحجج وفى بعض النصوص المتأخرة كشواهد قبور القرنين الحادى والثانى عشر الهجرى .

ثم فى يوم الاثنين نصف شهر ربيع الأول من سنة أربع وثمانمائة ، طلع الأمير نوروز الخدمة السلطانية ، بعد ما انقطع عنها زيادة على شهر ، فخُلع عليه خلعة الرضا .

ثم فى ثامن عشره، طلع الأمير جَكَم من عوض الدوادار الخدمة بعد ما انقطع عنها مدّة شهرين وخُلع عليه أيضا، هذا ودقماق نائب حلب ، وأقبغا الأطروش نائب الشأم فى الاستعداد وجَمْع التركمان والعشير لقتال الوالد ودمرداش .

ثم خرج الوالد ودمرداش من حلب إلى ظاهرها لانتظار دُقْماق وقتاله .

ثم إن السلطان فى شهر ربيع الآخر أخلع على جُمَق رأس نوبة باستقراره دوادارا ثانيا عوضا عن جركس المصارع، وكانت شاغرةً من يوم مسك جركس المذكور، واستقر مبارك شاه الحاجب وزيرا عوضا عن علم الدين يحيى المعروف بأبى كمّ، وقُبض على أبى كم وسلّم لشادّ الدواوين[1] للمصادرة .

وفى العشر الأخير من هذا الشهر استقر جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقينى قاضى قضاة الديار المصرية بعد عَزْل القاضى ناصر الدين الصالحى، وهذه أول ولاية جلال الدين البُلْقينى .

ثم فى ثامن جمادى الأولى استقر الأمير أَلْطُنْبُغا العثمانى نائب صَفَد كان ، فى نيابة غزّة عوضا عن الأمير صُرُق بعد عزله .

ثم ابتدأت الفتنة بين الأمراء، وطال الأمر وانقطع جكم ونوروز عن الخدمة السلطانية أياما كثيرة .

---

(١) شد الدواوين : «اختصاصها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير، ويدخل فى اختصاصه استخلاص الأموال وما فى معنى ذلك» . ويعين فيها أمير عشرة ، ملخصا من صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ .

ودخل شهر رمضان وانقضى، ولم يحضروا الهناء بالعيد، ولا صلّوا صلاة العيد مع السلطان .

وأستهلّ شوّال فقويت فيه القالة بين الأمراء، وأرجف بوقوع الحرب غير مرّة .

فلمـا كان يوم الجمعة ثانى شوّال ركب الأمراء للحرب بالسلاح، ونزل الملك الناصر إلى الإسطبل السلطانىّ عند سودون طاز الأمير آخور، وركب الأمير نوروز وجَكَم وخصمهما سودون طاز ، ووقع الحرب بينهم من بُكرة النهار إلى العصر .

فلما كان آخر النّهار بعث السلطان بالخليفـة المتوكّل على آلله والقضاة الأربعة إلى الأمير نوروز فى طلب الصُّلح ، فلم يجد نوروز بُدّا من الصلح وترك القتال ، وخلع عنه آلة الحرب، فكف الأمير جَكَم أيضا عن الحرب[(١)]، وكان ذلك مكيدةً من سودون طاز، فإنه خاف أن يُغْلَب ويسلمه السلطان إلى أخصامه، فتمّت مكيدتُه بعـد ما كاد أن يؤخذ ، لقوّة نوروز وجَكَم بمن معهما من الأمراء والخـاصكيّة، وسكنت الفتنةُ ، وبات آلناس فى أَمْن وسكون .

فلما كان يوم السبت ركب الخليفة والقضاة، وحلّفوا الأمراء بالسمع والطاعة للسلطان، فطلع الأمير نوروز إلى الخدمة فى يوم الأثنين خامس شوّال، وخلع عليه السلطان، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش .

ثم طلع الأمير جكم فى ثامنه وهو خائف ولم يطلع قانى باى ولا قرقماس، وطُلبا فلم يوجدا فجهز إليهما خلعتان، على أن يكون قانى باى نائبا بحماه، وقرقماس حاجبا بدمشق ، ونزل جكم بغير خلعة فكاد أن يهلك لكونه لم يخلع عليه .

---

(١) رواية م : « القتال » .

وعند ما جلس بداره نزل إليه جرباش الشيخى رأس نوبة، و بشْباى الحاجب الثانى يطلبان قانى باى منه ظنا أنه اختفى عنده، فأنكر أن يكون عنده وصرفهما بجواب ملفّق .

ثم ركب من ليلته بمن معه من الأمراء والمماليك وأعيانهم قمش الخاصكى الخازندار، و يشبك الساقى، وهو الذى صار أتابَكا فى دولة الأشرف برسباى، ويشبك العثمانى، وألطنبغا جاموس، وجانيباى الطيبى، و برسبغا الدوادار، وطربَاى الدوادار ، وساروا الجميع إلى بركة الحَبَش خارج القاهرة ، ولحق بهم فى الحال قانى باى، وقرقماس الرماح، وأرغز، وقبجق، ونحو الخمسمائة مملوك من المماليك السلطانية ، وغيرهم وأقاموا جميعا ببركة الحبش إلى ليلة السبت عاشر شوال فأتاهم الأمير نوروز ، وسودون من زاده رأس نوبة ، وتمربغا المشطوب، فى نحو الألفين من المماليك السلطانية وغيرهم، وأقاموا جميعا ببركة الحبش إلى ليلة الأربعاء رابع عشر شوال ، وأمْرُهم فى زيادة وقوة ، بمن يأتيهم أولا بأول من الأمراء والمماليك السلطانية .

وفى الليلة المذكورة، دبّر سودون طاز أمْرَه وطلع إلى السلطان، وأنزله إلى الإسطبل السلطانى وبات به .

فلمّا أصبح بكُرة يوم الأربعاء المذكور، ركب السلطان فيمن معه من الأمراء والخاصكية ونزل من القلعة، وسار نحو بركة الحبش من باب القرافة(١)، بعد ما نادى فى أمسه بالعرض ، واجتمع إليه جميعُ عساكره، وقد صف سودون طاز عساكر

(١) باب القرافة : أحد الأبواب فى سور صلاح الدين الممتد من القلعة إلى الفسطاط المنشأ بين سنة ٥٦٦ — ٥٧٢ ﻫ وقد اكتشفته إدارة حفظ الآثار العربية وهو بجوار مدفن تمر باى الحسينى الفاصل بينه وبين باب السيدة عائشة (قايتباى) .

السـلطان ، فلمـا قارب بركة الحبش ، ركب نوروز وجَكَم بمن معهما أيضا ، من الأمراء والممـاليك السلطانية ، فصدمهم سودون طاز بالعسكر السلطانى صدمة كسرهم فيها ، وأسر الأمير تَمُرْبُغَا المشطوب ، وسودون من زاده ، وعلى بن إينال وأرغز[1] ، وهرب نَوْرُوز وجكم فى عدّة كثـيرة من الأمراء والممـاليك إلى بلاد الصعيد ، وعاد السلطان ومعه الأمراء وسودون طاز مظفّرا منصورا ، وقيّـد سودون طاز الأمراء الممسوكين[2] ، وبعثهم إلى الإسكندرية فى ليـلة السبت سابع عشره ، وسار نوروز وجكم إلى أن وصلا إلى مُنية القائد[3] ، ثم عادوا إلى طموه[4] ونزلوا على ناحية منبابة[5] ، من برّ الجيزة تجاه بولاق ، وطلب الأمير يَشْبك الشعبانى الدوادار من سجن الإسكندرية ، فقدم يوم الاثنين تاسـع عشره إلى قلعة الجبل ، ومعه خلائق ممن خرج إلى لقائه ، فقبّل الأرض ونزل إلى داره ، كل ذلك والأمراء بالجيزة .

فلما كان ليـلة الثلاثاء عشرين شوّال ركب الأمير نوروز نصف الليل وعدّى النيـل ، وحضر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس ، وكان قد تحـدّث هو وإينال باى من جقماس مع السلطان فى أمر نوروز حتى أمّنه ووعده بنيابة دمشق ، وكان ذلك

---

(١) فى م : « يريدون » .

(٢) فى م : « المـأسورين » .

(٣) منية القائد : هى ميت القائد الآن ، إحدى قرى مركز العياط ، وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٧ ص ١٢٤ جـ ٧ النجوم .

(٤) طموه : قرية بمركز الجيزة ، سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ١ جـ ١٠ ص ٢١٨ النجوم .

(٥) منبابة : قاعدة مركز امبابة مديرية الجـيزة ، وقد سـبق التعليق عليها بالحاشـية رقم ٢ ص ١٢٧ جـ ٩

أيضا من مكر سودون طاز، فمشى ذلك على نوروز وحضر، فاختلّ عند ذلك أمرُ جَكَم، وتفرّق منه من كان معه، وصار فريدا، فكتب إلى الأمير بيبرس الأتابك يسأله[١] في الحضور، فبعث إليه الأمير أزبك الأشقر رأس نوبة، والأمير بشباى الحاجب، وقدما به ليلة الأربعاء حادى عشرين شوّال إلى باب السلسلة[٢] من الإسطبل السلطانى؛ فتسلمه عدوّه الأمير سودون طاز، وأصبح وقد حضر الأمير يشبك وسائر الأمراء للسلام عليه، فلما كانت ليلة الخميس ثانى عشرينه، قُيِّد وحُمِل إلى الإسكندرية، فسجن بها في البرج الذى كان سجن يشبك الدوادار فيه، وسكن يشبك مكانه وعلى إقطاعه بعد ما حبس بالإسكندرية نحوا من سنة، وآستقرّ دوادارا على عادته عوضا عن جَكَم المذكور؛ على ما سيأتى ذكره.

وأما أمر البلاد الشامية فإن دقماق جمع جموعَه من العساكر لقتال الوالد ودمرداش نائب حلب، وسار إلى جهة الوالد[٣]، فخرج إليه الوالد وعلى مقدّمته دمرداش، وصدموه صدمة واحدة آنكسر فيها بجموعه وولّوا الأدبار، ونهب مامعهم. وعاد دقماق منهزما إلى دمشق، وآستنجد بنائبها الأمير آقبغا الجمالى الأطروش، وكتب أيضا دقماق لجميع نوّاب البلاد الشامية بالحضور والقيام بنصرة السلطان، وجمع من التركمان والعربان جمعا كبيرا، وخرج معه غالب العساكر

(١) رواية م: «يستأذنه».

(٢) باب السلسلة: هو باب القلعة الموجود بميدان صلاح الدين، وعرف قديما بباب الإسطبل للوصول منه إلى الإسطبل السلطانى. والباب الحالى جدده الأمير رضوان كتخدا الجلفى سنة ١١٦٠ هـ ١٧٤٧ م. وبداخله مسجد أحمد كتخدا العزب المنشأ سنة ١١٠٩ هـ ١٦٩٧ م، المشتمل على بقايا مصلى وسبيل الملك المؤيد شيخ.

أما السور الخارجى أمام الباب بشرفاته وصففه فهو من عمارة الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٨ م.

(٣) كذا في ف. والذى في م: «حلب».

الشأمية ، وعاد إلى جهة حلب بعساكر عظيمة ، والوالد ودمرداش فى ممـاليكهم لا غير ؛ مع جدب البـلاد الحلبية ، وخراب قراها ، فإنه عقيب توجه تيمور بسنة واحدة وأشهر .

فلما قارب دقماق بعساكره حلب أشـار دمرداش على الوالد بالتوجه إلى بلاد التركمان من غير قتال ، فقال الوالد لا بدّ من قتالنا معـه ، فإن آنتصرنا و إلا توجهنا إلى بلاد التركمان بحق ، فتوجّها[1] لدقماق بماليكهما ، وقد صف دقماق عساكره وآقتتلا قتالا شديدا ، وثبت كل من الفريقين وقد أشرف دقماق على الهزيمة .

وبينما هـو فى ذلك خرج من عسكر الوالد ودمرداش جمـاعة إلى دقمـاق ، فانكسرت عند ذلك الميمنة .

ثم آنهـزم الجميع إلى نحو بلاد التركمان ، فلم يتبعهم أحد من عساكر دقمـاق ، وملك دقماق حلب ، وآستمرّ الوالد ودمرداش ببلاد التركمان ؛ على ماسيأتى ذكره .

وأما ما وقع بمصر فإنه لمـا حبس جَكَم من عوض بالإسكندرية ، أخلع على نوروز الحافظى فى بيت بيبرس فى يوم الأربعاء بنيابة دمشق ، وتوجه إلى داره .

فلما كان من الغد فى يوم الخميس قبض عليه وحمل إلى باب السلسلة فقيد به وحمل من ليلته ، وهى ليلة الجمعة ثالث عشرين شوال إلى الإسكندرية ، فسجن بهـا ، وغضب لذلك الأميران بيبرس الأتابك ، و إينال باى مِن[2] بجماس ، وتركا طلوع الخدمة السلطانية أياما .

ثم أرضيا وطلعا إلى الخدمة ، وراحت على نوروز ، واختفى الأمير قانى باى العلائى وقَرقَمـاس الرمّاح ، فلم يُعرف خبرهما .

---

(١) رواية م : « فبرزا » . (٢) رواية م : « ابن قجماس »

فلما كان يوم الاثنين ثالث ذى القعدة ، أنعم السلطان بإقطاع الأمير نَوروز على الأمير إينال العلائى المعروف بحطب رأس نوبة بعد أن أخرجوا منه النحريرية . وأنعم السلطان بإقطاع قانى باى العلائى على الأمير علّان جلّق، وبإقطاع تَمُربغا المشطوب على الأمير بَشْبَاى الحاجب الثانى ، فلم يرض به ، فاستقر باسم قُطْلُوبغا الكَرَكى، وكان إقطاعه قبل حبسه بالإسكندرية ، وهو إلى الآن لم يحضر من سجن الإسكندرية . وبقى بَشْبَاى على طبلخانته .

وأُنعم بإقطاع جَكَم من عوض على الأمير يشبك الشعبانى الدوادار، وهو إقطاعه أيضا قبل حبسه بالإسكندرية .

وأنعم على الأمير بيغوت بإمرة طبلخاناة، وعلى أسَنْبُغا المصارع بإمرة طبلخاناة وعلى سُودون بشتا(١) بإمرة طبلخاناة .

ثم فى سادس ذى القعدة، قدم الأمراء من سجن الإسكندرية من أصحاب يشبك ، وهم الأمير آقْباى طاز الكَرَكى الخازندار ، وقَطْلُوبُغا الحَسَنى الكَرَكى وجركس القاسمى المصارع ، وصعدوا إلى القلعة ، وقبّلوا الأرض بين يدى السلطان ثم نزلوا إلى بيوتهم، ثم رسم السلطان بانتقال الأمير شيخ المحمودى الساقى من نيابة طرابلس إلى نيابة دمشق، بعد عزل الأمير آقبغا الجمّالى الأُطروش ، وتوجُّهِه إلى القدس بطّالا .

ولما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة لعب الأمراء الكُرَة فى بيت الأتابك بيبرس ، فاجتمع على باب بيبرس من المماليك السلطانية نحو الألف مملوك يريدون الفتك بسُودون طاز .

(١) فى حاشية « م » بشتو .

وعنـد ما خرج سـودون طاز من بيت بيبرس هموا به ، فتحاوطته أصحابه ومماليكه ، وساق سودون حتى لحق بباب السلسلة ، وامتنع بالإسطبل السلطانى حيث هو سكنه ، ووقع كلام كثير . ثم خمدت الفتنة .

فلما كان رابعَ عشرينـه ، خلع السلطان على الأمير يَشبك الشعبانى باستقراره دوادارا على عادته ، عوضا عن الأمير جكم من عوض بحكم حبسه .

ثم فى يوم السبت رابع عشر ذى الحجـة خلع السلطان على الأمير آقباى الكَرَكى باستقراره خازندارا على عادته .

ثم فى سلخ ذى الحجة آستقر الأمير جُمَق الدوادار الثانى فى نيابة الكرك ، واستقر الأمير علّان جلّق أحد مقدّمى الألوف بديار مصر فى نيابة حَماة ، بعد عزل يونس الحافظى ، فشقّ ذلك على سودون طاز .

ثم كتب للأمير دمرداش أمانا ، وأنه يستقر فى نيـابة طرابلس عوضا عن الأمير شيخ المحمودى المنتقل إلى نيـابة دمشق ، وكتب للأمير على بك بن دلغادر بنيابة عين تاب ، وللأمير عمر بن الطحان بنيابة مَلَطْيَة .

وكانت الأخبـار وردتْ بجمع التركمان ونزولهم مع دمرداش إلى حلب ، وأن دقماق نائب حلب آجتمع معه نائب حماة والأمير نُعَير، وأن تيمورلنك نازل على مدينة سيواس، ولم يحجّ أحد فى هذه السنة من الشام ولا من العراق .

وفى يوم ثالث المحرم من سنة خمس[1] وثمانمائة أنعم السلطان بإقطاع علان جلّق المستقر فى نيابة حماة على الأمير جركس القاسمى المصارع ، وبإقطاع جُمَق المستقر فى نيابة الكرك على آقباى الكركى الخازندار، وزيد عليه قرية سُمُسْطا[2] .

---

(١) رواية « م » « وفى ثالث » الخ .

(٢) سمسطا ، ويقال : سمسطة ، ومنهم من يقول : سمسطا ، من عمل البهنسا (معجم البلدان) جـ ٥ ص ١٢٦ ووردت فى (الدليل الجغرافى) باسم سمسطا السلطانى . وسمسطا الوقف : مركز بيا مديرية بنى سويف .

هذا والكلام يكثر بين الأمراء والمماليك، والناس في تخوف من وقوع فتنة .

فلما كان سابع المحرم نزل الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير من الإسطبل السلطاني بأهله ومماليكه إلى داره، وعزل نفسه عن الأمير آخورية ، وصار من جملة الأمراء .

ثم في هذا الشهر قدم الوالد إلى دمشق بأمان كان كُتب له من قِبل السلطان مع كتب جميع الأمراء .

فلما وصل إلى دمشق خرج الأمير شيخ المحمودى إلى تلقّيه ، حتى عاد معه إلى دمشق وأنزله بالقرمانية ، وأكرمه غاية الإكرام بحيث إنه جاءه في يوم واحد ثلاث مرات .

ثم خرج الوالد بعد أيام من دمشق يريد الديار المصرية، فخرج الأمير شيخ أيضا لوداعه، وسار حتى وصل [إلى](1) مصر في سلخ المحرم . بعد ما خرج الأمراء إلى لقائه ، وطلع إلى القلعة ، وقبّل الأرض بين يدى السلطان، فأخلع السلطان عليه كاملّية بمقلب سمّور ، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكُنْبوش زركش .

ثم نزل إلى داره ومعه سائر الأمراء ، وظهر الأمير قرقماس الرماح ، فشفع فيه الوالد، فإنه كان أنبه(2)، فقبل السلطان شفاعته .

وأما أمر سودون طاز ، فإنه أقام بداره إلى ليلة الاثنين ثالث عشر صفر من سنة خمس وثمانمائة المذكورة، خرج من القاهرة بمماليكه وحواشيه إلى المرج(3)

(١) هذه الكلمة ساقطة من « ف » . (٢) في الاصلين : « أنيسه » وهو تحريف .

(٣) المرج : من القرى القديمة ، وهي اليوم من قرى شبين الكوم بمديرية القليوبية .

والزيات[1] بالقرب من خانقاه سرياقوس[2] ليقيم هناك حتى يأتيه من وافقه ويركب على أخصامه ويقهرهم ويعود إلى وظيفته .

وكان خبر سودون طاز أنه لما وقع بينه وبين يشبك أولا وصار من حزب نوروز وجكم وقبضوا على يشبك وأصحابه من الأمراء وسجنوا بثغر الاسكندرية حسبما تقدم ذكره، صار تحكم مصر له ويشاركه فى ذلك نوروز وجكم فثقلا عليه، وأراد أن يستبدّ بالأمر والنهى وحده ، فدبّر فى إخراجهما حتى تم له ذلك ، ظنا منه أنه ينفرد بالأمر بعدهما ، فانتدب إليه يشبك الشعبانى الدوادار وأصحابه لما كان فى نفوسهم منه قديما بعد مجيئهم من حبس الاسكندرية ، لأنه كان انحصر لخروجهم من الحبس .

وكان الملك الناصر يميل إلى يشبك وقطلوبغا الكركى، لأنّ كل واحد منهما كان لالته[3] .

وكان الأمير آقباى طاز الكركى الخازندار يعادى سودون طاز قديما ويقول « طاز واحد يكفى بمصر، فأنا طاز وهو طاز ما تحملنا مصر » واتفقوا الجميع عليه ، وظاهرهم السلطان فى الباطن، فتلاشى أمر سودون طاز لذلك ، وما زالوا فى التدبير عليه حتى نزل من الإسطبل السلطانى ، خوفا على نفسه من كثرة جموع يشبك الدوادار، وجُرأة آقباى الخازندار الكركى ؛ فعندما نزل ظن أن السلطان يقوم بناصره، فلم يلتفت السلطان إليه، وأقام هذه المدّة من جملة الأمراء،

(١) الزيات، هى القرية المعروفة اليوم بالقلج إحدى قرى مركز شبين الكوم قليوبية ، وقد سبق التعليق عليها وعلى المرج فى الحاشيتين ٤ ، ٥ ص ٢٧٧ ج ١١ .

(٢) خانقاه سرياقوس : سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٧٠ من هذا الجزء . وفى هذا التعليق خطأ مطبعى فى ص ٧١ فقد ذكر أن كتاب وقف الأشرف برسباى محرر سنة ٧٤١ والصواب ٨٤١

(٣) لالته : مربيه .

فشق عليه عدم تحكمه فى الدولة ، وكفه عن الأمر والنهى ، وكان اعتاد ذلك ، فخرج لتأتيه المماليك السلطانية وغيرهم ، فإنه كان له عليهم أياد وإحسان زائد عن الوصف — ليحارب بهم يشبك وطائفته ، ويُخرجهم من الديار المصرية ، أو يقبض عليهم كما فعل أوّلا ويستبدّ بعدهم بالأمر ، فجاء حساب الدهر غير حسابه ، ولم يخرج إليه أحد غير أصحابه الذين خرجوا معه ، وأخلع السلطان على الأمير إينال باى من قجماس باستقراره عوضه أمير آخورا كبيرا فى يوم الأثنين عشرين صفر ، وبعث السلطان إلى سودون طاز بالأمير قطلوبغا الكركى يأمره بالعود على إقطاعه وإمرته من غير إقامة فتنة ، وإن أراد البلاد الشأمية فله ما يختاره من النيابات بها ، فامتنع من ذلك وقال : لا بدّ من إخراج آقباى طاز الكَرَكى الخازندار أوّلا إلى بلاد الشام ، فلم يوافق السلطان على إخراج آقباى ، وبعث إليه ثانيا بالأمير بشباى الحاجب الثانى فلم يوافق ، فبعث إليه مرة ثالثة فلم يرض ، وأبى إلا ما قاله أوّلا من إخراج آقباى ، فلما يئس السلطان منه ركب بالعساكر من قلعة الجبل[1] ، ونزل

(١) قلعة الجبل ، هى قلعة مصر التى تشرف على القاهرة ، وقد سبق التعليق عليها فى جـ ٦ ص ٥٤ ، جـ ٧ ص ١٩٠ ، وفى صحيفتى ٧ ، ٢٨ من هذا الجزء ، وأستدرك على تلك التعليقات أن صلاح الدين أمر بإنشائها لتكون دارا للملك وحصنا يقى مصر شر العدوان . وقد وضع مشروع إنشاء القلعة وبناء أسوار تربطها بالقاهرة والفسطاط ، وعهد بتنفيذ هذا المشروع إلى وزيره بهاء الدين قراقوش . فبدأ بإنشائها سنة ٥٧٢ هـ ، ١١٧٦ م . وظل العمل جاريا فيها حتى توفى صلاح الدين قبل أن يتم بناؤها . وفى لوحة تذكارية فوق باب المدرّج وهو بابها الأعظم تقرأ : « أمر صلاح الدين بإنشائها بإشراف أخيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ، على يد أمير مملكته قراقوش بن عبد الله الملكى الناصرى » . وفى أبراج القلعة وأبوابها وأسوارها نلمس عظمة الحصون المنيعة . ولا تزال محتفظة بأبوابها وأبراجها التى ترجع إلى عصر صلاح الدين والملك العادل . وهى ممثلة فى ضلعيها الشرقى والقبلى . وذلك الى كثير من أجزائها التى تنسب إلى ملوك مصر فى دولتى المماليك البحرية والجراكسة ، ثم فى العصر العثمانى الى عصر المغفور له محمد على باشا ، وإليه يرجع إنشاء مداخلها الحالية الباب الجديد والباب الأوسط وكثير من الأسوار والدراوى فوق أسوار القلعة . هذا عدا مسجده الكبير ودار الضرب وقصرى الجوهرة والحرم .

جميع عساكره بالسلاح وآلة الحرب فى يوم الأربعاء سادس شهر ربيـع الأول ، فلم يثبت سودون طاز، ورحل بمن معـه وهم نحو الخمسمائة من الممـاليك السلطانية ومماليكه، وقد ظهر الأمير قانى باى العلائى ولحق به من نحو عشرة أيام ، وصار من حزبه، فتبعه السلطان بعساكره وهو يظن أنه توجه إلى بُلْبَيْس .

وكان سودون عند ما وصل إلى سرياقوس نزل من الخليج ومضى إلى جهة القاهرة وعبر من باب البحر بالمَقْس[1]، وتوجّه إلى المَيْدان، وهجم قانى باى العلائى فى عدّة كبيرة على الرُّمَيْلَة[2] تحت القلعة ليأخذ باب السلسلة، فلم يقدر على ذلك، ومر السلطان الملك الناصر وهو سائق على طريق بلبيس، وتفرّقت عنه العساكر وتاهوا فى عدّة طرق .

و بينما السلطان فى ذلك بلغه أن سـودون طاز توجه إلى نحو القـاهرة وهو يحاصر قلعة الجبل، فرجع بأمرائه مسرعا يريد القلعة حتى وصل إليها بعد العصر ، وقد بلغ منه ومن عساكره التعب مبلغا عظيما، ونزل السلطان بالمقعد المطلّ على الرُّمَيْلَة من الإسطبل ببـاب السلسلة ، وندب الأمراء والممـاليك لقتال سـودون طاز ، فقاتلوه فى الأزقّة طعنا بالرماح ساعة فلم يثبت ، وانهزم بمن معه، وقد جرح من الفريقين جماعة كثيرة، وحال الليل بينهم ، وتفرّق أصحاب سـودون طاز عنه ، وتوجّه كلّ واحد إلى داره ، و بات السلطان ومن معه على تخوّف ، وأصـبح من الغد فلم يظهر لسودون طاز ولا قانى باى خبر، ودام ذلك إلى الليل، فلم يشعر الأمير يشبك وهو جالس بداره بعـد عشاء الآخرة إلا وسودون طاز دخل عليه فى ثلاثة

---

(١) باب البحر ، يعرف بباب المقس ، و يعرف اليوم بباب الحديد ، و ينسب إليـه ميدان باب الحديد، وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٥ ص ١٩٦ ج ٣

(٢) الرميلة : (ميدان صلاح الدين)، (المنشية الآن) .

أنفس، وترامى عليه، فقبله وزاد(١) في إكرامه وأنزله عنده، وأصبح يوم الجمعة كتب سودون طاز وصيته وأقام بدار يشبك إلى ليلة الأحد عاشره، فأنزل في حراقة وتوجه إلى [ثغر(٢)] دمياط(٣) بطالا بغير قيد، ورتب له بها ما يكفيه، بعد أن أنعم عليه الأمير يشبك بألف دينار مكافأة له على ما كان سعى في أمره حتى أخرجه من حبس الإسكندرية وعوده إلى وظيفته وإبقائه في قيد الحياة، فإن جكم الدوادار كان أراد قتله عند ما ظفر به، وحبسه بالإسكندرية لولا سودون طاز هذا.

وأما قاني باي هذا(٤) فإنه آختفى ثانيا فلم يعرف له خبر، وسكنت الفتنة.

فلما كان خامس عشرين شهر ربيع الأول قدم الأمير سودون الحمزاوى نائب صفد إلى القاهرة بآستدعاء من السلطان صحبة الطواشي عبد اللطيف اللالا بسعي الأمير آقباى طاز الكركى الخازندار في ذلك لصداقة كانت بينهما. وأخلع السلطان على الأمير شيخ السليماني شاد الشراب خاناه، وآستقر في نيابة صفد عوضا عن سودون الحمزاوى، وأنعم السلطان على سودون الحمزاوى بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة.

---

(١) في «م» «وبالغ» وهما بمعنى واحد.

(٢) سقطت هذه الكلمة من «ف».

(٣) دمياط: من أشهر ثغور مصر على مصب فرع النيل، لعبت دورا خطيرا في الحروب الصليبية. وآسمها القديم تمياتيس. وقد سبق التعليق عليها في صفحتى ٤٠، ٦٥ من هذا الجزء وفي جـ ٥ ص ٣١٢ باقتضاب. ولأهميتها يحسن مراجعة (خطط المقريزى) جـ ١ ص ٢١٣ (والخطط التوفيقية الجديدة) جـ ١١ ص ٣٦ (وقاموس الأمكنة والبقاع) ص ١١٤

(٤) في «م» «وأما قاني باي العلائي».

ثم أنعم السلطان على الوالد بإمرة مائة وتقدمة [ألف](١)، وأزيد مدينة أبيار(٢) من الديوان المفرد، ورسم له أن يجلس رأس ميسرة .

ثم أخرج(٣) الأمير قرقماس الرمّاح إلى دمشــق على إقطاع الأمير صُرُق . وأخلع(٤) السلطان على سودون الحمزاوى المعزول عن نيـابة صفد بآستقراره شـادّ الشراب خاناه عوضا عن شيخ السليمانى المُسرطن المنتقل إلى نيابة صفد ، فلم يقم سودون الحمزاوى فى المُشدية إلا أياما ، ومرض صديقــه الأمير آقباى الكركى الخازندار ومات ، فولّى الخازندارية عوضه فى يوم الأثنين سابع جمادى الآخرة .

ثم فى ليلة الأربعاء ثالث عشرين [جمادى الآخرة(٥)] غمز على قانى باى العلائى فى دار فكبس عليها(٦) ، وأُخذ منها ، وقيّد وحُمل إلى الإسكندرية .

وفى هــذه الأيام ورد الخبر أن سودون طاز خرج من ثغر دمياط يوم الخميس رابع عشرين جمادى الآخرة فى طائفة ، وأنه اجتمع عليه جماعة كبيرة من العربان والممـاليك ، فندب السلطان لقتاله الوالد والأمير تمراز الناصرى أمير مجلس وسودون الحمـزاوى فى عدة أمراء أُخر ، وخرجوا من القـاهرة ، فبلغهم أنه عنـد الأمير [علم(٧) الدين سليمان بن] بقر بالشرقية جاءه ليساعده على غرضه ، فعند ما أتاه أرسل [ابن(٨)] بقر إلى الأمراء يعلمهم بأن سودون طاز عنده ، فطرقه الأمراء وقبضوا عليه وأحضروه إلى القلعة فى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة .

---

(١) سقطت هذه الكلمة من « ف » . (٢) أبيار : بلدة قديمة من مديرية الغربيــة شرق كفر الزيات . (الخطط التوفيقية الجديدة) جـ ٨ ص ٢٨ (ورحلة ابن بطوطه) جـ ١ ص ١٥ فقد زارها ووصف صناعاتها ومن لق بها من العلماء ، ووصف الاحتفال برؤيا رمضان فيها . (٣) رواية السلوك : «وفى سابع عشره أخرج» . (٤) رواية السلوك : «وفى عشرينه خلع» . (٥) هذه الكلمة ساقطة من «ف» . (٦) كذا فى «ف» ورواية « م » «عليه بها» . (٧) الزيادة عن السلوك . (٨) ساقطة من الأصلين ، وسياق الكلام يقتضى إثباتها .

ثم أصبح السلطان فى يوم الخميس أول شهر رجب، سمّر خمسة من المماليك السلطانية ممن كان مع [الأمير][1] سودون طاز، أحدهم سودون الجلب الآتى ذكره فى عدة أماكن، ثم جانبك القَرَمانى حاجب حجّاب زماننا هذا، فاجتمع المماليك السلطانية لإقامة الفتنة بسببهم : وتكلّم الأمراء مع السلطان فى ذلك، نخلّى عنهم، وقيّدوا وسجنوا بخزانة شمائل، ونفى سودون الجلب إلى قبرس بلاد الفرنج من الإسكندرية .

ثم فى ثالث شهر رجب حمل سودون طاز مقيّدا إلى الإسكندرية، وسجن بها عند غريمه الأمير جَكَم من عوض الدوادار .

وفى هذا الشهر ورد الخبر من دمشق أنه أقيمت الجمعة بالجامع الأموى وهو خراب، وكان بطّل منه صلاة الجمعة من بعد كائنة تيمور، وأن الأمير شيخا المحمودى نائب دمشق سكن بدار السعادة بعد أن عمرت، وكانت حرقت أيضا فى نوبة تيمور، وأن سعر الذهب زاد عن الحدّ، فأجيب : بأن الذهب [قد][1] زاد سعره بمصر أيضا، حتى صار سعر المثقال الهرجة[2] بخمسة وستين درهما، والدينار المشخّص[3]، بستّين درهما .

ثم عقد السلطان للأمير[4] سودون الحمزاوى على أخته خوند زينب بنت الملك الظاهر برقوق، وعُمرها نحو الثمان سنين، فصارت أخوات السلطان الثلاث

---

(١) سقطت هذه الكلمة من « ف » .

(٢) المثقال الهرجة : عرّف المقريزى المثقال بأنه اسم لما له ثقل سواء كبر أو صغر، وغلب عرفه على الصغير . وصار فى عرف الناس اسما على الدينار حاشية ٥ ص ٨ ؛ (إغاثة الأمة بكشف الغمة) ولم أقف على تفسير للهرجة، ولعل المقصود به الدينار المهرج، أى الردئ المخلوط (إغاثة الأمة) ص ٦٧

(٣) الدينار المشخص : عمله أجنبية مرسوم على أحد وجهيها صورة ملك الدولة التى ضربت فيها وعرفت بالدنانير الأفرنتية . صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٤١ .

(٤) كذا فى « ف » ورواية « م » « ثم عقد السلطان عقد الأمير » .

كل واحدة مع أمير من أمرائه ، فخوند سارّة زوجة الأمير نوروز الحافظى ، وخوند بيرم زوجة الأمير إينـال باى بن قجماس ، وخوند زينب وهى أصغرهن مع سودون الحمزاوى هذا .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشرين شهر رجب أخلع السلطان على قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العَـديم بآستقراره فى قضاء الحنفية بالديار المصرية بعد أن عزل القاضى أمين الدين عبـد الوهاب الطرابلسى بسَـفارة الوالد لصحبةٍ كانت بينهما من حلب .

ثم فى ليـلة الثلاثاء سابع عشرين شهر رجب المذكور أرسـل السلطانُ إلى الإسكندرية الأميرَ أقبردى والأمير تَنْبَـك من الأمراء العشرات فى ثلاثين مملوكا من المماليك السلطانية ، فوصلوها فى تاسع شعبان ، وأخرجوا الأمير نوروز الحافظى ، وجَكَم من عوض ، وسُودون طاز ، وقانى باى العلائى من سجن الإسكندرية وأنزلوهم فى البحر المـالح ، وساروا بهم إلى البلاد الشامية ، فحُبِس نوروز وقانى باى فى قلعـة الصُّبيبة[(١)] من عمل دمشق . وحُبِس جَـكَم فى حِصن الأكراد[(٢)] من عمـل طرابلس ، وحُبس سودون طاز فى قلعة المَرْقَب[(٣)] ، ولم يبق بسجن الإسكندرية من الأمراء غير سودون من زاده ، وتَمُرْبُغا المشطوب .

---

(١) قلعة الصبيبة ، هى قلعة بانياس جنوبى غربى دمشق ، وهى على بعد ساعة من بانياس ، وترتفع عنها نحو ٢٠٠ قـدم . وما زالت بقاياها موجودة إلى الآن . وكانت قلعـة حصينة قديمة ، عنى بإصلاحها الصليبيون والمسلمون (آثار الأدهار) ٦٧٨

(٢) حصن الأكراد : قلعـة الحصن ، أو حصن الأكراد والكرك كما يسميها فرسان الصليبيين . وهى محفوظة من عهد الصليبيين على ماهى عليه . وهى آية فى الهندسة والإتقان . (خطط الشام) جـ ٥ ، ٢٩٦

(٣) قلعـة المرقب : اسم لبلد وحصن يشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينـة بانياس . عمرها المسلمون سنة ٤٥٤ هـ ١٠٦٢ م ولاتزال القلعة موجودة تطل على البحر بجوار طرسوس . وكانت فى سـنة ١٨٨١ م مركزا للحكومة ، (معجم البلدان) جـ ٨ ص ٢٧ ، و (تاريخ العرب) لفيليب جـ ٣ ص ٧٧٨ و (تاريخ سوريا) لجورجى ينى ص ٣٥٦ .

ثم حُوّل جَكَم بعد مدّة إلى قلعة المَرْقَب عند غريمه سودون طاز .

ثم فى ثامن عشر شوّال خلع السلطان على الأمير بَكْتَمُر الرُّكْنى أمير سلاح بآستقراره رأس نوبة الأمراء عوضا عن نوروز الحافظى ، واستقر الأمير تِمْراز الناصرى أمير مجلس عوضه أمير سلاح ، وآستقر سُودون الماردانى رأسَ نوبة النُّوب أميرَ مجلس عوضا عن تمراز ، وآستقر سودون الحمزاوى رأس نوبة النوب عوضا عن سُودون الماردانى ، وأخلع السلطان على الأمير طُوخ بآستقراره خازِنْدارا عوضا عن سودون الحمزاوى .

ثم فى خامس عشرين ذى القعدة أُفرج عن سعد الدين إبراهيم بن غراب وأخيه فخر الدين ماجد ، وكان السلطان قبض عليهما من شهر رمضان ، وولّى وظائفهما جماعةً ، واستمرّا فى المصادرة إلى يومنا هذا ، وكان الإفراج عنهما بعد ما التزم سعد الدين بن غراب بحَمْل ألف ألف درهم [فضة](١) ونخر الدين بثلاثمائة ألف درهم ، ونُقلا إلى السالمىّ ليستخرج الأموالَ منهما ثم يقتلهما(٢) .

وكان ابن قايماز أهانهما وضرب نخر الدين وأهانه ، فلم يعاملهما السالمىّ [بمكروه](٣) ولم ينتقم منهما ، وخاف سوءَ العاقبة ، فعاملهما من الاحسان والإكرام بما لم يكن ببالِ أحد ، وما زال يسعى فى أمرهما حتى نُقِلا من عنده لبيت شادّ الدواوين ناصر الدين محمد بن جلبان الحاجب ، وهذا بخلاف ما كانا فعَلا مع السالمىّ ، فكان هو المحسن وهم المسيئون .

ثم أخلع السلطان على يَلْبُغا السالمىّ بآستقراره أُسْتادارا ، وعَزَل آبن قايماز ، وهذه ولاية يَلْبُغا السالمىّ الثانية .

(١) تكلة عن « م » . (٢) كذا فى « م » . والذى فى « ف » « ليقتلهما » .
(٣) هذه الكلمة عن « م » .

ثم فى سابع ذى الحجّة من سنة خمس أخرج السلطان الأمير أَسَنْبُغا المصارع ، والأمير نُكْباى الأَزْدَمُرى وهمـا من أمراء الطبلخاناه بمصر إلى دمشق ، و إينال المظفَّرى وآخر . وهما من الأمراء العشرات ، ورسم للاربعة بإقطاعاتٍ هناك ، لأمر آقتضى ذلك ، فساروا إلى[1] القلعة[2] .

فلمـا كان يوم تاسع عشرين ذى الحجّة أغلق المماليك السلطانيّة بابَ القصر من قلعة الجبل على مَن حضر من الأمراء ، وعوّقوهم بسبب تأخُّر جَوامِكهم ، فنزل الأمراء من باب السرّ[3] ، ولم يقع كبيرُ أمر ، وأمر السلطان لِيَلْبُغا السالمى أن ينفق عليهم فنفق عليهم .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع المحرّم من سـنة ستٍّ وثمانمائة عُزِل يَلْبُغا السالمى عن الأستادارية ، وأعيد إليها ركن الدين عمر بن قايماز ، وقبض على السالمى وسلّم إليه .

ثم فى ثامنـه أخلع السـلطان على الصـاحب علم الدين يحيى أبى كُمّ وآسـتقرّ فى الوزارة ونظر الخاصّ معـا عوضا عن تاج الدين بن البقرى واستقر ابن البقرى على ما بيده من وظيفتَىْ نظر الجيش ونظر ديوان المفرد[4] ، فلم يباشر أبو كمّ الوَزَر غير ثمانيــة أيام وهرب وآختفى ، فأعيد تاج الدين بن البقرى إليها ، هـذا والسالمى فى المصادَرة .

---

(١) فى كلتا النسختين « من » ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) كذا فى « ف » . والذى فى « م » : « القاهرة » .

(٣) باب السر : أحد أبواب قلعة الجبل ، وكان مخصصا لدخول أكابر الأمراء وخواص الدولة كالوزير ، وكاتب السر ، ونحوهما . وكان يتوصل إليه من الصوّة ، وهى بقية النشز الذى بنيت عليه القلعة . ومحـله الآن البـاب الوسطانى الذى جدّده محمد على باشا الكبير . وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ صحيفة ١٧٢ جـ ٨ النجوم .

(٤) كان للخليفة فى الدولة الفاطمية ديوان يسمى الديوان المفرد . وكان للملك الظاهر برقوق ديوان المفرد أيضا أفرد له بلادا للصرف من مستغلها على نفقة مماليكه من جامكيات وعليق وكسوة . (صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٥٧) .

وفى هـذه السنة كان الشراقى العظيم[1] بمصر ، وعقبه الغَلاء المفرط ثم الوباء ، وهذه السنة هى أوّل سنين الحوادث والمحَن التى خرّب فيها معظم الديار المصرية وأعمالها ، من الشراقى ، واختلاف الكلمة ، وتغيير الوُلاة بالأعمال وغيرها .

ثم فى شهر ربيـع الأول كتب بإحضار دقمـاق نائب حلب ، وفيـه اختفى الوزير تاج الدين بن البقرى ، فخلع على سعد الدين بن غراب وآستقر فى وظيفتى الأستادارية ونظر الجيش ، وصرف آبن قايمـاز ، وخلع على تاج الدين رزق الله وأعيد إلى الوزارة .

وفى خامس صـفر كتب بآستقرار الأمـير آقبغا الجمـالى الأطروش فى نيابة حلب عوضا عن دُقْماق ، فلما بلغ دقماق أنه طُلب إلى مصر هرب من حلب .

ثم قدم الخبر على السلطان بأنّ قرا يوسف بن قرا محمد قدم إلى دمشق . فأنزله الأمير شيخ المحمودى بدار السعادة وأكرمه .

وكان من خبر قرا يوسف أنه حارب السلطان غياث الدين أحمـد بن أويس وأخذ منه بغداد .

فلما بلغ تيمور ذلك بعث إليه عسكرا ، فكسرهم قرا يوسف ، فجهّز إليه تيمور جيشا ثانيا فهزموه ، ففرّ بأهله وخاصّته إلى الرّحبة ، فلم يمكّن منها ونهبته العرب ، فسار إلى دمشـق ، فوافَى بهـا السلطانَ أحمد بن أويس وقد قدمها أيضا قبـل

(١) يعزو المقريزى أسباب هذه المحن إلى قصر مدّ النيل ، فقد شنع الأمر وارتفعت الأسعار حتى تجاوز الإردب القمح أربعمائة درهم ، وسرى ذلك فى كل ما يباع من مأكل ومشرب وملبس ، وتزايدت أجر الأجراء ، كالبنائين والفعلة وأرباب الصنائع والمهن تزايدا لم يسمع بمثله فيما قرب من هذا الزمن . حتى جاء الغوث من الله تعالى فى سنة سبع وثمانمائة ، فكثرت زيادة النيل ، وعم النفع به « ملخصا من إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزى » ص ٤٢ .

تاريخه، وأخبر الرسول أيضا أن قانى باى العلائى هرب من سجن الصُّبَيْبَة، فتأخر نوروز بالسجن ولم يعرف أين ذهب .

ثم فى يوم الثلاثاء خلع السلطان على بدر الدين حسن بن نصر الله الفُوِّى(١) وٱستقر فى نظر الخاص عوضا عن ٱبن البقرى ، وهـذه أول ولاية الصاحب بدر الدين ٱبن نصر الله للوظائف الجليلة .

ثم فى عاشره ٱختفى الوزير تاج الدين، وفى ثالث عشره أعيد ٱبن البقرى للوزر على عادته ونظر الخاص ، وصرف ٱبن نصر الله ، هـذا والموت فاش بين الناس وأكثر من كان يموت الفقراء من الجوع .

ثم فى آخر جمـادى الآخرة رسم بالقبض على السلطان أحمـد بن أويس ، وقرا يوسف بدمشق، فقبض عليهما الأمير شيخ وسجنهما .

ثم فى يوم الأثنين ثامن عشر شهر رجب قدم إلى القاهرة سـيف الأمير آقبغـا الجمالى الأطروش نائب حلب بعـد موته ، فرسم السلطان بانتقـال الأمير دمرداش المحمدى نائب طرابلس إلى نيابة حلب ، وحمل إليه التقليد(٢) والتشريف الأمير سودون المحمدى المعروف تلى .

(١) الفوّى : نسبة إلى فوّة التابعة لمركز دسوق، وله بها مسجد معروف به .

(٢) التقليد ، هو مرسوم التعيين الموقع من السلطان . والتشريف ، هو الملابس المهداة إلى كبار الموظفين . ونيابة حلب نيابة جليلة تلى نيابة دمشق ، والتشريف الذى يصرف إلى نائبها يكون مكوّنا من : فوقانى أطلس أحمر بطرز زركش مفرى بسنجاب بدائره سجف من ظاهره مع غشاء قندس ، وتحته قباء أطلس أصفر ، وكلوتة زركش بكلاليب ذهب ، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض ، مرقومان بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحـرير الملوّن . ومنطقة ذهب مركبة على حاشية حرير تشـدّ فى وسطه ، ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب . فأعلاها أن يعمل من عمدها بواكير وسـطا ومحبسين، مرصعة بالبلخش والزمرد واللؤلؤ ثم ما كان بيبكارية واحدة مرصـعة ، ثم ما كان ببيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مفخمة مثل دمشق أو حلب أو حماة زيد سيفا محلى بذهب وفرسا مسرجا ملجما بكنبوش زركش . وربما زيد أكابر النواب كنائب الشام . تركيبة زركش على الفوقانى وشاش حرير سكندرى مموج بالذهب ، ويعرف ذلك بالمثمر — صبح الأعشى جـ ٤ ص ٥٢ .

وفى أثناء ذلك ورد الخبر بأن الأمير دقماق نزل على حلب ومعه جماعة من التركمان فيهم الأمير على بك بن دلغادر ، وفرّ منه أمراء حلب ، فملك دقماق حلب ، ورسم السلطان بانتقال الأمير شيخ السليمانى المسرطن نائب صفد إلى نيابة طرابلس ، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير أقبردى ، ورسم باستقرار الأمير بَكْتَمُر جلّق أحد أمراء دمشق فى نيابة صَفَد(١) عوضا عن شيخ السليمانى المسرطن ، وخرج الأمير إينال المأمور(٢) بقتل الأمراء المسجونين بالبلاد الشامية ، وقبل وصول إينال المذكور أفرج الأمير دمرداش نائب طرابلس عن الأمير جكم وعن سودون طاز ، وكانا ببعض حصون طرابلس وسار بهما إلى حلب ، وهذا أوّل أمر جكم وظهوره بالبلاد الشامية على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ثم فى يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة قبض السلطان على الأمير بيبرس الدوادار الثانى ، وعلى الأمير جانم من حسن شاه ، وعلى الأمير سودون المحمدى تلى ، وحملوا إلى سجن الإسكندرية ، واستقر الأمير قرقماس أحد أمراء الطبلخانات دوادارا ثانيا عوضا عن بيبرس المذكور .

ثم فى صفر من سنة سبع وثمانمائة ، وقع بين الأمير يشبك الشعبانى وبين الأمير إينال باى بن قجماس الأمير آخور كبير وسبب ذلك : أن الأمير يشبك الشعبانى الدوادار صار هو مدبّر الدولة وبيده جميع أمورها من الولاية والعزل ، فصار له بذلك عصبة كبيرة ، فأحبوا عصبته عزل إينال باى من الأميراخورية ، لاختصاصه بالسلطان الملك الناصر لقرابته منه ثم لمصاهرته ، فإنه كان تزوج بخوند

(١) رواية م « طرابلس » ؛ وهو خطأ .

(٢) رواية (ف والسلوك) « المأمورى » .

بيرم بنت الملك الظاهر برقوق ، وسكن بالإسطبل السلطانى[١] على عادة الأميراخورية ، فصار السلطان ينزل عنده و يقيم ببيت أخته و يعاقره الشراب ، فعظم أمر إينال باى لذلك ، نخافه حواشى يشبك ، وأحبوا أن يكون جركس القاسمى المصارع عوضه أميراخورا ، واتفقوا مع يشبك على ذلك ، فانقطعوا عن حضور الخدمة السلطانية من جمادى الأولى ، فآستوحش السلطان منهم . وتمادى الحال إلى يوم الجمعة ، فأمر السلطان لإينال باى أن ينزل للأمراء المذكورين و يصالحهم ، فمنع جماعة من المماليك السلطانية إينال باى أن ينزل ، واشتد ما بينهم من الشر حتى خاف السلطان عاقبة ذلك ، و باتوا مترقبين وقوع الحرب بينهما ، وكان السلطان رسم للأمير يشبك أن يتحول من داره قبل تاريخه ، فإنها مجاورة لمدرسة السلطان حسن[٢] ، فامتنع يشبك من ذلك

(١) المقصود الإسطبل السلطانى بالقلعة ، لأن وظيفة الأميراخور الإشراف على الإسطبلات الخاصة والبريد والهجن . (زبدة كشف الممالك) ص ١٢٦

(٢) هذه المدرسة بميدان صلاح الدين تحت القلعة ، وهى من مفاخر العمارة الإسلامية ، لا يعادلها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها . ووصفها المقريزى بقوله « فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكى هذا الجامع وقبته التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها » أنشأها السلطان حسن بن محمد بن قلاوون لتكون مسجدا ومدرسة للمذاهب الأربعة وألحق بها مساكن للطلبة ، وامتازت هذه المدرسة بضخامة عقد إيوانها الشرقى الذى لا نظير له فى العمارة الإسلامية . وكان البدء فى إنشائها سنة ٧٥٧ ه‍ ١٣٥٦ م وصرف عليها بسخاء عظيم ، واحتفل بافتتاحها قبل الفراغ من بنائها وذلك فى سنة ٧٦٠ ه‍ ١٣٥٩ م . ورغم أن الأمير بشير الجمدار قام بأعمال تكميلية فى المدرسة بعد وفاة السلطان حسن سنة ٧٦٢ ه‍ ١٣٦١ م فان الكثير من رخامها وزخارفها لم يتم إلى الآن كما يبدو فى المدخل العام .

ويتوسط القبة قبر دفن فيه الشهاب أحمد بن السلطان حسن المتوفى سنة ٧٨٨ ه‍ ١٣٨٦ م . أما السلطان حسن فلم يدفن بها ، ولم يعرف له قبر .

راجع تاريخها بإسهاب فى تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ١٦٥ — ١٨١ .

فساء ظن السلطان به، ثم استدعى السلطان القضاة في يوم السبت ثاني صفر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس ليصلحوا بين إينال باى و بين يَشْبَك ورفقتِه، فلم يقع صلح بين الطائفتين، وتسوّر بعضُ أصحاب يَشبَك على مدرسة السلطان حسن، فتحقّق السلطان عند ذلك ما كان يظنّه بيَشْبُك، ويحذِّره منه إينال باى وغيره، وأخذ كلّ أحد من الطائفتين في أهبة الحرب، والسلطان من جهة إينال باى، وأصبحوا جميعا يوم الأحد لابسين السلاح، وطلع أعيان الأمراء إلى السلطان، وهم الأتَابك بيبرس، والوالد، و بَكْتَمُر رأس نوبة الأمراء، وسُودون الماردانى أمير مجلس، وآقباى حاجب الحجّاب، وطُوخ الخازندار في آخرين من مقـدّمى الألوف والطبلخانات والعشرات والمماليك السلطانيّة.

وكان مع يَشْبَك من أمراء الألوف سبعة[1]، وهم الأمير تِمْراز الناصرى أمير سلاح، ويَلْبُغا الناصرى، و إينال حطب العلائى، وقُطْلُوبُغا الكَرَكى، وسودون الحمزاوى رأس نوبة النوب، وطُولو، وجركس المصارع، وانضم معهم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأستادار، ومحمد بن سنقر البكجرى، وناصر الدين محمد بن على ابن كابك[2]، في جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية، وتجهّز يَشْبك للحرب، وأعدّ بأعلى مدرسة السلطان حسن مدافع النفط والمكاحل والأسهم للرمى على الإسطبل السلطانى وعلى من يقف تحته من الرميلة، واجتمع عليه خلائق، ونزل السلطان أيضا من القصر إلى الإسطبل السلطانى، وجلس بالمقعد واجتمع عليه أكابر أمرائه وخاصّكيته، ووقع القتال بين الطائفتين والحصار والرمى بالمدافع من بكرة يوم الأحد إلى ليـلة الخميس سابعه، وقد ظهر أصحاب السلطان على البشبكيّة، وحصروهم والقتال مستمرّ بينهم، وأمرُ يشبك في إدبار، وحالُ السلطان في آستظهار، إلى أن

(١) في (ف): «ستة»، والترتيب الآتى يقتضى ما أثبتنا كما في (م). (٢) في حاشية (م) «كبك».

كانت ليلة الخميس المذكورة، فاتفق الأمير يَشْبك مع أصحابه، وركب نصفَ الليل، وخرج بمن معه من الأمراء من الرميلة على حَميّــة، ومرّوا من تحت الطبلخاناه إلى جهة الشام، فلم يتبعهم أحد من السلطانيّة، ونودى بالقاهرة فى آخر الليلة المذكورة بالأمان، ومُنع أهل الفساد والزُّعر من النَّهْب ، ومرّ يشبك بمن معه من الأمراء والممـاليك إلى قَطْيَا، فتلقّاه مشايخ عربان العائذ[(١)] بالتقادِم، وسار إلى العريش وقد بلغ خبره إلى غزّة، فتلقّاه نائب غزّة الأمير خير بك بعساكر غزّة، فدخلها يوم الأربعاء ثالث عشر صفر[(٢)] ونزل بها .

ثم بعث الأمير طُولُو إلى الأمير شيخ المحمودى نائب الشام يُعلمه الخبر ، وسار طُولُو يريد دمشق حتى قدم دمشق يوم الأحد ثامنَ عشره، فخرج الأمير شيخ إليه، وتلقّاه وأعلمه طولو الخبرَ، فشقّ ذلك عليه، ووعَدَه بالقيام بنُصْرته[(٣)] ليشبك .

وكان فى ثامن عشر الشهر الخـارج[(٤)] قدم الأمير دقماق المحمّدى دمشق فأكرمه الأمير شيخ .

وخبرُ دقماق وسببُ قدومه إلى دمشق، أنه لمـّا فرّ من حَلَب، وجمع التركمان وأخذ حلب ، وقدم الأمير دمرداش المحمّدى نائب طرابلس عليه وقد ولى نيابة حلب بعد أن أطلق دمرداش وسُودون طاز وجَكَم ، وسار بهما من طرابلس إلى حلب لقتال التركمان، وواقع التركمان بعد أن قتل سودون طاز، فانكسر دمرداش، وملَكَ جَكَم حلب منه بعــد أمور صدرتْ يطول شرحها ، فكتبَ السـلطان إلى دقماق يخيّره فى أىّ بلد يقيم؟ فآختار الشام، فقدمها .

(١) رواية صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٨٤ « عربان العائذ بالشرقية » .

(٢) فى السلوك « ثالث عشر جمادى الأولى » .

(٣) كذا فى (ف) . ورواية (م) : « بنصرة يشبك » ، والمؤدّى واحد .

(٤) الخارج، أى « المنصرم » .

ولما بلغ الأمير شيخ ما وقع لَيَشْبك بعث بالأمير أَلْطُنْبُغا حاجب الحجّاب بدمشق والأمير شهاب الدين أحمد بن اليغموري، وجماعة أُخر من الأعيان إلى الأمير يَشْبَك، ومعهم أربعة أحمال قماش ومال، وكتب شيخ على أيديهم مطالَعات للأمير يَشْبَك يرغّبه في القدوم عليه، وأنه يقوم بنُصرته ويوافقه على غرضه .

فلّما بلغ يَشْبَك ذلك رحل من غزّة في ليلة الاثنين خامس عشرينه، بعد ما أقام بها ثلاثة عشر يوما، وأخذ ما كان بها من حواصل الأمراء وعدّة خيول، وبعث إليه أهل الكَرَك(١) والشُّوبَك(٢) بعدّة تَقادِم، بعد ما كان عرض من معه من المقاتلة فكانوا ألفا وثلاثمائة وخمسة وعشرين(٣) فارسا، وتلقّاه بعد مسيره من غزّة بمشايخ بلاد الساحل(٤)،وحمل إليه الأمير بَكْتَمُر جلق نائب صَفَد عدّة تقادم — وقدم عليه ابن بشارة في عدّة من مشايخ العشير .

ثم جهز إليه الأمير شيخ نائب الشام جماعةً لملاقاته طائفةً بعد أخرى .

ثم خرج إليه شيخ المذكور من دمشق حتى وافاه، فلمّا تقاربا ترجّل الأمير شيخ عن فرسه، فلمّا عاينه يشبك ترجّل هو وأصحابه وسلّم عليه، ثم سلّم على الأمراء وجلسا قليلا .

---

(١) الكرك: بلد مشهور، وله حصن منيع، وهو أحد المعاقل بالشام من جهة الحجاز، وتعرف بكرك الشوبك لقربها منها . (تقويم البلدان ٢٤٧)؛ (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٥) .

(٢) الشوبك: بلدة صغيرة ذات عيون وجداول وبساتين وأشجار وفواكه مختلفة، ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تل مرتفع أبيض مطل على الغور من شرقيه، (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٧) .

(٣) رواية السلوك «عشرين» .

(٤) في السلوك «بلاد الساحل والجبل» .

ثم ركبا، وسار يَشْبَك المذكور وقد ألبسه شيخ هو وجميع من معه من الأمراء الخلَع بالطُّرز العريضة ، وعدّتهـم أحد وثلاثون أميرا من الطبلخانات والعشرات سـوى من تقدّم ذكُرهم من أمراء الألوف ، ودخلوا [دمشق][1] يوم الثلاثاء رابع شهر رجب .

ولمّـا طال جلوسُهم بدمشق سألهم الأمير شيخ عن خبرهم ، فأعلموه بمـا كان وذكروا له أنهم مماليك السلطان وفى طاعته ، لا يخرجون عنها أبدا ، غير أنّ إينال باى نقل عنهم للسلطان ما لا يقع منهم ، فتغيّر خاطر السـلطان عليهم حتى وقع ماوقع وأنهم ما لم يُنْصفُوا منه ويعودوا لمـا كانوا عليه وإلّا فأرض الله واسعة ، فوعَدَهم بخير، وقام لهم بمـا يليق بهم ، حتى قيل إنه بلغتْ نفقته عليهم نحـو مائتى ألف دينار مصريّة . ثم كتب شيخ إلى السلطان يسأله فى أمرهم .

وأمّا أمر السلطان الملك الناصر، فإنّه لمـا أصبح وقد آنهزم يَشْـبَك بمن معه إلى جهة الشام ، كتب بالإفراج عن الأمير سُودون من زاده، وتَمُرْبُغا المشطوب، وصُرُق وكتب [إلى الأمير نَوْرُوز[2] بالحضور إلى الديار المصرية ليستقرّ على عادته] وكتب للأمير جَكَم أمانا توجّه به طغاى تمر مقدّم البَريديّة .

ثم فى ثامن عشره خلع على عدّة من الأمراء بعدّة وظائف، فأخلع على سودون المـاردانى[3] أمير مجلس بآستقرازه دوادارا عوضا عن يَشْبَك الشعبانى المقدّم ذكره، وعلى الأمير سُودون الطّيار الأمير آخور الثـانى ، وآستقرّ أمير مجلس عوضـا عن سودون المـاردانى[3] ، وعلى آقباى حاجب الحجّاب بآستقراره أميرَ سلاح عوضا

(١) ساقطة من «ف» . (٢) الزيادة عن (م) والسلوك .
(٣) رواية السلوك «المـارديني» .

عن تمراز الناصرى ، وخلع على أبى كمّ، وآستقر فى وظيفة نظر الجيش عوضا عن آبن غراب، وعلى ركن الدين عمر بن قايماز ، بآستقراره أستادارا عوضا عن آبن غراب أيضا .

ثم فى تاسع عشره، قدم سودون من زاده وتمربغا المشطوب وصُرِق من سجن الإسكندرية (١) وقبّلوا الأرض بين يدى السلطان ونزلوا إلى دُورهم .

وفى حادى عشرينه خلع السلطانُ على الأمير يَشْبَك بن أَزْدَمُر باستقراره رأس نوبة النُّوَب (٢) عوضا عن سُودون الحمزاوى .

ثم ألزم السلطانُ مباشرى الأمراء المتوجّهين إلى الشام بمال، فقرّر على موجود الأمير يَشْبَك مائةَ ألف دينار، وعلى موجود تمراز مائة ألف دينار ، وعلى موجود سودون الحمزاوى ثلاثين ألف دينار ، وعلى موجود قُطْلُوبُغا الكَرَكى عشرين ألف دينار ، ورسم السلطان أن يكون الدينار بمائة درهم ، ثم آفتقد السلطان المماليكَ السلطانية ممن توجه مع الأمير يَشْبَك فكانوا مائتى مملوك .

ثم قدم الخبرُ على السلطان أنّ الأمير نَوْروز قدم إلى دمشق من قلعة الصُّبَيْبة ، فتلقّاه الأمير شيخ وأكرمه ، وضربت البشائر لقدومه بدمشق ، فعظُم ذلك على السلطان .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شهر رجب طلب السلطان جمال الدين يوسف البيرى أستادار بجاس وأخلع عليه بآستقراره أُستادارًا عوضا عن آبن قايماز، بعد مارسم على جمال الدين المذكور فى بيت شادّ الدواوين محمد بن الطبلاوى يوما وليلة ، وآستمرّ يتحدّث فى استادارية الأتابك بيبرس فإنه كان خدم عنده ليحميه من الوزر والأستادارية، فلم ينهض بيبرس بذلك .

(١) فى السلوك : « الى قلعة الجبل » .
(٢) رواية (م) «النواب» ؛ وهو خطأ .

ثم قدم الخبر بأن الأمير شيخا أفرج عن قرايوسف .

وأما خبر جكم مع دمرداش وكيف ملك منه حلب ، وقد قدّمنا ذكر ذلك مجملا من غير تفصيل ، فإن جكم لما أطلقه دمرداش وأخذه صحبته إلى حلب ، وقاتل معه التركمان ووقع لهما أمور حاصلها أن جكم تخوّف من دمرداش وفرّ منه إلى جهة التركمان ، وانضم عليه سودون الجلب بعد مجيئه من بلاد الأفرنج ، والأمير جمق نائب الكرك كان وغيره من المخامرين .

ثم وافقه ابن صاحب الباز أمير التركمان بتركمانه ، فعاد جكم وقاتل دمرداش ، ووقع بينهما أمور وحروب إلى أن ملك جكم طرابلس ، وأرسل إليه الأمير شيخ نائب الشام ، والأمير يشبك ورفقته يستميلونه ليقدم عليهم دمشق ويوافقهم على قتال المصريين ، فأجابهم إلى ذلك ، وخرج من طرابلس كأنه يريد التوجه إلى دمشق .

فلما وصل حماة أخذ نائبها الأمير علان بمن انضم عليه وتوجه بهم إلى دمرداش وقاتله حتى هزمه وأخذ منه مدينة حلب ، وفرّ دمرداش بجماعة من أمراء حلب إلى بلاد التركمان .

ولما ملك جكم حلب أنعم بموجود دمرداش على علّان نائب حماة ، وأقرّه على نيابة حماة على عادته ، فصار مع جكم حلب وطرابلس وحماة ، وأخذ يسير مع الرعية أحسن سيرة ، فأحبه الناس وجرى على ألسنتهم «جكم حكم ، وماظلم» واستمرّ جكم بحلب إلى أن أرسل إليه الأمير شيخ نائب الشام الأمير سودون الحمزاوى ، والأمير سودون الظريف ، فتوجها إلى جكم على أنه بطرابلس .

ثم أرسل الأمير شيخ الأمير شرف الدين موسى الهيدبانى[1] حاجب دمشق إلى حلب رسولا إلى دمرداش يستدعيه إلى موافقته هو ومن عنده من الأمراء .

(١) بحاشية (م) « الهنذبانى » وفى السلوك « الهذبانى » .

وكان قد ورد كتاب دمرداش على شيخ و يشبك أنه معهما(١)، ومتى دعواه حضر إليهما(٢)؛ فهذا ما كان من أمرهم، و بقية خبر قدومه يأتي إن شاء الله تعالى فيما بعد.

ثم إن الأمير شيخا نائب الشام عين جماعة من الأمراء ليتوجهوا لأخذ صفد، فخرج الأمير تمراز الناصري أمير سلاح، والأمير جاركس القاسمي المصارع، والأمير سودون الظريف بعد عوده من طرابلس، وساروا بعسكرهم(٣) لأخذ صفد من بكتمر جلّق؛ بحيلة أنهم يسيرون إلى جِشار(٤) الأمير بكتمر جلق كأنهم يأخذوه فإذا أقبل عليهم(٥) بكتمر ليدفعهم عن جشاره قاطعوا عليه وأخذوا مدينة صفد منه، فتيقظ بكتمر لذلك وترك لهم الجشار، فساقوه من غير أن يتحرك بكتمر من المدينة وعادوا إلى دمشق وأخبروا الأمراء بذلك، فاستعد شيخ لأخذ صفد وعمل ثلاثين(٦) مدفعا وعدّة مكاحل ومنجنيقين، وجمع الحجّارين والنقّابين وآلات الحصار، وخرج من دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ومعه جمع كبير من عسكر مصر والشام من جملتهم قرا يوسف بجماعته، وجماعة السلطان أحمد بن أويس [متملك بغداد](٧) وجماعة من التركمان الجشارية، وأحمد بن بشارة بعُشرانه(٨) وعيسى بن الكابولي بعشرانه، ونادى شيخ بدمشق قبل خروجه منها : من أراد النهب والكسب فعليه

---

(١) رواية (ف) «معهم ومتى دعوه» . (٢) رواية (ف) «حضر إليهم» .

(٣) رواية (م) «وساروا بعساكرهم» . (٤) الجشار : مرج الخيل .

(٥) رواية (م) «إليهم» . (٦) رواية (ف) «ثلاثون» . (٧) الزيادة عن السلوك .

(٨) كذا في الأصلين . وفي حاشية م «بعشرانه» : و رواية السلوك «بعشيرته» . وقد سبق التعليق عليه في ص ١٦ من هذا الجزء بأن العشير هو المعاشر ، وهم الجند المرتزقة ؛ وفي ص ٢٠١ من هذا الجزء بأن العشير بدو الشام والدروز ، ونرى المقريزي في السلوك يذكر في حوادث سنة ٨٠٧ أن ألطنبغا العثماني لما ولي صفد استدعى عشران صفد وعربانها ؛ وهذا يفيد أن العشران طائفة غير العربان . وسياق بقية الحوادث يفيد أن العشير مشايخ .

بمصر[1]، فاجتمع عليه خلائق، وسار معه مائة جمـل تحمل مكاحل ومدافع وآلات الحصار، وولى الأمير ألطنبغا العثمانى نيابة صفد كما كان أولا، وسار شيخ بمن معه من العساكر حتى وافى مدينة صفد، فأرسل شـيخ بالأمير علّان إلى بكتمر جلّق يكلّمه فى تسليم مدينة صفد، فلم يذعن إليه بكتمر وأبى إلا قتاله، وقال: ماله عندى إلا السيف؛ فحينئذ ركب شيخ ويشبك بمن معهما وأحاطا بقلعة صفد[2]، وحصراها من جميع جهاتها، وقد حصنها بكتمر وشحنها بالرجال، وقام يقاتل شيخا أتم قتال[3] فاستمر الحرب بينهم أياما كثيرة خرج فيها من أصحاب شـيخ نحو ثلاثمـائة رجل، وقتل أزيد من خمسين نفسا .

وبينما هم فى قتال صفد إذ ورد عليهـم الخبر بقدوم جكم إلى دمشق، ففرحوا بذلك، ولم يمكنهم العود إلى دمشق إلا عن فَيْصَل من أمر صفد .

وكان خروج جكم من حلب فى حادى عشر شهر رمضان، وسار حتى قـدم دمشق، وقد حضر إليه شاهين دوادار الأمير شيخ يستدعيه، فإن شـيخا كان أرسله إليه قبل خروجه إلى صفد بعد عود سودون الحمزاوى وسودون الظريف من طرابلس، وقبل خروج جكم من حلب سلّم قلعتها إلى الأمير شرف الدين موسى ابن يلدق، وعمـل حجّابا وأرباب وظائف، وعزم على أنه يتسلطن ويتلقب بالملك العادل .

---

(١) رواية السلوك « بصفد » . (٢) قلعة صفد : وصفها أبو الفدا بأنها ذات بنـاء جيد متين، وهى مشرفة على بحيرة طبرية، وذكرها المرحوم كرد على ضمن القـلاع المشهورة وقال : « وهى تناطح السحاب بعلوها » وتشبه الجبال بمتانتها، (خطط الشام جـ ٥ : ٢٩٤) .

(٣) ورد فى م « وقام يقاتل شيخا قيام قتال » وبالحاشية « أتم قتال » .

ثم بدا له تأخير ذلك، وقدم دمشق لمرافقة شيخ و يشبك ومن معهما، ووصل إلى دمشق ومعه الأمير قانى باى وتغرى بردى القُجْقارى و جماعة كبيرة، فخرج مَن بدمشق من أمراء مصر والشام جميعهم إلى لقائه، وأُنزل بالميدان، فسلم جكم على الأمراء سلام السلاطين على الأمراء، وأخذ يترفع عليهم ترفعا زائدا أوجب تنكرهم عليه فى الباطن، إلا أن الضرورة قادتهم إلى الانقياد إليه، فأكرموه على رغمهم، وأنزلوه وكلّموه فى القيام معهم، فأجاب، وأمرهم أن يكتبوا ليشبك وشيخ بقدومه إلى دمشق، فكتبوا إلى يشبك وشيخ بذلك، وأخذ جكم فى إظهار شعار السلطنة مع خدمه وأصحابه، فشق على الأمراء ذلك، وما زالوا به بالملاطفة حتى ترك ذلك إلى وقته، وأقام معهم بدمشق إلى ليلة الأحد سابع عشرين شهر رمضان من سنة سبع وثمانمائة المذكورة، فخرج من دمشق وتوجه مخفّا إلى طرابلس ليجمع عساكر طرابلس، وترك ثقله[1] بدمشق، وورد عليه الخبر أن دمرداش لما فر منه ركب البحر وتوجه إلى دمياط.

ثم قدم إلى مصر فى رابع عشرين شهر رمضان المذكور فهدأ سرُّ جكم بذلك عن أمر حلب.

وأما يشبك وشيخ بمن معهما من الأمراء والعساكر لما طال عليهم القتال على مدينة صفد، وعجزوا عن أخذها، تكلموا فى الصلح مع بكتمر حتى تم لهم ذلك، واصطلحوا وتحالفوا، ونزل إليهم بكتمر جلّق فى يوم الاثنين حادى عشرين شهر رمضان بعد أن كانت مدة القتال بينهم [على صفد][2] اثنين وعشرين يوما، وعاد شيخ إلى دمشق وهو مجروح، ويشبك الشعبانى وهو مجروح أيضا، وچاركس المصارع وهو مجروح.

(١) رواية السلوك «أثقاله». (٢) الزيادة عن (م).

وأما عساكرهم فغالبهـم أثخنته الجراح ، فعندما أقاموا بدمشق قدم عليهـم الأمير جكم من طرابلس بعد أن أرسلوا يستحثونه على سرعة المجىء إليهم غير مرة فخرجوا لتلقيه وسلّموا عليه ، وعادوا به إلى دمشق وهما فى غاية الحنـق من جكم ، وهو أنه لمـا وافاهما جكم ترجّل إليه الأمير يشبك عن فرسه إلى الأرض ، وسلّم عليه فلم يعبأ به جكم ، ولا التفت إليه ، لأنه كان غريمه فيما تقدّم ذكره ، فشق ذلك على الأمير شيخ ، ولام يشبك على ترجّله .

ثم عتب شيخ جكم على ماوقع منه فى عدم إنصاف يشبك ، ونزل[1] جكم بالميدان وجاس فى صدر المجلس ، وجلس يشبك عن يمينه ، وشيخ عن يساره ، فكاد شيخ ويشبك أن يهلكا فى الباطن ، ولم يسعهما إلا الإذعان لتمام أمرهما .

ثم أمرهم جكم ألّا يفعـلوا شيئا إلا بمشاورته ، فاتفقوا على منع الدعاء للسلطان الملك النـاصر فرج بمنابر دمشـق ، فوقع ذلك للخطباء ، وذكروا[2] اسم الخليفة فى الخطبة فقط .

وكان الأمير شيخ قبل قدوم جكم إلى دمشق أفرج عن السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد من سجن دمشق ، وأنعم عليه بمائة ألف درهم فضة وثلاثمائة فرس .

وأنعم أيضا على قرا يوسـف بمائة ألف وثلاثمـائة[3] فرس ، وأخرج عدة كبيرة من أمراء مصر إلى جهـة غزة [بعـد أن حمـل إلى كل منهـم مائة ألف درهم فضة[4]] وهم : الأمير تمراز الناصرى ، وابنه الأمير سودون بقجة[5] ، وسودون الحمزاوى ،

---

(١) رواية (م) « ثم نزل » . (٢) رواية (م) « فوقع ذلك وذكروا الخطباء اسم الخليفة » .
(٣) رواية (م) « وأنعم أيضا على قرا يوسف بمائة ألف درهم وثلاثمائة فرس » .
(٤) هذه الزيادة غير موجودة فى (م) . (٥) بقجة كذا فى الأصلين ؛ وفى السلوك : « نعجة » .

ويلبغا النـاصرى ، وإينال حطب ، وچاركس المصارع بعد أن حمـل شيخ أيضا إلى كل منهم مائة ألف درهم فضة ، ولم يتأخر بدمشق من أعيان الأمراء إلّا الأمير يشبك الدوادار والأمير شيخ نائب الشام ، وأقاما فى انتظار الأمير جكم [حتى قدم عليهما جـكم[1]] حسبما تقدّم ذكره ، وبعد قدوم جكم أجمعوا على المسـير إلى جهة مصر ، وبرزوا بالخيام إلى قبة يلبغا فى يوم رابع عشر ذى القعدة .

ثم خرج الأمير شيخ والأمير يشبك وقرا يوسف من دمشق فى يوم عشرينه[2] وساروا إلى الخربة[3] فافترقوا منها . فتوجه يشبك وقرا يوسف إلى صفد لقتال نائبها بكتمر جلق ثانيا ، فإنه بلغهم أنه مستمر على طاعة السلطان . وتوجه شيخ إلى قلعة الصُّبَيْبة وبها ذخائره وحريمه .

فلما بلغ بكتمر جلق مجىء العسكر لقتاله استعد هـو أيضا لقتالهم ، وقد قوى قلبه ، فإنه بلغه أن علّان نائب حماة دخل فى طاعة السلطان وخالف الأمراء ، وكذلك شيخ السليمانى المسرطن نائب طرابلس ، فإنه دخل فى طاعة السلطان ، واستولى على طرابلس واستفحل أمره ، وأن الأمـير شيخا السليمانى نائب طرابلس بعـد أخذ طرابلس قدم عليـه البريد بولاية[4] قانى باى على طرابلس ، فخرج منها شيخ السليمانى إلى حماة ، فأشار عليه علّان نائب حماة أنه لا يسلّم طرابلس لقانى باى حتى يراجع السلطان ويعلمه بما يترتب على عزله من الفساد ، فعاد شيخ إلى طرابلس ، فبهذه الأخبار ثبت بكتمر جلق على طاعة السلطان وقتال الأمراء .

(١) الزيادة عن (م) .
(٢) رواية (م) « عشرين ذى القعدة » .
(٣) الخربة : أرض ذات وديان بالشام (معجم البلدان ج ٣ : ٤١٤) .
(٤) رواية (م) « بنيابة » .

ولمـا قارب يشبك، وقرا يوسف صفد أخرج بكتمر كشّافته[١] بين يديه، ونزل جسر يعقوب[٢]، فالتقى كشافته بأصحاب يشبك وقرا يوسف، فاقتتلوا قتالا شديدا ظهر فيه الصـفديون[٣]، وأخذوا من الشاميين عشرة أفراس ، فعاد يشبك وقرا يوسف إلى طبرية[٤]، ونزلوا بها حتى قدم عليهم الأمير شيخ نائب الشام .

ثم ساروا جميعا إلى غزة، وقد تقدّمهم الأمير جكم ونزل على الرملة[٥] .

وأما أمراء الديار المصرية فإن السلطان الملك الناصر لمـا تحقق اتفاق الأمير شيخ المحمودى نائب الشام مع يشـبك ورفقته ، و بلغه أخبارهم مفصّـلا ، استشار الأمراء فى أمرهم فأجمعوا على خروج السلطان لقتالهم ، فتجهّز السلطان ، وعلّق جاليش السفر فى ثانى ذى القعدة بالطبلخاناة[٦] السلطانية على العادة .

ثم أنفق فى رابعه على المماليك السلطانية على كل مملوك خمسة آلاف درهم .

وكان صرف الذهب يوم ذاك مائة درهم المثقال، فصرف لكل واحد منهـم تسعة[٧] وأربعين مثقالا ، واحتاج السلطان فى النفقة المذكورة حتى اقترض من مال أيتام الأمير قلمطاى الدوادار عشرة آلاف مثقال ، ورهن عندهم جوهرا ، وجعل كسب ذلك ألف دينار ومائتى دينار، وأخذ منهم أيضا نحو ستة عشر ألف مثقال وباعهم بها بلدة من أعمال الجيزة تسمى البراجيل[٨] ، وأخذ من [تركة[٩]] التاجر برهان

(١) الكشافة : فرقة من الجند تتقدّم لكشف الطريق والعدوّ .

(٢) جسر يعقوب : منزلة من صفد . (٣) رواية (م) « ظهر فيه كشافة صفد » .

(٤) طبرية : مدينة بفلسطين كانت قاعدة الأردن ، وهى على بحيرة تنسب إليها ، وعندها حصلت واقعة حطّين بين الصليبيين وصلاح الدين ، وهى مشهورة بحمّاماتها .

(٥) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، كانت رباطا للسلمين ، وبها الجامع الأبيض المشهور بمنارته .

(٦) الطبلخاناة : الموسيقى السلطانية . (٧) رواية (م) « خمسة » .

(٨) البراجيل : بلدة تابعة لمركز امبابة مديرية الجيزة . (٩) الزيادة عن السلوك .

الدين المحلّى وغيره مالا كثيرا، ووزّع له قاضى القضاة شمس الدين الأخنائى الشافعى خمسمائة ألف درهم على تركات خارجة عن المودع ، وكانت نفقـة السلطان على خمسة آلاف مملوك .

ثم عزل السلطان الأخنائى عن قضاء[1] الشافعيـة بقاضى القضـاة جلال الدين عبـد الرحمن البلقينى ، وعزل ابن خلدون بقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى المـالكى .

ثم قدم الخبر على السلطان بنزول الأمراء على مدينة غزة ، وأخذهم الإقامات[2] المجهّزة للعساكر السلطانية .

وكانت غزة قد غلا بها الأسعار لقلّة الأمطار ، و بلغت الويبة القمـح مائة وعشرين درهما ، فعند ذلك جد السلطان الملك الناصر فى حركة السفر، والاستعداد للحـــرب .

وأما أمر الأمراء فإنه خرج جاليشهم من مدينة غزة إلى جهة الديار المصرية فى يوم الأحد ثانى ذى الحجة .

ثم سار من الغـد الأمير شيخ و يشبك وجكم ببقية عساكرهم ، واستنابوا بغزة الأمير ألطنبغا العثمانى .

ثم قدم الخبر على جناح الطير من بُلْبَيس بنزول الأمراء على قَطْيا ، فكثرت حركات العسكر بالقاهرة، وخرجت مدوّرة[3] السلطان إلى الرَّيْدانيّة خارج القاهرة، واختبط العسكر واضطرب لسرعة السفر .

---

(١) رواية (م) «قضاة» . (٢) الإقامات : جمع إقامة : وهى ما يلزم العساكر من مؤونة وعلف .

(٣) مدوّرة السلطان : خيمته الكبيرة الخاصة به ، وهى غير مدوّرته التى تقام فى الحفلات ، وهى آلة مدوّرة .

ثم ركب السلطان من قلعــة الجبل بأمرائه وعساكره فى يوم السبت ثامن ذى الحجة من سنة سبع وثمانمائة، وسار حتى نزل بالريدانية خارج القاهرة، وبات بها، وقــد أقام من الأمراء بباب السلســلة بكتمر الركنى رأس نوبة الأمراء وجماعةً أُخَر بالقاهرة .

وبينما السلطان بالريدانية ورد عليه الخبر بنزول الأمراء بالصالحية فى يوم التَّرْوِية وأخذوا ما كان بها من الإقامات السلطانية، فرحل السلطان من الريدانية فى يوم الأحد تاسعه، ونزل العِكْرِشة[1]، ثم سار منها ليلا، وأصبح ببلبيس وضحّى بها، وأقام عليها يومى الاثنين والثلاثاء، ورحل من مدينة بلبيس بكرة نهار الأربعاء، ونزل على منزلة السعيدية[2]، فأتاه كتب الأمراء الثلاثة، وهم: جكم، وشيخ، ويشبك بأن سبب حركتهم ما جرى بين الأمير يشبك وبين إينال باى بن قجماس، وطلبوا منه أن يُخرج إينال باى المذكور ودمرداش المحمدى نائب حلب من مصر، وأن يعطى لكلٍّ من يشبك وجكم وشيخ ومن معهم بمصر والشام ما يليق بهم من النيابات والإقطاعات لتخمد هذه الفتنة باستمرارهم على الطاعة، ولحَقْن[3] الدماء ويَعمر بذلك مُلْك السلطان، وإن لم يكن ذلك تلفتْ أرواح كثيرة، وخرِبتْ بيوت عديدة .

وكانوا أرادوا هذه المكاتبة من الشام، ولكن خشوا أن يُظَنّ بهم العجز، فإنه ما منهم الا من جعل الموت نصب عينيه، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك، ولم يأمر

---

(١) العكرشة : بلدة تابعة لشبين القناطر . وقيل : إنهـا المكان الذى التق فيه يوسف الصديق مع أبيه؛ وفيها استقبل الظاهر برقوق والده عند قدومه إلى مصر .

(٢) السعيدية سبق التعليق عليها بالحاشـية رقم ١ ص ٢٥٢ ج ٨ وأنها اندثرت ومكانها اليوم عزبة
٢ الشـيخ قطر حنفى وآخرين الواقعة على فم ترعة السعيدية الممتـدة بأراضى ناحيــة العباسة مركز الزقازيق . وإلى هذه القرية تنسب ترعة السعيدية .

(٣) رواية (م) « يحقن » .

بكتابة جواب لهم، وكان ذلك مكيدة من الأمراء حتى كبسوا على السلطان فى ليلة الخميس وهم فى نحو ثلاثة آلاف فارس وأربعمائة تركمانى من أصحاب قرا يوسف .

و بينما السلطان على منزلة السعيدية ورد الخبر على الوالد من بعض أصحابه ممن هو صحبة الأمراء ، أن الأمراء اتفقوا على تبييت السلطان والكبس عليه فى هذه الليلة ، فأعلم الوالد السلطان وحرّضه على الركوب بعساكره من وقته ، فمال إليه السلطان ، فأخذ الأمير بيغوت وغيره يستبعد ذلك، ولا زالوا بالسلطان حتى فتر عزمه عن الركوب، فعاد الوالد إلى وِطَاقه[1]، وأمر جميع مماليكه بالركوب بآلة الحرب .

و بينما هو فى ذلك إذ ثارت غبرة عظيمة وهجّة فى الناس ، وقبل أن يسأل السلطان عن الخبر طرقه الأمراء على حين غفلة، فركب السلطان فى الليل بمن معه واقتتل الفريقان قتالا شديدا من بعد عشاء الآخرة إلى بعد نصف الليل، جُرح فيه جماعة كثيرة من الطائفتين، وقُتل الأمير صُرُق الظاهرى صَبْرا بين يدى الأمير شيخ المحمودى نائب الشام، لأن السلطان كان ولاه عوضه نائب الشام، وانهزم السلطان وركب وسار عائدا على الهُجْن[2] إلى جهة الديار المصرية، ومعه سودون الطيار وسودون الأشقر ، وساقوا إلى أن وصلوا إلى القلعة، وتفرقت العساكر السلطانية وانهزموا وتركوا أثقالهم وخيامهم، وسائر أموالهم غنمها الشاميون ، ووقع فى قبضة الأمراء من المصريين الخليفة والقضاة ، والأمير شاهين الأفرم ، والأمير خيربك نائب غزة ، ونحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية وغيرهم ، وقدم المنهزمون من السلطانية إلى القاهرة فى يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة، ولم يحضر السلطان

---

(١) الوطاق : محرّف عن أوتاق، وهو بالتركية : الخيمة الكبيرة التى تعدّ للعظماء .

(٢) رواية (م) « وساق » .

ولا الأمراء الكبار ، فكثر الإرجاف وماج النـاس ، وانتهبت عدة حوانيت حتى قدم السلطان قريب العصر ومعه الأمراء، وقد قاسى من [مرّ][1] العطش والتعب مالا يوصف، فسر الناس بقدومه، وطلع إليه الأمراء والعساكر وباتوا تلك الليلة، وأصبح السلطان يتهيأ للقاء الأمراء، وقبض على يلبغـا السالمىّ وسلّمه لجمال الدين البيرىّ الأستادار ، فعاقبه وصادره، وشرع أمر السلطان كل يوم فى زيادة لعدم قدوم العسكر الشامى إلى القاهرة .

فلما كان آخر نهار الأحد نزلت الأمراء بالريدانية خارج القاهرة .

ثم أصبحوا فى بكرة نهار الآثنين ركبوا وزحفوا على القاهرة، فأغلقت أبواب المدينة وتعطلت الأسواق عن المعايش، ومشوا حتى وصلوا قريبا من دار الضيافة[2] بالقرب من قلعة الجبل، فقاتلهم السلطانية من بكرة نهار الآثنين المذكور إلى بعد الظهر ، فلما أذّن الظهر أقبل جماعة كثيرة من الأمراء إلى جهة السلطان طائعين : منهم الأمير يَلْبُغا الناصرى، وآسنباى أمير ميسرة الشام المعروف بالتركمانى، وسودون اليوسفى، وإينال حطب ، وجمق، فلما وقع ذلك اختل أمر الأمراء، وعزم جماعة منهم على العود إلى البلاد الشامية لحمل ما خف من أثقاله وعاد ، وفعل ذلك جماعة كبيرة بعد أن أفرج شيخ عن الخليفة والقضاة وغيرهم، فتسلّل عنـد ذلك الأمير يشبك الشعبانى الدوادار، والأمير تمـراز الناصرى أمير سـلاح، والأمير جاركس القاسمى المصارع، والأمير قَطلوبغا الكَركى فى جماعة أُخَر، واختفوا بالقاهرة وظواهرها .

فلما وقع ذلك ولى الأمير جكم والأمير شيخ والأمير طولو وقرا يوسف فى طائفة يسيرة، وقصدوا البلاد الشامية، فلم يتبعهم أحد من عسكر السلطان .

---

(١) هذه الزيادة غير واردة فى (م) .

(٢) دار الضيافة : سبق التعليق عليها بصحيفة ٢٠١ ج ١١

ثم نادى السلطان بالأمان لكل أحد، فطلع إليه جماعة، فقبض عليهم وقيّدهم و بعث بهم إلى سجن الإسكندرية، وخمدت الفتنة، وانجلت[1] هذه الواقعة عن إتلاف مال كثير من العسكرين، ذهب فيها من الخيل والبغال والجمال والسلاح والثياب ما لا يدخل تحت حصر من غير فائدة .

ثم أخذ الملك الناصر فى تمهيد أمور دولته و إصلاح الدولة والمفرد ، فقبض على الصاحب تاج الدين بن البقرى، وسلّمه لجمال الدين الأستادار، واستقر عوضه فى الوزارة فخر الدين ماجد بن غراب .

وكان أخوه سعد الدين إبراهيم بن غراب مع العسكر الشامى ، فلما قدم معهم اختفى بالقاهرة، ثم ترامى على الأمير إينال باى بن قجماس، فجمع بينه و بين السلطان ليلا، ووعده بستين ألف دينار .

وأصبح يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة طلع سعد الدين بن غراب إلى القلعة فخلع عليه السلطان وجعله مشيرا .

ثم فى ثالث عشرينه خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى، وكان ممن قدم مع العسكر، باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن الأمير شيخ المحمودى ، وعلى بكتمر جلّق بآستقراره على نيابة صفد ، وعلى سلامش حاجب غزّة بنيابة غزّة .

وأما جكم وشيخ فإنهما قدما غزّة فى نحو خمسمائة فارس أكثرهم من التركمان أصحاب قرا يوسف ، وقد غنموا شيئا كثيرا، وتفرقت عساكر شيخ ، وتلفت أمواله وخيوله ، ومضى إلى دمشق، فخرج إليه الأمير بكتمر جلق والأمير شيخ السليمانى المسرطن نائب طرابلس، فهرب منهما، فتتبّعاه إلى عقبة فيق[2]، فنجا بنفسه

(١) رواية : « م » وأجلت .

(٢) عقبة فيق : ينحدر منها إلى غور الأردن ، ومنها يشرف على طبرية وبحيرتها ؛ وفيق : مدينة بالشام بين دمشق وطبرية (معجم البلدان جـ ٦ ص ٤١٣) .

فلم يدركاه ، ودخل دمشق وهو فى آســوأ حال ، فوجد السلطان أحمد بن أويس صاحب بغـداد قد فرّ من دمشـق إلى جهة بلاده فى ليـلة الأحد سادس عشر ذى الحجة ، وكان قد تأخر بدمشق ولم يتوجه إلى نحو الديار المصرية صحبة الأمراء. ثم إن شيخا أوقع الحوطة على بيوت الأمراء الذين خامروا عليه وتوجهوا إلى مصر ، وأخذ فى إصلاح أمره ولمّ شَعَثِه .

وأما جكم فإنه لمـا فارق حلب كان[1] بها عدّة من أمرائها ، ورفعوا سنجق[2] السلطان بقلعة حلب ، فاجتمع إليهم العسكر ، لحلف بعضهم لبعض على طاعة السلطان وقدم ابنـا شهرى الحاجب ونائب القلعة من عنـد التركمان البياضية إلى حلب ، وقام بتـدبير أمور حلب الأمير يونس الحافظى ، وامتـدت أيدى عرب العجل ابن نعير وتراكمين ابن صاحب الباز إلى معاملة حلب ، فقسموها ، ولم يدعوا لأحد من الأمراء والأجناد شيئا ، كل ذلك قبل قدوم جكم إليها من مصر .

وأما السلطان فإنه رسم فى أواخر ذى الحجة بانتقال الأمير علّان اليحياوى نائب حماة إلى نيـابة حلب عوضا عن جكم ، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير إينال الخازندار ، واستقرّ الأمير دقماق المحمدى فى نيابة حماة عوضا عن علّان المذكور ، واستقرّ الأمير بكتمر جلق نائب صـفد فى نيابة طرابلس عوضا عن شيخ السليمانى المسرطن ، وتوجه بتقليده الأمـير جرباش العمرى ، واستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير بكتمر الركنى رأس نوبة الأمراء درجة إلى أسفل .

ثم فى ثالث المحرم سنة ثمان وثمانمائة قدم مبشر الحاج وأخبر بأنه كان أُشيع بمكة المشرفة قدوم تيمور لنك إليها ، فاستعد صاحب مكة لذلك ، فلم يصحّ ما أشيع .

---

٢ (١) رواية م : « ثار بها » . (٢) السنجق : العلم .

ثم قدم رسل الأمير شيخ نائب الشام إلى السلطان بديار مصر، وهم شهاب الدين أحمد بن حجّى أحد خلفاء الحكم بدمشق، والشريف ناصر الدين محمد بن على نقيب الأشراف، والشيخ المعتقد محمد بن قويدار، والأمير يلبغا المنجكى، ومعهم كتبه تتضمن الترقق والاعتذار عما وقع منه، وتسأل استقراره على عادته فى نيابة دمشق، فلم يلتفت السلطان إلى قوله، ومنع رسله من الاجتماع بأحد .

ثم فى رابع عشرين المحرم سار الأمير نوروز الحافظى إلى نيابة دمشق وخرج الأمراء لوداعه، ونزل بالريدانية ومعه متسفره[(١)] الأمير برد بك الخازندار .

ثم وقعت الوحشة بين السلطان وبين الأمير إينال باى بن قجماس الأمير آخور، فقبض السلطان فى يوم الاثنين سادس صفر على الأمير يشبك بن أزدمر رأس نوبة النوب، وعلى الأمير تمر، وعلى الأمير سودون، وهما من إخوة سودون طاز، فاختفى الأمير إينال باى أمير آخور ومعه الأمير سودون الجلب، وأحاط السلطان بدورهم، ثم قيّد الأمراء وأرسلهم إلى سجن الإسكندرية .

وأما إينال باى فإنه دار على جماعة من الأمراء ليركبوا معه، فلم يؤهّله أحد لذلك، فاختفى إلى يوم الجمعة عاشره، فظهر، وطلع به الأتابك بيبرس إلى القلعة، فكثر الكلام بين الأمراء حتى آل الأمر إلى مسك إينال باى وإرساله إلى ثغر دمياط بطّالا .

ثم فى خامس عشرين صفر فرّق السلطان إقطاعات الأمراء الممسوكين، فأنعم بإقطاع إينال باى على الوالد، وزاده إمرة طلبخاناه، وأنعم بإقطاع الوالد على الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب كان، وبإقطاع دمرداش على الأمير أزبك الإبراهيمى .

(١) رواية م : « مسفره » .

وجميع هـذه الإقطاعات تقادِم ألوف ، لكن شيئا أحسن من شيء فى كثرة المغـــلّ .

وأنعم على الأمير بيبرس الصغير الدوادار بتقدمة ألف قبل أن تكمل لحيته، وعلى الأمـير بشباى الحاجب بتقدمة ألف ، وعلى الأمـير علّان بتقدمة ألف ، وعلى الأمير قراجا بإمرة عشرين ، وأنعم بطبلخانات سـودون الجلب على الأمـير إينمش الشعبانى .

ثم أخلع على الأمير جرباش الشيخى رأس نوبة ثانى بآستقراره أمير آخورا كبيرا عوضا عن إينال باى .

وأما الأمير شيخ فإنه توجه صحبة الأمير جكم وقرايوسف لحرب نعير .

ثم اختلفوا، فمضى جكم إلى طرابلس، وتوجه قرا يوسف إلى جهة الشرق عائدا إلى بلاده، وعاد الأمير شيخ من البقاع ونزل سطح المِزّة(١) ومعه خواصّه فقط .

ثم توجه إلى الصُّبَيْبَة(٢) هاربا من نوروز الحافظى، فدخل نوروز إلى دمشق فى يوم الثـلاثاء ثانى عشرين صفر من غير مـدافع لضعف الأمـير شيخ عن مقاومته وقتاله .

وأما السلطان، فإنه أخلع على الأمـير بشباى الحاجب بآستقراره رأس نوبة النوب عوضا عن يشبك بن أزدمر، وأخلع على الأمير أرسطاى باستقراره حاجب الحجّاب بعد بشباى .

---

(١) المزة : قرية كبيرة غنّاء فى أعلى الغوطة فى سفح الجبل من أعلى دمشق، وقد سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ٢ ص ١١٠ ج ٨

(٢) الصبيبة : اسم لقلعة بانياس، وهى من الحصون المنيعة . هذا ما ورد فى التعليق عليها بالحاشية رقم ٢ ص ٢٨١ ج ٦ .

ثم في يوم الثلاثاء وقع بالديار المصرية فتنة، وكثر الكلام بين الأمراء إلى أن اتفق جماعة من المماليك الجركسية وسألوا السلطان القبض على الوالد وعلى الأمير دمرداش المحمدى، وعلى الأمير أرغون من بشبغا و جماعة أخر من كون السلطان اختص بهم، وتزوج بكريمتى على كره من الوالد، وكونه أيضا أعرض عن الجراكسة وأمسك إينال باى، فخافوا أن تقوى شوكة هؤلاء عليهم، واتفقوا واجتمعوا على الأتابك بيبرس، وتأخروا عن الخدمة السلطانية، وكثر كلام القوم في ذلك إلى أن طلب السلطان الأمراء واستشارهم فيما يفعل، فقال له دمرداش: المصلحة [تقتضى] قتالهم[1]، وأنا كفء هؤلاء الجراكسة، والسلطان لا يتحرك من مجلسه فنهره الوالد وقال له ما معناه: نقاتل من؟ نقاتل خشداشيتك[2]، كلنا مماليك السلطان ومماليك أبيه مهما شاء السلطان فعل[3] فينا وفيهم .

هذا وقد ظهر الملل على السلطان من كثرة الفتن، ولحظ الوالد منه ذلك، فإنه قال فيما بعد: سمعته يقول في ذلك اليوم: وددت لو كنت كما كنت ولا أكون سلطانا .

ثم أمر السلطان الوالد أن يختفى حتى ينظر السلطان في مصلحته، وأمر دمرداش أيضا بذلك، وانفض المجلس من غير إبرام أمر .

ثم أصبح الناس يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الأول من سنة ثمان المذكورة، وقد ظهر الأمير يشبك الشعبانى الدوادار، والأمير تمراز الناصرى أمير سلاح، والأمير جاركس القاسمى المصارع، والأمير قانى باى العلائى، وكانوا مختفين بالقاهرة من يوم واقعة السعيدية .

(١) هذه الزيادة غير واردة في م . (٢) خشداش: هو الخصيص والصاحب والزميل .

(٣) رواية م: « يفعل » .

وخبر ظهورهم أن الأتابك بيبرس ركب إلى السلطان، وأخبره بمواضع الأمراء المذكورين، ووافقه على مصالحة الجراكسة وإحضار الأمراء من آختفائهم، والإفراج عن إينال باى وغيره، فرضى السلطان بذلك، وتقرر الحال على ذلك، وطلع الأمراء المذكورون من الغد فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأول المذكور، فأخلع[1] السلطان على الأمير سودون المحمّدى بآستقراره أمير آخورا كبيرا عوضا عن[2] جرباش الشيخى، وعوده إلى إقطاعه إمرة طبلخاناة ووظيفته رأس نوبة .

ثم فى عاشره طلع الأمير يشبك الدوادار والأمير تمراز الناصرى أمير سلاح والأمير جاركس القاسمى المصارع وجماعة أخر إلى القلعة، وقبّلوا الأرض بين يدى السلطان، فأخلع عليهم خلع الرضا، ونزل كل واحد إلى داره .

ثم فى خامس عشرة قدم الأمير قُطْلوبُغا الكَرَكى، وإينال حطب، وسودون الحمزاوى، ويَلْبُغا الناصرى، وأسندمر الناصرى، وتمر من سجن الإسكندرية، وهؤلاء الذين كان السلطان نادى لهم بالأمان بعد وقعة السعيدية، فلما طلعوا له قبض عليهم وسجنهم بالإسكندرية وهم رفقة يشبك وشيخ وجكم .

ثم قدم الأمير إينال باى بن قجماس من ثغر دمياط ومعه تمان تمر الناصرى .

ثم قدم الأمير يشبك بن أزدمر أيضا من سجن الإسكندرية .

ثم أمسك السلطان القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السرّ[3]، وولّى عوضه سعد الدين إبراهيم بن غراب، وألزم فتح الدين بحمل ألف ألف درهم .

ثم ظهر الأمير دمرداش [نائب حلب[4]] من آختفائه، فأخلع السلطان عليه نيابة غزّة، فسار فى يوم السبت رابع عشرينه، وخلع السلطان أيضا على يشبك بن

(١) رواية م : « فخلع » . (٢) رواية م : « بعد عزل الأمير » .
(٣) رواية م : « كاتم » . (٤) هذه الزيادة لم ترد فى م .

أزدمر بنيابة مَلَطْيّة، فامتنع من ذلك، فأكره حتى لبس الخلعة[١]، ووكّل به الأمير أرسطاى الحاجب والأمير محمد بن جلبان الحاجب حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة .

ثم بعث السلطان إلى الأمير أزبك الإبراهيمى الظاهرى المعروف بخاص خرجى[٢]، — وكان تأخر عن طلوع الخدمة — بأن يستقر فى نيابة طَرَسُوس[٣]، فأبى أن يقبل والتجأ إلى بيت الأمير إينال باى، فاجتمع طائفة من المماليك ومضوا إلى يشبك بن أزدمر، وردّوه فى ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل وقد وصل قريبا من سرياقوس ، وضربوا الحاجب المرسّم عليه، وصار العسكر فرقتين، وأظهر المماليك الجراكسة الخلاف، ووقفوا تحت القلعة يمنعون من يقصد الطلوع إلى السلطان ؛ وجلس الأتابك بيبرس بجماعة من الأمراء فى بيته، وصار السلطان بالقلعة وعنده عدّة أمراء، وتمادى الحال على ذلك يوم الخميس والجمعة والسبت والسقالة بينهم .

فلما كان يوم السبت نزل السلطان من القلعة إلى باب السلسلة، واجتمع عنده بعض الأمراء لإصلاح الأمر، فلم يفد ذلك، وباتوا على ما هم عليه، وأصبحوا يوم الأحد خامس عشرينه وقد كثروا وطلبوا من السلطان الوالد أرغون من بشبغا .

وكان الوالد قد ظهر من يوم أخرج دمرداش إلى نيابة غزة، فلم يستجرِ أحد يتكلم فى خروجه من القاهرة، واستمر على إمرته، فأبى الملك الناصر أن يرسله إليهم،

(١) رواية م : «الخلع» .

(٢) عرف بذلك لكونه كان خصيصا عند أستاذه الظاهر برقوق، (الضوء اللامع ص ٢٧٣ ج ٢) .

(٣) طرسوس : هى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وهى واقعة على نهر سيحان المسمى قديما ساروس فى آسيا الصغرى . وقد فتحها مسلمة بن عبد الملك . (معجم البلدان ص ٣٨ ج ٦ ومعجم الخريطة ص ٤٠) .

فقال الوالد : هذا أمر يطول، ولا بدّ من النزول، فنزل إليهم ومعه أرغون، وكلّم الأمراء فى سبب طلبهم إياه ، وخشّن للأتابك بيبرس فى القول، فإنه كان مسفّر الوالد لمـا ولى نيابة حلب فى أيام الملك الظاهر برقوق ، فلم يتكلّم بيبرس ولا غيره بكلمة واحدة ، وسكت الجميع .

فلما طال المجلس قال الوالد : ما تتكلموا، فعندها[1] تكلّم شخص من الخاصكية الظاهرية يقال له : قرمش الأعور، وهو الذى قُطع رأسه فى دولة الملك الأشرف برسباى من أجل جانى بك الصوفى حسبما يأتى ذكره، وقال قرمش : ياخوند ، المقصود أنك تخرج من الديار المصرية حتى تسكن هـذه الفتنة، ثم تعود بعد أيام أو يعطيك السلطان ما تختار من البلاد . فقال الوالد : بسم الله حتى أشاور السلطان ثم أسافر، وخرج فلم يجرؤ أحد أن يقبضه ولا يرسّم عليـه ، وعاد إلى بيته ولم يطلع إلى السلطان .

وكان سـكنه بالبيت الذى بباب الرُّمَيْلة تجاه مصلّاة المؤمنى[2]، وأقام به يومه وتجهّز وخرج فى الليل فى نحو مائة مملوك من خواصّه ، فلم يقف له أحد على خبر ، وسار من البرّية إلى القدس الشريف فى دون الخمسة أيام، ولم يجتز بقطيًا خوفا من تسليط العربان عليه .

وكان لمـا خرج من بيت بيبرس أرسل إليه السلطان يعلمه أنه أيضا يريد يختفى و يترك السلطنة ، فلهذا جدّ الوالد فى السير لئلا يخرج القوم فى أثره و يقبضون عليه .

(١) رواية م : « فعند ذلك » .

(٢) سبيل المؤمنى ، سبق التعليق عليه فى ص ١٦١ من هذا الجزء ، واستدرك عليه أن السلطان الغورى جدّد بناء المصلّى فى سنة ٩٠٩ هـ ، وهى مازالت موجودة إلى الآن مسقوفة بعقود حجرية ، وبها اسم الغورى . وهى بأوّل شارع السيدة عائشة من جهة ميدان صلاح الدين .

فلما كان وقت الظهر من يوم خروج الوالد من مصر وهو يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول فُقد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق من قلعة الجبل ولم يُعرف له خبر .

وسبب تركه السلطنة أنه كان فى يوم النوروز جلس السلطان مع جماعة من الأمراء والخاصكية من مماليك أبيه ، وشرب معهم حتى سكر ، ثم ألقى بنفسه إلى فسقيّة هناك ، فألقى الجماعة أنفسهم معه ، وقد غلب على السلطان السكر ، وصار يَسبح معهم فى الماء ويمازحهم ، وترك الوقار ، فجاء من خلفه الأمير أزبك الإبراهيمى المعروف بخاصّ خرجى ، وقيل غيره ، وأزبك الأشقر، (١) وأغمّه فى الماء مرارا وهو يمرق من تحته كأنه يمازحه حتى قبض عليه وغرّقه فى الماء حتى كادت نفسه تزهق ، ففطن به بعض مماليك أبيه من الأروام ممن كان معهم أيضا فى الفسقية ، وخلّصه منه ، وأفحش فى سبّ أزبك المذكور ، وأراد قتله ، فمنعه السلطان من ذلك ، وقال : كان يلعب معى ، وأسرّها فى نفسه .

ثم طلع السلطان من الفسقيّة ، وذهب كل واحد إلى حال سبيله ، فذكر السلطان بعد ذلك للوالد ما وقع له مع أزبك المذكور ، وأمره أن يكتم ذلك لوقته ، فأخذ الوالد يزوّل عنه ذلك ويهوّنه عليه .

ثم عرّف السلطان جماعة من أكابر أمراء الجراكسة بذلك ، فلم يلتفتوا لقوله وقالوا : لم يُرد بذلك إلّا مباسطة السلطان ، فعند ذلك تحقّق السلطان أنهم يريدون قتله ، وكان ذلك بعد خروج الأمراء من السجن وظهور يشبك ورفقته ، وقد كثروا وعظم جمعهم ، فلم يجد الملك الناصر بدّا من أن يفوز بنفسه ويترك لهم ملك مصر .

---

(١) رواية م : « الأشهر » . وفى هامشها ص ١٣٣ : « الأشقر » وهو ما أثبتنا .

ولمـا أراد النزول من القلعة ليختفى بالقاهرة قام ومعـه بكتمر مملوك القاضى سعد الدين بن غراب ، و يوسف بن قطلوبك صهر ابن غراب ، ونزلوا من باب السرّ الذى يلى القرافة ، وساروا على بركة الحَبش (١) ، ونزلوا منها فى مركب ، وتركوا الخيل وتغيّبوا نهارَهم كلَّه فى البحر حتى دخل الليل ، فساروا بالمركب إلى بيت سعد الدين ابن غراب وهو فيما بين الخليج (٢) و بركة الفيل (٣) بالقرب من قنطرة طقزدمر (٤) ، فلم يجدوه فى داره ، فمروا على أقدامهم حتى باتوا فى بيت بالقاهرة لبعض معارف بكتمر .

ثم بعثوا لابن غراب بمجىء السلطان إلى عنده ، فهيأ له سـعد الدين مكانا من داره ، وأنزله فيه من غير أن يعلم أحد به .

وأما الأمراء ، فإنه لمـّا بلغهم ذهاب السلطان الملك الناصر [خرج المذكور] (٥) فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيـع الأول من سنة ثمـان وثمانمائة ، بادروا بالطلوع إلى القلعة ، وهم طائفتان : الطائفة التى كانت خالفت السلطان الملك الناصر ، وركبوا عليه وقاتلوه أياما ، ثم توجهوا إلى الشام وعادوا إلى الديار المصرية وصحبتهم جكم وشيخ وقرايوسف وواقعوه بالسعيدية (٦) ، وكسروه . ثم اختفوا ، ورأسهم يشبك الشـعبانى الدوادار بمن كان معـه من الأمراء وقـد مر ذكرهم فى عدّة مواضع ، والطائفة الأخرى كبيرهم بيبرس الأتابك ، وسـودون المـاردانى الدوادار الكبير ، و إينال باى وغيرهم .

فلمـا طلعوا الجميع إلى القلعة ، منعهم الأمير سودون تلى المحمدى الأمير آخور الكبير من الطلوع إلى القلعة ، فصاروا يتضرّعون إليـه من نصف النّهـار إلى بعد

---

(١) بركة الحبش ، سبق التعليق عليها بالجزء الخامس ص ١٤ (٢) الخليج : سبق التعليق عليه ص ٣ ؛ (٣) بركة الفيل : سبق التعليق عليها بالجزء السابع ص ٣٦٥
(٤) قنطرة طقزدمر : سبق التعليق عليها ج ٩ ص ١٩٥ (٥) هذه الزيادة لم ترد فى م .
(٦) السعيدية : سبق التعليق عليها ج ٨ ص ٢٥٣

غروب الشمس، حتى مكّنهم من العبور من باب السلسلة، فطلعوا ومعهم الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة، وتكلموا فيمن ينصّبوه سلطانا، حتى اتّفقوا على سلطنة الأمير عبد العزيز بن الملك الظاهر برقوق، فإنه ولى عهد أخيه فى السلطنة حسبما قرّره والده الملك الظاهر برقوق قبل وفاته، فطلبوه من الدُّور السلطانية، فمنعته أمه خوند قُتّق باى أوّلا، ثم دفعتْه لهم فأحضروه، وتم أمره، وتسلطن حسبما نذكره فى محلّه من ترجمته، وخُلع الملك الناصر فرج من السلطنة وسنّه نحو سبع عشرة سنة تخمينا، فكانت مدّة تحكم الملك الناصر على مصر من يوم مات أبوه الملك الظاهر برقوق إلى يوم خلع ست سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يوما [والله أعلم][1] .

***

« انتهى الجزء الثانى عشر من النجوم الزاهرة، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر، وأوّله : السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق الأولى على مصر » .

(١) الزيادة عن (م) .

تراثنا



النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تَغْرِي بَرْدِي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء الثاني عشر

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر – ٩٠١١٨

القاهرة